

سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

العدد: 07 السداسي الأول 2019

ISBN 9931-9460

أعمال الملتقى الوطني

حول دبلوماسية الثورة الجزائرية وإشكاليه تدويل القضية الجزائرية بين التحالفات

الإقليمية والاستراتيجية الدولية

جامعة المسيلة يومي: 30.31 أكتوبر 2018

تنسيق وإشراف

أ. د / عبد الله مقلاتي أ. د / عمر بوضربة

أ. د / حميدي أبو بكر الصديق أ. د / بريم كمال



المدير الشرفي للسلسلة

أ. د / كمال بداري مدير الجامعة

مدير السلسلة

أ. د / عبد الله مقلاتي

المراجعة اللغوية

أ. د / عبد الحميد عمران

التصميم والإعداد التقني

أ / الطاهر خالد ود/عبد العزيز راجعي

اللجنة العلمية الاستشارية للسلسلة

الجامعة	الأستاذ	الجامعة	الأستاذ
جامعة المسيلة	أ.د/ عيسى بن قبي	جامعة المسيلة	أ.د/ عمر بوضربة
جامعة المسيلة	أ.د/ أبو بكر الصديق حميدي	جامعة المسيلة	أ. د صالح لميش
جامعة المسيلة	د/ منى صالح	جامعة المسيلة	أ. د/ عبد الكامل جويبة
جامعة المسيلة	د/ حسين محمد الشريف	جامعة المسيلة	أ. د/ محمد يعيش
جامعة المسيلة	د/ عبد السلام همال	جامعة المسيلة	أ. د/ أحمد مسعود سيد علي
جامعة المسيلة	د/ فتح الدين بن أزواو	جامعة المسيلة	أ. د/ محمد السعيد قاصري
جامعة المسيلة	د/ محمود بوكسية	جامعة المسيلة	أ.د/ كمال بريم
جامعة المسيلة	د/ مصطفى عبيد	جامعة المسيلة	أ.د/ الطاهر بوناوي

حقوق الطبع محفوظة

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة -

حي إشبيلية، ص ب 190 ولاية المسيلة . الجزائر

البريد الإلكتروني: revuehalgint@gmail.com

الموقع على الإنترنت: virtuelcampus.univ-msila.dz/terra2

الموقع على الفيسبوك: <https://www.facebook.com/profile.php>

رقم الإيداع القانوني: السداسي الأول 2019

ISBN 978-9931-9460-6-9

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورقة الملتقى الوطني:

دبلوماسية الثورة الجزائرية وإشكالية تدويل القضية الجزائرية بين

التحالفات الإقليمية والاستراتيجيات الدولية

التعريف بموضوع الملتقى وإشكاليته:

منذ عهد الأمير عبد القادر ومرحلة النضال السياسي تم اعتماد النشاط الخارجي والدبلوماسي سبيلا للتعريف بالقضية الوطنية وكسب المناصرة الدولية لها، وقد مثل النشاط الدبلوماسي للثورة بحركيته النشيطة أساسا مهما في إستراتيجية الثورة التحريرية، حيث اعتمد هذا النشاط في البداية على دعم الدول الشقيقة والصديقة، ثم امتد ليشمل مجالات إقليمية ودولية واسعة، وخاصة بعد النجاح المحقق في مؤتمر باندونغ عام 1955، وكل ذلك بقصد تحقيق أهداف الثورة المدروسة والمسطرة، ولعل من أبرزها التعريف بالقضية الجزائرية وتدويلها وتحقيق الاستقلال الوطني التام.

وقد قطعت الدبلوماسية الجزائرية أشواطاً حافلة بالنجاحات، واستطاعت مجابهة الدبلوماسية الفرنسية وحلفائها بفضل أهدافها النبيلة ومبادئها السامية وقضيتها العادلة، ولا شك أن استراتيجية العمل المدروسة وجهود الوجوه الفاعلة كان لها الدور الحاسم في تحقيق النجاحات الدبلوماسية المرجوة، وقد قامت هذه الإستراتيجية أساساً على كسب تحالف الدول الشقيقة والصديقة والكتلة الآفرو آسيوية، واختراق المعسكرات الدولية الشرقية والغربية من أجل ربح معركة الأمم المتحدة في نهاية المطاف.

ولا شك أن موضوع النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية وأهدافه وإستراتيجيته يطرح أكثر من إشكال، وفي هذا الملتقى نناقش بالبحث والتقصي مبادئ وأهداف دبلوماسية الثورة، وطبيعة الأبعاد الإستراتيجية لنشاطها، ونتعرف على مكاسبها المحققة، وعلى مسارات رجالها.

ويمكننا محورة الإشكال الرئيسي للملتقى في سؤال رئيسي يتمثل في معرفة طبيعة الاستراتيجية الدبلوماسية للثورة التحريرية في تدويل القضية الجزائرية في المحافل الإقليمية والدولية، وإشكالية الموضوع تمتد عبر ثلاث مجالات من الأسئلة، تتعلق بمبادئ دبلوماسية الثورة وأهدافها، وأبعادها الإستراتيجية في ميدان التحالفات الإقليمية والدولية، وطبيعة المكاسب التي حققتها.

أهداف الملتقى

تسعى بحوث الملتقى بكل موضوعية للإجابة عن الإشكاليات المطروحة، ولا شك أن تفسير "ظاهرة" الدبلوماسية الجزائرية التي حققت نصرا مظفرا، يسهم في تدوين جانب مهم من تاريخ الثورة الجزائرية، ومن الأهداف المسطرة للملتقى نذكر:

1. العمل على تجسيد مشروع المؤسسة الذي سطرته جامعتنا من خلال تحقيق أهداف علمية وبيداغوجية والتفتح على المحيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.
2. المساهمة في كتابة تاريخ الثورة التحريرية وهي مهمة شاقة تتطلب تضافر جهود الباحثين داخل الوطن وخارجه والتوجيه العلمي الجيد لطلبة الدكتوراه.
3. معالجة كثير من إشكاليات قضايا الثورة التحريرية، خاصة القضايا السياسية الخارجية التي تم الإفراج عن وثائقها مؤخرا.
4. توضيح مختلف الأبعاد الإستراتيجية لدبلوماسية الثورة وبيان أهميتها في إنجاح الثورة.
5. توجيه اهتمام الباحثين إلى حقل مهم من الدراسات الخاصة بالنشاط الدبلوماسي والسياسي للثورة الجزائرية.
6. توضيح مبادئ الدبلوماسية الجزائرية السامية وسبل تجسيدها ميدانيا في سياسة الدولة المستقلة.
7. الاستفادة من نقاط القوة في دبلوماسية الثورة في تفعيل دبلوماسية الدولة الجزائرية المستقلة وفي دعم حركات التحرر الإفريقية والدولية.

محاور الملتقى

المحور الأول: البعد الدبلوماسي في المقاومة ونضال الحركة الوطنية

- . أهداف ومبادئ النشاط الدبلوماسي للمقاومة والحركة الوطنية.
- . مكاسب دبلوماسية الحركة الوطنية.
- . رموز ونخب دبلوماسية الحركة الوطنية.

المحور الثاني: دوائر النشاط الدبلوماسي للثورة التحريرية وأبعادها المرحلية

- . الصعيد العربي والأفرو . آسيوي .
- . الصعيد الدولي الشرقي والغربي .
- . في الأمم المتحدة .

المحور الثالث: استراتيجية وأطر عمل الدبلوماسية الجزائرية

- . أطر السياسة الخارجية للثورة التحريرية.
- . مبادئ الدبلوماسية الجزائرية ونقاط قوتها.
- . مناهج وأساليب عمل الدبلوماسية الجزائرية.

المحور الرابع: مكاسب دبلوماسية الثورة وتقييمها

- . أهمية التحالفات الجيو سياسية.
- . صدى نجاحات الدبلوماسية الجزائرية إقليميا ودوليا.
- . نجاحات دبلوماسية الثورة وقوة دبلوماسية الجزائر المستقلة

المحور الخامس: دبلوماسيو الثورة التحريرية، صناع النجاح

- . رواد ومؤسسو الدبلوماسية الجزائرية.
- . النخب الدبلوماسية وموقعها في إدارة القرار السياسي للثورة.
- . أعلام دبلوماسية الثورة، التعريف بمسارهم وإنجازاتهم: (محمد خيضر، حسين آيت أحمد، أحمد بن بلة، محمد الأمين دباغين، أحمد توفيق المدني، فرحات عباس،

شوقي مصطفى، أحمد بودة، محمد البشير الإبراهيمي، أحمد بومنجل، عبد الرحمان كيون، الأخضر الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، عبد الحميد مهري، محمد الغسييري، الفضيل الورتيلاني، الشيخ خير الدين، دماغ العتروس، ...الخ).

الهيئة المنظمة

الرئيس الشرفي للملتقى: أ. د/ كمال بداري مدير الجامعة.

مدير الملتقى: أ. د/ عبد الله مقلاتي مدير المخبر.

رئيس الملتقى: أ. د/ عمر بوضربة.

رئيس اللجنة العلمية للملتقى: د/ فتح الدين بن أزواو.

رئيس اللجنة التنظيمية للملتقى: أ. د/ عيسى بن قبي.

مساعد رئيس اللجنة التنظيمية للملتقى: أ. د/ حميدي أبو بكر الصديق.

كلمة مدير المخبر

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا لتنظيم هذا الملتقى، نقدم في البداية شكرنا وامتناننا للسيد مدير الجامعة المحترم على رعايته وتشجيعه لأعمال مخبرنا، والشكر موصول للسيد عميد الكلية، وبخاصة أعضاء المخبر والسادة الأساتذة المساهمين في إنجاح الملتقى.

لقد بذلت اللجنة العلمية واللجنة التنظيمية جهودا مضيئة في التحضير للملتقى وإنجاحه، وفي إطار معالجة الإشكاليات العلمية الدقيقة والهامة في تاريخ ثورتنا وقع الاختيار على مجال الدبلوماسية، وتم ضبط الموضوع وإشكاليته وفق العنوان الآتي: "دبلوماسية الثورة الجزائرية وإشكالية تدويل القضية الجزائرية بين التحالفات الإقليمية والاستراتيجيات الدولية".

ويندرج هذا الموضوع ضمن اهتمامات الفرقة الثانية للمخبر التي تختص بمجال النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية، وقد تم رصد أهداف أساسية من تناول هذا الموضوع كان من بينها: معالجة القضايا التاريخية لدبلوماسية الثورة الجزائرية دراسة علمية وموضوعية، والتعرف على نقاط القوة في دبلوماسية الثورة للاستفادة من دروسها وعبرها، والتعريف بمجال نشاط الدبلوماسية الثورية وأهدافه في ظل الصراعات والأحلاف الدولية والإقليمية.

وإن محاور الملتقى المتنوعة تحاول معالجة إشكالية الموضوع، ولهذا تنوعت موضوعاته، بين التعريف بنشاط الدبلوماسية الثورية، ومجالات وأهداف الدبلوماسية الجزائرية، وكذا أبعادها وإستراتيجيتها والمكاسب التي حققتها، إضافة إلى التعريف برموز وأعلام هذه الدبلوماسية الذين كان لهم الفضل في نجاح دبلوماسية الثورة الجزائرية.

وقد سهر رئيس الملتقى الأستاذ الدكتور عمر بوضربة ورئيس اللجنة العلمية الدكتور فتح الدين بن أزواو وأعضائها على انتقاء المداخلات المفيدة، والتي تقدم الجديد للبحث العلمي، ونأمل أن نطبعها تعميما للفائدة، كما بذلت اللجنة التنظيمية

برئاسة كل من أ. د/ عيسى بن قبي وأ. د/ حميدي أبو بكر الصديق جهدا في التنظيم والتحضير للملتقى، وملتقى اليوم لتقديم زبدة معارفنا ونتائجنا العلمية وإجراء نقاشات ومحاورات وورشات دكتورالية، وآمالنا طموحة في تحقيق جميع أهدافنا التي سطرناها وأن تعم الاستفادة والفائدة.

وفي هذا المقام أتقدم بالشكر الجزيل للمساهمين في إنجاح الملتقى وخاصة أعضاء اللجنة العلمية وكذا أعضاء اللجنة التنظيمية، وأخص بالشكر كذلك السيد عميد الكلية المحترم أ د عمر عمار، ومدير الجامعة المحترم أ د كمال بداري على جميع جهودهم في سبيل إنجاح مسيرة البحث العلمي بجامعتنا.

وفي الختام نتمنى النجاح لملتقانا ونعيد الترحيب بجميع ضيوفنا، وخاصة القادمين من مختلف الجامعات الوطنية، ونأمل أن نكون قد وفقنا في أعمالنا بكتابة صفحة مهمة من تاريخ وطننا المفدى.

الأستاذ الدكتور عبد الله مقلاتي

المحور الأول

البعد الدبلوماسي في المقاومة ونضال الحركة الوطنية

معالم من النشاط الدبلوماسي الجزائري 1830-1954

✍ د/محمد قـن

✍ د/علجية مقيدش

جامعة زيان عاشور-الجلفة

الملخص:

Depuis 1830, Ahmed Bey a contacté, la Grande-Bretagne, tandis que Hamdan Khoja a lié des relations avec des personnalités françaises, anglaises et ottomans. Après les victoires militaires de L'Emir Abdelkader, La France a reconnu sa souveraineté et a échangé avec lui les consuls. Il a également établi des relations avec la Tunisie, et Tripoli, et le sultan ottoman Mahmoud II. L'Emir Khaled a adressé une lettre au président américain « Wilson » lors de la conférence de Versailles 1919. En juillet 1948, « UDMA et MTL D » ont participé à la conférence anti-impérialiste des peuples d'Asie et d'Afrique. En 1950, Farhat Abbas a appelé les États-Unis à aider les peuples opprimés. L'Association des Oulamas a créé le "Comité de soutien pour la Palestine" le 20 juin 1948, L'Etoile Nord-Africaine a soulevé la Question Algérienne et de l'Afrique du Nord lors de la Conférence de Bruxelles en 1927, et a protesté contre la déclaration et la reconnaissance d'Israël. Et à la Ligue des États arabes, M. Shazly Mekki, a représenté L'Algérie au Bureau du Maghreb arabe au Caire. Les organisations d'étudiants et de scouts islamiques algériens participèrent au festival international de la jeunesse à Prague en 1947 et à Budapest en 1949. Lors de la création du FLN, la déclaration du 1er novembre 1954 faisait référence aux fondements de la lutte diplomatique, qui ont été évalués au sommet de Soummam du 20 août 1956.

مقدمة:

يعتبر تاريخ 8 أكتوبر 1962 يوم انضمام الجزائر رسمياً لهيئة الأمم المتحدة، إذ أصبحت العضو رقم 109 في هذه المنظمة. إن هذا الحدث كان نتيجة نضال طويل ومتعدد على مستويات مختلفة عسكرية وسياسية وقانونية

ودبلوماسية⁽¹⁾، مما مكن الجزائر من استرجاع سيادتها الوطنية وشخصيتها الدولية، وفيما يلي نحاول استعراض مسيرة تطور الدبلوماسية الجزائرية عبر مراحلها الحاسمة.

أولاً: الدبلوماسية الجزائرية قبل الثورة الجزائرية

بعدما انتزع الاستعمار الفرنسي السيادة الوطنية من الشعب الجزائري، برزت عدة مقاومات عسكرية وسياسية داخلية، أما على المستوى الخارجي فقد ظهرت نشاطات ومساعي قام بها أعيان وزعماء جزائريون، لدى الشخصيات العالمية والدول الصديقة والشقيقة وحتى الأجنبية، للتعريف بالوضع المأسوي الذي يعيشه الشعب الجزائري تحت قبضة الاستعمار الفرنسي قصد استرجاع حقوقه.

- دور الحاج أحمد باي وحمدان خوجة:

استغل أحمد باي⁽²⁾ التنافس الأوروبي وخاصة بين فرنسا وبريطانيا فراسل السلطات البريطانية، قصد كسب دعمها ضد فرنسا مقابل الحصول على

1 - الدبلوماسية هي نظم ووسائل اتصال بين الدول لتسيير علاقاتها الخارجية. وهي كلمة مشتقة من الفعل اليوناني "يطوي"؛ ففي عهد الرومان كانت جوازات السفر تدمج على قطع معدنية مزدوجة ثم تطوى، ويطلق عليها كلمة ديبلوماس، ثم أصبح يطلق على الأوراق الرسمية، مثل المعاهدات. وفي أواخر القرن الثامن عشر استعملت الدبلوماسية، لوصف البعثات المتبادلة بين الدول ويطلق على موظفي البعثات الدبلوماسية (الممثلون الدبلوماسيون)، وينقسم رؤساء البعثات الدبلوماسية إلى سفراء ووزراء مفوضون، ثم القائمون بالأعمال. اجع إلى:

- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1965، ص783.

2 - أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي (1786-1850)، ولد بقسنطينة كرجلي، تولى أبوه منصب خليفة على عهد الباي حسن، أما جده فهو أحمد القلي الذي حكم بايلك الشرق لمدة 16 سنة، أمه جزائرية الأصل، من عائلة ابن قانة أحد أكبر مشايخ عرب الصحراء، ويظن البعض أنه تركي الأصل، حفظ أحمد باي القرآن الكريم، وتعلم قواعد اللغة العربية. تولى مناصب إدارية منها منصب خليفة على عهد الباي أحمد المملوك، عينه الداوي حسين بايا على بايلك الشرق (1826 - 1837). أثبت كفاءاته العسكرية والسياسية، آمن بالتبعية الروحية للباب العالي، قاد معركة قسنطينة الأولى ومعركة قسنطينة الثانية أكتوبر 1837. وبعد=

امتيازات اقتصادية. أما حمدان خوجة⁽¹⁾ فقد راسل شخصيات فرنسية وإنجليزية وفرنسية وعثمانية، ساهمت في فضح التجاوزات المرتكبة من طرف المحتلين؛ فكتب كتاب (المرآة) في أكتوبر 1833 كشف فيه حقيقة الاستعمار في الجزائر، وكان له صدى واسع في أوساط الليبراليين الفرنسيين والإنجليز⁽²⁾. وبعد محاولته الفاشلة في الاستعانة بالمغرب، كتب حمدان خوجة إلى السلطان المغربي المولى عبد الرحمان بن هشام رسالة قائلا "إن أصبحت بلاد المغرب الأوسط في يد دولة فرنسية، فكيف تأمن على بلادك؟"⁽³⁾.

2- نشاط الأمير عبد القادر:

بعد انتصاراته العسكرية على فرنسا، وإبرامه معها معاهدة (دي ميشال) في 28 فيفري 1834 بوهران، اعترفت فرنسا للأمير عبد القادر بسيادته للمناطق التي كون فيها دولته، مثلما اعترفت له أيضا في معاهدة (التافنة) في (30 ماي 1837) بسيادته على ثلثي القطر الجزائري، وتبادلت معه القناصل، حيث مثل القبطان "دوماس" فرنسا لدى الأمير بمعسكر من 1837 إلى 1839، وكذا

= سقوط قسنطينة، حاول تجديد المقاومة لكنه فشل فسلم نفسه في 5 جوان 1848، وتوفي في 1851 ودفن بمسجد عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة. للمزيد راجع: بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848، دار الحكمة، الجزائر، دون طباعة، 2010.

1 - من مواليد مدينة الجزائر ومن عائلة علم سافر إلى البلدان العربية والمتوسطية فاكسب ثقافة واسعة وعلاقات إنسانية فتتمكن من لغات أجنبية. عايش مراحل الغزو الفرنسي الأولى فأسدى النصائح للداي حسين وراقب تطبيق معاهدة الاستسلام وانتزع لجنة التحقيق من وزير الدفاع في حق المواطنين العزل فقرّر الوزير إرسال لجنة التحقيق في جرائم جيش الاحتلال وقد تضمنها كتابه الصادر في 1833 تحت عنوان لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر والمشهور ب (المرآة)، توسط بين أحمد باي والحاكم الفرنسي الدوق "رويفيغو".

2 - للمزيد عن النشاط الدبلوماسي لحمدان خوجة. انظر:

- Abdeldjalil Temimi, "L'Activité de Hamdan Khodja à Paris et à Istanbul pour la Question Algérienne", in **Revue Maghrébine**, n° 7-8 janvier 1977, pp234-243.

3 - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص188.

الإيطالي "جرافاني" قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر، الذي عينه الأمير لتمثيله لدى السلطات الفرنسية في 12 أكتوبر 1837.

كما كان للانتصارات العسكرية التي حققها الأمير عبد القادر ضد فرنسا، صدى واسعاً في الخارج؛ ففي المغرب الأقصى بعث السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وفداً لمشاركة الشعب الجزائري فرحته ومساندته ضد الاحتلال. كما أقام الأمير علاقات مع باي تونس أحمد باي (1837 - 1855)، وحاكم طرابلس إبراهيم باشا (1849-1805) والسلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839)، الذي أرسل له مبعوثاً ورسالة. وبسبب انتصاراته العسكرية، زاد التأثير السياسي للأمير عبد القادر في الأوساط الليبرالية الأوروبية؛ ففي فرنسا طالب معارضو السياسة الحربية المنتهجة من طرف ضباط الجيش الفرنسي بالاعتراف بسيادة الأمير على التراب الجزائري، وذلك لثقل الميزانية المخصصة للحرب.

3- مساعي الأمير خالد:

بعد الحرب العالمية الأولى أراد الأمير خالد ⁽¹⁾ طرح القضية الجزائرية أمام عصبة الأمم، فنظم عام 1919 اجتماعاً طالب فيه المشاركين بالإمضاء على

1 - الأمير خالد بن الهاشمي: حفيد الأمير عبد القادر ولد بمدينة دمشق بسوريا يوم 20 فيفري 1875، أين نشأ. وتعلم العلوم العربية والدينية، انتقل إلى الجزائر، وبها تابع دراسته الإعدادية، ومنها التحق بباريس لمزاولة دروسه بثانوية لويس الكبير - Louis Le Grand سنة 1885. أدخل إلى الكلية العسكرية بسان سير Saint Cyr بباريس. استغل الرصيد النضالي لجده الأمير عبد القادر ومعرفته للحضارة العربية الإسلامية للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية، فتصدى لدعاة الإدماج وغلاة المعمرين والنواب الفرنسيين. وبعث بعريضة إلى الرئيس الأمريكي ولسن يطرح فيها مطالب الجزائريين. أسس جريدة الإقدام سنة 1920 للتعبير عن أفكاره والدفاع عن فكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية. صار عضواً بالمجلس البلدي للجزائر العاصمة، وأنشأ جمعية الأخوة الجزائرية. نتيجة نشاطه المكثف نفي إلى خارج الجزائر في جويلية 1923. شارك في مؤتمر باريس للدفاع عن حقوق الإنسان. وأرسل رسالة إلى هيريو =

مذكرة موجهة إلى الرئيس الأمريكي " ويلسون" بمناسبة انعقاد مؤتمر فرساي في جانفي 1919⁽¹⁾ يدعو فيها إلى تطبيق حق تقرير المصير بالنسبة للجزائريين.

ثانيا: النشاط الدبلوماسي للحركة الوطنية 1919-1954

كان لتيارات الحركة الوطنية الجزائرية نشاطات في الميدان السياسي الدولي من خلال مواقفها وتحالفاتها.

1- نشاط التيار الإصلاحي الليبرالي:

لم يرض زعماء التيار الإصلاحي الليبرالي على فرنسا، حينما وافقت على مشروع تقسيم فلسطين عام 1937، كما فضحوا الإيديولوجية الصهيونية وتهويد فلسطين وشاركوا في اللجنة الجزائرية المساندة لفلسطين التي أنشأت في جوان 1948 بمبادرة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ويمكن الإشارة إلى اللقاءات التي جمعت فرحات عباس بن جلول مع "ربوت ميرفي" الممثل الخاص للرئيس الأمريكي روزفلت، عام 1942⁽²⁾، وبهذه المناسبة حرر فرحات عباس نصا على شكل بيان أرسله عن طريق "ميرفي" إلى الرئيس الأمريكي "روزفلت" المساند لتحرر المستعمرات⁽³⁾. كما شارك الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في جويلية 1948 مع حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في المؤتمر المضاد للإمبريالية لشعوب آسيا وإفريقيا.

= رئيس الوزراء الفرنسي سنة 1924 أكد فيها على المطالب الأساسية للجزائريين. توفي بدمشق بتاريخ 09 جانفي 1936.

-Charles-Robert Ageron, «Enquête sur les origines du nationalisme algérien. L'Emir Khaled, petit-fils d'Abd El-Kader, fut-il le premier nationaliste algérien? », in Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, No 2, 1966, pp 9-49.

1 - Ahmed Mehsas, Le Mouvement Révolutionnaire en Algeria, Ed Barkat Alger, 1990, pp42-47.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 200-201.

3- Mahfoud Keddache, Histoire du Nationalisme Algérien (1919-1951), T1, P629-630.

أما فيما يتعلق ببناء الإتحاد المغاربي التزم المشاركون في مؤتمر الحزب الديمقراطي للبيان الجزائري الذي عقد في سطيف 1948، بالعمل على توحيد البلدان الثلاث على المدى القريب وتحقيق اتحاد شمال-إفريقي. كما دعا المؤتمر المنعقد في سبتمبر 1949 هيئة الأمم المتحدة إلى حفظ "الحرية والسلم والحضارة، وإلى التنديد بالنظام الاستعماري". ومن جهته دعا فرحات عباس عام 1950 الولايات المتحدة لإعانة الشعوب المضطهدة في القضاء على الاستعمار. كما نسجل احتجاج الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري على حرب فيتنام، والقمع المسلط على شعوب المغرب العربي وإفريقيا⁽¹⁾.

2- نشاط التيار الإصلاح الديني:

شكلت قضايا الجزائر خاصة والعالم العربي الإسلامي عامة أهم انشغالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي وجهت نشاطها الخارجي أساسا إلى مسائل المغرب العربي لتقاربها مع الوسط الثقافي والديني. كما اعتبرت القضية الفلسطينية المحور الرئيسي لسياستها الدولية⁽²⁾. وبعد المصادقة على مشروع تقسيم فلسطين والإعلان عن قيام دولة إسرائيل، أنشأت جمعية العلماء "لجنة مساندة فلسطين" في 20 جوان 1948، بالتعاون مع مناضلي حزب "الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" و"حركة الانتصار للحريات الديمقراطية".

3- نشاط التيار الثوري:

يدخل برنامج نجم شمال إفريقيا ضمن الإطار المغاربي، الهادف إلى تحقيق استقلال كل بلدان المغرب العربي؛ فضمن هذا السياق شارك حزب شمال إفريقيا في "مؤتمر الشعوب المستعمرة" المنعقد في بروكسل من 10-15 فيفري 1927. ولقد سمح هذا النشاط الخارجي الأول بالنسبة للحزب بالتعريف بقضية

1- Idem، p849.

2 - ارجع إلى جريدة البصائر، 17 ماي 1948، ص4 وكذلك 21 جوان 1948، ص 1.

الجزائر وشمال إفريقيا، وبإقامة علاقات مع زعماء المنظمات للاستعمار في كل من أوروبا وآسيا⁽¹⁾. وفي هذا الإطار، التقى مصالي الحاج مع شكيب أرسلان رئيس اللجنة السورية-ال فلسطينية، وعين مصالي عضوا في لجنة "المؤتمر الإسلامي" تحت رئاسة شكيب أرسلان المنعقد بجنيف من 12 إلى 15 سبتمبر 1935. وتكشف هذه المواقف عن التوجه الجديد للتيار الثوري تجاه قضايا المشرق الإسلامي⁽²⁾.

3-1: التيار الثوري والقضية الفلسطينية:

جند حزب الشعب الجزائري مناضليه بالجزائر؛ ففضح مشروع تقسيم فلسطين سنة 1937. كما شكلت "لجنة شمال إفريقيا" للتضامن والتعاون مع الضحايا العرب في فلسطين في باريس سنة 1938⁽³⁾. وبعد اعتراف القوى العظمى بدولة ما يعرف بـ "إسرائيل" وانضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة، ازدادت حدة خطاب الحزب، فقدم بالتعاون مع الحزب الاستقلالي المغربي والحزب الدستوري الجديد التونسي، بيان احتجاج إلى السلطات الفرنسية⁽⁴⁾.

وهكذا لم يكن إيمان الجزائر بالأمة العربية عاطفيا فحسب بل كان عمليا، وما استجابة الجزائر لنداء الوطن في فلسطين عام 1948، إلا دليل ساطع على تعلق هذا الشعب بعروبه وإيمانه بأنه كالجسد الواحد، رغم المحن التي تعرض لها والستار الحديدي الذي ضربه الأعداء حوله وتحكمه فيه؛ فقد سارع المتطوعون الجزائريون واتجهوا راجلين نحو المشاركة في الدفاع عن فلسطين.

1- للتذكير فإن نجم شمال إفريقيا قد وجه في عام 1930 رسالة إلى عصبة الأمم احتجاج فيها على الاحتفال بمرور مائة عام على الوجود الاستعماري في الجزائر.

2- Mahfoud Keddache ,op cit, p 465.

3- Idem, p849

4- Mahfoud Keddache ,op cit, p524

3-2: التيار الثوري وجامعة الدول العربية

صرح عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية، إثر زيارته لباريس في أكتوبر 1946 قائلا: "إن شعوب شمال إفريقيا هي شعوب عربية... نطالب من أجلها ما نطالب به من أجل كل الشعوب: الحرية الحق في تحقيق المصير"⁽¹⁾. ونتيجة للدعم الدبلوماسي العربي، شكل الوطنيون المغاربة في جانفي 1947 جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية. ثم انعقد مؤتمر المغرب العربي تحت رعاية الجامعة العربية برئاسة عزام باشا من 15 إلى 21 فيفري 1947 وانبتق عنه "مكتب المغرب العربي" الهادف إلى تنسيق أنشطة الحركة الوطنية المغربية وتعزيز المساندة والتضامن. وقد مثل الفرع الجزائري في هذا المكتب السيد الشاذلي المكي. وبالتوازي مع "مكتب المغرب العربي" تشكلت أيضا "لجنة تحرير المغرب العربي" بالقاهرة يوم 6 جانفي 1948، وذلك بإلحاح من زعيم الريف المغربي الأمير عبد الكريم الخطابي.

هذا وقد قدم محمد خيضر باسم الوفد الخارجي المتكون من السادة (أحمد بن بلة، حسين ايت أحمد، محمد خيضر) بتاريخ 16 جانفي 1954 إشعارا مسبقا للجامعة العربية حول ممارسات فرنسا في الجزائر. وقد أكد محتواها مصالي الحاج، الذي أرسل رسالة إلى عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية في 20 أكتوبر 1954، ودعا فيها إلى وقفة عربية واسعة فقال: "...وقعت أحداث كثيرة خلال هذه السنوات في القطر الجزائري، أعلن فيها الشعب التفافه حول قادته... لذلك اتجه الشعب الجزائري نحو إخوانه العرب، يرجو منهم العمل على رفع القضية الجزائرية إلى الأمم المتحدة... وقد كلف السيد "عابد بوحافة" بحمل

رسالة إلى جلالة الملك سعود...طالبين منه تبني عرض المسألة الجزائرية على الجامعة العربية أولا ثم الأمم المتحدة⁽¹⁾.

3-3: نشاط التيار الثوري بأوروبا

شاركت حركة الانتصار في جويلية 1948 في المؤتمر المضاد للإمبريالية لشعوب آسيا وإفريقيا، الذي صادق على بيان قدم لهيئة الأمم المتحدة⁽²⁾ لصالح "المجلس التأسيسي الجزائري السيد". وفي نفس المجال، انضمت حركة الانتصار إلى مؤتمر السلام الذي انعقد تحت إشراف الأحزاب الشيوعية في أبريل 1949. ولقد شاركت منظمات الطلبة والشبيبة القريبة من حركة الانتصار مثل الكشافة الإسلامية الجزائرية، في عدة مظاهرات، منها المهرجان الدولي للشبيبة في براغ عام 1947 ثم في بودابست سنة 1949، أين عرضوا المواقف المختلفة لحركة الانتصار ورفع فيه العلم الجزائري⁽³⁾. وفي 2 نوفمبر 1948 قدمت الأحزاب الوطنية للبلدان الجزائر، المغرب، وتونس وثيقة للأمين العام لهيئة الأمم المتحدة تدين فيها السياسة الاستعمارية الفرنسية. وفي الشهر الموالي (ديسمبر 1948)، وجه مصالي الحاج نداء إلى هيئة الأمم المتحدة، فضح فيه عدم تطبيق عصبة الأمم لمبادئ "ويلسون" التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها.

ثالثا: دبلوماسية حركة الانتصار من المنظمة الخاصة إلى جبهة التحرير

استعدادا للعمل المسلح عقد في ديسمبر 1948 اجتماعا للجنة المركزية الموسعة لحركة الانتصار، بمنطقة زدين (عين الدفلة)، نتج عنه إعداد تقرير

1 - للمزيد انظر:

- أحمد بشيري، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، منشورات تالة، الجزائر، 2005، ص ص 26-27.

2- Mahfoud Keddache ,op cit , p 819

3- Idem , p820

توجيهي حدد بوضوح المحاور الكبرى للسياسة الداخلية والدولية للحركة، وذلك من أجل تحقيق هدفين:

- 1: تحقيق وحدة الكفاح على المستوى المغاربي.
- 2: جلب المساندة السياسية والمادية والمعنوية الضرورية لاندلاع واستمرار الكفاح⁽¹⁾.

وفي هذا الإطار أرسلت حركة الانتصار ممثلا إلى القاهرة في سبتمبر - أكتوبر 1949، لبحث إمكانية تزويد المنظمة الخاصة بالأسلحة، وكذا معرفة مدى استعداد البلدان العربية والجامعة العربية لمساندتها، عند وقوع حركة تحررية بالجزائر. وصرح الأمين العام "عزام باشا" للدكتور "الأمين دباغين" قائلا: "لدي الثقة التامة بأن المغرب العربي والمغاربة سيتمكنون من التحرر من الاستعمار، كما سيساهمون في تحرير شعوب الشرق الأوسط"⁽²⁾. وفي سبتمبر 1951 زار مصالي الحاج البلدان العربية للتعريف بالقضية الجزائرية؛ فالتقى بملك العربية السعودية وبالأمين العام للجامعة العربية ورئيس لجنة تحرير المغرب العربي الأمير عبد الكريم الخطابي. وفي نفس الاتجاه وجه محمد خيضر رئيس الفرع الجزائري لمكتب القاهرة، مذكرة إلى اللجنة السياسية للدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، أشار فيها باسم الحزب أن الوضع في المغرب وتونس لا يجب أن يحول دون النظر في قضية الجزائر فقال: "الجزائريون يطالبون بنشاط سياسي عربي وآسيوي يهدف إلى تدويل قضيتهم وتسجيلها في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة خاصة بعد عرض القضيتين المغربية والتونسية"⁽³⁾.

1 - Mohammed Harbi, Les Archives de La Révolution Algérienne , ed jeune afrique, 1981, p16.

2- Ait Ahmed, Mémoire d'un Combatton..., p189.

20- Mohammed Harbi , op cit , p51.

وفي هذا الظروف تكونت في 23 مارس 1954 اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التي انبثقت عنها جبهة التحرير الوطني والتي هدفت من خلال بيان 1 نوفمبر 1954 لتحقيق الاستقلال عن طريق الكفاح المسلح داخليا والنضال الدبلوماسي خارجيا؛ فقد جاء في البيان: "...وغايتنا في الميدان الخارجي: - تدويل القضية الجزائرية.

- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في نطاقها الطبيعي العربي الإسلامي.
- وموقفنا في دائرة ميثاق هيئة الأمم، هو تأكيد تعاطفنا وتضامننا الفعال إزاء كل الأمم التي تؤيد كفاحنا التحرري.
- ...ولبلوغ هذه الغاية...ستقوم جبهة التحرير الوطني بعمل خارجي لجعل المشكل الجزائري واقعا مطروحا أمام العالم أجمع بتأييد جميع حلفائنا الطبيعيين"⁽¹⁾.
- وقد أكدت الثورة التحريرية هذه المبادئ أيضا من خلال بيان مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 والذي أثرى الأهداف الدبلوماسية للثورة ومنها:
- عزل فرنسا عن الجزائر وعن العالم سياسيا.
- السعي إلى الحصول على أقوى ما يمكن من التأييد المادي والمعنوي.
- تصعيد تأييد الرأي العام.
- تنمية الإعانة الدبلوماسية بجذب حكومات البلاد التي جعلتها فرنسا في الحياد أو التي لم تطلع اطلاقا كافيا على الصفة الوطنية لحرب الجزائر وحمل هذه الحكومات على مناصرة القضية الجزائرية.

الخاتمة:

ومن خلال دراستنا السابقة يتبين لنا أن النشاط الدبلوماسي كان متزامنا مع المقاومة المسلحة والحركة الوطنية والثورة التحريرية بمختلف مراحلها، وفي

كل مرحلة كانت القضية الجزائرية تحقق الانتصار تلو الآخر، وقد أسهم أقطاب الدبلوماسية الجزائرية في بث الحماس الشعبي التحرري، وفي رسم معالم حركة تضامنية آفرو-آسيوية قوية مع القضية الجزائرية توجت باستقلال الجزائر عام 1962.

النخبة الجزائرية والعمل الدبلوماسي. حمدان خوجه أنموذجا

د/ بن جلول هزريشي

جامعة زيان عاشور - الجلفة

مقدمة:

شكل الاحتلال الفرنسي للجزائر نقطة تحول كبيرة في تاريخها الحديث والمعاصر، وتحولت الجزائر نتيجة ذلك من رقم فاعل في معادلة القوى الدولية، بما امتلكته من شخصية دولية، ومكانة عالمية إلى بلد مستعمر حاولت إدارة الاستعمار من خلال سياسة الفرنسة، والإدماج، والتجنيس، والتنصير إيصاله إلى حالة من القابلية للاستعمار. وقد تعددت آليات ووسائل المقاومة، وشملت المجال العسكري، والثقافي، والسياسي، والدبلوماسي. ويعتبر حمدان بن عثمان خوجه كشخصية سياسية، وثقافية، وفكرية من رواد الدبلوماسية الأوائل في الجزائر بعد الاحتلال. تتناول الورقة نشأة حمدان خوجه، وحياته السياسية، وآثاره العلمية، والإصلاحية، ومقاومته للاحتلال عبر نشاطه الدبلوماسي بفرنسا، وإسطنبول، وموقف الإدارة الاستعمارية من نشاطه.

1- حمدان خوجه المثقف والمصلح

ساهم مركز حمدان خوجه¹ الاجتماعي، والسياسي في اكتسابه ثقافة عالية مكنته من فهم، واستيعاب التحولات السياسية الداخلية، وعلاقاتها بالمتغيرات

1 حمدان خوجه: كاتب وزعيم سياسي ولد بمدينة الجزائر حيث نشأ وتعلم، عرف بغزارة ثقافته، وإتقانه للكثير من اللغات، وإطلاعه على الأفكار الأوروبية الحديثة كالحريات وفكرة القومية. تولى بعد الاحتلال منصب مستشار في المجلس البلدي. بعد عدم التزام فرنسا بما وقعته في 5 جويلية 1830 نظم أول حزب وطني لمقاومة الاحتلال عرف باسم لجنة المغاربة مما دفع بالمستعمر لنفيه إلى فرنسا ثم انتقل إلى القسطنطينية=

التي كانت تشهدها العلاقات الدولية. وهو ما يمكن استنتاجه من كتاباته، ومراسلاته مع الأطراف التي ارتبطت بالقضية الجزائرية بعد الاحتلال. كما أن ثقافته الواسعة التي تظهر من خلال تكوينه¹ التقليدي على عدد من الشيوخ الذين اهتموا بتحفيظه القرآن، وأصول الفقه. وقد استفاد من رحلاته إلى البلدان الإسلامية والأوروبية، التي تعلم فيها اللغات الأجنبية، والاحتكاك بالشخصيات السياسية، والتردد على النوادي الفكرية، والاطلاع على الحضارات القديمة كال يونانية²، والاطلاع على التيارات السياسية والنزعة التحريرية من خلال مبدأ القومية³، وعلى أساس ذلك كتب عبد الجليل التميمي: "يعد بن عثمان خوجه الشخصية الجزائرية الوحيدة التي تمتعت بثقافة واطلاع واسعين جدا والذي ترك عددا من الوثائق السياسية الهامة حول أحداث الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي للبلاد."⁴ في السياق ذاته يعد من أكبر رواد الإصلاح والتجديد الذين عرفهم

= التي توفي بها. أنظر أبو عمران، الشيخ، ناصر الدين، سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1995، ص ص 169-170.

1 يعد حمدان خوجه آنذاك من كبار الأغنياء في الجزائر. يتضح ذلك من خلال عرض الحال الذي قدمه إلى الملك لويس فيليب في 19 جوان 1835 وذكر ما نصه: "قبل أن تستولي الحكومة الفرنسية على الجزائر كنت أنا عبدكم أحد الأغنياء والمعتبرين بهاته المدينة، كنت أملك بمنطقة المتيجة بمزارعي عشرة آلاف رأس غنم، ستمائة رأس بقر، ومائتي زوج بقر للحراثة، ستين جملا، مائتين ما بين فحول وفرسان، وستين بغلا، وعددا آخر من الحيوانات. كنت أملك بالإضافة إلى هاته الثروة الفلاحية، ستمائة معسلة، ما بين خمس وست آلاف كيلة من القمح والشعير، وعدة آلاف من الأراضي الصالحة للحراثة. وبعد سقوط الجزائر في يد الفرنسيين، نهب الأعراب كل هاته الثروة التي تقدر ب 400.000 فرنك." أنظر التميمي، بحوث ووثائق، مرجع سابق، ص 190.

2 حمدان بن عثمان، خوجه، إتحاف المنصفين والأدباء ص 30

3 أبو القاسم، سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.....

4 عبد الجليل، التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، ط2، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العثمانية في العهد التركي، زغوان، تونس، 1985، ص 133.

العالم الإسلامي خلال فترة القرن التاسع عشر. وكان سابقا للكثير من المصلحين في الدعوة إلى ضرورة الأخذ بمبادئ الحرية، والديمقراطية، ومحاربة الاستبداد، والتفاهم بين الحضارتين الغربية والإسلامية.¹

تبرز ثقافة حمدان خوجة، وسعة اطلاعه، وتنوع مجال اهتماماته في آثاره ومؤلفاته :

1. المرأة ألفه في باريس سنة 1833 باللغة العربية ثم ترجمته صديقه حسونة الدغيس إلى الفرنسية.
2. إتحاف المنصفين والأدباء الاحتراس من الوباء ألفه باللغة العربية سنة 1836، ثم ترجمه إلى التركية وأهداه إلى السلطان محمود الثاني.
3. رسالة أسماها حكمة العارف بوجه نيفع المسألة في الإمكان أبدع ألفها سنة 1837.
4. ترجمة لكتاب نور الإيضاح ونجاة الأرواح للشيخ حسن الشربنلاي.
5. مذكرة قدمها للجنة الإفريقية في جويلية 1833 وفيها وصف لمظاهر اضطهاد السلطة الفرنسية للجزائريين².

2- نشاطه بعد الاحتلال

يتعجب الباحث الموضوعي من حجم التشويه الذي طال موقف حمدان خوجة من الاحتلال الفرنسي للجزائر. فقد حمل مسؤولية التعجيل بالاحتلال، ورفض الانضمام إلى المفتي الحنفي الذي كلفه الداوي بتجنيد الأهالي للدفاع عن مدينة الجزائر، وأنه دعا إلى اجتماع أعيان المدينة الذين طلبوا من الداوي

1 رابح، مراحي، مساهمة حمدان خوجة في النهضة العربية الإسلامية، مجلة أبعاد، جانفي 2014، ص ص

2 حميدة، عميروحي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1830، ط1، دار البعث، 1987، الجزائر، ص ص 74-79.

حسين التفاوض مع الفرنسيين، وأنه قبل الوظيفة في عهد الاحتلال من خلال عضوبته في بلدية الجزائر، وفي اللجنة التي كلفت بمهمة تعويض الأشخاص الذين تعرضت ممتلكاتهم للهدم¹. لكن الوقائع التاريخية تكذب تلك الادعاءات، وتثبت اتساع دائرة وعيه الوطني ونضجه السياسي، ورفضه للاحتلال، فقد كان ملازما للداي، الذي كلفه بالبحث عن قائد الجيش، والزامه بإعادة تنظيم قواته. كما ظل ملتزما بالدعوة إلى ضرورة احترام البند الخامس من معاهدة الاستسلام². كما انتقد التصرفات، والإجراءات التي تبناها المارشال دي بورمون في حق الأتراك، من خلال اختطافهم، وفصلهم عن نسائهم وأطفالهم، وفيهم وكتب ما نصه: "... إن قلة عددهم وكذلك ضعفهم لا يسمحان لهم بتدبير أية مؤامرة. وقد كان عليه قبل أن يتصرف بهذه الكيفية أن يستخبر هل أن الوشاية كانت لفائدة الصالح العام، أم هل هي لمجرد الانتقام"³.

في السياق ذاته زار حمدان خوجه قسنطينة مرتين للتفاوض مع قائد المقاومة في الشرق أحمد باي للبحث في سبل التقاهم مع الفرنسيين⁴. ويذهب أحد الباحثين إلى القول أن الهدف من الزيارتين لم يكن التفاوض حول

1 حمدان بن عثمان، خوجه، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الوبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 30-34.

2 ورد في البند الخامس من معاهدة الاستسلام 5 جويلية 1830 ما نصه "إن الدين المحمدي سيبقى على ما هو عليه، ومهما كانت طبقتهم، سيبقى محترمة، وأن دين هذا الشعب، وممتلكاته، وتجارته، وصناعته، بالإضافة إلى نسائه سيبقى محترمة أيضا، الخ.". انظر: أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص 423.

3 حمدان، خوجه، المرأة، مصدر سابق، ص ص 227-228.

4 للاطلاع على الزيارتين اللتين قام بهما حمدان خوجه لقسنطينة أنظر: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجه وبوضرية، تقديم محمد العربي الزبيري، ط 2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 33-

الاستسلام، بقدر ما كان تبليغ تعليمات الداوي إلى أحمد باي بدليل رفض وزارة الدفاع الفرنسية تسديد تكاليف سفره، وإرسال الجواسيس لمراقبته¹.

3- نشاطه الدبلوماسي في باريس

بسبب اقتناعه بعدم جدوى تحركاته داخل الجزائر لاسترجاعها وأنواع المضايقات التي مارسها روفيغو على حمدان خوجة بعد أن شعر بنزعة القومية، وحملات التشويه التي طالبت كاختلاس أموال بعض التجار المسلمين واليهود ومتابعته قضائياً²، واتهامه بخدمة الأتراك ورغبته في عودتهم والدعاية الواسعة التي نشرها بين الجزائريين عن هزيمة الفرنسيين في المدية³ اضطر حمدان خوجة للهجرة إلى باريس للدفاع عن القضية الجزائرية وتتوير الرأي العام الفرنسي والدولي بالجرائم المرتكبة، والتوصل من الالتزامات التي تضمنتها معاهدة 5 جويلية 1830 وقع عليها قائد الحملة الفرنسية دوبرمون مع الداوي حسين. ويرتبط استقراره المؤقت بالعاصمة الفرنسية إلى توفر حرية التعبير، والتنسيق مع المعارضة الفرنسية وكبار المسؤولين، وقناصل الدول الكبرى. ويمكن رصد أهم مظاهر نشاطه الدبلوماسي في النقاط التالية:

أ-رسالة إلى المقرر لدى مجلس الدولة في ماي 1833.

ب-رسالة إلى وزير الحربية بتاريخ 3 جوان 1833 تضمنت 18 شكاية عدد فيها مظالم الإدارة الاستعمارية الفرنسية، والتي تمحورت جلها حول ضرورة استرداد أوقات مكة والمدينة، وإجراءات الهدم التي تعرضت لها الأملاك الخاصة، والجوامع، والمساجد، والزوايا، ومقامات الأولياء، وأملاك الأتراك، والضرائب

1 أنظر تقديم محمد العربي الزبيري للمرأة، مصدر سابق، ص ص 39-40.

2 نفسه، ص 40

3 سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 80.

المفروضة على السكان. وطالب بضرورة احترام المرابطين الذين تعرضوا للإهانة، ونبه إلى خطورة استمرار تطاول اليهود على المسلمين.

ج-رسالة إلى الملك لويس فيليب بتاريخ 10 جويلية 1833.

د-رسالة إلى فوارول Voirol بتاريخ 28 ديسمبر 1833.

هـ-رسالة إلى برتهزن بتاريخ 10 جانفي 1834.

و-محاولة منه لدفع السلطان محمود الثاني للتدخل لإنقاذ الجزائر بعث له حمدان خوجه رسالة بتاريخ 16 أوت 1833 ذكر في بعض فقراتها: "إن الشعب الجزائري قد عهد إلى مسؤولية الاتصال بالباب العالي وإطلاعه على وضعيتنا بما سنبعثه من تقارير لسيادتكم" و " أن عبدكم يترجاكم أن تنقذوا العباد من هاته المصيبة... إن سلطاننا يعلم أنه المسؤول عن هاته البلاد، وعليه فلإننا نطلب منكم أن تهتموا بمصير الأمة الإسلامية بهاته البلاد والتي تبلغ العشرة ملايين نسمة"¹

ز-الرسالة التي بعثها إلى صديقه محمود بن أمين السكة.

4-نشاطه الدبلوماسي في إسطنبول

شكّل تعلق الجزائريين بالدولة العثمانية، وانتظار دعمها، ومساندتها لهم في نضالهم وجهادهم للاحتلال الفرنسي القاسم المشترك لزعماء الثورات الشعبية والانتفاضات المحلية طيلة الفترة الاستعمارية. فالأمير عبد القادر ورغم عدم ميله للعنصر التركي وضعف ثقته بالکراغلة، واعتزازه بأصوله العربية، وعدم الاعتراف بشرعية الحكام الأتراك في الجزائر²، وتحميلهم مسؤولية ما حلّ بالجزائر، وسوء التفاهم مع الحاج أحمد باي³، والموقف العدائي الذي وقفته

1 أنظر رسالة حمدان خوجه إلى السلطان عبد الحميد الثاني في: التميمي، بحوث ووثائق، مرجع سابق، ص 169.

2 - ناصر الدين، سعيدوني، ورفات جزائرية، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص300.

3 - التميمي، بحوث، المرجع السابق، ص45.

الدولة العثمانية من جهاده اضطر إلى الاتصال بالسلطات العثمانية للحصول على الدعم والمساعدة. وقد لعب حمدان خوجة دورا كبيرا في تكريس هذا الاتجاه¹.

ومن مظاهر تعلق الجزائريين بالأتراك والدولة العثمانية طلبات النجدة المتكررة منهم، وتبشير زعماء الثورات في القرن التاسع عشر الجماهير الشعبية بقرب وصول النجدة العثمانية². ولعلّ هذا ما يفسّر النشاط الدؤوب الذي التزم به حمدان خوجة في فضح وجلب انتباه الحكومة الفرنسية للجرائم الفرنسية في الجزائر من جهة، والمسؤولية الكبيرة التي أخذها على عاتقه في تنبيه السلطان العثماني، وطلب مساعدته لاسترداد البلاد من جهة أخرى، إذ كان يعتقد أن السلطان العثماني هو المسؤول الأول عن جميع البلدان التي تضم الخلافة. ولذلك كتب للسلطان محمود الثاني ما نصه " إن المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا في هاته التربة سوف يسألونكم يوم الحساب لماذا تخليتم عنهم "³، واقترح عليه أن يجعل من الجزائر وولاية تونس، وطرابلس الغرب وحدة إدارية، الأمر الذي يؤكد على الارتباط الديني الذي كان يشدّه إلى مقر الخلافة الإسلامية⁴. وأمام قناعة حمدان خوجة بفشل مساعيه الدبلوماسية، بسبب تمسك الإدارة الاستعمارية بمشروعها الاستعماري، وبسبب الرقابة التي فرضت على نشاطه السياسي في باريس وتراكم الديون عليه اضطر إلى الهجرة نحو الدولة العثمانية

1 - ناصر الدين، سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000، ص113.

2 - يحي، بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996، ص16.

3 - التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، مرجع سابق، ص37.

4 - عبد الجليل، التميمي، "نشاط حمدان خوجة في باريس وإستائبول من أجل القضية الجزائرية"، م.ت.م.، عدد 7-8 جانفي - يناير 1977، تونس، ص135.

التي إليها بتاريخ 28 ماي 1836 وهناك استفاد من عدة امتيازات كانت من أبرزها حصوله على منزل وراتب شهري قدره 1000 قرش¹.

ويمكن رصد أهم مظاهر نشاطه في إسطنبول في:

1. حضور الاجتماعات الرسمية المتعلقة بالمغرب العربي وخاصة الجزائر

بالنظر لمعرفته بشؤون الجزائر الداخلية، وإطلاعه على مواقف القوى المدعمة

والرافضة للاحتلال في باريس، ودرايته بشؤون الإيالات المغاربية.

2. ترجمة الرسائل الواردة من الجزائر إلى اللغة التركية والرد عليها، وخاصة

الرسائل التي كان يبعثها أحمد باي إلى الباب العالي.

3. حث رجال الدولة إلى دعم القضية الجزائرية رغم إدراكه أنها قد وصلت

إلى مرحلة متقدمة من التدهور والانحطاط في جميع المجالات، ولا تملك

القدرة على مواجهة مشاريع التوسع الأوروبي.

4. ظل يناشد رجال الدولة العثمانية بتقديم الدعم والمساندة لأحمد باي في مواجهة

محاولات الفرنسيين احتلال مدينة قسنطينة.

5. لعب دورا كبيرا في ربط الصلة بين الأمير عبد القادر والباب العالي².

6. دعوة أحمد باي إلى توحيد المقاومة الجزائرية مع الأمير عبد القادر وتجاوز

الخلافت القديمة³.

ولعل أهم النتائج التي ترتبت على نشاط حمدان خوجه رفقة بعض عناصر

النخبة المنفيين تكوين لجنة مهمتها تقصي الحقائق في الجزائر، والتي وافق

الملك على إنشائها في 7 جويلية 1833. وعرفت باسم اللجنة الإفريقية. والتي

1 عميراي، دور حمدان خوجه في تطور القضية الجزائرية، مرجع سابق، ص 177.

2 عميراي، دور حمدان خوجه في تطور القضية الجزائرية، مرجع سابق، ص 178-180.

3 انظر رسالة حمدان خوجه إلى أحمد باي المؤرخة في 19 فيفري 1840 كما وردة في التميمي، بحوث ووثائق، مرجع سابق، ص 217-218.

لم تكن سوى قبولاً لطلب حمدان خوجه الذي ورد في الشكوى الثامنة عشر التي تضمنتها رسالته التي رفعها إلى سولت بتاريخ 3 جوان 1833، وورد فيها بالنص: "فالآن إما أن تعتمد كلامنا ونحن جماعة من أعيان أهل الجزائر، ونتقوى بما يذكره الفرنسيين، الذين كانوا بالجزائر، وألفوا وتكلموا ومازالوا يتكلمون، وإما أن تعيين كومسيون (Commision) ترسله إلى الجزائر ممن لا رغبة له في أخذ أموال الناس، وتمنعه من محبة الدولة الفرنسية عند ارتضاء الظلم ونسبه إليها، ويشمئز عما فعله السفهاء، فترى صحة ذلك"¹.

والواضح أن حمدان خوجه لم يكن وطنياً بالمعنى الضيق من خلال شعاره "الجزائر للجزائريين"، ولكنه كان رائداً للقومية العربية على أساس أنه كان "أول مثقف عربي نظم حزبا سياسيا لمعارضة الاحتلال الأجنبي وتحرير جزء مغتصب من الوطن العربي"². ويرتبط توجهه القومي بتأثره بالنزعة القومية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، ومتابعته لثورات منطقة البلقان ضد الدولة العثمانية، وبولندا ضد روسيا، وبلجيكا ضد هولندا، وإيطاليا ضد النمسا³. ولعل أبلغ تعبير اختصر به حمدان خوجة دوره النضالي، ونشاطه الدبلوماسي من أجل القضية الجزائرية قوله: "ولو إن الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتأليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك، مما لا أقدر على تحريره كل ذلك لأجل إنقاذ البلاد لأكلوا لحمي وأوقعوا بي، والحمد لله سترني الله"⁴.

1 نفس المرجع، ص 165.

2 أبو القاسم، سعد الله، **منطلقات فكرية**، ط2، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1982، ص 119.

3 سعد الله، **منطلقات فكرية**، مرجع سابق، ص 115.

4 عميروحي، دور حمدان خوجه في تطور القضية الجزائرية، مرجع سابق، ص 119.

من خلال دراستنا واستقراءنا لنشاط حمدان خوجه الدبلوماسي للدفاع عن القضية الجزائرية، ومواقفه الثورية المناهضة للاستعمار يمكن لنا رصد واستخلاص النتائج التالية:

- تزعم حمدان خوجه منذ اللحظة الأولى للاحتلال لواء المقاومة السياسية، من خلال اتصالاته، وكتابات، وتحريره للعرائض والرسائل لإدارة الاحتلال. وعلى أساس ذلك يخطئ من يربط ظهور الحركة الوطنية الجزائرية بنهاية الحرب العالمية الأولى.
- رغم تقدم حمدان خوجه في السن ظل وفيا لوطنه، وعرويته، وإسلامه، من خلال مواقفه، وقناعاته. وقد تحمل بسبب ذلك كل أنواع المضايقات والمتابعات.
- كان داعية وحدة وتضامن بين رواد المقاومة الشعبية الممانعة والرافضة للوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر خاصة بين الأمير عبد القادر وأحمد باي.
- يتحمل المؤرخون والباحثون مسؤولية تاريخية في إعادة رد الاعتبار لهذه الشخصية الوطنية باعتباره من أكثر الشخصيات المنسية والمظلومة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر وذلك عبر تخصيص ندوات وطنية، وأيام دراسية، وملتقيات دولية تتناول نشاطه داخل الجزائر وخارجها، وآرائه الإصلاحية باعتباره أحد أهم رواد الفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر.
- دلت التجربة التاريخية أن البورجوازيين، وأصحاب رؤوس الأموال يجنحون لحظة الأزمات إلى الاعتدال، أو الانخراط والتماهي مع مشاريع الغزاة حفاظا على مصالحهم، وامتيازاتهم. غير أن حمدان خوجه شكل الاستثناء إذ رغم ثروته الطائلة، ومكانته السياسية والاجتماعية المميزة اختار المقاومة والنشاط

لإنقاذ الجزائر من الاحتلال، وندد بالنظام الاستعماري وما ترتب عنه من مآسي، وجرائم.

- يعد تخوف الإدارة الاستعمارية من نشاطات حمدان خوجة، وموقفها السلبي منه كعزله من الوظائف التي أسندت له، واتهام كلوزيل له بالتآمر على فرنسا، ونفيه من قبل الدوق دي روفيغو، وما تعرض له من محاكمات بعد نشره لكتابه "المرأة" وما تضمنه من إدانات للفرنسيين، يضاف إلى ذلك القرار الذي أصدره الحاكم العام كلوزيل بتاريخ 26 سبتمبر 1836، والذي يقضي بطرد ابنه حسن بدعوى التآمر على فرنسا دليلا على وطنيته ورفضه للسياسة الاستعمارية في الجزائر.

جهود صالح خوالدية في التعريف بالقضية الجزائرية فيما بين سنتي 1904 و1911

من خلال وثائق أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية

✍ د/منى صالحي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

دراستي هي تنتمة لما كتبه عمار هلال عن "مساهمة صالح بن عمار الخالدي في التعريف بالقضية الجزائرية فيما بين 1903 و1906"، فقد درس حياته ونشاطه إلى سنة 1903 ثم انتقل إلى سنة 1906 وتوقف عند هذا التاريخ لعدم وجود معلومات عنه. اعتمد هلال في مقاله على وثائق أرشيف ما وراء البحر، (العلبتان 9H23 ; 9H24)، لكنني وجدت في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ملفا خاصا بصالح خوالدية، في الفترة ما بين 1904 و1911، به تقارير القناصل الفرنسيين في مختلف الدول، حول تحركاته ونشاطه خارج الجزائر، وبعض مقالاته ونداءاته، مما يكمل الثغرات الزمنية التي تركتها دراسة هلال. شخصية صالح خوالدية متميزة جدا، وهو يختلف في نشاطه السياسي والديبلوماسي عن بقية الجزائريين، في أنه كان يعمل مع الديبلوماسية الفرنسية لصالح القضية الجزائرية، وهذا أمر صعب إلا على الأذكياء مثله. وكثيرا ما وصفه القناصل الفرنسيون بالمغامر، نشط داخل الجزائر وخارجها، في مشاريع كان يراها في صالح الجزائريين والمسلمين عامة. قد يعود تميز خوالدية إلى طبيعة نشأته وتكوينه وذكائه الحاد، اسمه الكامل هو صالح بن صالح بن عمار بن لعل بن عيسى، أصله من الأوراس، هاجرت عائلته واستقرت بنواحي قالمة في حوالي سنة 1844، ودخلت في خدمة الإدارة الفرنسية. ولد في حوالي سنة

1877 وسجل في الحالة المدنية باسم خوالدية صالح بن عمار¹، وكان يوقع باسم خوالدية، ويسميه القناصل الفرنسيون بعبارة "صالح الخالدي المدعو خوالدية".

تكوّن دينيا في بداية حياته حيث حفظ ما تيسر من القرآن في زاوية بديار الحفناوي بنواحي قالمة، ونظرا لمكانة عائلته لدى الإدارة الفرنسية دخل المدرسة الفرنسية، وأظهر تفوقا على أقرانه، مما سمح له بمزاولة دراسته الثانوية بقسنطينة، وأثناء ذلك كان يتردد على المدرسة الكتانية ودروس المساجد. تميز بالنبوغ الفكري والاهتمام بالعلم والسياسة². شغل خطة مترجم محلف، ودخل العمل الدبلوماسي في سنة 1900³، لكن عمله هذا يثير التساؤل هل هو بتكليف من السلطات الفرنسية أم أنه ادعى ذلك، فقد اختلفت الدراسات التي تناولته في هذه القضية، فالتليي لعجيلي يقول إنه اشتغل لدى السلطات الفرنسية، أما عمار هلال فيقول إنه استطاع أن ينال ثقة الحكومة العامة الفرنسية عن طريق السيد الباون روني إحدى الشخصيات البارزة في وقته؛ حيث أقنع إدارة الأهالي والمسؤولين الفرنسيين أنه يعمل في وزارة المستعمرات الفرنسية، لهذا السبب قربه وسُمح له بالعمل معهم، وعندما اكتشف أمره حوكم.

لكن يبدو أنه فعلا بدأ بالاشتغال لدى الدبلوماسية الفرنسية، مستغلا منصبه، ومخفيا مشروعه الذي يفكر فيه. فقد كلف في سنة 1900 بمهمة لفائدة وزارة المستعمرات الفرنسية، وطلب من وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية تعيينه

1 عمار هلال، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية وعربيا وإسلاميا فيما بين 1903 و1906"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع.99، 1978، ص.117

2 المقال نفسه، ص. 182

3 التليي لعجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876 - 1918، دار الجنوب

للنشر، تونس، 2005، ص. 153

بمركز بالمشرق، وقام مرة أخرى بمهمة لفائدة وزارة المستعمرات في تنبكتو وموريطانيا، وفي سنة 1903 قدم لوزارة الخارجية دراسة عن الإسلام من الوجهة السياسية¹.

استغل مكانته ليتصل بمدراء الصحف الفرنسية ومديري شؤون الأهالي، وبالتعاون مع الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر ألقى محاضرة علمية هامة عن رحلته إلى بحر الغزال ووادي². وفي 24 جوان 1903 كلفته وزارة المستعمرات بمهمة سرية لمدة ثلاث سنوات، لكن في هذه الأثناء حدثت أشياء لا نعرف ما هي بالضبط، يقول عنها عمار هلال إن السلطات الفرنسية قد اكتشفت أمره ومشروعه السري الذي لم يفصح عنه، وأحالته إلى محكمة الردع الخاصة بالأهالي، وحكمت عليه بالسجن لمدة خمسة عشر يوما وغرامة مالية تقدر بخمسين فرنكا، وتدخلت شخصيات سياسية لصالحه فخرج من السجن وغادر الجزائر.

بدى للباحثين أن هذه العقوبة قللت من نشاط خوالدية، لكنه في الواقع ومن خلال تقارير القناصل الفرنسيين، نقل نشاطه إلى مجال أوسع، إن المطلع على ملفه في وزارة الخارجية جاء باسم "مهمة (Mission) والعنوان الفرعي صالح الخالدي أو خوالدية صالح"³، يجد تصرفاته بالفعل غريبة، فيها من الذكاء والمغامرة، ما يلفت الانتباه، كان له نشاط كبير في المشرق خلال السنوات من 1904 إلى 1911، والغريب أنه على الرغم من أن وزير الخارجية الفرنسي

1 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 عمار هلال، المقال السابق، ص. 119.

3 Ministère des affaires étrangères; Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série, 1997-1914, N°432.

أرسل تحذيرات إلى القناصل الفرنسيين بالقاهرة وبجدة باستانبول ليؤكد لهم أنه لم يكلف خوالدية بأي مهمة وهو مغامر ومساوم، ويجب الحذر منه ومراقبته، إلا أن خوالدية واصل مهمته في الاتصال بالقناصل الفرنسيين، ومبيناً لهم أن كانت له علاقة بوزارة المستعمرات ووزارة الشؤون الخارجية، ويمضي باسم "مكلف سابق بمهمة لدى وزارة المستعمرات الفرنسية"، و ببعض الشخصيات الفرنسية، وله وثائق تؤكد ذلك، وبين للقنصل الفرنسي بالقاهرة أنه عرض خدماته على السفير التركي بباريس الذي أرسله إلى استانبول بناء على توصية من أبي الهدى الصيادي وتم استقباله في القصر واهتم به السلطان شخصياً، سيذهب إلى الحجاز ثم إلى السنوسي في مهمة خاصة من السلطان، وأكد خوالدية للقنصل الفرنسي أنه على استعداد لاغتنام هذه الفرصة لخدمة فرنسا، وأوضح له خطة عمله، وبالفعل ذهب إلى الحجاز وقدم مشروعه إلى القنصل الفرنسي بجدة، وطلب منه المساعدة لخدمة فرنسا، وعاد إلى القاهرة في شهر أبريل 1905 وقدم إلى مسؤول الوكالة الفرنسية تقريراً فيه معلومات عن الإدارة في الحجاز التقسيمات الإدارية وعدد السكان والحكومة التركية وعدد السفن والقوات التركية... وغيرها. في تقرير طويل أرسله القنصل الفرنسي إلى وزير الخارجية. والغريب في كل هذا أن خوالدية راسل وزير الخارجية الفرنسي في 27 أبريل وأخبره أنه قام بالمهمة المكلف بها وأنه سلم تقريراً من 60 صفحة لمسؤول الوكالة الفرنسية بالقاهرة. فمادام خوالدية غير مكلف بأي مهمة ومعاقب فلماذا يرسل وزير الخارجية ووزير المستعمرات ويأتي بوثائق تثبت أنه في مهمة؟!!

والملاحظ أنه كان عندما يزور أي منطقة فلا يكتفي بالاتصال بالقنصل فقط بل يتصل بكل المسؤولين الفرنسيين ويظهر ما عنده من وثائق ومعلومات مهمة تثير اهتمام القنصل الفرنسي في القاهرة. وفي مراسلة القنصل الفرنسي بالقاهرة إلى وزير الخارجية الفرنسي Pichon في سنة 1911 أن خوالدية كان

يعمل لدى مكتب المخابرات الفرنسي براتب قدره 45 فرنك فرنسي. وفي هذا التقرير أن خوالدية كرر طلبه للعودة إلى خدمة الحكومة الفرنسية وبين ما لديه من معلومات مهمة. لكن وزير الخارجية رفض ذلك لأن المعلومات التي لديه غير مهمة كثيرا لفرنسا، بالإضافة إلى أن الحكام العامين الفرنسيين بالمستعمرات الإفريقية يشكون في خوالدية ولا يطمئنون له¹.

مهما يكن فإن خوالدية صالح كان يعمل لدى السلطات الفرنسية، ويعمل في الوقت نفسه لصالح القضية الجزائرية في إطارها الإسلامي، فقد كان كثير التنقل إلى إستانبول، لكن بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني أصبح يتصل أكثر بالسنوسية في الصحراء الكبرى.

ظهر مشروع خوالدية واتجاهه الفكري أكثر في كتاباته، ففي هذه الفترة كان القوميون العرب ينادون بحقهم في الحكم ومنهم نجيب عازوري الذي كتب "يقظة الأمة العربية" وأصدره في سنة 1905، وكان فيه تحريض على تقويض الدولة العثمانية، وقد رد عليه خوالديه صالح، واتهمه صراحة أنه عميل للبريطانيين وأن مقر "اللجنة العربية" يوجد في وزارة الخارجية البريطانية، وتساءل عن حق عازوري "المسيحي" التدخل في مسألة شائكة وخاصة بالمسلمين وهي مسألة الخلافة، وقد حذر المسلمين من اتباع عازوري و"اللجنة العربية" لأنها ستؤدي بهم إلى الهاوية² لقد كان خوالدية سابقا لوقته فقد حذر المسلمين من الانقسام على الخليفة واتباع النعرات القومية، ولعل ذكاءه ونشاطه السياسي الكبير ساعده على هذه النظرة المستقبلية.

1 Ministère des affaires étrangères ; Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série , 1997-1914, N°432

2 التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص.ص. 115-116

وفي جانفي 1906 وجه نداء إلى الثورة باسم هيئة سياسية تدعى "الاتحاد الإسلامي"، وهو رئيسها المفوض. كما كتب عدة مقالات في الجرائد التونسية والمصرية، كلها تصب في الدعوة إلى وحدة المسلمين، وحل القضية الجزائرية ضمن إطارها الإسلامي فلا تخلص من الاستعمار إلا بالوحدة الإسلامية، وفي 5 ماي سنة 1909 كتب مقالا عن السلطان عبد الحميد الثاني وقال فيه إن المسلمين فقدوا رمز وحدتهم¹.

الخاتمة:

من خلال ما سبق تناوله نخلص إلى أهمية الجهود الدبلوماسية التي بذلها خوالدية، وخاصة ما تعلق بالتعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية، وهو ما سمح بإسماع صوت الجزائر في الخارج والضغط على السلط الفرنسية والتنديد بسياستها في الجزائر.

1 Ministère des affaires étrangères ; Correspondance politique et commerciale, Nouvelle série , 1997-1914, N°432

النخبة المثقفة ودورها في تدويل القضية الجزائرية في فرنسا قبل الثورة التحريرية

✍ أ. د / حميدي أويكر الصديق

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملخص:

ساهمت النخبة الجزائرية المثقفة بفرنسا قبل الثورة التحريرية بشكل كبير في التعريف بالقضية الجزائرية لدى الرأي الفرنسي واستخدمت عدة وسائل منها المحاضرات والنوادي الثقافية والصحافة، ونشط التيار الإصلاحي بشكل واسع في هذا المجال وخاصة بعد أن أنشأت لها مقرا هناك في باريس في 1936 وتلتها عدة بعثات من العلماء والمثقفين لتدريس التاريخ الإسلامي والتعريف بالأقطار العربية، وتبليغ كثير من الأفكار من خلال (الدروس والمسرح وغيرها والعمل على استقطاب معظم أفراد الجالية وخاصة في المناسبات الدينية. أم الفرنسي وتوعية الجالية الجزائرية.

Résumé:

L'élite intellectuelle algérienne en France avant la révolution de libération a beaucoup contribué à l'internationalisation de la question algérienne dans l'opinion française en utilisant divers moyens, notamment des conférences, des clubs culturels et la presse. Le mouvement de réforme a été actif dans ce domaine, notamment après la création d'un siège à Paris en 1936, suivi de plusieurs missions de scientifiques Et des intellectuels pour enseigner l'histoire islamique et la définition des pays arabes, ainsi que la transmission de nombreuses idées (leçons, théâtre et autres travaux) et pour attirer la majorité de la communauté, en particulier lors des manifestations religieuses. Française et sensibiliser à la communauté algérienne.

مقدمة:

كان للنخبة الجزائرية المتواجدة بفرنسا قبل الثورة الجزائرية دورا مهما في بعث الروح الوطنية والمساهمة الفكرية في خلق يقضه بين أبناء الجالية الجزائرية

في ظل التدافع الثقافي مع الاستعمار. وإن بدأت بسيطة لكنها ارتقت بروح الوعي وتغذية البعد الوطني والانتماء الشرقي، والتميز من حيث الهوية عن الاستعمار. وتعد هذه المساهمات أساسية في التعريف بالقضية الجزائرية وعدالة مطالب أهلها في ظل النسيان والتعتيم الذي ضربه الاستعمار عليها.

1 - نشاط الحركة الإصلاحية في أوساط المهاجرين بفرنسا

بحكم وجود جالية جزائرية ومغربية في فرنسا فقد شكلت محور اهتمام الحركة الإصلاحية لإنجاز عمل معين يصب في الاتجاه الوطني والإصلاحي، وخاصة أن مصير هذه الهجرة صار يتغير حسب الظروف السياسية والاقتصادية لفرنسا. حيث تقيد أحيانا وتشجعها أحيانا أخرى كما حدث أثناء الحرب العالمية الأولى أما خلال العشرينات فارتفعت بشكل سريع ومثلت نسبة الجزائريين فيها عشرة مرات مقارنة بالمغاربة والتونسيين إلى غاية حدوث الأزمة العالمية¹. ونجم عن هذه الهجرة التي كان أصحابها يتبعون لقمة العيش وهروبا من واقعهم المّر ظهور جالية معتبرة أغلبها جزائريين وأقلية تونسية ومغربية ولهذا حظيت بعناية بالإصلاح في أوساطها وتهذيبها.

ولا شك أن زعماء الحركة الوطنية في المغرب العربي كانت تجمعهم هذه الاهتمامات، ومن ذلك ما ذره علي باش حامبة أنه ساهم بمعية الثعالبي في توسيع الفكرة النضالية والاتصال ببعض الجزائريين في باريس وممن ذكرهم:

1- أحمد صاري "دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية"، المصادر، ع1، صيف 1999، ص 233 - 248.

ويشير هذا المرجع أن حركة الهجرة كانت نشيطة بعد الحرب العالمية وخاصة من الجزائر نحو فرنسا حيث كان ما بين 1920-1924 (100 ألف مهاجر جزائري مقابل عشرة آلاف مغربي وعشرة آلاف تونسي ونفس الظاهرة أثناء حكم الجبهة الشعبية وبعد الحرب العالمية الثانية. وهذا ساهم في تواجد جالية مغربية معتبرة جديرة باهتمام الحركة الإصلاحية.

المختار بن الحاج السعيد الذي قال عنه أنه تردد حول الفكرة الإسلامية¹، ولا يستبعد أن يكون لنشاط المولود بن موهوب² الذي عين مفتيا لمسجد باريس (الذي دشن سنة 1926) بعدا إصلاحيا، وخاصة أنه مكان عبادة ويؤمه كل المسلمين بما فيهم أبناء المغرب العربي.

ونعتقد أن ذلك المخاض الذي كانت تتبناه رموز إصلاحية وسياسية (فكرة الجامعة الإسلامية) أوجد نوعا من الرابطة والتواصل بين الجالية المغاربية ورموزها والعاملين في هذا الحقل بما في ذلك التيار الوطني (السياسي) فنجد تأسيس لجنة استقلال الجزائر وتونس.³ ووجود رموز إصلاحية فيها (صالح الشريف التونسي الموطن، الجزائري الأصل، ومحمد مزيان التلمساني، وعلي باش حامية) ونشاط هذه الهيئة في إسطنبول وجنيف وبرلين كله ساهم في وجود هموم إصلاحية مشتركة، هذا فضلا عن الدور الذي كان يؤديه الأمير شكيب أرسلان حيث كان معروفا لدى زعماء الحركات الوطنية في المغرب العربي، من خلال كتاباته في الصحافة ونشاطه في أوربا. وكتابات عن ثورة عبد الكريم الخطابي، أو من خلال الاتصال بزعماء المغرب العربي وخاصة في إطار مكتبته الإعلامي في جنيف منذ 1930 أو من خلال المراسلات مع عدد هائل مثل ابن باديس وتوفيق المدني والعقبي والميلي بالجزائر والثعالبي بتونس، والفاسي ومحمد بن أحمد داود وعبد الخالق الطريس بالمغرب⁴، وقد قدم

1 - لم يقدم لنا تفاصيل عن هذه الشخصية ولكن أشار إلى أنه تعب في إقناع الوفد الجزائري بفكرة النضال والتنسيق. للمزيد أنظر: أحمد بن ميلاد، محمد مسعود إدريس، مرجع سابق، ص 150.

2 - (1866-1939) ولد بقسنطينة، ودرس على يد المجاوي، وتولى التدريس بقسنطينة أنظر: أحمد صاري "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم والإنسانية، ع2، محرم 1424،

مارس 2003 جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر. ص25.

3 - في 7 جانفي 1916.

4 - محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص 184.

مساعداً مادية لجمعية طلبة شمال إفريقيا عن طريق شكيب جابري باي (رئيس جمعية الطلبة السوريين في فرنسا) ووثق إرسال علاقاته مع أعضاء هذه المنظمة ومنهم (مالك بن نبي، عن الجزائر، ومحمد الفاسي وأحمد بلافريج والطريس عن المغرب، وأحمد بن ميلاد والهادي نويرة عن تونس)⁽¹⁾.

وإذا تكلمنا عن الجهود والاتصالات السابقة على أنها كانت أرضية لبناء عمل إصلاحي مشترك بين أبناء المغرب العربي وبمشاركة شخصيات من مختلف التيارات، فإنه بعد تأسيس الجمعية في 1931 أخذ هذا البعد المغربي في الفكر الإصلاحي الجزائري اهتماماً أكثر في المهجر. ولذلك نجد الجمعية توفد شخصية الورتيلاني في أكتوبر سنة 1936 لفرنسا لافتتاح فرع للجمعية هناك وتأسيس نوادي تهذيبية² ومزاولة الإصلاح بمفهومه الشامل³. ثم عززت هذا النشاط بإرسال وفد من العلماء سنة 1937 ضم (سعيد صالحى اليعلاوي، محمد الصالح بن عتيق، سعيد البيباني، محمد الزاهي الميلي⁴، الربيع بوشامة،

1 - مولود عويمر، ، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر ، ط 1، 1428 ، 2007 ، دار الخلدونية، الجزائر ص 33.

2 - AMAR HELLAL, le mouvement réformiste Algérien les homes et l'histoire (1831-1957), OPU,2002, P 190 -192.

3 - بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 346.

أنظر أيضاً: مسعود الورتيلاني نجل الفضيل الورتيلاني "الشيخ الفضيل الورتيلاني"، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 30 ربيع الثاني، 30 جوان 2003، ص 15.

4 . ولد في 10/06/1904 بالميلية، أوفد لباريس في 1938، استشهد في جويلية 1960 في كمين نصبه الاستعمار، ولا يزال قبره مجهول أنظر: عزيز لكعاشي، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع7 شوال 1427،

فرحات بن الدراجي)¹، وغيرهم من الشخصيات التي كانت تتردد على فرنسا لهذا الغرض كالأمين العمودي والهادي السنوسي اللذان تجولا في مدن: ليون، وسانت تيان وباريس لتفقد مراكز التربية هناك، كما كان ابن باديس يتلقى التقارير عن سير هذه المراكز والنوادي من حين لآخر بعد عودة هذه الشخصيات من باريس، وخاصة بين سنوات 1936. 1938 التي كثر تردد كبار العلماء لمتابعة هذا الأمر، أو الإشراف المؤقت أو تقديم محاضرات²، وبالتالي ازداد نشاط الجمعية في الأوساط العمالية بما فيهم المغاربة والتونسيين من خلال النوادي التي فتحت بشكل واسع (15 نادي في باريس وحدها) فصارت ملاذا علميا وشرعيا للعبادة لهذه الجالية وغيرها من المسلمين إضافة إلى محاربة الإلحاد الذي كانت دعايته في أوساط المهاجرين لشمال إفريقيا.³ وفي هذه الأجواء ربط الورتيلاني علاقات مع بعض الطلبة في فرنسا مثل عمر بهاء الدين الأميري، توفيق الشاوي، وكذلك الزعيم شكيب أرسلان. وكان على صلة مع زعماء الحركات الاستقلالية في المغرب العربي مثل محمد بن عبد الكريم الخطابي⁴، والحبیب بورقيبة⁵.

ويبدو أن هذه النوادي ومراكز الجمعية صارت في نظر الجالية المغربية

1 - مجهول، "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا"، البصائر، ع65، 18، صفر، 1356، 30 أبريل 1937، ص 8.

2 _ A.N.O.M, G.G.A, 9H/46 surveillance politique des indigènes, voyage de lamine lamoudi et du cheikh el Hadi senoussi le 13/10/1937.

3 - بوصفصاف عبد الكريم، مرجع سابق، ص 340.

4 . ولد في 1882، واشتهر باسم أبيه عبد الكريم الخطابي، حفظ القرآن على أبيه في أجادير ثم درس في تطوان ثم القرويين ثم مدرسا في مراكش، واشتغل بالقضاء بمراكش، وحرر الصفحة العربية في (رسالة الريف) سنة 1915 وسجن في نفس السنة حتى 1916 وعمل قاضيا للقضاء من جديد بملييلة، وفي 1919 عاد إلى أجادير وأشعل الثورة في 1921.

. أنظر: معجم مشاهير المغاربة تتسقي بوعمران الشيخ، جامعة الجزائر، 1995، ص 186 . 191.

5 - آيت باعزیز عبد النور، مرجع سابق، ص 17.

الهيئة الممثلة للنشاط الإسلامي، والتهديب الاجتماعي، ومكانا لنسج العلاقات والالتقاء بما يعرضهم عن محيطهم الاجتماعي ببلدانهم الأصلية وأهم جمعية في باريس كانت تؤدي هذا الدور هي جمعية التهديب فقد أكد القائمون عليها في رسالة للأستاذ العقبي أنها قطعت شوطا في ميدان العمل التعليمي حيث أسست سبع مدارس في قلب باريس تلقى فيها الدروس للطبقات المختلفة من قراءة وكتابة للعامة بالعربية والفرنسية إلى دروس لغوية ونحوية وجغرافيا وتاريخ، فضلا عن المواعظ والثقافة الإسلامية التي يقصد بها تكوين الشعور العام بين المسلمين كافة دون تفريق بين تونسي وجزائري ومغربي وغيره¹.

ويبدو أن رموزا إصلاحية كانت موجودة في فرنسا أمثال مالك بن نبي كانت ترى في شخص الورتيلاني غير قادر على القيام بهذه المهمة، وأن العمل في أوروبا له خصوصياته التي تختلف عما هو موجود في العالم الإسلامي، فهو يقتضي معرفة الظروف والثقافة والمعايشة والخطاب الذي يفهمه المهاجرون. واعتبر ذلك إضعافا لأمثاله أمام السلطة الفرنسية باعتبارهم محسوبين على أنصار التيار الإصلاحي، وكان الأفضل أن يقدم نموذجا أحسن².

ولكن يبدو أن بن نبي لم يستمر على هذه القناعة بعد رؤيته للأعمال الجلية والنوادي المفتوحة في باريس ومدن أخرى بهدف تعليم أبناء الجزائريين وحتى أبناء المغرب العربي والإسلامي، ونشر العربية ودور العبادة، وبالتالي فرسالة الجمعية في فرنسا كانت إيجاداً القاعدة الثقافية والدينية للمهاجرين وبالتالي فالتحصيل على الوعي السياسي يأتي ثمرة لهذا العمل الذي يزيد من ربط الجالية ببعدها الوطني وهويتها وخاصة بعد أن تعززت برامج هذه النوادي بتدريس التاريخ الإسلامي والتعريف بالأقطار العربية، وتبليغ كثير من الأفكار من خلال

1 . "جمعية التهديب بباريس"، مصدر سابق، ص 6.

2 مولود عويمر، مرجع سابق، ص 133.

الدروس والمسرح وغيرها. والعمل على استقطاب معظم أفراد الجالية وخاصة في المناسبات الدينية.

وعرف ابن نبي وهو طالب في الهندسة منذ 1932 بمحاضراته حول تاريخ إفريقيا الشمالية التي عرفت بعض النجاح وخاصة في الأوساط الطلابية.⁽¹⁾ وظل ينشط في هذا الميدان وراسل وزير العدل الفرنسي لكشف معاناته ومن خلاله الجالية المغاربية أمام التمييز الفرنسي وفقدان الحقوق والتجاوزات من قبل الشرطة وغياب فرص العمل وغيرها⁽²⁾. ويروي عن نفسه أنه في سنة 1938 أنشأ مدرسة حرة لتعليم القراءة والكتابة في مدينة مرسيليا ليستفيد منها عمال شمال إفريقيا، ولكن المفتشية الاتحادية استدعته وأمرته بغلق المدرسة، ورغم احتجاجه وشرحه لنبل هذه المدرسة وحق أصحابها في الحياة لكن المفتش أصر أنها أوامر صادرة من الأعلى³.

ولكن الأمر يتعلق بالنظرة الفرنسية إلى هذه الشخصية التي جمعت بين الفكر الإصلاح والاطلاع على الثقافة الفرنسية وحمل هموم شمال إفريقيا والاتصال بمختلف شرائحهم من طلبة وعمال. وفي نفس الوقت يحمل نبرة مناهضة للاستعمار تحدوها الجرأة في الخطاب ومراسلة وزارة العدل لإيضاح المظالم المسلطة على المغاربة. وهذه الوضعية جعلت الإدارة الفرنسية تحاصره حتى في لقمة العيش من أن يحصل على منصب عمل سواء في فرنسا أو الجزائر من خلال ما سجله لنا في العديد من الأماكن التي رفض فيها، بل أن السلطات الفرنسية قالت إنه يمثل فرع حزب الشعب في مدينة تبسة منذ

1 - A.N.O.M, G.G.A, S.L.N.A, 93/4280, correspondance au ministre de la justice, copie de l'expose adresser le 12 juillet 1952 au Ministre de la justice p.01.

2- ibid., correspondance au ministre de la justice, copie de l'expose adresser le 12 juillet 1952 au Ministre de la justice p.01.

3- ibid., copie de l'expose adresser le 12 juillet 1952 correspondance au Ministre de la justice p011 أنظر ملحق رقم 2.

1939. ويعلن تعاطفه مع الألمان، ومن أنصار الدعاية الوطنية المطالبة باستقلال الجزائر بقوة.⁽¹⁾ واعتبرته عنصرا مشاغبا في الأوساط المهاجرة.

ومما يستوقفنا أنه خلال سنة 1952 شهدت العاصمة الفرنسية حضورا إصلاحيا مكثفا على المستوى التربوي والثقافي وحتى التنسيق السياسي مع القيادات المغاربية والإسلامية. ففي هذه السنة كانت زيارة كل من الشيخ العباس بن الشيخ الحسين وخير الدين في 12/01/1952² وما كان لهم من محاضرات في الأوساط الإسلامية وتفعيل عملية فتح المدارس³، إضافة إلى الحدث الهام المتمثل في زيارة الإبراهيمي لباريس واللقاء الهام الذي عقد في 18/02/1952 الذي نظّمته جمعية العلماء في شكل مأدبة ترأسها رئيس الجمعية شخصيا البشير الإبراهيمي في مقر الشعبة بباريس.⁴ وحضرت الوفود العربية الإسلامية ومنها أقطار المغرب العربي مثل الدكتور العنبري من ليبيا، وسعادة صالح فرحات ومحي الدين القليبي ومحمد صالح خنتاش من تونس، وعبد القادر التعبوري ممثّل الجبهة الوطنية بتونس، ومثّل وفد تونس الوزاري محمد بدر، وصالح بن يونس.

كما حضر محمد الوزاني والشيخ المكي الناصري، وبعض شباب حزب الاستقلال. وأمام هذه الوجوه البارزة و الممثلة للمغرب العربي خاطب الإبراهيمي الحاضرين بجرأة حادة عن الصورة السوداء التي رسمتها فرنسا ببلدانهم " إن دماء في تونس تسيل وشعب في المغرب الثلاث يعذب وشبان تفتح له السجون و المعتقلات وتغلق في وجهه المدارس و المعاهد، ودين في الجزائر ممتن الكرامة، فهيّيات أن نفصح عن باريس أو نصافحها بعد أن جنينا المر

1- ibid., Étude intitulée "le phénomène coranique".

2 _ A.N.O.M, F.D.C, 93/ 4274, l'activité des oulémas rapport du; 15,01, 1952.

3 _ A.N.O.M, F.D.C 93/ 4248: l'activité des oulémas, rapport ; 16,01, 1952.

من ثمراتها و هيات أن يسميها عاصمة النور من لم يغشه منها الظلمات.¹ وهيات أن يلقبها دار المساواة ولم تعامله إلا بإجحاف" وكان هذا اللقاء بمثابة مؤتمر كبير سواء بالنظر إلى حجم الشخصيات الحاضرة والتمثيلية لبلدان المغرب العربي أو إلى القضايا التي طرقت والتي تهتم كل هذه البلدان من قبل رئيس الجمعية وفي عقر فرنسا، ورغم أنه لم يتقرر عنه ميلاد أي هيئة أو بيان أو عمل مشترك ولكنه كان له صدى معنوي وسياسي لدى زعماء المغرب العربي أو لدى الجالية بفرنسا تناولته كثير من الصحف في زمن يشهد فيه المغرب العربي غليانا ثوريا.

ودعما لكل المساعي التي من شأنها أن تدعم العمل المشترك رحب الإبراهيمي خلال نفس الشهر باسم الجمعية بميلاد ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الإفريقي بمختلف أطرافه والأهداف التي يسعى إليها على أساس تكوين جبهة مشتركة لمقاومة الجبهة الاستعمارية المتكئة أيضا، وكان هذا الاجتماع للاتحاد في 1952/02/02 بباريس وضم حزب البيان وحركة الانتصار، والدستوري القديم والدستوري الجديد، وحزب الإصلاح وحزب الوحدة، حزب الشورى والاستقلال، حزب الاستقلال. وقد اهتزت الأوساط الفرنسية لهذه التحركات التي تجمع بين التيارات الوطنية لبلدان المغرب العربي وأطلقت عليها (لجنة الوحدة والعمل لإفريقيا الشمالية C.U.A.N.A) واعتبرت العلماء غير ممثلين رسميا في هذه اللجنة ولكنهم يقودون العملية في باريس، وأن الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي ساهم عدة مرات في نشاط وتظاهرات هذه اللجنة² ويشير هذا المصدر أن محمد خير الدين هو الذي سلم³ وثيقة الاجتماع إلى الكاتب العام لجمعية

1 - عبد الرحمن بن العقون، ج3، مرجع سابق ص 224، أنظر أيضا البصائر، ع183.

2 - A.N.O.M, F.D.A, 91/ 4114, l'activité de l'association des oulémas d'Algérie à l'étranger, conseil administratif, annexes, p 22.

3 - الشيخ محمد خير الدين، مصدر سابق، ج 2، ص 367.

الأمم المتحدة (تريفيلي) وأن الإبراهيمي هو رئيس وفد الاتحاد وحاول البعض تعويضه بمصالي أثناء زيارته في الإقامة الجبرية بباريس¹.

والجدير بالذكر أنه بقدر ما انتشرت فروع الجمعية عبر الجزائر² فإنه كان لها توسع في فرنسا حيث بلغت فروعها عبر المدن الفرنسية إلى أكثر من ثمانية فروع (شعب) في هذه المدن بها نوادي ومدارس³. وهو تواجد هائل إذا ما قورنت بالإمكانات المتوفرة. وهذا اعتبارا للجالية الجزائرية الموجودة التي قدرها الإبراهيمي سنة 1952 بحوالي (150000 جزائري) في باريس وحدها بينهم حوالي 20 ألف طفل. وقال لماذا لا نبني لهم 20 مدرسة في مختلف أحياء العاصمة باريس ومركز ثقافي عربي لتعليم العربية ونشر الثقافة الإسلامية⁴. وهذه المرافق كانت مفتوحة لكل أبناء الجالية المغاربية وخاصة في ظل غياب أي هيئة أخرى تؤدي هذه الوظيفة.

وهذا الفضاء التربوي الممزوج بالنشاط السياسي أوجد فرصة للقاء مع زعماء من داخل الجزائر وخارجها، فخلال تواجد الشيخ خير الدين سنة 1952 التقى هناك بمصالي الحاج وبعض مسؤولي الاتحاد الديمقراطي، وزعماء الدول العربية وأعلن أن وحدة الأحزاب الوطنية في شمال إفريقيا ضرورية في العاصمة الفرنسية حتى تؤدي وظيفتها، وهذه الأجواء جعلته يصطحب معه مصالي الحاج لزيارة بعض فروع الجمعية. ومما جاء في هذا التقرير أنه خلال هذه التحركات

1 - نفسه، ص 369.

2 - وصلت في الجزائر إلى 126 فرع و 32 نادي و 181 مدرسة سنة 1955.

3 - A.N.O.M, F.D.A, 91/ 4I14, l'activité de l'association des oulémas d'Algérie à l'étranger, en métropole, P 09.

4 - ibid, l'activité de l'association des oulémas d'Algérie à l'étranger, séjour au Caire du Cheikh BRAHIMI BACHIR. Rapport du: 04/06/1952.

التي قربت بين زعماء الحركات الوطنية، كان الإعلان عن جبهة لتحرير إفريقيا الشمالية¹.

الخاتمة

كان لنشاط النخبة الجزائرية المثقفة بفرنسا فضلا كبيرا في التعريف بالقضية الجزائرية وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى ونذكر منهم: المختار بن الحاج السعيد والمولود بن موهوب (مفتي مسجد باريس) وصالح الشريف التونسي الموطن، الجزائري الأصل، ومحمد مزيان التلمساني وغيرهم من الناشطين في منظمة طلبة شمال إفريقيا، وتعزز الأمر حين أوفدت الجمعية شخصية الورتيلاني في أكتوبر سنة 1936 لفرنسا لافتتاح فرع للجمعية هناك وتأسيس نوادي تهذيبية ومزولة الإصلاح بمفهومه الشامل ثم تلتها بعثة من العلماء سنة 1937 ضمت (سعيد صالحى اليعلاوي، محمد الصالح بن عتيق، سعيد البيباني، محمد الزاهي الميلي²، الربيع بوشامة، فرحات بن الدراجي.)، وغيرهم من الشخصيات التي ترددت على فرنسا لنفس الغرض كالأمين العمودي والهادي السنوسي ونشاطهم الدؤوب في المدن الفرنسية لتدريس التاريخ الإسلامي والتعريف بالأقطار العربية، وتبليغ كثير من الأفكار من خلال الدروس والمسرح وغيرها. والعمل على استقطاب معظم أفراد الجالية وخاصة في المناسبات الدينية.

1. - A.N.O.M, F.D.C, 93/4274, Activité du Cheikh Khair-Eddine, le 5 Mars 1952.

2 . ولد في 1904 /06/10 بالميلية، أوفد لباريس في 1938، استشهد في جويلية 1960 في كمين نصبه الاستعمار، ولا يزال قبره مجهول أنظر: عزيز لكعايشي، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع7 شوال 1427،

التدويل مفهومه واستراتيجيته من خلال موثائق وتجارب جبهة التحرير الوطني

1958-1954

ك. أ. د. عمر بوضربة

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

شكل التدويل بالنسبة لجبهة التحرير الوطني إبان الثورة الجزائرية أولوية نصت عليها موثيقها الأساسية الأولى مثل بيان أول نوفمبر 1954 ووثيقة مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956، فما مفهوم التدويل لدى ج.ت.و من خلال هذه النصوص؟ وفيما تمثلت استراتيجية ج.ت.و لجعل المسألة الجزائرية واقعا مفروضا على الجمهورية الفرنسية الرابعة في الفترة الممتدة من 1954 إلى 1958؟

1- مفهوم التدويل في موثائق جبهة التحرير الوطني

تناولت النصوص الأساسية المرجعية الأولى لجبهة التحرير الوطني مسألة التدويل وجعلته أولى أولوياتها، فقد حدّد بيان أول نوفمبر 1954 عملية "تدويل القضية الجزائرية" كهدف خارجي أساسي لنشاط أجهزة الثورة الجزائرية¹، فما مفهوم التدويل لدى جبهة التحرير الوطني آنذاك؟

وردت في بيان أول نوفمبر 1954 عدّة صيغ وجمل يمكن أن نستنبط منها مفهوم ج.ت.و للتدويل، دون أن يحدد محرروا هذه النصوص بدقة مفهوم التدويل

¹ يُنظر نص بيان أول 1954 في: وزارة المجاهدين: النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص ص: 9-13.

الذي تنتشده الحركة الثورية لجهة التحرير الوطني، ومما ورد فيه: "أما في الأوضاع الخارجية فإنّ الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب المسلمين".

الأهداف الخارجية:

- تدويل القضية الجزائرية.

- في إطار ميثاق الأمم المتحدة تُوكّد عطفنا الفعّال تجاه جميع الأمم التي تُساند قضيتنا التحريرية ". "إنّ جبهة التحرير الوطني، لكي تحقّق أهدافها يجب عليها أن تُنجز مهمّتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كلّه، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين"¹.

كما وردت مقاطع خاصة بالتدويل في أرضية مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 تحت عنوان: "الأهداف الجديدة"، وهي وإن لم تضبط مفهوم التدويل ضبطا دقيقا إلا أنها توسعت في شرح مضامينه وأبعاده وأهدافه وكذا خطواته العملية، ومما ورد بهذا الشأن في ميثاق الصومام: "وفي الميدان الخارجي يجب السعي للحصول على أقوى ما يمكن من التأييد المادي والمعنوي والروحي: 1-تصعيد تأييد الرأي العام.

2-تتمية الإعانة الدبلوماسية بجذب حكومات البلاد التي جعلتها فرنسا في الحياء أو التي لم تطلّع اطلاعا كافيا على الصفة الوطنية لحرب الجزائر، وحمل هذه الحكومات على مناصرة القضية الجزائرية".

وتحت عنوان: "كيف نوجّه نشاطنا الدولي؟" ورد ما يلي: "القاعدة الأساسية

1نص بيان أول نوفمبر 1954: وزارة المجاهدين: المصدر السابق.

لنشاطنا في هذا الميدان تقع في البلاد العربية وفي مصر بوجه خاص...كما ينبغي القضاء على البهتان الذي أشاعته الحكومة الفرنسية وديبلوماسيةيتها..وذلك بـ:

1-حملٌ دول مؤتمر باندونغ على استعمال ضغط سياسي وديبلوماسي واقتصادي مباشر على فرنسا علاوة على مساعيها لدى الأمم المتحدة.

2-السعي في الحصول على تأييد الدول والشعوب الأوربية بما فيها البلاد الشمالية والديمقراطيات الشعبية وكذلك بلاد أمريكا اللاتينية.

3-الاعتماد على الهجرة العربية في بلدان أمريكا اللاتينية...¹.

وقد حدّدت قيادة الثورة بالداخل مهام الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني من خلال مراسلة لعبّان رمضان² في ربيع 1956 بالقول: "دولوا المشكل الجزائري ادحضوا الحجج الفرنسية، حطّموا أسطورة الجزائر فرنسية..."³.

انطلاقا من النصوص الأساسية السابقة وتعليمات قيادة الثورة بالداخل إلى الوفد الخارجي للجهة بالقاهرة، يُمكننا أن نستنبط مفهوم التدويل لدى ج.ت.و. فهو يعني سعي ج.ت.و. لإخراج القضية الجزائرية من الإطار الفرنسي الضيق؛

1 ينظر: «مقتطفات من منهاج الصومام (20 أوت 1956) لضمان انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني"، في: حزب جبهة التحرير الوطني: الأمانة الدائمة للجنة المركزية، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، الجزائر، 1987، ص ص: 7-47.

2 عبّان رمضان: ولد في 10/06/1920 بالأربعاء ناثي إيراثن، ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري، بعد خروجه من السجن في جانفي 1955 التحق بالثورة وأصبح من أبرز قادتها، حيث كان المحرك الأساسي لمؤتمر الصومام 1956/08/20، عضو المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ الأولى-1956- والثانية، اغتيل بالمغرب يوم 27 ديسمبر 1957. ينظر: محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ص 185، و:

Achour Cheurfi: La Classe Politique Algérienne -De 1900 A Nos Jours-Dictionnaire Biographique, Alger, Ed CASBAH, 2001, p.p. :13-14.

3Ferhat Abbas: Autopsie d'une guerre- L'aurore, Éditions Garnier Frères, Paris, 1981, pp: 178-179.

باعتبارها شأن داخلي فرنسي صرف إلى الإطار الدولي الرحب باعتبارها قضية استعمار وشعب يطالب بحقه في تقرير المصير، وذلك بالاعتماد على الحلفاء الطبعيين.. مجموعة الدول العربية والاسلامية، وحشد التأييد المادي والمعنوي للدول الأفروآسيوية.

II-استراتيجية التدويل والسياسة الخارجية لجهة التحرير الوطني 1958/1954

الإستراتيجية أو الإستراتيجية هي خطة العمل المتوسط أو البعيد المدى، الذي تتبثق منه مناورات (تكتيكات) أو خطط تنفيذية فرعية، تدل بدورها على مراحل المشروع الإستراتيجي، وتخضع التكتيكات للإستراتيجية، وترمي المناورات أو المناوشات التكتيكية إلى تحقيق أهداف جزئية، تشكل مجموعها الديناميكي الغاية الأخيرة لأية إستراتيجية¹.

وبالعودة إلى نص بيان أول نوفمبر 1954 ووثيقة مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 يمكن فهم الخطوط العريضة لاستراتيجية ج.ت.و في سعيها لتدويل القضية الجزائرية وفي ضبط علاقاتها الخارجية سواء بالقوى الحليفة المنتمة أساسا للعالم العربي الإسلامي الذي تربطه بالجزائر الروابط الحضارية التاريخية وتشابه التجارب المعاصرة ووحدة المصير، أو بالقوى المعادية للثورة باعتبارها تشكل حليفا طبيعيا للاستعمار الفرنسي بفعل الانتماء الحضاري المشترك وواقع الانتماء الايديولوجي والعلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

ويُمكن إجمالاً تلخيص استراتيجية التدويل السياسة الخارجية التي اعتمدتها ج.ت.و. في الفترة الممتدة من أول نوفمبر 1954 إلى غاية تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 في النقاط التالية :

1 للمزيد ينظر: خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية-عربي-فرنسي-إنجليزي، سلسلة المعاجم العلمية (10)، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص107.

- اعتبار البلاد العربية وخاصة مصر القاعدة الأساسية التي ينطلق منها النشاط الخارجي لـ ج.ت.و.

- المحافظة على استقلال الثورة استقلالا تاما، فالاتصالات بالبلدان الشقيقة اتصال حليف بحليف، ولا ينبغي أن تُفقد الثورة استقلال قرارها.

- مجابهة الحجج والطروحات التي تروّج لها الحكومة الفرنسية ودبلوماسيتها وصحافتها، والتي مفادها: "أنّ الجزائر مقاطعة فرنسية تتشكّل من ثلاث عمالات" و"الثورة مُصطنعة و مُدبّرة من الخارج"، وذلك عن طريق:

1- الاعتماد على مجموعة دول باندونغ من أجل الضغط السياسي والدبلوماسي والاقتصادي المباشر على فرنسا، خاصة تلك المرتبطة معها بمصالح إقتصادية حيوية، و الاعتماد على ذات المجموعة في الأمم المتحدة لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال جمعيتها العامة بشكل منتظم ومناقشتها في دوراتها كل سنة حتى تصبح قضية مألوفة لدى الجميع.

2- السعي لكسب تأييد الدول والشعوب الأوربية بما فيها بلدان غرب شمال أوروبا والديمقراطيات الشعبية في شرقها وأيضا بلدان أمريكا اللاتينية¹.

3- الاعتماد على الجالية العربية في بلدان أمريكا اللاتينية.

III- أدوات التدويل:

منذ اندلاع الثورة الجزائرية في 1 من نوفمبر 1954 كانت جبهة التحرير الوطني ممثلة في الخارج من طرف الوفد الخارجي للثورة الجزائرية، والذي كان

1.حزب جبهة التحرير الوطني: الأمانة الدائمة للجنة المركزية، النصوص الأساسية المصدر السابق، ص 45،46.

يرأسه محمد خيضر¹ ويساعده كل من أحمد بن بلّة² وحسين آيت أحمد³، ثم التحقت بالوفد عناصر أخرى من مختلف تيارات الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D)، و من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U.D.M.A) ومن جمعية العلماء، وبعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 كلفت لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E.) محمد لمين دبّاغين بتنسيق النشاط الخارجي لجهة ت.و.

1 محمد بن يوسف خيضر: ولد في 13/03/1912 بمدينة الجزائر، انضم إلى نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري، انتخب نائبا عام 1946، لجأ إلى القاهرة سنة 1951، ثم عُين مسئولا عن الوفد الخارجي لح.إ.ح.د ثم لجهة التحرير الوطني بالقاهرة، تمّ اختطافه رفقة قادة الوفد الخارجي في 22/10/1956، و لم يطلق سراحه إلا بعد توقيف القتال في ربيع 1962، وقف إلى جانب بن بلّة و أصبح أمينا عاما لجهة التحرير الوطني، ثم استقال بعد خلافه مع بن بلّة، اغتيل بالخارج، ينظر: محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص194.

2 أحمد بن بلّة: ولد بمغنية في 25/12/1916، انضم بعد سنة 1945 إلى حزب الشعب الجزائري، ترأس المنظمة الخاصة سنة 1949، اعتقل سنة 1950 بعد حادثة بريد وهران، فرّ من السجن في مارس 1952 ليلتحق بالقاهرة، مسؤول التسليح في الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني، اعتقل مع رفقائه في عملية اختطاف الطائرة، عين وزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة الأولى ثم نائبا لرئيس الحكومة الثانية والثالثة، أول رئيس للجمهورية الجزائرية، انقلب عليه بومدين في التاسع عشر جوان 1965، بعد سنة 1980 اختار المنفى إلى غاية سنة 1989 حيث عاد إلى الجزائر، ينظر محمد حربي: المرجع السابق، ص190، و:

Benjamin Stora: Dictionnaire Biographique de militants Nationalistes Algériens 1926-1954, Paris, Ed L'ahrmattan, 1985, P.P: 271-272.

3 ولد حسين آيت أحمد سنة 1926، انضم إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1942، مسئول المنظمة الخاصة (1948-1949) التحق بالقاهرة سنة 1951، وكان ضمن الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني، اعتقل في عملية القرصنة على طائرة الوفد الخارجي، أطلق سراحه سنة 1962 عين وزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة (1958-1962)، عارض النظام السياسي الجزائري، شكل سنة 1963 جبهة القوى الاشتراكية، وقاد تمردا مسلحا وهو ما أدى إلى اعتقاله وسجنه ليفر منه سنة 1966، واستقر بالمنفى حتى سنة 1989 حيث عاد إلى الجزائر لكنه عاد بعد ذلك ليستقر بسويسرا إلى غاية وفاته في 23 ديسمبر 2015. ينظر محمد حربي، المرجع السابق ص 185، 186 و: Mohamed Harbi: Le FLN Mirage et la Réalité, P396.

بالإضافة إلى هؤلاء القادة البارزين أشرف إلى جانبهم على تأطير هذا النشاط الخارجي لبعثات جبهة التحرير مناضلون دبلوماسيون عملوا في الظل ولا تكاد تذكرهم المصادر إلا نادرا مثل: عبد المالك بن حبيلس، مبروك بلحسين، توفيق بوعترة، محمد حربي، عبد العزيز بن ميلود، عزيز حسن وعبد القادر بن قاسي ومناضلون آخرون¹.

وقد تمّ تدعيم الحركة الخارجية لـ ج.ت.و بفتح مكاتب أو بعثات لتمثيل جبهة التحرير الوطني ولحشد الدعم المادي والمعنوي وكسب الرأي العام الدولي خاصة في البلدان الغربية الموالية لفرنسا²، كما ساهمت في النشاط الخارجي للجبهة في الفترة 1954 إلى 19سبتمبر 1958 منظمات جماهيرية مرتبطة بجبهة ت.و، ساهمت في تجسيد سياسة ج.ت.و الرامية لتكريس الحضور الدائم أو المنتظم للثورة الجزائرية على الساحة الدولية، وهي: الاتحاد العام للعمال الجزائريين (U.G.T.A)، والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (U.G.E.M.A)، والاتحاد العام للتجار الجزائريين (U.G.C.A)، بالإضافة إلى الهلال الأحمر الجزائري (C.R.A)، وذلك بحكم اتصالاتها الخارجية مع الاتحادات الدولية المقابلة أو المماثلة لها، وبحكم المشاركة في مختلف الاجتماعات والمؤتمرات الدولية تعزّز وتوسّع النشاط الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني؛ وهو ما يجسّد الصفات الهجومية لديبلوماسيةيتها وسيّسأهم في توضيح

1RedhaMalek: L'Algérie à Evian, Histoire des négociations secretes1956/1962, EditionsDahlab, Alger, 1995, pp: 72-73.

2C.A.D:S.E.A.A,(1959-1967),b:6,dos:2"F.L.N:

Représentation

exterieure",doc:3"Notice d'information: Les bureaux des Affaires extérieures du F.L.N",8/9/1960 ,p2.

معالم قوة السياسة الخارجية لجهة.ت.و وتجسّد هذا أكثر بعد تأسيس الحكومة المؤقتة¹.

حرصت ج.ت.و على تسجيل حضورها المنتظم على الساحة الدولية من خلال ممثليها في مختلف الاجتماعات و المؤتمرات الدولية :

- مؤتمر باندونغ في أبريل 1955، مؤتمر تضامن الشعوب الافروآسيوية، مؤتمر الشعوب الافريقية...

- الحضور في أشغال جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة بشكل مستمر ومنتظم منذ الدورة العاشرة سنة 1955 من خلال الوفود العربية، ورغم عدم تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة في تلك الدورة إلا أنّ طرحها في تلك الدورة مهّد لتسجيلها في الدورة الموالية، لتصبح ثابتا من ثوابت جدول أعمال ذات الجمعية العامة إلى غاية دورة 1961، لقد شكّلت الأمم المتحدة منبرا لجهة التحرير وفي الوقت ذاته ميدانا لحركتها الخارجية، فقد مكّنتها من استكشاف السياسة الدولية وفهم مناوراتها ومن تحديد سياسة تحالفاتها الخاصة بها².

- حضور المؤتمرات التي تعقدها النقابات العمالية العالمية مثل الكنفدرالية الدولية للنقابات الحرة (C.I.S.L)³.

1 سليمان الشيخ: الجزائر تحمل السلاح-دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي، وزارة المجاهدين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص434.

2 Slimane Chikhe: "La révolution Algérienne Sur La Scène Internationale..", op cit, pp:31-32

وأیضا: رضا مالك: الجزائر في إفيان، المصدر السابق، ص100.

3 ذكر أحمد بن بلّة في محضر استنطاقه بعد اختطافه سنة 1956 بأنّ النشاط الخارجي لج.ت.و في تلك المرحلة كان يستهدف الحضور في المحافل الدولية الكبرى مثل الأمم المتحدة و المؤتمرات العالمية للنقابات،

- الزيارات و إيفاد البعثات الدعائية إلى البلدان الصديقة والحليفة وكذلك إلى البلدان الغربية التي تشكّل الحليف الطبيعي لفرنسا، من أجل دحض الأطروحات والحجج الفرنسية وتحطيم أسطورة التبعية الجزائرية لفرنسا، ومن جهة أخرى شرح وجهة النظر الجزائرية التي تمثلها ج.ت.و ورؤيتها للحل وفق ما تقتضيه الشرعية الدولية وخاصة مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وتصفية الاستعمار. وفي هذا الشأن ذكر فرحات عباس في كتابه تشريح حرب تعليمات عبّان رمضان العضو القيادي في لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الوفد الخارجي موضحا مهمة الوفد في نشاطه الخارجي:

1- تدويل المشكل الجزائري، ودحض الحجج الفرنسية، تحطيم أسطورة تبعية الجزائر لفرنسا.

2- زوّدوا جيش التحرير الوطني بالمال والأسلحة والذخيرة، فمعنويات المجاهدين ينبغي أن تبقى مرتفعة، ولكي تبقى كذلك ينبغي أن لا تنقصهم الأسلحة والذخيرة.

3- المحافظة على تضامن ووحدة الوفد الخارجي لكي يضمن المحافظة على تمثيليتها وفعاليتها، تفادوا الصراعات والتفرقة بين المناضلين القادمين من آفاق مختلفة، عليكم بخلق عقلية أو ذهنية ج.ت.و بتحطيم روح الحزب.

4- تفادي تشخيص الثورة، فالثورة ينبغي أن تبقى انجازا شعبيا خالصا¹.

IV- أهداف و مبادئ و وسائل النشاط الدبلوماسي للوفد الخارجي لـ

ج.ت.و:

يتفق الكثير من الباحثين لتاريخ الثورة الجزائرية على معطين أساسيين تكاد تجزم بهما الوقائع والقرائن :

1 Ferhat Abbas: Autopsie d'une guerre, L'aurore, Éditions Garnier Frères, Paris, 1981, pp : 178-179.

ففيما يتعلّق بالأهداف والمبادئ التي اعتمدتها دبلوماسية جبهة التحرير الوطني طيلة فترة الثورة الجزائرية 54-1962؛ فهي مستوحاة من استراتيجية الحركة الوطنية الاستقلالية، ونعني بها الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية MTLD وذلك من خلال نشاطها الخارجي في الفترة الممتدة من 1945 إلى 1954.

وفيما يتعلّق برواد العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير فهم إطارات في الحركة الوطنية؛ وتنتمي غالبيتهم إلى الجيل الذي عزّز صفوف الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية، وتكوّنوا في صفوفها وتشبّعوا بمبادئها، على أنّه من المهم التأكيد على أن الجيل المؤسّس للنشاط الخارجي للجبهة هو من قيادة المنظمة الخاصة (O.S) التابعة للحركة. ح.د و نعني بهم: محمد خيضر وأحمد بن بلّة وحسين آيت أحمد، ثم تعزّز الوفد بعناصر من المركزيين ومن الاتحاد الديمقراطي ومن جمعية العلماء¹، أضافوا لمستهم المميّزة في مجال التنظيم والتنشيط بحكم مستواهم الدراسي العالي.

ذكر محمد يزيد² أحد الرواد المؤسسين لدبلوماسية جبهة التحرير الوطني في تقرير له إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية في جويلية 1957؛ جملة من الحقائق الهامة التي قدّمت رسما دقيقا لأهداف واستراتيجية جبهة التحرير الوطني

1 عامر رخيطة: "الحركة الوطنية والتأسيس للدبلوماسية الجزائرية"، الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962 -دراسات وبحوث حول تطور الدبلوماسية الجزائرية- طبعة ثانية منقّحة ومزودة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 90.

2 عضو اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية 1954/50، ثم ممثلا لجبهة. ت. وفي نيويورك 1958/55، ثم وزيرا للإعلام في ح.م.ج. ح.ج. 1961/58، فوزيرا للمالية في حكومة أحمد بن بلة، وترأس المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة عد إلى:

وكذا أهم المواعيد التي سجّلت من خلالها الجبهة حضورها¹، وعموماً يمكن تلخيصها في المحاور التالية:

- أن محمد بوضياف نقل إلى الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني في بداية نوفمبر 1954 تعليمات قيادة الثورة بالداخل بشأن أولويات العمل الخارجي أو الدبلوماسي من أجل تدويل القضية الجزائرية، والتي تمحورت حول ثلاث خطوات رئيسية هي:

أ- العمل على إخراج المشكل الجزائري من الإطار الفرنسي.

ب- نقل المشكل الجزائري إلى مستوى المشكل التونسي والمغربي على الصعيد الدولي.

ج- طرح القضية الجزائرية على هيئة الأمم المتحدة سواء في مجلس الأمن² الدولي أوفي الجمعية العامة³ للأمم المتحدة.

لقد تركّزت النشاطات الأولى لأعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بعيد الفاتح من نوفمبر 1954 على:

1 اعترف محمد يزيد في تقريره إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالدعم التونسي والمغربي للبعثة الجزائرية والذي يعتبره عاملاً من عوامل نجاح البعثة الجزائرية في مهامها، ينظر:

Mohammed Harbi: Les archives de la révolution algérienne, Ed Jeune Afrique, France, p172.

2 هيئة دولية تابعة للأمم المتحدة، مكوّنة من ممثلين عن خمس عشرة دولة، خمس منهم أعضاء دائمون والبقية ينتخبون لمدة سنتين من الجمعية العامة، من أبرز أهدافه: الحفاظ على السلام والأمن الدوليين. ويحق لكل عضو من الخمسة الدائمين أن يعترض على أي قرار يتخذه مجلس الأمن، وبالتالي منع إصداره باستعمال حق الفيتو، ينظر جرجس جرجس: معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، مراجعة القاضي أنطوان الناشف، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص274.

3 جهاز تداولي لمنظمة الأمم المتحدة تجمع ممثلي الدول الأعضاء كافة، وهو جهاز ينعقد بكامل أعضائه، عد إلى: جبرار كورنو: معجم المصطلحات القانونية، ج1 (أ-ش)، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص635.

1- تحقيق انشغال أساسي ألا وهو الحصول على اعتراف للوفد الخارجي باعتباره المعبر الحقيقي أو الواقعي للمقاومة الجزائرية، التي تقودها حركة فتية انبثقت عن أزمة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، يجهلها الكثيرون في أرض الوطن فما بالك على الصعيد العربي والاقليمي والدولي.

2- تكوين جبهة خارجية موحدة مع التونسيين والمغاربة وهو الخيار الذي أصبح يشكل ضرورة ملحة، خاصة بعد الدعم غير المشروط الذي قدّمته البعثتان الخارجيتان التونسية لحزب الدستور الجديد بقيادة صالح بن يوسف والمغربية لحزب الاستقلال بقيادة علّال الفاسي للبعثة الجزائرية خلال الفترة الصعبة لسنة 1955، وهو الدعم الذي تجسّد في التحضير لمؤتمر باندونغ وخوض غمار التدويل من خلال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة¹.

3- وتنفيذا لتعليمات القيادة بالداخل ركّز الوفد الخارجي جهوده على البلدان العربية التي تشكّل امتدادا طبيعيا وحضاريا وحليفا طبيعيا لروابط اللغة والدين والتاريخ المشترك، ثم التوجه كذلك صوب بلدان جنوب شرقي آسيا، وبموازاة ذلك العمل للضغط على الجامعة العربية، خاصة بعد التحفظ الذي أبدته معظم الدول العربية لاتخاذ أفعال غير التصريحات والبيانات "الحدرة"، فقد احتجت معظم البلدان بعائق المظهر القانوني للقضية الجزائرية، فالمملكة العربية السعودية الوحيدة من بين كل الدول العربية التي قدّمت دعما ووقّعت على رسالة موجّهة لرئيس مجلس الأمن الدولي، الرسالة تضمّنت لفت نظر المجلس للوضع في الجزائر، لكن دون أن تطلب عقد اجتماع لمناقشة المسألة الجزائرية².

ويمكننا تحديد أهم مبادئ دبلوماسية جبهة التحرير خلال الثورة في النقاط التالية:

1 عامر رخيّة: المرجع السابق، ص 100.

2 Mohammed Harbi: Les archives de la révolution algérienne, op.cit,p172.

- اعتبار المغرب العربي بعدا استراتيجيا والتأكيد على وحدته .
- التمسك بمبدأ حق الشعب الجزائري في تقرير المصير والاستقلال.
- اعتماد الحياد الايجابي فيما يتعلق بالعلاقات مع المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي.
- الامتثال لمبادئ وقواعد القانون الدولي¹.
- احترام السيادة الداخلية للدول.

وما يُلاحظ على هذه المبادئ أنها مبادئ عامّة عالمية وظفّتها الحركة الوطنية قبل 1954 ووظفّتها كذلك جبهة التحرير الوطني بعد نوفمبر 1954 في أدبياتها.

أمّا فيما يتعلق بالوسائل الدبلوماسية المستعملة من طرف ديبلوماسية الثورة الجزائرية في المرحلة الممتدة من 1954 إلى 1958، فيمكن التمييز بين الوسائل الذاتية والوسائل الدولية.

أ_الوسائل الذاتية: وهي خاصّة بالجزائريين وأهمها:

- مخاطبة الرأي العام العالمي من خلال النشاط الاعلامي المكثف ووسائل الاتصال المباشر.

- ربط علاقات بالاتصال بالمتقنين والثوريين والديمقراطيين.

- ربط العلاقات بالفعاليات السياسية والقوى الديمقراطية من خلال الاتصال بالأحزاب والبرلمانات والنقابات العمالية والطلّابية وغيرها².

1 عامر رخيطة:المرجع السابق،ص 100.

2 ذكر أحمد بن بلّة في محضر استنطاقه بعد اختطافه مع بقية الزعماء الجزائريين في 22 أكتوبر 1956 بأن نشاط الوفد الخارجي كان يستهدف أساسا الهيئات الكبرى وذكر الجمعية العامة للأمم المتحدة ومؤتمرات النقابات العالمية، عد إلى : Benjamin Stora-ZAKYA Daoud :Op cit,pp:254-255. ، كما ذكر الدكتور عمار بوحوش أحد قيادات الاتحاد .ع.ط.م.ج.U.G.E.M.A. بأن: «الاتحاد كان ينشط في إطار جبهة.ت.و.و بأن قيادة الاتحاد منذ 1956 عازمت للحصول على منح دراسية للطلبة الجزائريين في جميع=

- رفع كفاءة المناضلين العاملين في الحقل الدبلوماسي للثورة على التبليغ والإقناع.

ب_الوسائل الدولية: وهي الخاصة بالخارج، ويمكن حصرها في الآتي:

- التأكيد على استقلالية القرار في التعامل الدولي.
- الاستعانة بجامعة الدول العربية.
- الحرص على كسب تأييد ودعم المعسكر الاشتراكي مع التأكيد على عدم الالتزام بالتبعية الأيديولوجية.
- الاستعانة بالقوى الحليفة في جعل القضية الجزائرية دائمة الحضور في أشغال المنظمات الإقليمية والدولية.

يتمثل هدف النشاط الدعائي للوفد الخارجي لجهة.ت.و في تأسيس أكبر عدد من المكاتب في الخارج، وإلى غاية أواخر أكتوبر 1956 كانت الجبهة قد تمكنت من فتح مكاتب لها في كل من دمشق، تونس، بيروت، بغداد، كراتشي، جकारطا، وفي نيو يورك¹.

V- من وفد ح.إ.ح.د إلى الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني 1954-1958

قامت الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD) بعد الحرب العالمية الثانية بعمل كبير للتعريف بالمسألة الجزائرية، وكانت حركتها هذه أنشط

= الدول حتى يتسربوا إلى الجامعات الأجنبية بحيث يواصلون دراساتهم ويحصلون على دعم الاتحادات الطلابية العالمية للقضية الجزائرية"، ينظر: عمار بوحوش: "شاهد عيان على مشاركة طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في ثورة تحرير الجزائر (1954-1962) من فرعي الكويت والولايات المتحدة الأمريكية"، مجلة المصادر، العدد 16 السداسي الثاني 2007، م.و.د.ب.ح.و.ث. 1954/11/01، ص139. 1 عامر رخيلا: "الحركة الوطنية والتأسيس للدبلوماسية الجزائرية"، المرجع السابق، ص 100-101.

باتجاه بلدان المشرق العربي فقد حدث تحوّل حقيقي في توجهات الحزب المصالي الجديد (ح.ا.ح.د) بعد الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت تولي اهتماما كبيرا بالمشرق العربي وهو ما عد تحوّلًا استراتيجيًا ومبدئيًا في خياراتها الخارجية، وتمثّل ذلك ميدانيا من خلال:

- تأسيس مكتب للحركة بالقاهرة والذي ترأسه الشاذلي المكي.
- الاتصال بالجامعة العربية وتوجيه المذكرات والبيانات لأمانتها العامة.
- المشاركة في مؤتمر المغرب العربي سنة 1947.
- الانضمام إلى عضوية مكتب المغرب العربي¹.
- الانضمام إلى لجنة تحرير المغرب العربي².
- مشاركة الجزائريين في حرب فلسطين، وأسست ح.ا.ح.د الهيئة العليا لإعانة فلسطين، وتم إرسال متطوعين شاركوا في الحرب إلى جانب إخوانهم العرب³.
- قيام مصالي الحاج بجولة سنة 1951 إلى بلدان المشرق العربي، لتحسيس وتعريف عرب المشرق بالقضية الجزائرية، لأنّ الكثير منهم كان يجهل حقيقة الوضع ويجهل أبعاد القضية، وفي نهاية مهمّته التقى مصالي الحاج بالأمين العام للجامعة العربية، وبعد أدائه لفريضة الحج التقى الملك السعودي.
- والحقيقة أن تأسيس الجامعة العربية فتح مجالا واسعا للحركات الوطنية المغاربية للنشاط الخارجي وخاصة بالنسبة للحركة من أ.ح.د، نظرا لما تضمّنه ميثاق الجامعة العربية المعلن في 22 مارس 1945 في مادته الرابعة من إشارات

1 علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 7 مصحّحة، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة

النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2003، ص ص: 375-380.

2 عامر رخيّة: المرجع السابق، ص ص 96-97.

3 للاطلاع أكثر على موقف حزب الشعب ثم ح.إ.ح.د من القضية الفلسطينية يُنظر: أحمد شفيق أحمد أبو جزر: العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي-مواقف وأسرار-دار هومة،

الجزائر، 2004، ص ص: 190-204.

لإمكانية تمثيل الأقطار العربية غير المستقلة في بعض اللجان، وهو ما استندت إليه ح.إ.ح. د في علاقاتها واتصالاتها بجامعة الدول العربية.

أصبحت العاصمة المصرية في هذه الفترة تتمتع بأهمية سياسية كبيرة فإضافة إلى احتضانها مقر الجامعة العربية فقد كانت تأوي عددا من الممثلات الدبلوماسية العربية والإسلامية لذا فقد أم صوبها مصالي بعد حجه سنة 1951، فبعد أن نزل ضيفا على الملك السعودي لعشرين يوما ، حطّ رحاله بالقاهرة وكثّف نشاطه بها حيث اتصل باللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وبأمينها العام، ثم تحادث مع وزير خارجية مصر ومفتي فلسطين والأمير عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي، ثم قام بزيارة الممثلات الدبلوماسية لكل من إيران ولبنان وسوريا وأفغانستان والسعودية والهند، و حظي مصالي خلال ذات الزيارة بحفلات نظمت على شرفه من قبل كل من "اتحاد النساء الشرقيات" و"جمعية الشبان المسلمين" وإلى جانب ذلك حضر اجتماعا عاما لجمعية الإخوان المسلمين¹.

- بعد انقلاب الضباط الأحرار في مصر على النظام الملكي في 22 جويلية 1952، أصبحت القاهرة محور نشاط ح. إ. ح. د و كل الأحزاب التحررية المغاربية، وهمزة وصل ليس مع المشرق العربي وحسب بل ومع العالم بصفة عامة.

تعزّز الوفد الخارجي للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة منذ مطلع الخمسينات بعناصر جديدة شابة وفاعلة مفعمة بالحيوية، ففي جوان 1951 قدم إلى القاهرة محمد خيضر حيث أصبح نائبا للشاذلي المكي، وفي

1 أحمد رضوان شرف الدين: جامعة الدول العربية وقضايا تحرير المغرب العربي 1954-1962، مرجع

منتصف سنة 1952 إلتحق حسين آيت أحمد (22جويلية)¹ وبعده بسنة تقريبا التحق أحمد بن بلّة في أوت 1953²، و قد ضمّ هذان المناضلان النشيطان إلى الوفد الخارجي للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، مع الإشارة إلى أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا متابعين فيما عرف بقضية اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950 باعتبارهم من قادتها البارزين، وستعرف قيادة الوفد الخارجي تغييرا على رأسها فبعد إقصاء الشاذلي المكي في أكتوبر 1952 من قيادة الوفد عين محمد خيضر خلفا له بصفته ممثلا ح.إ.ح.د.³

1A.N.O.M: FONDS MINISTÉRIELS, Premier ministre, 81F/110, Notice de Documentation (très secret), Les animateurs de la Rébellion Algérienne, T I (A) Ait Ahmed Hocine, pp: 25.

2 ذكر محمد خيضر في محضر استنطاقه من طرف السلطات الأمنية الفرنسية على إثر اختطافه رفقة زملائه الزعماء بأن آيت أحمد وبن بلّة التحقا بالقاهرة في منتصف سنة 1951، لكن بن بلّة ذكر في حوار مع أحمد منصور "شاهد على العصر" بأنه وصل القاهرة في أوت 1953، وهو ما أكدته التقارير الفرنسية بشأنه، حيث تذكر هذه المصادر الفرنسية بأن بن بلّة استصدر رخصة مرور باسم مستعار "مسعود مزنياني" في أوت 1953 دخل بها التراب المصري، أما آيت أحمد فقد التحق حسب ذات المصادر بالقاهرة في 22جويلية 1952، ينظر:

عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر -دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)، دار هومة، 2004، الجزائر، ص ص: 489-495. لكن حسين آيت أحمد ذاته ذكر في "روح الاستقلال" بأنه وصل القاهرة في ماي 1952 بجواز مرور يحمل اسم «سعيد فرحي» «سلمه إياه مصطفى عبد المنعم سفير مصر ببيرن-سويسرا»، ينظر: حسين آيت أحمد: روح الاستقلال المصدر السابق، ص ص: 248-251، وينظر كذلك:

A.N.O.M: 81F/110, Opcit, Les animateurs de la Rébellion Algérienne, T II (B-Bi) Ben Bella Ahmed, pp: 81,82.

3 هذا ما ورد في محضر استنطاق محمد خيضر، لكن بن بلّة ذكر في شهادة له بأنه وصل إلى القاهرة في أوت 1953، عد إلى محضر استنطاق محمد خيضر إثر اعتقاله بالدار البيضاء (الجزائر) رفقة زملائه الأربعة بتاريخ 1956/10/22 في: عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص ص: 489-495.

وذكر محمد الأمين بلغيث بأن كل من مصالي واللجنة المركزية أقصيا الشاذلي المكي من تمثيل ح.إ.ح.د. سنة 1952 وذلك لأسباب تأديبية، دون أن يذكر الأستاذ مصدره في هذه المعلومة، ينظر: محمد الأمين =

وفي أعقاب الأزمة التي عصفت بالحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية ما بين جوان 1953 إلى منتصف سنة 1954 وتشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل (C.R.U.A)، في هذه الأثناء كانت بعثة ح.أ.ح.د. تتشكل من: محمد خيضر وأحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، لينقسم الوفد ويصبح بن بلة وآيت أحمد وخيضر ممثلون لجبهة التحرير الوطني حديثة الولادة ثم التحق بهم محمد يزيد المركزي، بينما أصبح أحمد مزغنة الذي التحق بالقاهرة منذ نهاية صيف 1954 ممثلا للتيار المصالي رفقة الشاذلي المكي¹.

تعزز الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بعد ذلك بقدم عدة مناضلين أوفدتهم قيادة الجبهة في الداخل، أقل ما يمكن أن يقال بشأنهم أنهم كانوا من العناصر السياسية الكفأة ومن مختلف تيارات الحركة الوطنية:

-أحمد مهساس، الذي أوفد إلى ليبيا -مرورا بالقاهرة- من طرف الجبهة ليتولّى مسئولية تمثيل الثورة بطرابلس.

= بلغيث: الجزائر في باندونغ-مذكره الشاذلي المكي إلى المؤتمر-الطبعة الأولى، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، 2007، ص 12.

عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص ص: 489-495.و: أحمد منصور: الرئيس أحمد بن بلة. يكشف أسرار ثورة الجزائر

-كتاب الجزيرة -شاهد على العصر-الدار العربية للعلوم-ناشرون-دار ابن حزم، ط الأولى، 2007، ص 90.

1 عُذ إلى محضر استنطاق محمد خيضر، المصدر السابق في: عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر - المصدر السابق، ص ص: 489-495.

لكن عبد الرحمن كيوان ذكر بأن سبب استبعاد الشاذلي المكي من الوفد كان وقوفه إلى صف مصالي الحاج ووفق ذلك فإن هذا الأمر يكون قد حدث في سنة 1954، لكن كل المصادر والمراجع التي أطلعنا عليها في الموضوع تؤكد أنّ الاستبعاد تمّ في سنة 1952 مثلما ذكر ذلك محمد خيضر في محضر استنطاقه ينظر: Abderrahmane Kiouane:Les Débuts D'une Diplomatie de Guerre(1956-1962)-journal d'un Délégué à l' extérieur, Editions Dahlab,Alger,2000,p5.

- عبد الحميد مهري، الذي قدم إلى القاهرة منذ خريف 1955 والذي حول إلى سوريا حيث افتتح بدمشق مكتبا لجبهة التحرير الوطني¹.
- عبد الرحمن كيوان، الذي التحق بالقاهرة في أبريل 1956 قادما من بيرن السويسرية بعدما سلّمه القنصل العام المصري محسن أباضة رخصة مرور².
- عباس بن الشيخ الحسين، والذي سيوجه لاحقا إلى المملكة العربية السعودية لتمثيل الجبهة بها في إطار مكتب جدة .
- محمد الغسيري، وهو الآخر لم يطل مكوثه بالقاهرة حيث وُجّه إلى دمشق لمساعدة عبد الحميد مهري في إدارة شؤون مكتب ج.ت.و هناك، ثم أصبح المسئول الأول عن المكتب بعد انتقال مهري كلية إلى القاهرة لأداء مهام أكبر في إطار لجنة التنسيق والتنفيذ ثم وزيرا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.
- محمد لمين دبّاغين، أحمد بودة³، عبد الرحمن كيوان، أحمد توفيق المدني⁴، عباس فرحات، والذين أوفدوا إلى القاهرة ليكونوا ضمن الوفد الخارجي لجبهة ت و .

1 عبد الحميد زوزو: محطات، المصدر السابق، ص 494.

2 ذكر عبد الرحمن كيوان بأنّ عبّان رمضان هو من وجّهه إلى الخارج لينضم إلى الوفد الخارجي بالقاهرة، عد إلى:

Abderrahmane Kiouane:Op.cit. ,p5.

3 ولد بعين طاية ضواحي الجزائر العاصمة 1907 انضم إلى صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1937، عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب و ح.إ.ح.د. من 1939 إلى 1954 والمكتب السياسي من 1939 إلى 1953، ممثل للجبهة في العراق ثم في ليبيا إلى غاية 1962 توفي سنة 1994 MohamedHarbi: Le :FLN, Op. cit,p416
و: عبد الله مقلاتي: قاموس...، ص ص: 134، 135.

4 ولد بتونس في 11/01/ 1899 من أسرة جزائرية، واصل دراسته في جامع الزيتونة والخلدونية والصادقية، انخرط في الحزب الحر الدستوري في عهد الثعالبى ولعب دورا سياسيا وفكريا في تونس، وفي سنة 1925 أبعدته السلطات التونسية إلى الجزائر، انضم إلى جماعة نادي الترقى سنة 1926، ثم انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث شغل منصب كاتب عام للجمعية بعد سفر الإبراهيمي إلى المشرق، وفي سنة 1956 انتدبته ج ت و عضوا في الوفد الخارجي بالقاهرة، ثم عين وزيرا للشؤون الثقافية في أول حكومة=

وبعد ذلك تم توزيع المهام فيما بين الأعضاء فتكفل محمد خيضر بالشؤون السياسية والمالية بينما تكفل أحمد بن بلّة ومحمد بوضياف بالشؤون العسكرية-العتاد والاتصال بالداخل¹ وتكفل حسين آيت أحمد بمساعدة محمد يزيد بالتدويل خاصة من خلال منظمة هيئة الأمم المتحدة، في حين تم تكليف حسين لحول بالدعاية للثورة في أندونيسيا وجنوب شرقي آسيا، بينما كلف عبد الحميد مهري بتمثيل جبهة التحرير في سوريا.²

وورد في رسالة محمد خيضر إلى عبّان رمضان في 21 فيفري 1956 بأن الوفد حدّد خمس مراكز أساسية للنشاط الدعائي عبر العالم وهي :

- القاهرة: يتولّى خيضر الإشراف عليها ويساعده محمد يزيد، ويشمل مجال نشاطها: مصر، السعودية، السودان، وليبيا، وعُيّن دباغين مبعوثا متجولا للمكتب في الشرق الأوسط.

- دمشق: ويُشرف عليها عبد الحميد مهري، ومجالها: سوريا، لبنان، والأردن.

- بغداد: ويُشرف عليها أحمد بودة، ومجالها: العراق، الكويت، والخليج الفارسي.

- جاكارتا: ويُشرف عليها حسين لحول، ومجالها قارة آسيا كلها.

= مؤقتة جزائرية (1958/09/19 - جانفي 1960)، ثم عين وزيرا للأوقاف في أول حكومة للجزائر المستقلة، له العديد من المؤلفات، توفي سنة 1983، أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، 2004، الجزائر، ص ص : 425-427.

1 ورد في رسالة من عبّان رمضان إلى وفد القاهرة مؤرخة في 1955/11/04 "...بن بلّة وبوضياف فهما مكلفان فقط بمصلحة العتاد والاتصال بنا". عد إلى المصدر في: مبروك بلحسين: المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر - القاهرة) 1954 - 1956 مؤتمر الصومام في مسار الثورة التحريرية، ترجمة الصادق عماري، دار القصة للنشر، الجزائر 2004، ص ص: 114-115، وللاطلاع على تفاصيل عمليات التسليح خلال هذه المرحلة وإلى غاية 1962 عد إلى: عبد المجيد بوزيد: الإمداد خلال حرب التحرير الجزائرية-شهادتي... ط الثانية مراجعة ومنقّحة، وزارة المجاهدين، أكتوبر 2007، الجزائر.

2Abderrahmane Kiouane:Op.cit,p 7.

41MabroukBelhocine : Op.cit., pp : 140-144.

- نيويورك:تقرّر تشكيل بعثة دائمة بها يُشرف عليها حسين آيت أحمد، و مجالها:الولايات المتحدة، وتمثيل الجبهة في الأمم المتحدة، ولاحقا كل أمريكا اللاتينية.

عدّ النشاط الاعلامي نشاطا رئيسا لأعضاء الوفد الخارجي وذلك للتعريف بالحركة الثورية الجديدة، ومن ضمن الأنشطة التي يمكن إدراجها في هذا الاطار إذاعة بيان أول نوفمبر 1954 عبر "صوت العرب"، وإقامة الندوات الصحفية وتلاوة البيانات باسم جبهة.ت.و، وتعد ندوة 15 نوفمبر 1954 أول ندوة عقدتها بعثة القاهرة عرّفت من خلالها بجبهة وجيش التحرير الوطني وبالعمليات الأولى التي وقعت ليلة أول نوفمبر 1954، وحدّدت شروط الحل السلمي مع الحكومة الفرنسية بتلبية مطالب ج.ت.و: "إنها أرضية جمعية وطنية تأسيسية ذات سيادة منتخبة بالاقتراع العام دون تمييز في العرق والدين، وسوف تسمح بابرار محاور حقيقي له صفة التمثيل لتقرير العلاقات بين الجزائر وفرنسا على مستوى متعادل..."¹.

كما خصّصت ندوات صحفية للأعضاء الجدد الملتحقين بالوفد الخارجي للتدليل على استيعاب ج.ت.و لجميع القوى وتيارات وأحزاب الحركة الوطنية في إطار الصراع ضد الحركة المصالية والدعاية الفرنسية، وعلى سبيل المثال لا الحصر الندوة الصحفية التي نشّطها فرحات عباس بالقاهرة يوم 25 أبريل 1956 والتي أعلن فيها رسميا انضمامه رفقة أحمد فرنسيس وانضمام الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى ج.ت.و.²

1 عد إلى نص الندوة الصحفية "ندوة صحفية حول أحداث الجزائر في 15 نوفمبر 1954، في: مبروك بلحسين: المصدر السابق، ص ص:88-91.

2 للمزيد عن محتوى الندوة الصحفية عد إلى: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح -مذكرات -الجزء الثالث- مع ركب الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، الجزائر، 1988، ص ص:135-136. وكذلك:

ولجأت قيادة الوفد الخارجي إلى أسلوب البيانات الرسمية التي تناولت بالنقد اللاذع "السياسة الجزائرية" للحكومات الفرنسية، وأكدت من خلال هذه البيانات رفضها لأنصاف الحلول واستعداد الجبهة والشعب الجزائري لحرب طويلة الأمد، وكانت تتم صياغة هذه البيانات ردًا على تصريحات المسؤولين الفرنسيين وتفنيدا لادعاءاتهم، وتوضيحا لوجهة نظر ج.ت.و من المستجدات المتعلقة بالقضية الجزائرية، وكان يتم توزيع هذه البيانات وإذاعتها عبر إذاعة "صوت العرب" وبعض الإذاعات العربية¹.

والملاحظ أنّ قيادة الوفد الخارجي التي تشكلت نواتها الرئيسة من قدامى مناضلي ح.إ.ح.د قد استطاعت توظيف وتوجيه طاقات وكفاءات بقية الأحزاب التي التحقت بالوفد، فقد استفادت ج.ت.و من خلال انضمام إطارات حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، خاصة فرحات عباس وأحمد فرنسيس وأحمد بومنجل وتوظيف علاقاتهم بالصحافة الفرنسية والغربية وصورتهم الإيجابية في العالم الغربي الليبرالي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، لذا فقد كلف فرحات عباس وأحمد فرنسيس بمهمّات في أوروبا والولايات.م.أ، وتمّ الاستجداد بأحمد بومنجل في تنظيم مصلحة الإعلام رفقة أحمد توفيق المدني عن العلماء، مثلما وظّفت وجوها بارزة في جمعية العلماء وعلى رأسهم أ.ت.المدني وعباس بن الشيخ الحسين وخير الدين ومحمد البشير الإبراهيمي- قبل أن يُستغنى عنه لاحقا-كواجهة أو وسيلة تقارب مع المشرق العربي والدول الإسلامية بشكل

CAD:MAEF,SEAA,boite:7,dos:FLN,doc:Extrait du dossier présenté à l'ONU,Session1957,p48.

Benjamin Stora-ZAKYA Daoud: Op.cit,p412.et voir aussi: Abdellah Righi: Op.cit,p 94.

1l'ONU,Session1957,p37.CAD:MAEF,SEAA,boite:7,dos:FLN,doc:Extrait du dossier présenté à

عام، لما تميّز به هؤلاء من ثقافة عربية اسلامية وعلاقات بهذه المناطق¹.

وحول النشاط الإعلامي الإذاعي الذي كان يقوم بالدعاية للقضية الجزائرية ويبث أخبار ثورتها ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله بأنه مرّ بثلاث مراحل، المرحلة الأولى وتمتد من فاتح نوفمبر 1954 إلى ديسمبر 1956 وتميّزت بالإعتماد شبه الكلي على ما كانت تبثّه إذاعة صوت العرب بالقاهرة، أما المرحلة الثانية فتبدأ من مؤتمر الصومام و تميّزت بنشاط إعلامي بجهود وطنية جزائرية منذ نهاية 1956؛ بانشائها "صوت جبهة وجيش التحرير" من الإذاعة الوطنية السرية المتنقلة والتي اعتمدت على وسائل بدائية، لكنها شكّلت تحديا صارخا للنظام الاستعماري، وواجهت الأخطار الكبيرة، وإضافة إلى الجهد الوطني ساهم الجهد العربي في الدعاية للثورة الجزائرية في هذه الفترة بالتنسيق مع مكاتب جبهة التحرير الوطني.

أما المرحلة الثالثة فقد بدأت بافتتاح "صوت الجزائر" في كل الإذاعات العربية تقريبا، فكان صوت الجزائر من إذاعة تونس والقاهرة ودمشق ومن بغداد ومن عمّان ومن الكويت ومن جدّة ومن طرابلس وبنغازي في ليبيا.

وكان أعضاء الوفد الخارجي لجبهة ت.و والطلبة الجزائريون² هم الذين يقومون بإعداد البرامج وإذاعتها من "صوت الجزائر"، وكان فريق القاهرة أكثرها امكانات للتمركز الكبير للسياسيين والمتقنين الجزائريين، وأشرف على "صوت

1 أدرك المسئولون الفرنسيون خطورة هذا الأمر بعد فوات الأوان، عُذ إلى تقرير إيف شاتينيو المستشار الدبلوماسي للحكومة الفرنسية في: C.A.D:MAEF, Documents Diplomatiques Français 1958 T II(1er juillet-31Décembre)"Note du conseiller diplomatique du gouvernement(yvesChataigneau) comité de coordination et d'exécution du F.L.N",Imprimerie Nationale,Paris,1993,pp:41-43.

2 للتعرف أكثر عن دور الطلبة والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA عد إلى: غيرفيلي: الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962، ترجمة: م.حاج مسعود، أبكلي، عبلعربي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، صص: 343-352.

الجمهورية الجزائرية" في البداية أحمد توفيق المدني بمساعدة فريق من الطلبة وأعضاء من الوفد الخارجي، بينما كان يشرف الطلبة الجزائريون على "صوت العرب" بمساعدة مسؤولي بعثات ج.ت.و.¹

خاتمة الدراسة:

ورثت جبهة التحرير إرثها فيما يتعلق بالعمل الدبلوماسي الثوري من التيار الاستقلالي الثوري الذي مثلته الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية MTLD، كما أن رواد هذا العمل تكونوا في صفوفها ومارسوا مهامهم في هذا المجال قبل التحاقهم بجبهة التحرير التي استطاعت لاحقا أن تستوعب إطارات من مختلف التيارات والأحزاب التي التحقت بالثورة، مما شكل إضافة معتبرة أثرت الحركة الثورية الدبلوماسية لج.ت.و.، أعطاهم مصداقية سواء في البلاد العربية أو في الشرق والغرب.

ولقد شكل تدويل المسألة الجزائرية أولوية نصت عليها النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، واتضحت معالم هذا التدويل في المجال النظري من خلال هذه النصوص ومن خلال الممارسة العملية لأعضاء الوفد الخارجي للجبهة بالقاهرة، فمثلا توضح مفهوم التدويل أكثر في وثيقة مؤتمر الصومام واتضحت أكثر أهدافها ووسائلها أو استراتيجيتها بشكل عام عما كانت عليه في بيان أول نوفمبر 1954.

ورغم أن المؤسسين الأوائل لديبلوماسية ج.ت.و. لم يتخرجوا في المعاهد والكلليات الدبلوماسية والسياسية إلا أنهم استطاعوا التمرس على فنياتها وتقنياتها وكما أنها (حسب تعبير فرحات عباس) ، وهو ما مكنهم من الصمود أمام الآلة الدبلوماسية الفرنسية ثم أخذ زمام المبادرة وتسجيل نقاط لصالح تدويل المسألة

1. ينظر: شهادة أبو القاسم سعد الله في تقديمه لكتاب: عبد القادر نور: شاهد على ميلاد صوت الجزائر - ذكريات وحقائق - منشورات الإذاعة الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2006، ص ص: 6، 7.

الجزائرية، تجلت أولى ثمارها في تسجيل القضية الجزائرية في جدول أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة بدء من الدورة الحادية عشر سنة 1956.

المحور الثاني

دوائر النشاط الدبلوماسي للثورة التحريرية وأبعادها المرحلية

بصمات دبلوماسية الثورة التحريرية الجزائرية في المجال الأفروآسيوي

1962.1957

✍ أ. د/ عبد الكامل جوبية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

عند انطلاق ثورة التحرير في الفاتح من نوفمبر 1954 وضعت في مخططاتها الإستراتيجية البعد الخارجي الدبلوماسي كجبهة فعالة لدفع الثورة نحو تحقيق النصر، وكان من بين أهم المجالات التي استهدفتها الثورة كبداية لهذه الجبهة المجال الأفروآسيوي لما يحتويه من عوامل مشجعة على النجاح لا سيما أن به من الأشقاء والأصدقاء عدد كبير أمن بعدالة القضية الجزائرية وتعهد بدعمها ودفعها نحو النصر. لذلك سنسلط الضوء على هذا الجانب الاستراتيجي في هذا المجال الجغرافي الحيوي بالنسبة للثورة التحريرية من خلال استعراض بصمات هذه الدبلوماسية به منذ الانطلاقة الأولى للثورة، من خلال المصادر الرسمية ووثائق الأرشيف. حيث تزامن اندلاع الثورة في الجزائر مع ظهور الكتلة الأفروآسيوية التي أعلنت تأييدها لكفاح الشعوب المناضلة من أجل استقلالها، وفي مقدمتها الشعب الجزائري الذي بلغت ثورته درجة كبيرة من التنظيم والقوة، مما مكنها من زعزعة أركان الاستعمار وبث الاضطرابات في صفوفه، ومما عزز كفاح الشعب الجزائري أكثر، تأييد الأقطار العربية الشقيقة ومؤازرة البلدان الإفريقية الآسيوية له في عدة مناسبات وعلى العديد من المنابر، نوضح دورها في المحاور الآتية:

1- مؤتمر باندونغ 1955:

بدأت الكتلة الأفروآسيوية تتكون داخل هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ذلك أن الدول الإفريقية الآسيوية الأعضاء في المنظمة الأممية شعرت بالحاجة إلى اتحادها لتضع حدا للعزلة التي كانت تعيشها أمام مجموعة دول أمريكا اللاتينية، والكتلة الغربية والكتلة الشيوعية، وراحت تلك الدول الإفريقية الآسيوية تحاول أن تتخذ في مداولات هيئة الأمم المتحدة مواقف مشتركة في بعض المسائل التي تهم العالم الإفريقي الآسيوي بصفة خاصة، وما انفك هذا الاتجاه يتبلور خلال انعقاد مؤتمر باندونغ⁽¹⁾ في أبريل 1955 والذي

1 - باندونغ: مدينة في أندونيسيا. اجتمع بها في 18 أبريل 1955 حوالي 600 مندوب جاؤوا من إفريقيا وآسيا، قاسمهم المشترك هو أنهم يمثلون دول متخلفة خرجت حديثا من الاستعمار، أنظر: عبد القادر خليف، (المؤتمرات الأفروآسيوية والقضية الجزائرية)، مجلة المصادر، عدد: 8، مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 219.

وقد جمع هذا المؤتمر 29 بلدا من مناطق حساسة جغرافيا، مختلفة سياسيا واقتصاديا بعضها تحرر حديثا وبعضها لم يتحرر من الوصاية الأجنبية، وبعضها لم يكن عضوا في هيئة الأمم المتحدة، أما الدول التي كانت ممثلة في المؤتمر فهي: الهند، باكستان، سيلان "سيريلانكا"، برمانيا، اندونيسيا، أفغانستان، إيران، الفلبين، تركيا، تايلاند، العربية السعودية، العراق، الأردن، لبنان، سوريا، نيبال، لاوس، الفيتنام، اليمن، مصر، السودان، ليبيا، ليبيريا، أثيوبيا، ساحل الذهب "غانا"، كومبوديا، الصين، اليابان، كما استدعت لحضوره 4 حركات تحررية عن تونس والجزائر، والمغرب، وقبرص كأعضاء مراقبين. أنظر: أحمد مسعود سيد علي: (مساعي جبهة التحرير الوطني في التعريف بالقضية الجزائرية في الخارج)، مجلة النائب، عدد خاص، دورية يصدرها المجلس الوطني الشعبي، الجزائر، 1425هـ/2004، ص 177.

وانعقد المؤتمر في الفترة الممتدة ما بين 18-24 أبريل 1955 تطبيقا للتوصية التي جاءت في اللائحة التي أقرها مؤتمر كولومبو المنعقد يومي "27-29 ديسمبر 1954". أنظر: نور الدين حاطوم: قضايا عصرنا منذ 1945، د ط، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ت، ص 36.

ويعد المؤتمر نقطة تحول خاصة بالنسبة للدول المرتبطة بالمعسكرين الشرقي والغربي، حيث اتبعت سياسة الحياد الإيجابي، الذي يقوم على التفاعل مع الأحداث العالمية والسعي لتحقيق السلام دون الانحياز إلى الكتلتين المتصارعتين خلال الحرب الباردة وهذا ما يجسده خطاب الرئيس الإندونيسي سوكارنو: "نعيش = منطلقا جديدا في تاريخ العالم" أنظر: مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط2، دار الفكر، بيروت: 1971 ص 23.

كان بمثابة التاريخ الرسمي لميلاد الكتلة الإفريقية الآسيوية⁽¹⁾.

وفي هذا الإطار سعت جبهة التحرير الوطني جاهدة لحضور المؤتمر، وبعد أن تحصل ممثل جبهة التحرير الوطني على تعهد بأن تمنح له صفة ملاحظ للمشاركة في مؤتمر باندونغ، شرعت الوفود الجزائرية في جولات إلى بلدان جنوب شرق آسيا، فقام محمد خيضر بجولة في البلدان العربية سعياً لكسب تأييدها، ولم يجد صعوبة في إقناع الدول العربية لتبني القضية الجزائرية والدفاع عنها في باندونغ، بينما وجد محمد يزيد، وحسين أيت أحمد صعوبة في الدول التي زارها، لكنهما بعد شرح مختلف أوجه القضية الجزائرية، وبفضل الدعم العربي تمكنا من القضاء على بعض الترددات لتلك الدول، الأمر الذي عزز من تواجدهما خلال المؤتمر.

ومن هنا كان للوفد عدة أنشطة خلال المؤتمر تمثلت في تعريف المؤتمرين بالوضع في الجزائر وإزالة الآثار السلبية التي خلفها النشاط المضاد للحركة المصالية "MNA" والتي كان من نتائجها، حدوث نوع من الغموض لدى عدد من المشاركين في المؤتمر حول الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، ولكن ثبت فيما بعد أن التنظيم الفتى لجبهة التحرير الوطني هو الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري وهو الذي يقود الكفاح المسلح من الداخل والعمل الدبلوماسي من الخارج، وقد قدّم الوفد المشارك باسم المغاربة والذي ضم ممثلين عن جبهة التحرير الوطني والحزب الدستوري التونسي، وحزب الاستقلال المغربي، مذكرة تتعلق بالوضع في شمال إفريقيا مع ملحق يخص القضية الجزائرية، وقد درس المؤتمر الوضع في إفريقيا وآسيا وناقش الطرق والأساليب التي تستطيع شعوب هاتين القارتين أن تحقق بواسطتهما ما تصبو إليه، إذ كانت القضية الجزائرية محل دراسة من طرف المؤتمرين، إلى جانب قضيتي تونس

(1) المجاهد: العدد 19، 1 مارس 1958.

والمغرب، واغتتم الوفد الجزائري هذه الفرصة وقدم عرضاً عن الوضع في الجزائر، حيث أثمرت الاتصالات التي أجراها مع العديد من الوفود على نتائج إيجابية لصالح القضية الجزائرية تمثلت في إصدار المؤتمر لقرارات تخص شمال إفريقيا⁽¹⁾، تمثلت في تأييد المؤتمر لقضية تحرير الشعوب، وحصولها على استقلالها، أما بخصوص الوضع في شمال إفريقيا فقد أقر المؤتمر وجوب تقرير مصيرها بنفسها، فالمؤتمر الآسيوي الإفريقي أعلن تأييده لشعوب كل من الجزائر، مراكش، تونس في تقرير المصير والاستقلال وحث الحكومة الفرنسية على أن تسعى للبحث عن حل سلمي لقضايا هذه الشعوب دون تأخير.

وبهذه النتيجة تأكد دعم هذه الدول للثورة الجزائرية في هذا المؤتمر الذي عد بحق أول منبر دولي انطلقت منه صيحة الحرية والاستقلال، استقطب فيه كفاح الشعب الجزائري إعجاب وتأييد كل الدول المشاركة في المؤتمر، حيث كان لهذا التأييد صدى كبيرا ودعما قويا للثورة الجزائرية⁽²⁾ خاصة وأنه كان من قبل جميع الدول العربية وأغلب البلدان الإسلامية المشاركة في هذا المؤتمر. وهكذا برهنت الثورة الجزائرية مرة أخرى على أن تضامن العرب والمسلمين لا يزال قوة فعالة تتخطى الكتل والمذاهب والأحلاف⁽³⁾.

فكانت نتائج مؤتمر باندونغ جد إيجابية بالنسبة للقضية الجزائرية خاصة وكفاح شعوب المغرب العربي عامة، وسلبية للغاية على إدارة الجمهورية الفرنسية الرابعة، حيث أثارت تلك النتائج حفيظة الأوساط الاستعمارية عسكرية وسياسية، خاصة اتجاه ما تعلق من القرارات بتقديم مساعدات ملموسة وعاجلة للشعوب

1 - الأزهر بديدة: (التطور الدبلوماسي للثورة الجزائرية)، مجلة النائب، الجزائر 2007 ص 177-178.

2 - بديدة: المرجع نفسه، ص 178.

3 - المجاهد: العدد 19، 1958.

المكافحة من أجل استقلالها، حيث اعتبرها "إيدغارفور EDGARFAURE" رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك من خلال التصريح الذي أدلى به في ندوة صحفية عقدها بباريس، بأنها قاسية وجارحة فيما يتعلق بوجود فرنسا في الشمال الإفريقي، فالمؤتمر كما قال قد خص بالذكر قضية القطر الجزائري، والحال أن القطر جزء لا يتجزأ من فرنسا، ومن هنا كان المؤتمر قد شكل منعطفاً تاريخياً في ميدان التضامن العالمي واستقلال الشعوب، فنادت خلاله جبهة التحرير الوطني بضرورة دعم مطلب الاستقلال الوطني ومساندة كفاح شعبها من طرف البلدان التي كانت بالأمس تحت السيطرة الاستعمارية.⁽¹⁾ وأوصى في المجال الثقافي على التعاون لأنه من أحسن السبل لزيادة التفاهم بين شعوب آسيا وإفريقيا، ولهذا أولى المؤتمر أهمية خاصة لهذا المجال، كما استنكر محاربة الثقافات القومية للشعوب، التي تمارسها بعض الدول الاستعمارية خاصة في الجزائر، وتونس، ومراكش، وشجع على تنمية التعاون الثقافي الأفروآسيوي عن طريق تقديم تسهيلات من طرف هذه البلدان للطلبة الراغبين لالتحاق بالتدريب العسكري على أراضيها.⁽²⁾ وبعد ثلاثة أشهر من انتهاء أشغال المؤتمر، برزت الكتلة الأفروآسيوية التي تعتبر المساند القوي للقضية الجزائرية، فبعد أن أمنت بشرعيتها طالبت وباستمرار بتسجيلها في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة. ونظرا لأهمية القرارات التي خرج بها مؤتمر باندونغ فقد تقرر عقد لقاء ثان للوقوف على مدى تطبيق تلك القرارات، فكانت القاهرة مكان انعقاده

1 - بومالي: المرجع السابق، ص 35-36.

2 - مختار مزارق: حركة عدم الانحياز في العلاقات الدولية 1961-1983، د.ط، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر: 1974، ص 78-79.

بعد أن تمكنت من مواجهة العدوان سنة 1956 وتزعم حركة المد القومي العربي. فكان مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي بالقاهرة⁽¹⁾.

2- مؤتمر القاهرة 26 ديسمبر 1957. 1 جانفي 1958:

وفيه ترسخت المبادئ الكبرى لمؤتمر باندونغ 1955 والتي رددتها 500 مبعوث يمثلون 44 دولة أفروآسيوية، بحضور جبهة التحرير الوطني عن الثورة الجزائرية، حيث لعبت عن طريق ممثلها "لمين دباغين" نشاطاً فعالاً في هذا المؤتمر لكسب مزيد من التأييد والدعم⁽²⁾.

وجاء إعلان هذه الكتلة بخصوص القضية الجزائرية مؤيداً للمرة الثانية على التوالي بإعلانها وبوضوح دعمها للكفاح الذي يخوضه الشعب الجزائري، ودعوتها فرنسا لمباشرة مفاوضات عاجلة مع جبهة التحرير الوطني على أساس الاستقلال⁽³⁾.

وهكذا أظهرت الشعوب الإفريقية والآسيوية إصرارها على جلاء المعتدين، ففي الوقت الذي كان فيه مؤتمر باندونغ مؤتمر حكومات ودول كان مؤتمر القاهرة مؤتمر شعوب وحركات وطنية سياسية ونقابية، وكان انعقاده في بلد عربي مناسبة رائعة لإظهار المدى العظيم الذي يلعبه كفاح الشعب الجزائري، حيث استقبل الوفد الجزائري في المؤتمر استقبالاً رائعاً وقامت كل الوفود وقوفاً مدة طويلة تصفق وتهتف في حماس عظيم لكفاح الشعب الجزائري وثورته التي عبرت عن قوة الشعوب الجديدة، وصمودها الجبار وعزمها الواضح على الكفاح بكل وسيلة، وبأي ثمن لتحقيق حريتها واستقلالها⁽⁴⁾.

1 - عمار قليل: المرجع السابق، ص 123.

2 - مجلة أول نوفمبر: تطور الدبلوماسية الجزائرية 1830-1962م، العددان 157-158، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر: 1997، ص 14.

3 - بديدة: المرجع السابق، ص 192.

4 - قليل: المرجع السابق، ص 124.

وقد أصدر المؤتمر قرارات وتوصيات لصالح الشعوب المكافحة من أجل حريتها، أما فيما يخص الجزائر، فقد نصت لائحته المصوت عليها بالإجماع على استقلال الجزائر وفتح مجال للتفاوض مع جبهة التحرير الوطني⁽¹⁾، وأدانت سياسة الجمهورية الرابعة الاستعمارية الموجهة ضد الشعب الجزائري⁽²⁾ الذي يحارب لاسترجاع سيادته المغتصبة، كما صدرت لائحة تدعو الشعوب الأفروآسيوية إلى تعزيز الدعم للقضية الجزائرية، ومن ذلك تنظيم أسبوع إفريقي للتضامن مع الشعب الجزائري يوم 30 مارس 1958 في مختلف العواصم الإفريقية الآسيوية، حيث أقيمت فيه الاجتماعات، وكتبت المقالات والمنشورات التي تشيد بكفاح الشعب الجزائري، و تم فيه جمع التبرعات المختلفة لدفع الكفاح المسلح في الجزائر ضمانا لاستمراره.

ومثلت القاهرة في هذا الزخم التحرري منبرا عالميا لطرح قضايا تحرر القارة الإفريقية التي كان الجزء الأكبر منها خاضعا للهيمنة الاستعمارية، وموازة للتحرك الكبير من قبل القارتين الإفريقية والآسيوية كان التحرك الإفريقي يعطي الدعم الأكبر للقضية الجزائرية خاصة في مؤتمري أكر الأول والثاني لأنه كان يرى فيها مفتاح التحرر وبداية زوال الاستعمار نهائيا.

3- مؤتمر أكر الأول 15 أفريل 1958:

وقد اختيرت أكر عاصمة غانا أحدث الدول الإفريقية استقلالا سنة 1957 مكانا لانعقاد هذا المؤتمر، تعبيرا عن احتفال هذه الدول باستقلالها، وقد ضم الدول الإفريقية المستقلة وعقد هذا المؤتمر في 15 أفريل 1958، وقد كان كفاح الشعوب المناهضة للاستعمار في هذا المؤتمر التاريخي، نقطة انطلاق جديدة في تاريخ الحركة التحررية الإفريقية حيث وضعت الخطط الشاملة لتحرير جميع

1 - مجلة أول نوفمبر: المرجع السابق، ص 14.

2 - عامر رخيلا: (المؤتمرات الأفروآسيوية والقضية الجزائرية)، مجلة المصادر، العدد 8، ص 226.

الأقطار الإفريقية بكل الوسائل الممكنة في المدى القصير. وأعلنت الحكومات المجتمعة في أكرا وفاءها لمبادئ **باندونغ** والتضامن الآسيوي الإفريقي وتأييدها للحركات الوطنية في إفريقيا، واعتبر يوم 15 أبريل يوم القارة الإفريقية تمجد فيه كفاحها (1).

وفيما يخص الثورة الجزائرية صوّت المشاركون لصالح حق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير، وأجمعوا على بذل كل الجهود الممكنة من أجل مساعدة الشعب الجزائري وتشكيل مجموعة إفريقية ضمن هيئة الأمم المتحدة من أجل توحيد العمل لصالح جبهة التحرير الوطني (2)، كما حاولت هذه الدول عزل الجمهورية الرابعة دوليا، فتحرّكت على مستوى هيئة الأمم المتحدة لتوضيح ما يجري في الجزائر وذلك من أجل إيجاد تسوية سياسية سلمية عادلة للقضية الجزائرية. الشيء الذي أثار حفيظة حكومة الجمهورية الرابعة فراحت تحرك آلتها الدبلوماسية في الاتجاه الآخر، وهذا ما تؤكدته التعليمات الصادرة بتاريخ 12 أوت 1958 عن المديرية العامة للشؤون السياسية، والموجهة إلى مصالح وزير الخارجية، والتي جاء فيها على الخصوص: « نذكركم أنه من القرارات الصادرة عن مؤتمر "أكرا" والتي تستدعي الاهتمام، هي تلك التي أجمعت فيها الدول الإفريقية على البدء جماعيا في حملة دبلوماسية في كل دول العالم، لدعم جبهة التحرير الوطني من أجل استقلال الجزائر، والتحضير لاجتماع الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في دورتها القادمة...» وفي نفس المصدر تؤكد التعليمات بأن مصالح الخارجية قد اتخذت كل الاحتياطات، من خلال اتصالها بالدول الصديقة الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة، لمجابهة هذه الحملة الدبلوماسية الإفريقية، وهذا ما يؤكد المقطع التالي: « ... ويكون من

1 - قليل: المرجع السابق، ص125.

2 - مجلة أول نوفمبر: المرجع السابق، ص14.

المستعجل وبدون تأخير القيام بجولات سياسية من طرف شخصيات فرنسية، في كل البلدان التي مستها الحملة المضادة... يجب أن يعلم كل العالم أن جبهة التحرير الوطني بعيدة عن تمثيل كل الشعب الجزائري. ⁽¹⁾.

وبعد مرور شهور قليلة على انعقاد مؤتمر الحكومات بأكرا استقلت دولة إفريقية جديدة هي غينيا، وأعلن في الجزائر عن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ودخلت الشعوب الإفريقية الخاضعة للاستعمار الفرنسي مرحلة جديدة في كفاحها من أجل الاستقلال، بعد اضطراب الاستعمار الفرنسي إلى التنازل على كثير من امتيازاته أمام ضغط الحركات الوطنية، وحشد كل قواه لأجل مكافحة الثورة الجزائرية.

4- مؤتمر طنجة من 27-30 أبريل 1958:

حقق المغرب وتونس استقلالهما وأصبحا يتمتعان بالحرية ابتداء من شهر مارس 1956، بفضل ضغط الثورة الجزائرية في الداخل والخارج، لذلك كان لزاما على أقطار المغرب العربي المستقلة أن تبذل كل ما في وسعها لاستكمال استقلال كل المنطقة وطرد الاستعمار منها نهائيا. وتجسيدا لذلك اتفقت كل من جبهة التحرير الجزائرية، والحزب الدستوري التونسي وحزب الاستقلال المغربي، على عقد مؤتمر قمة لتنقية الأجواء، وتكريس العمل الوحدوي فيما بينها ⁽²⁾. وقد شاركت فيه وفود ممثلة للأقطار الثلاثة وأخرى ملاحظة ⁽³⁾. ساد المؤتمر جو من الصراحة قل نظيره في تاريخ المؤتمرات العربية، وكانت الأفكار كلها

1 - C.A.O.M، Fonds Ministériels، Boite: 81F/83، Aix-en-Provence. (Note de la direction générale des affaires politiques a l'intention des services du bureau du ministre de l'extérieur en date de 12/08/1958.)

2 - معمر العايب: (مؤتمر طنجة المحطة الأخيرة لتصفية الاستعمار الفرنسي من المغرب العربي)، مجلة الراصد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، العدد 2، الجزائر: 2002، ص 40-41.

3 - شاركت فيه وفود عن:

متفقة منذ اللحظة الأولى على هذا المنهج في النقاش، وإن كان قد اشتد - في بعض اللحظات من المؤتمر - النقاش حول نقاط جزئية، لكن دون أن تبلغ درجة الحدة أو أن تخرج عن نطاق توضيح أفكار والدفاع عنها بحرارة أحياناً. (1).

فالوفد التونسي كان متضائقا من عدة نقاط أهمها الضغط الذي شكلته حكومات الجمهورية الرابعة على تونس لتتخلى نهائيا عن دعمها للثورة الجزائرية، ومن مظاهر هذا الضغط قبلة ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958، كما أن الرئيس التونسي بورقيبة لم ينس موقف قيادة جبهة التحرير الوطني منه عندما كانت الثورة في بدايتها، إذ أيدت موقف أمين الحزب التونسي صالح بن يوسف المعارض لسياسة بورقيبة فيما يتعلق بتوقيع اتفاقية الحكم الذاتي مع فرنسا في شهر جوان 1955 (2).

1. عن تونس: الباهي الأدغم، أمين عام الحزب الدستوري الحر، الطيب مهري، أمين عام ومساعد للحزب، عبد الله فرحات، مدير الديوان الرئاسي، عبد المجيد شاكر، مدير الحزب، أحمد تليلي، عضو الديوان السياسي للحزب، وأمين عام الإتحاد العام التونسي للشغل، علي البهلون، رئيس بلدية العاصمة تونس، الطاهر بلخوجة، أمين عام اتحاد الطلبة.

2. الوفد الجزائري: فرحات عباس، عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير، محمد خير الدين، عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ممثل جبهة التحرير بالمغرب، عبد الحفيظ بوصوف، عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الوطني والمسؤول العسكري عن الولاية الخامسة "وهران"، عبد الحميد مهري، عضو اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الوطني، أحمد فرنسيس، ناطق رسمي باسم جبهة التحرير الوطني، أحمد بومنجل ناطق رسمي باسم جبهة التحرير.

3. الوفد المغربي: علّال الفاسي، رئيس حزب الاستقلال، أحمد بلافريج، أمين عام حزب الاستقلال، بوبكر القادري، محبوب بن الصديق، أمين عام اتحاد العمال المغاربة، الفقيه البصري، قائد جبهة المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي. وحضرت المؤتمر وفود ملاحظة من قطر وموريتانيا وفرنسا وأمريكا. أنظر: خير الدين: المرجع السابق، ص 188.

1 - المجاهد: العدد 23، 7 ماي 1958.

2 - بديدة: المرجع السابق، ص 190.

أما وفد المغرب فقد شرح وجهة نظره، موضحا الوضعية غير المستقرة التي تمر بها بلاده من حيث أنها تحصلت على استقلال منقوص من السيادة، إذ تتواجد على أراضيها ثلاثة جيوش أجنبية هي الجيش الفرنسي، والجيش الإسباني، والقوات الأمريكية، ومع ذلك أعلن رئيس الوفد المغربي علّا الفاسي صراحة استمرار تضامن المغرب وبشكل كامل مع القضية الجزائرية، وفيما يتعلق بالحدود - التي كانت على رأس المشاكل التي تؤرق الطرفين - اتفق الجانبان على تأجيل النظر فيها إلى ما بعد الحرب ⁽¹⁾.

وقد تناول جدول أعمال المؤتمر عدة نقاط أهمها تصفية الاستعمار في المنطقة ⁽²⁾، وفي هذا الشأن صرح فرحات عباس في ندوة صحفية في أعقاب الندوة قائلا: «إن وفد جبهة التحرير المشارك في ندوة طنجة يعبر عن رضاه على النتائج التي خرجت بها الندوة. فخلال ثلاثة أيام شكلت القضايا المدرجة في جدول الأعمال ميدان تباحث معمق، وكانت حرب الاستقلال في الجزائر محل تركيز الندوة، حيث قررنا وضع وسائل عملية في خدمة القضية الجزائرية لتحقيق استقلال الجزائر واستكمال وحدة المغرب العربي...» ⁽³⁾ وخرج بقرارات منها قرارات سرية لم تنشر، كالقرار الذي نص على الوسائل "العملية" التي سيقوم بها الحزب الدستوري، وحزب الاستقلال لمساندة الثورة الجزائرية ⁽⁴⁾.

أما باقي القرارات فأهمها:

1 - المجاهد: المصدر السابق.

2 - هذه النقاط هي: حرب التحرير الجزائرية - تصفية رواسب الاستعمار في بلدان المغرب العربي - الوحدة المغربية - الأجهزة الدائمة لتنفيذ قرارات ندوة طنجة. أنظر: خير الدين: المرجع السابق، ص 158.

3 - C.A.O.M, Boite 93/4296, Op.cit, (Déclaration et conférence de presse de M.F.Abbas a l'issu de la conférence de Tanger.) Tanger en français le 30/04/1958 à 15.00H.

4 - المجاهد: المصدر السابق.

1. حق الشعب الجزائري في السيادة والاستقلال، باعتباره الحل الوحيد لفض النزاع الفرنسي الجزائري.
2. توجيه نداء إلى الدول الغربية كي تكف عن مساندة فرنسا في حربها ضد الجزائر.
3. إصدار قرار بالعمل على تصفية الاستعمار في المغرب العربي، وأن تتوقف القوات الفرنسية حالاً عن استعمال التراب المغربي والتونسي كقاعدة لضرب الشعب الجزائري⁽¹⁾.
4. كما قام المؤتمر بإصدار لائحة بخصوص حرب التحرير الجزائرية، وأخرى حول وحدة المغرب العربي، وثالثة حول السكرتارية الدائمة⁽²⁾.
- وقد أقر المؤتمر أن جبهة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، وأنه يشجع التعجيل بتشكيل حكومة جزائرية⁽³⁾.
- ومما سمح للمؤتمر بتأكيد فاعلية القرارات المتخذة أن الأحزاب المشاركة في المؤتمر، هي صاحبة القرار في دولها، فالحزب الدستوري يمارس الحكم في تونس، وحزب الاستقلال بيده مقاليد السلطة بالمغرب، وجبهة التحرير هي هيئة التنفيذ في الجزائر⁽⁴⁾.
- وقد عبر ميثاق مؤتمر طنجة عن آمال الأطراف المشاركة في توحيد جبهة الكفاح من خلال دعم الثورة الجزائرية وتجسيد وحدة شعوب المنطقة في إطار

1 - رخيطة: المرجع السابق، ص ص162-163.

2 - خير الدين: المصدر نفسه، ص188.

3 - مجلة أول نوفمبر: المرجع السابق، ص14. أنظر أيضا: - محمد الميلي: مواقف جزائرية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984، ص 79.

4 - المجاهد: المصدر السابق.

المغرب العربي الكبير⁽¹⁾، هذه الوحدة التي حددت معالمها الثورة الجزائرية في أول وثيقة لها من خلال بيان أول نوفمبر 1954، إذ لم يكتف البيان بالحديث عن الوحدة الوطنية ورسم ملامحها عن طريق القطيعة المزدوجة، خارجية اتجاه السلطة الكولونيالية وداخلية تجاه الأحزاب الوطنية⁽²⁾ بل تجاوزها إلى تجسيد الوحدة المغاربية في إطارها العربي والإسلامي، فالدعوة للوحدة المغاربية بدل الدعوة لوحدة عربية مثلاً، يعود إلى الرغبة في الإشعار بأن الشمال الإفريقي له خصوصياته التي تميزه عن المشرق العربي، والتي تتمثل في البعد والثقافة البربرية التي تركت بصماتها على الهوية والثقافة المغاربية عموماً. وهذا لا يعني إلغاء وجود المشرق العربي في استراتيجية الثورة التحريرية، وإنما إعطاء الأشياء حجمها الحقيقي وابتعاداً عن المبالغات والزيف، فإن كانت ستتحقق الوحدة

1 - إن اجتماع طنجة المعبر عن الإرادة الجماعية لشعوب المغرب العربي في توحيد الأهداف في ظل التضامن الوثيق لمصالحها والمقتنع بأن الوقت قد حان لتجسيد هذه الإرادة في الوحدة في إطار مؤسسات مشتركة من شأنها أن تعطي للشعوب فرصة تأدية الدور العائد إليها في محفل الأمم. كما أن اجتماع طنجة يقرر العمل على تحقيق الوحدة، ويعتبر أن الشكل الفدرالي هو الشكل المستجيب أكثر من غيره لواقع البلدان المشاركة، ولهذا الغرض ولفترة انتقالية فإن الاجتماع يقترح إقامة مجلس استشاري للمغرب العربي منبثق في المجالس النيابية الوطنية لتونس والمغرب، وعن المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وتشمل صلاحيات هذا المجلس دراسة القضايا ذات الاهتمام المشترك وصياغة التوصيات للأجهزة التنفيذية الوطنية. وقد أوصى اجتماع طنجة بلدان المغرب العربي بعدم اتخاذ ما من شأنه أن يلزم بصورة منفردة بمصير شمال إفريقيا في مجال العلاقات الخارجية والدفاع، وذلك حتى قيام المؤسسات الفدرالية. كما أوصى بإجراء لقاءات دورية بين قادة البلدان الثلاثة، كما تطلبت الظروف ذلك، للتشاور حول قضايا المغرب العربي، كما قرر الاجتماع إحداث سكرتارية لمتابعة تنفيذ القرارات وتشكيل هذه السكرتارية من 6 أعضاء بواقع عضوين عن كل حركة مشاركة، وبصورة تمكن من تشكيل مكتبين اثنين يكون مقر أحدهما في تونس والثاني في الرباط. أنظر: خير الدين: المصدر السابق، ص 188-189.

2 - سليمان الشيخ: **الجزائر تحمل السلاح**، تر محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر: 2002، ص 281.

العربية فإن بدايتها تكون منطقياً من الجزء وهو المغرب العربي إلى الكل وهو الوطن العربي⁽¹⁾.

وكتبت المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني الناطقة بالفرنسية عن المؤتمر تقول: "إن هذه الندوة لشمال إفريقيا ليست الأولى، وإنما هي الندوة الثالثة في غضون عامين، وإذا كانت الندوتان السابقتان في كل من تونس (أكتوبر 1956)، والرباط (في نوفمبر 1957) انعقدتا أساساً من أجل إيجاد خطوط تقارب بين فرنسا والجزائر تضع نهاية لحرب الجزائر، فإن ندوة طنجة كان لها معنى آخر، فهي بالنسبة للمغرب وتونس محاولة لإيجاد الوسائل لتوحيد السياسة في شمال إفريقيا وإيجاد كتلة موحدة ضد فرنسا الاستعمارية⁽²⁾.

5- مؤتمر المهديّة بتونس فيما بين 17-20 جوان 1958:

شاركت فيه كل من حكومتي المغرب وتونس ولجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية، وهو اللقاء الذي يعرف بمؤتمر المهديّة، والذي خصص لبحث كفاءات تنفيذ توصيات مؤتمر طنجة، وقد نوقشت خلاله عدة موضوعات أهمها: التعاون السياسي والدبلوماسي بين الأطراف الثلاثة، وموضوع تشكيل حكومة الجزائر، وتنصيب سكرتارية تتكون من 6 أعضاء⁽³⁾. فكان بذلك نصراً جديداً للشعوب الإفريقية التي اكتشفت ألامعيب الاستعمار الجديد، فتصدت له كتلة واحدة.

ولا شك أن قرب هذه الدول من ميدان المعركة بالجزائر كان العامل الكبير الذي دفعها لإظهار هذا الأسلوب الجديد من المواجهة والتحدى، فترسخت في المؤتمر فكرة الوحدة والتضامن بين جميع الأفارقة، وبدورها ساهمت الثورة

1 - لونيسي: المرجع السابق، ص 37.

2 - مجلة الرائد: آراء حرة، العدد 2، مارس-أفريل 2002، ص 40.

3 - عامر رخيطة: (الثورة الجزائرية والمغرب العربي)، مجلة المصادر، العدد 1، ص 168.

الجزائرية في التعجيل بالاستقلال لكثير من الأقطار الإفريقية، ولذلك كان من حق الجزائر على أشقائها في إفريقيا وآسيا أن يمدوها بكل ما تحتاج إليه في حربها التحريرية، لأن استقلال الجزائر معناه طي صفحة مظلمة من تاريخ البشرية⁽¹⁾ طيًا نهائيا، وفتح صفحة جديدة خالية من كل أنواع العبودية والاستعمار، وفي تعليق "المجاهد" لسان حال جبهة التحرير على هذا المؤتمر ربطت فيه بينه وبين مؤتمر طنجة مذكرة بأهميته في افتتاحية العدد 28 بعنوان "من طنجة إلى المهدية" قائلة: « إن أهمية هذين المؤتمرين ترجع إلى أن 25 مليون من أبناء المغرب العربي بعد مرحلة طويلة وشاقة من التاريخ قد عادوا إلى المنبع الأصلي وقرروا أن يتحدوا في السراء والضراء من جديد »⁽²⁾.

- مؤتمر أكرّا الثاني في 8 ديسمبر 1958:

ضم المؤتمر كل الحركات الوطنية في إفريقيا من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها درست فيه تجارب الكفاح المسلح للشعب الجزائري الذي تعد ثورته مثالا تاريخيا يحتذى به، وتستخلص منه الشعوب المكافحة أنفع الدروس في محاربة الاستعمار⁽³⁾. وقد صدر عن المؤتمر بخصوص القضية الجزائرية جملة من القرارات في غاية من الأهمية على رأسها دعوة الحكومات الإفريقية إلى الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وتوجيه نداء لمساعدة الثورة الجزائرية ماديا وسياسيا، وتفعيل الدعم الدبلوماسي لصالح القضية الجزائرية⁽⁴⁾. وهدف المؤتمر في مجمله إلى خلق مجتمع إفريقي عادل يتمتع فيه جميع المواطنين بالحرية السياسية والمساواة المطلقة دون أي تمييز عنصري

1 - قليل: المرجع السابق، ص 128.

2 - رخيلة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، المرجع السابق، ص 169.

3 - قليل: المرجع السابق، ص 126.

4 - بديدة: المرجع السابق، ص 193.

أوديني، تحقيقا للعدالة الاجتماعية المنشودة من الجماهير التي عانت الظلم لآماد طويلة تحت الاستعمار والعبودية⁽¹⁾. وقد توالى مؤتمرات الحركة الأفروآسيوية التي لم تتوان في إظهار التأييد والدعم للقضية الجزائرية، واستمر ذلك حتى بعدما تحولت إلى ما يعرف بحركة عدم الانحياز بعد 1961⁽²⁾.

الخاتمة:

ومن خلال استعراضنا لتطور القضية الجزائرية في المحافل الأفروآسيوية يبدو لنا واضحا أن الجبهة الدبلوماسية الأفروآسيوية كانت من أهم جبهات الدبلوماسية الجزائرية التي حققت فيها انتصارات باهرة، وبفضل هذه الجبهة انتصرت القضية الجزائرية مغاريا وعربيا وأفروآسيويا، وخاصة في منبر الأمم المتحدة، حيث كانت الجبهة تضم عددا كبيرا من الدول التي تقيد أصواتها في إنجاح القضية الجزائرية في هذا المنبر الحاسم، وهو ما يؤكد اهتمام جبهة التحرير الجزائرية البالغ بهذه الكتلة الدبلوماسية المهمة.

1 - قليل: المرجع السابق، ص ص 126-127.

2 - فضلنا عدم التطرق لهذه المؤتمرات حتى لا نبتعد كثيرا عن الإطار الزمني المحدد لهذه الرسالة والمنحصر فيما بين 1946-1958.

مشاركة وفد جبهة التحرير الوطني في مؤتمر منروfia (8-4 أوت 1959) ودورها

في الدعم الدبلوماسي للثورة الجزائرية

د/ جيلالي حليمة

معهد كراسك - وهران

مقدمة:

إن الروابط التاريخية التي تربط الجزائر بإفريقيا قد جعلت قيادتها الثورية توظف أدواتها الدبلوماسية لخدمة القضية الجزائرية وتكريس مبدأ التضامن الإفريقي من خلال المشاركة في المؤتمرات الإفريقية في هذا الصدد، سنحاول في هذا العمل تسليط الضوء على جهود ونشاط وفد جبهة التحرير الوطني، في مؤتمر منروfia المنعقد فيما بين 4 إلى 8 أوت 1959، بتتبع نشاط هذا المؤتمر الذي سعت الجبهة من خلال مشاركتها فيه إلى تفعيل القضية الجزائرية والتعريف بها على المستوى الإفريقي، حيث كانت تهدف إلى عدم إهمال أهمية القارة و دولها في دعم الثورة الجزائرية، خاصة أن مؤتمر منروfia جاء بعد المشاركة الجزائرية في عدد من المؤتمرات وجهت فيها التعليمات إلى الوفد الخارجي و منذ بداية نوفمبر 1954 إلى التركيز على النشاط الدبلوماسي للثورة الذي كان يرمي إلى العمل على إخراج القضية الجزائرية من الاطار الفرنسي لتكون في نفس مستوى الأهمية التي تحظى بها كل من قضيتي تونس و المغرب على الصعيد الدولي. هذا وقد تميز مؤتمر منروfia برفع العلم الجزائري إلى جانب أعلام بقية الدول الحاضرة بالبرلمان الليبيري وكان للقضية الجزائرية اهتمام خاص، كما شارك فيه وفد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تم الإعلان عن تأسيسها في 19 سبتمبر 1958، كعضو رسمي، وأتيحت الفرصة

لممثليها لعرض قضيتهم والتعريف بها باعتبار جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للجزائر.

وهنا لابد من الإشارة إلى مفهوم العمل الدبلوماسي الذي يعتبر تمثيل للدولة في الخارج ونقل وجهة نظرها بوضوح تام على يد أشخاص يكونون على علم بهدف الدولة وسياساتها الخارجية، ومبادئها والإلام بجوانبها، أما المؤتمرات الأفريقية فهي سلسلة من المؤتمرات التي شهدتها إفريقيا والتي دعت إليها تنظيمات شعبية حملت على عاتقها قيادة حركة التحرر في القارة، وذلك فيما بين (1958-1961)، هدفت إلى تحرير إفريقيا وشعوبها من الهيمنة الغربية، والتي كانت بمثابة إرهابات لقيام منظمة الوحدة الأفريقية¹، التي كان هدفها توحيد دول القارة على المستوى الشعبي، لتكفل هذه المساعي بعقد عدد من المؤتمرات الحكومية الرسمية المدعومة بالتأييد الشعبي لتأسيس منظمة الوحدة الأفريقية².

كانت القضية الجزائرية مطروحة ومحل نقاش ومطالب سعى الجزائريون إلى تحقيقها، ولما كان الارتباط بفرنسا واقع مفروض على الجزائريين كرها، فقد جاءت الثورة التي تمثل نقلة نوعية ومنعطفا تاريخيا وحتمية في تاريخ النضال الجزائري. تمخضت عن سنوات من النضال السياسي الذي قادته أبرز رجالات المقاومة السياسية بالجزائر. وكانت جبهة التحرير الوطني قد حددت هويتها عند تأسيسها على أنها " الأسلوب الجديد للتعبير عن القومية الجزائرية التحريرية

1- منظمة الوحدة الأفريقية: منظمة إقليمية تم الإعلان عن تأسيسها في 22 ماي 1963، تعمل على نبذ الخلافات الأفريقية وإنهاء التكتلات، أقر مؤتمر أديس أبابا بالحشة ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية في 22 ماي 1963، تقتصر عضويتها على الدول المستقلة وذات السيادة، تقوم على سياسة عدم الانحياز ونبذ العنصرية. المختار الطاهر كرفاع، " فكرة الوحدة الأفريقية وتطورها التاريخي "، المجلة الجامعة، العدد 15، المجلد 3، 2013، ص 1442.

الديمقراطية الاجتماعية " واتخذت لنفسها مبدأ " الاعتراف للشعب الجزائري بحقه في الحرية والاستقلال"¹. فطرح القضية الجزائرية في المؤتمرات الأفريقية أصبح استراتيجيية المرحلة اللاحقة.

اتخذ العمل السياسي بعد الثورة أهدافا جديدة حيث كان من أسس بيان أول نوفمبر تدويل القضية الجزائرية وتحقيق الوحدة الأفريقية في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي²، والأمر نفسه في مقررات مؤتمر الصومام (20 أوت 1956) حيث اتخذ النشاط السياسي بعدا جديدا من خلال قراراته³ التي ركزت على عزل فرنسا سياسيا على المستوى الداخلي والخارجي، وتوسيع نطاق الثورة، كم سعت على المستوى الخارجي إلى تكثيف النشاط في الخارج لكسب الدعم المعنوي والمادي وتصعيد الرأي العام إلى جانب التعريف بالقضية الجزائرية بين الدول التي أرادت فرنسا عزلها أو إبعادها عن المجريات الحقيقية للجزائر⁴.

ولأن فرنسا الاستعمارية اعتمدت في عهد ديغول على مختلف الأساليب للقضاء على الثورة وتجسيد فكرة الجزائر فرنسية التي وقع من أجلها الانقلاب الذي أوصل الجنرال ديغول⁵ إلى السلطة في 13 ماي 1956 وتأسيس

مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 1.169

يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الثاني، ثورات القرن العشرين، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 1372

3Henri Alleg ,Jacques de Bonis ,Henri J Douzon , Jean Freire, Pierre Haudiquet ,La Guerre d'Algérie, Edition Temps Actuels, Paris , 1981 , Tome 2 , p 215.

4 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 175-177.

5 الجنرال شارل ديغول: (1890-1970) رجل سياسة فرنسي، أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة، عرف بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر، منها: مشروع قسنطينة، القوة الثالثة، الجزائر جزائرية، فصل الصحراء الجزائرية، سلم الشجعان الجنرال شارل ديغول: (1890-1970) رجل سياسة فرنسي، أول رئيس = للجمهورية الفرنسية الخامسة، عرف بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر، منها: مشروع قسنطينة، القوة الثالثة، الجزائر جزائرية، فصل الصحراء الجزائرية، سلم الشجعان.

الجمهورية الخامسة¹ التي منح دستورها لرئيس الجمهورية صلاحيات واسعة، تمكنه من تحقيق أطماع المعمرين في إخماد الثورة. فقد جاء الإعلان عن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالقاهرة من طرف فرحات عباس بتاريخ 19 سبتمبر 1958²، يهدف إلى إحداث عدة تحولات في مسار الثورة، ذلك أن فرنسا اتبعت سياسة خاصة اتجاه الثورة الجزائرية فيما بين 1958 - 1962، حيث اعتمد ديغول كل الأساليب والاستراتيجيات للقضاء عليها، مركزا في المجال السياسي على خنق الثورة و عزلها لعدم إسماع صوتها للعالم، مركزا على الدعاية الكاذبة ومحاولة تغليب الرأي العام العالمي حول واقع الثورة، وتنظيم استفتاء عام على دستور الجمهورية الخامسة، تزيف النتائج وإظهار الشعب بمظهر المؤيد له ولسياسته كإحدى المراوغات والخدع، والأهم من كل ذلك هو عدم الاعتراف بجمبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب الجزائري، وحاول المستعمر بذلك إظهار الثورة على أنها ثورة مصطنعة زائفة مدبرة من الخارج، وليست لها جذور في الأمة الجزائرية الأسيرة³ ورأى وجود قوة ثالثة يمكن التفاوض معها.

غير أن كل هذه الأساليب زادت في تصعيد العمليات الثورية ضد الاستعمار الفرنسي حيث سطرت جبهة التحرير الوطني لنفسها سياسة محكمة للمواجهة، وإجبار العدو على التعامل بواقعية مع الثورة الجزائرية، مركزة في هذه المرحلة على العمل الدبلوماسي لتبدأ مرحلة التعريف بالقضية الجزائرية دوليا وعزل العدو في المجال الدبلوماسي، ذلك أنه لا يمكن لأي ثورة أن تكون بمعزل عن العالم فهي بحاجة إلى مساندة وتأييد لتحقيق الانتصار الخارجي.

1Henri Alleg, Op.cit. , pp 589-590.

2Henri Alleg, La Guerre d'Algérie, Tome 3, p 94.

3 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 183.

ومع اندلاع الثورة فضلت عدد من الدول اتخاذ موقف الحياد من القضية الجزائرية، غير أن صدى انتصاراتها أدى إلى تغير المواقف، وخاصة بعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، حيث اهتم قادة الثورة بالنشاط الدبلوماسي وعملوا على وضع خطة طريق يتم الاعتماد عليها في المعركة السياسية، وقاموا لأجل ذلك بتعيين الجناح الدبلوماسي الذي تمثل في لجنة الخارج الثلاثية المتكونة من أحمد بن بلة، محمد خيضر وحسين آيت أحمد، وكانت مهمة هذه اللجنة هي التعريف بالقضية الجزائرية وجلب التعاطف الدولي مع الشعب الجزائري. كما قامت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بتعيين ممثلين لها بمختلف الدول العربية والأفريقية، كما هو الحال في تعيين فرانز فانون¹ ممثلا لها بأكرا عاصمة غانا، عمار أوصديق² بكوناكري عاصمة غينيا وبوعلام أوصديق³ في باماكو عاصمة مالي⁴. كما كان لتتصيب البعثات الجزائرية والوفود بالخارج والتي كانت مهمتها توسيع أعمال جبهة التحرير الوطني دور في ربط الاتصال الدائم بالهيئات الدبلوماسية لمختلف الدول. هذا

1 فرانز فانون: (20 جوان 1925 - 6 ديسمبر 1961) طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي، من مواليد جزر المارتنيك، عرف بنضاله من أجل الحرية ونبذ التمييز العنصري، عمل طبيبا عسكريا بالجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي ثم رئيسا لقسم الطب النفسي في مستشفى البلدية، لينخرط ابتداء من 1955 في صفوف جبهة التحرير الوطني، كان أيضا محررا في جريدة المجاهد، كما تولى مهام تنظيمية ودبلوماسية، توفي عن عمر يناهز 36 سنة بمرض سرطان الدم، ودفن بمقبرة مقاتلي الحرية الجزائريين.

2 عمار أوصديق: من مواليد 1923 بعين الحمام بني زرو، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري وأصبح ممثلا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية لمنطقة القبائل، اعتقل سنة 1948، بعد إطلاق سراحه سنة 1951 هاجر إلى فرنسا، ليعود إلى الجزائر بعد انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني وعين عضوا بالمجلس الوطني للثورة، وصار كاتب الدولة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (1958-1960)

3Henri Alleg, Op.cit., tome 2, p 577.

4Redha Malek l'Algérie a Evian, Histoire des négociations secrètes ,1956-1962, Ed Dahleb, Alger, 1995, p 101.

وقد لعبت أجهزة إعلام جبهة التحرير الوطني دورا كبيرا في تحضير أرضية العمل الخارجي وذلك من خلال المشاركة في عدد من المؤتمرات الدولية. ولعل أولى انتصارات الدبلوماسية الجزائرية هو مشاركتها في المؤتمر الأفروآسيوي بباندونغ في 1955 بعد خمسة أشهر فقط من اندلاع الثورة التحريرية لتخرج الثورة إلى العالم ويبلغ صداها المجال الدولي. أما المؤتمرات الأفريقية فهي متعددة ومنها مؤتمر التضامن الأفريقي الآسيوي بالقاهرة، عقد فيما بين 26 ديسمبر و1957 وأول جانفي 1958، حضره 500 مندوب يمثلون تسعة وأربعين دولة¹ منها المستقلة أو الخاضعة لوصاية هيئة الأمم المتحدة أو الواقعة تحت وطأة الاستعمار، وكانت كل من السودان، تونس، المغرب، غانا قد استقلت بعد مؤتمر باندونغ لتكون دعما جديدا للتضامن الأفروآسيوي²، إلى جانب مؤتمر أكرال للدول المستقلة، الذي عقد بمدينة أكرال عاصمة غانا في 15 أبريل 1958³، ومؤتمر طنجة بالمغرب الأقصى والذي عقد فيما بين 27 إلى 30 أبريل 1958 وكان فرصة ثمينة لجبهة التحرير الوطني لتكريس تضامن سياسي فعال مع الحزب الدستوري الحاكم في تونس وحزب الاستقلال الممثل للمغرب⁴، إلى جانب مؤتمر منروfia⁵ الذي سنخصه بالدراسة.

ظروف مشاركة الوفد الجزائري في مؤتمر منروfia :Monrovia

إن الاهتمام بالمشاركة في المؤتمرات الأفريقية كان يعد من ثوابت سياسة جبهة التحرير الوطني وأهدافها واستراتيجيتها، حيث كانت الجبهة تترك أهمية

1 Henri Alleg, Op.cit, tome 2, p 577.

2 شوقي عطاء الله الجمل، دور مصر في إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 157.
3 L'Echo D'Oran, Dimanche 13, Lundi 14 Avril 1958, N 31136.

4 محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، 1984، ص 87.

5 منروfia هي عاصمة ليبيريا وأكبر مدينة بها، تقع على ساحل المحيط الأطلسي، في مصب نهر سان بول، سميت كذلك نسبة إلى الرئيس الأمريكي جيمس مونرو.

هذه المؤتمرات وضرورة تفعيل دبلوماسيتها بالمشاركة فيها بجدية وقوة، باعتبارها من أهم الوسائل الفاعلة لطرح القضية الجزائرية والتعريف بها، وكان الهدف الأسمى هو السعي نحو العمل الأفريقي المشترك ورفض السياسة الاستعمارية. انعقد هذا المؤتمر فيما بين 4 إلى 8 أوت 1959 بمنروfia عاصمة ليبيريا، وهو يدخل في مرحلة هامة من تاريخ إفريقيا حيث تعتبر الفترة الممتدة من 1950 إلى 1965 فترة هامة استطاع خلالها الرئيس كوامي نكروما¹ أن يعبئ القارة الأفريقية لخدمة قضايا التجمع الأفريقي، حيث نظم عقب استقلال غانا عددا من مؤتمرات التجمع الأفريقي.

وكان أولها هو المؤتمر الأول للدول الأفريقية المستقلة بأكرا عاصمة غانا، ثم عقد المؤتمر الثاني للدول الأفريقية المستقلة بمنروfia². ضم تسع دول إفريقية مستقلة وهي غينيا، غانا، إثيوبيا، السودان، الجمهورية العربية المتحدة، ليبيا، تونس والمغرب، درست خلاله القضايا المختلفة الخاصة بالقارة الأفريقية وكانت قضية الثورة الجزائرية محور النقاش حيث عبر الحاضرون عن رغبتهم في تجنيد طاقاتهم وإمكانياتهم لخدمة الثورة الجزائرية وتحقيق أهدافها.

مثل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في هذا المؤتمر محمد يزيد، الذي عمل جاهدا من أجل إحباط المخططات الفرنسية المتمثلة في حصار الثورة وعزلها عن الساحة الدولية، وإبقائها فرنسية داخلية، ولذلك سناول التعريف به في بضعة أسطر، فهو من مواليد سنة 1923 بالبلدية، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1942، بعد حصوله على شهادة البكالوريا بمسقط رأسه

1 كوامي نكروما (1909-1972)، أول رئيس لغانا المستقلة و حكمها من 1960 إلى 1966، يعتبر من المناضلين الأفارقة الأوائل ضد الاستعمار من أبرز دعاة الوحدة الأفريقية وأحد مؤسسي منظمة الوحدة الأفريقية.

2 علي. أمزروع، ك. ووندجي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثامن، إفريقيا منذ عام 1935، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، الطبعة الأولى، 1993، ص 811.

هاجر إلى باريس سنة 1945، أين التحق بمدرسة اللغات الشرقية بكلية الحقوق، وسرعان ما أصبح السكرتير العام لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (A.E.M.A.N) فيما بين 1946-1947، ومسؤول القسمة الجامعية لحزب الشعب الجزائري كما عين محمد يزيد عضو باللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (M.T.L.D)، ونتيجة لتكثيف نشاطاته السياسية، تم القاء القبض عليه في شهر مارس 1948 وحكم عليه بسنتين سجنًا بتهمة امتلاك منشورات ووثائق مشبوهة، أمضى هذه المدة بسجن بربروس، أين كان المسير والمنظم الرئيسي رفقة الطيب بولحروف، لأضراب عن الطعام¹ كان من الفاعلين في إنجاحه.

بعد خروجه من السجن، عاد إلى باريس، وأصبح يعرف بالاسم المستعار "زوبير" وواصل نشاطه السياسي هناك إلى جانب المشاركة في تحرير جريدة L'Algérie Libre، ليتجه بعد ذلك إلى القاهرة في 24 أكتوبر 1954 و يلتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني، وشارك في مؤتمر باندونغ سنة 1955، ليتم تعيينه فيما بعد ممثل لجبهة التحرير الوطني بنيويورك، وشارك في الدورة العاشرة والحادية عشر والثانية عشر للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، وفي سنة 1956 أصبح عضو بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A)، ثم وزير الأعلام للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيما بين (1958-1962)²، كما كان له دور بارز في اتفاقيات إيفيان.

1 Benjamin Stora, Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens (1926-1954), préface de Mohammed Harbi, Editions L'Harmattan, 1985, p 304

2 Op.cit, p 305

ذكر محمد يزيد الذي حضر مؤتمر منروfia -كما ذكرنا سابق- ممثلاً للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عند تدخله بالمؤتمر " من السهل أن نشرح سبب تواجدها هنا، وهو أن ما يحدث اليوم بالجزائر ليس سوى تحد لتطور حركة التحرر بإفريقيا من جهة، وتحد للاستعمار ونتائج الاقتصادية والسياسية من جهة أخرى"¹.

هذا وقد كتبت جريدة لوموند بتاريخ 11 جويلية 1959 حول مشاركة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في هذا المؤتمر " يمكن للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أن تتباهى بأمرين، الأول سياسي وهو قبولها في المؤتمر كعضو يتمتع بكل الحقوق والاعتراف بها وحضورها إلى جانب الدول الأفريقية المستقلة. أما الثاني فهو رمزي يتمثل في موافقة الحكومة الليبيرية على رفع العلم الجزائري على مبنى البرلمان الليبيرى لمدة أيام"².

قرارات مؤتمر منروfia:

بعد عدة اجتماعات وجهود مضنية قام بها الوفد الجزائري، دعى المؤتمر إلى:

- ✓ الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره واستقلاله.
- ✓ سحب كل قواتها من الجزائر ووضع حد للعمليات العدائية.
- ✓ الدخول في مفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

1Henri Alleg, Op.cit. , tome 2, p577.

2Le Monde, 11 juillet 1959.

كما وجهت دعوة إلى أعضاء حلف الأطلسي¹ لدفع فرنسا إلى عدم استعمال أسلحته بالجزائر، وطلبت من كل الدول الحليفة أو الصديقة لفرنسا وكل الأمم والشعوب المحبة للسلام بالضغط على فرنسا عن طريق القروض ودفعها لوقف إراقة الدماء بالجزائر والسماح للشعب الجزائري بتحقيق أماله الشرعية في الحرية والاستقلال، معا لتتديد باستعمال القوات الأفريقية في الجيش الفرنسي ضد أشقائهم بالجزائر، كما عبرت الدول الحاضرة عن أملها باعتراف كل دول العالم بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ومن جهة أخرى فقد طالب المؤتمر الدول الأفريقية المستقلة ب:

✓ الإعداد لمناقشة المشكل الجزائري في الدورة الرابعة عشر لجمعية الأمم المتحدة.

✓ متابعة النشاط الدبلوماسي لصالح القضية الجزائرية.

✓ التعريف بالقضية الجزائرية. التعريف بالقضية الجزائرية.

✓ تقديم الدعم المادي للجزائر.

✓ إعلان 1 نوفمبر " يوم للجزائر " كتعبير عن التضامن مع الشعب الجزائري.

✓ تبادل الآراء كلما تطلب الأمر حول الوضع في الجزائر.²

وهكذا فقد تمكنت جبهة التحرير الوطني من خلال هذه المؤتمرات من تحقيق جزء من أهدافها التي سطرته لنفسها على المستوى الخارجي والمتمثلة في جعل

1 حلف الأطلسي (الناتو) منظمة تأسست سنة 1949 بناء على معاهدة شمال الأطلسي التي تم التوقيع عليها في واشنطن 4 أبريل 1949، مقره بروكسل عاصمة بلجيكا، دوره حراسة حرية الدول الأعضاء وحمايتها عسكريا.

القضية الجزائرية حقيقة يعرفها العالم بأسره، وبفضل الدعم الأفريقي، وكذا العربي والأسوي وصل صدى الثورة إلى الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، كما كان للقيادات السياسية دورا بارزا في الحصول على تأييد الشعوب الأفروآسيوية للثورة الجزائرية ماديا ومعنويا مما أفشل المحاولات الفرنسية لتطويق الثورة، كما كانت هذه المؤتمرات بداية للشعور بالقضية الجزائرية حيث ندرج هنا ما صرح به رئيس فدرالية مالي " موديبو كايتا " لأحد الصحفيين بباماكو " كيف لا نعجب بهذا الشعب الباسل، هذا الشعب الذي تسفك دماؤه يوميا لكي تتحرر إفريقيا، كيف يمكننا أن ننكر بأنه بنضال هذا الشعب بالجمال وعلى التلال ومن خلال شله لعمليات الجيش الفرنسي، فانه يناضل من أجل كل إفريقيا "1.

كما ذكر الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري² لمراسل المجاهد بكوناكري "... بالنضال بهذا الإيمان وهذه العزيمة القوية فان الشعب الجزائري قد دعم وعزز تحرير بعض الدول الأفريقية وفتح الأبواب لاستقلال دول أخرى، وهو يظهر بحركته السياسية ونضاله المستمر أن إفريقيا كلها تقول لا للاحتلال".

كما كتبت جريدة " ليبيرين آج " 5³ بمروفي " ... لنعترف أننا لم نكن نعرف الكثير حول المشكل الجزائري إلى غاية اليوم، وهل هذا سبب لتواصل جهلنا لها؟ بالطبع لا، لذلك أيها القراء الأعزاء سنخصص طبعة خاصة حول المشكل الجزائري ونضال هذا الشعب الأفريقي الشجاع من أجل حريته واستقلاله من قيود الاستعمار... "وبالفعل فقد تطرق العدد إلى حوالي عشر وثائق محررة من قبل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بواجهة عليها صورة كبيرة لمحمد

1Henri Alleg, Op.cit., tome 2, p468

أحمد سيكوتوري: (1922- 1984) رئيس غينيا منذ 2 أكتوبر 1958 بعد استقلالها، كان مؤيدا لحركات الاستقلال الأفريقية²

4 ليبيرين آج: جريدة كانت تصدر مرتين أسبوعيا بليبيريا. Liberian Age3

يزيد الذي كان يقود الوفد الجزائري بمنروفا وكتب عليها "هذا هو الرجل الذي سيرهب السفير الفرنسي أنطوان مران"¹.

وكان رد فعل السفير الفرنسي توجيه تنديد رسمي لدى الحكومة الليبيرية، غير أن ذلك التنديد قد رفض أصلا ، ونورد هنا أيضا تصريح أدلى به وزير الشؤون الخارجية لغانا السيد أكو أدجي² حيث قال " يجب أن نشعر فرنسا أن الضغط الأفريقي موجود ،... ، يجب أن نقول إن على الحرب أن تنتهي بالجزائر بالتفاوض المباشر بين فرنسا والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ليتم الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الحرية الاستقلال، لذلك علينا أن نوفر لهذا الشعب كل الدعم المادي الممكن...، وإذا لم تتوفر لدينا الأدوية علينا الذهاب إلى الأسواق العالمية الكبرى لشرائها وتوفيرها للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، يجب على كل واحد منا أن يبين أن نضال الشعب الجزائري هو نضاله... "³. لقد جسدت هذه المؤتمرات حشدا للطاقات الأفريقية الرسمية والشعبية وفرصة لاستغلال كل الإمكانيات لصالح القضية الجزائرية وحققت عدة نتائج إيجابية لصالحها ولعل أهمها التعريف بالقضية الجزائرية بصفتها قضية عادلة لشعب مضطهد، الحصول على الدعم المادي والمعنوي، وسيواصل الجزائريون نضالهم إلى غاية تحقيق الهدف الأسمى وهو الاستقلال ليظهر للعيان نجاعة العمل الداخلي والخارجي للمناضلين الجزائريين.

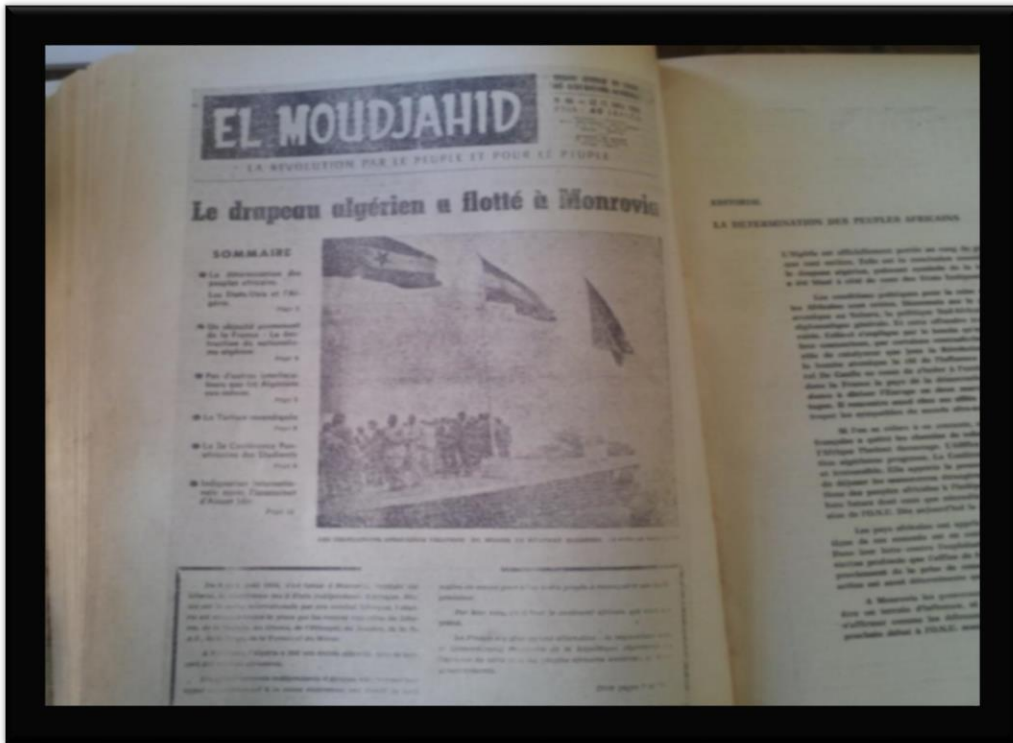
1 « Voici l'homme qui fera trembler l'ambassadeur de France ,Antoine Morand »

2 أكو أدجي وزير الشؤون الخارجية لغانا.2Ako Edji

3El Moudjahid, Organe Central Du Front De Libération Nationale, 19-09-1958 a

الخاتمة

من خلال دراستنا يبدو لنا أن مشاركة جبهة التحرير الوطني في المؤتمرات الأفريقية والأفروآسيوية كانت مشاركة فاعلة، وأكدت على أهمية التقارب العربي الأفريقي، ونقول في الأخير أن الدبلوماسية الجزائرية لعبت دورا بارزا إلى جانب الكفاح المسلح أثناء الثورة، كما تمكنت من كسر قيود الاستعمار وأعادت السيادة للجزائر.



المصدر:

Page d'El Moudjahid, Organe Central Du Front De Libération Nationale, 19-09-1958 a N 60,2

الحبيب بورقيبة ودوره في تدويل القضية الجزائرية

د/فاروق جياب

المركز الجامعي بركة - باتنة

مقدمة:

في إطار التضامن مع الثورة التحريرية الجزائرية ساهم الحبيب بورقيبة بشكل فعال في التعريف بالقضية الجزائرية على الساحة الدولية، وفضح جرائم الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري الأعزل الذي طالب بأهم بند في ميثاق هيئة الأمم المتحدة ألا وهو حق الشعوب في تقرير مصيرها، والجدير بالذكر أن الحبيب بورقيبة كان أول مسؤول سياسي تطرق إلى القضية الجزائرية في أروقة الأمم المتحدة وكان ذلك في أول دورة حضرها تونس، ونتيجة للتنسيق والتكامل الدبلوماسي بين جبهة التحرير الوطني وحكومة بورقيبة نجحت الثورة التحريرية الجزائرية في كسر أكبر حاجز فرنسي فرض عليها على الساحة السياسية الدولية وذلك باعتبارها قضية فرنسية داخلية، فأصبحت القضية الجزائرية قضية دولية، ورفعت إلى مجلس الأمن الدولي، وكان لها صدا واسعاً في الأوساط السياسية العالمية. هذه الجهود الدبلوماسية أدت إلى تغيير جذري في موقف المجتمع الدولي تجاه القضية الجزائرية، حتى في مواقف الدول الحليفة لفرنسا مثل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث صرح كاتب دولتها للخارجية السيد فوستر دلاس " إن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تعتبر قضية الجزائر مسألة عالمية..."، لقد واكب دعم بورقيبة الدبلوماسي في هيئة الأمم المتحدة نشاط حثيث على المستوى

الإقليمي والعالمي، واستغل معطيات الحرب الباردة ودور الاتحاد السوفيتي في دعم المد التحرري المتصاعد بين دول الجنوب.

كما تظن بورقيبة إلى أهمية الإعلام في تدويل القضية الجزائرية فكانت تصريحاته المنددة بالجرائم الفرنسية ومشروعية الكفاح الجزائري دائما ما تصدر الصحف والإذاعات المحلية والعالمية (رغم وجودها تحت وصاية الفرنسيين)، وفضح ازدواجية الموقف السياسي الفرنسي بين ما يدعيه من مثل عليا للديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة، وما تقترفه فرنسا من مجازر في حق الشعب الجزائري الأعزل، فيا ترى أين تجلت جهود بورقيبة الدبلوماسية في تدويل القضية الجزائرية، وهل كان هذا الدعم نابع من قناعة إيديولوجية ثابتة تجاه الثورة التحريرية الجزائرية، أم وليد مصلحة ظرفية عابرة ؟

1- استقلال تونس وتوجه بورقيبة نحو الساحة الدولية للتعريف بالقضية الجزائرية:

استرجعت تونس سيادتها من الاستعمار الفرنسي بعد توقيع بروتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956م، حيث استفادة الثورة الجزائرية من هذا الحدث وأصبح أحد أهم الروافد الداعمة لها في المجال الدبلوماسي، وتحركت الدبلوماسية التونسية لتحسيس الرأي العام العالمي والفرنسي بضرورة إيجاد حل سياسي عادل للقضية الجزائرية، وضرورة التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، والاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ويتضح ذلك من خلال موقف رئيس الحكومة التونسية الحبيب بورقيبة في خطاب ألقاه بمدينة القيروان يوم 30 أكتوبر 1955م أكد فيه على ضرورة مواصلة الكفاح التونسي حتى يتم التغلب على غلاة الاستعمار في الجزائر، وإخضاع الحكومة الفرنسية لصوت الحق وتقبل بحل سياسي وعاجل للقضية الجزائرية⁽¹⁾.

1- الحبيب ورقيبة، خطب الرئيس الحبيب بورقيبة، ج 11، تونس، 1974، ص 100.

ولتمتين التعاون الدبلوماسي بين جبهة التحرير الوطني وحكومة بورقيبة أرسل الرئيس بورقيبة إلى مصر عبد الجليل المهيري⁽¹⁾ لمقابلة قادة جبهة التحرير الوطني في شهر سبتمبر 1956م، حيث تم اللقاء مع أحمد بن بلة ومحمد خيضر ومحمد يزيد، وأبلغهم من خلاله رسالة من بورقيبة تفيد بأن تونس على أتم الاستعداد لتقديم جميع أنواع الدعم للجزائريين في كفاحهم ضد الطغيان الفرنسي، كما اقترح عليهم القدوم للانتصاب بتونس وتعيين ممثل رسمي للجبهة يحضرا بالإجماع، وأكد بورقيبة من خلال هذه الرسالة على ضرورة تنظيم ندوة مغربية لتنسيق المواقف الدبلوماسية وتصفية الاستعمار من أقطار المغرب العربي⁽²⁾.

ولتحسيس الرأي العام الفرنسي توجه الحبيب بورقيبة بالعديد من المقابلات والتصريحات نحو الصحافة الفرنسية، حيث أدلى بتصريح لجريدة "باري ماتش - Paris Match" في 17 فيفري 1956 أكد من خلاله على ضرورة تحمل الشعب الفرنسي لمسؤوليته التاريخية تجاه القضية الجزائرية، وحتمية تدخله للضغط على الحكومة الفرنسية من أجل التفاوض مع الممثل الشرعي للمقاومة في الجزائر ألا وهو جبهة التحرير الوطني⁽³⁾، كما شرح الحبيب بورقيبة أمام الرأي العام الفرنسي وفي لقاءاته المتعددة مع المسؤولين الفرنسيين البعد الحقيقي للثورة الجزائرية، حيث أنها قضية شرف إنساني وكرامة بشرية،

1- عبد الجليل المهيري: ولد بتونس العاصمة سنة 1927 ودرس في الصادقية التعليم الابتدائي والثانوي، ثم سافر إلى فرنسا لمواصلة تعليمه العالي، وانضم إلى الحزب الدستوري الجديد، وهو من أنصار الديوان السياسي (جناح بورقيبة في الحزب الحر الدستوري الجديد). حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج3، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 324.

2- حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج01، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 385.

3- جريدة العمل، ع 100، 18 فيفري 1956.

وهي أعمق بكثير من أن تعالج ببعض الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾، وأنه لا يمكن توقيف الحرب في الجزائر إلا بالاعتراف بالدولة الجزائرية المستقلة⁽²⁾.

كما كتب الحبيب بورقيبة مقالا مطولا في مجلة "دومان - Demin" الفرنسية الاشتراكية عن القضية الجزائرية لحشد الرأي العام الفرنسي ضد أساليب البطش والإرهاب المسطرة من طرف الحكومة الفرنسية على الشعب الجزائري الأعزل الذي كان ذنبه الوحيد هو المطالبة بحقه في تقرير مصيره⁽³⁾، كما توجه بحديث مطول إلى جريدة "التايمز - The Times" اللندنية لتعريف البريطانيين بالقضية الجزائرية وكسب تعاطفهم معها، كما أكد من خلاله أن المخرج الوحيد لهذه القضية هو تخلي فرنسا عن نزعتها العنصرية، واعترافها بالقومية الجزائرية وأن تتفاوض مع رجال الثورة وتسلم بواقع الدولة الجزائرية المستقلة⁽⁴⁾.

وفي إطار جهود بورقيبة لتوعية الرأي العام الفرنسي والعالمي بعدالة القضية التي يناضل من أجلها الشعب الجزائري، وبأهوال الاستعمار الفرنسي توجه بحديث صحفي لجريدة "لوفيغارو - Le Figaro" الفرنسية، حيث ناشد الرأي العام الفرنسي والعالمي بضرورة إدراك أن ما تقتتره فرنسا في الجزائر من أبشع الجرائم هو فضيحة في حق العالم الحر، وفي حق الكرامة الإنسانية المهدورة للملايين من أبناء الشعب الجزائري⁽⁵⁾، وفي تصريح آخر لجريدة "لوموند - Le Monde" أكد الحبيب بورقيبة أن الحكومة التونسية لا يمكنها

1- الحبيب بورقيبة، خطب الرئيس الحبيب بورقيبة، ج 11، ص 15.

2- نفسه، ص 20.

3- جريدة الصباح، مقال بورقيبة في مجلة "دومان"، ع 1307، 23 مارس 1956، ص 04.

4- نفسه، حديث بورقيبة لجريدة "التايمز"، ع 1038، 24 مارس 1956.

5- نفسه، حديث بورقيبة لجريدة "لوفيغارو"، ع 1336، 26 أبريل 1956.

أن تمنع المتطوعين التونسيين من الانخراط في صفوف الثورة الجزائرية، كما أكد أنه سيكون في صف الشعب الجزائري، ويتفق كل الاتفاق مع الرأي العام للشعب التونسي في تأييده للكفاح الجزائري⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن بورقيبة قد وظف خبرته الطويلة في مجال الصحافة والقانون، فركز على الجانب الإعلامي والصحفي لتدويل القضية الجزائرية وكسب تأييد الرأي العام الفرنسي والعالمي لصالحها، وذلك بشرح الأسباب والأهداف الحقيقية للثورة الجزائرية، وذلك بعيدا عن مغالطات وتعتيم الدبلوماسية الفرنسية والإعلام الفرنسي الرسمي، وفي هذا السياق استضاف بورقيبة العديد من الندوات الصحفية الدولية بتونس للتشهير بالممارسات الوحشية للمستعمر الفرنسي في حق المدنيين العزل مثل الندوة التي غطتها جريدة العمل⁽²⁾ التونسية يوم 01 أفريل 1956، حيث دحض بورقيبة من خلالها ادعاءات المحتل الفرنسي بالقضاء على الثورة وتطويقها⁽³⁾، كما أكد في ندوة أخرى غطتها جريدة الصباح⁽⁴⁾ التونسية يوم 02 ماي 1956 أن استقلال تونس والمغرب لن يكتمل

1- جريدة العمل، حوار صحفي لجريدة لوموند، ع 164، 03 ماي 1950.

2- جريدة العمل: جريدة سياسية إخبارية نصف أسبوعية، وهي لسان حال الحزب الحر الدستوري الجديد، أصدرت أول عدد لها يوم الفاتح جوان 1934، ومديرها تحريرها هو الحبيب بورقيبة، وكانت جريدة العمل رديفة لجريدة "لاكسيون - L'Acton" الناطقة باللغة الفرنسية والتي ظهرت قبل النسخة العربية، وتبنت جريدة العمل مطلب دعم الثورة والدعاية لها على مختلف الأصعدة، إلا أن هذه الجريدة تأثرت بشكل مباشر بتقلبات الموقف السياسي والدبلوماسي للرئيس الحبيب بورقيبة من الثورة التحريرية الجزائرية. بعد سنة 1955 أصبحت جريدة العمل جريدة يومية ولم تتوقف عن الصدور إلا في شهر مارس 1988، حيث عوضتها جريدة أخرى تحمل عنوان الحرية. حمدان محمد، مدخل إلى تاريخ الصحافة في تونس، معهد الصحافة والعلوم والأخبار، تونس، 1988، ص 346. ينظر كذلك كتاب لنفس المؤلف، دليل الدوريات الصادرة بالبلاد التونسية من سنة 1883 إلى 20 مارس 1956، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1989، ص 64.

3- جريدة العمل، ندوة صحفية لبورقيبة، ع 138، 01 أفريل 1956.

4- جريدة الصباح: جريدة يومية سياسية إخبارية جامعة وهي أول يومية إخبارية مستقلة، أصدرت أول عدد لها في 01 فيفري 1951 وهي تميل إيديولوجيا للأمانة العامة (جناح صالح بن يوسف في الحزب الحر =

إلا إذا عادت فرنسا إلى رشدّها واعترفت بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره (1).

وفي نفس السياق أدلى الحبيب بورقيبة بتصريح لإذاعة لوزان السويسرية أكد فيه أن الموقف التونسي الداعم للقضية الجزائرية لا يدعي الاستغراب لأنه نابع من علاقات روحية وجغرافية ضاربة في التاريخ، ويقوم على أسس مبادئ القانون الدولي وهي حق الشعوب في تقرير مصيرها وعلى أساس العدالة الإنسانية وحق الجزائريين في العيش بعزة وكرامة كبقية أمم العالم⁽²⁾، وفي هذا السياق وللتعريف بالقضية الجزائرية وتنوير الرأي العام الفرنسي وكسب أنصار ومؤيدين لها قررت الحكومة التونسية أن تبث عبر إذاعتها حصة "صوت الجزائر المجاهدة الشقية"⁽³⁾ رغم احتجاجات الحكومة الفرنسية⁽⁴⁾.

= (الدستوري الجديد)، ومديرها الحبيب شيخ روحه، كانت توزع جريدة الصباح بالجزائر وخاصة بمنطقة الشرق، كما ساهمت بشكل بارز في توعية التونسي وتحسيسه بالقضية الجزائرية، وكانت لجريدة الصباح مواقف مشرفة من الثورة الجزائرية من خلال الدعاية السياسية والإعلامية لصالحها والتشهير بجرائم الاستعمار الفرنسي والدفاع عن قضاي اللاجئين الجزائريين في تونس. جريدة الصباح التونسية، مقال بعنوان (الصباح تطفئ شمعها ال 64 صفحات من التاريخ)، العدد الصادر يوم الأحد 01 فيفري 2015. وينظر كذلك حمدان محمد، دليل الدوريات الصادرة بالبلاد التونسية من سنة 1883 إلى 20 مارس 1956، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1989، ص ص 84، 85.

1- جريدة الصباح، ندوة صحفية لرئيس الحكومة التونسي، ص 1340، 02 ماي 1956.

2- جريدة العمل، حديث بورقيبة لجريدة لوزان السويسرية، ع 212، 29 جوان 1956.

3- بدأ البث الحصة في إذاعة تونس سنة 1956، وكانت تذايع ثلاث مرات أسبوعيا، ومدة كل برنامج ربع ساعة، ويشمل أخبار عسكرية وتعليقات سياسية القصيرة ويبدأ وينتهي بالنشيد الوطني، وعلى إثر بث الحكومة التونسية لحصة صوت الجزائر، قدمت الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج بالسفارة التونسية في باريس بتاريخ 03 جويلية 1956، ولكن واجهت الحكومة التونسية هذا الاحتجاج بالرفض باعتبار أن هذه الحصة تتماشى مع موقف الحكومة التونسية والرأي العام التونسي فيما يحض القضية الجزائرية. ينظر جريدة الصباح، ع 1393، 05 جويلي 1956، إذاعة صوت الجزائر الحرة، ص ص 01، 02. وجريدة العمل، ع 217، 05 جويلية 1956، حصة الجزائر، ص 02.

4- الحبيبة بورقيبة، خطب، الحفاظ على كرامة الشعب فوق كل اعتبار، ص ص 169 - 178.

وخلال زيارة بورقيبة لفرنسا يوم 06 جويلية 1956 أقام حفل استقبال على شرف الجالية المغاربية، وأكد من خلاله وحدة التاريخ والمصير المشترك لشعوب المغرب العربي، واعتبر أن القضية الجزائرية هي كذلك قضية تونس، وأن استقلال التونسي منقوص ومهدد بالخطر ما لم تحقق الجزائر استقلالها، كما أكد أن أبواب السفارة التونسية بباريس مفتوحة أمام الجزائريين لإسماع صوت الثورة التحريرية الجزائرية، وطالبهم باستثمار الدعم التونسي والمغربي والرأي العام الفرنسي للضغط على الحكومة الفرنسية ودفعها للاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم، كما تحدث الحبيب بورقيبة مع رئيس الجمهورية الفرنسية "رينيه كوتي - René Coty" حول القضية الجزائرية، وأكد على الحل السلمي وضرورة الشروع في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني⁽¹⁾.

2- اختطاف طائفة الزعماء الجزائريين الخمسة 22 أكتوبر 1956م، والتصعيد في الخطاب الدبلوماسي البورقيبي:

في إطار المساعي السياسية لحل القضية الجزائرية اجتمع الحبيب بورقيبة يوم 07 سبتمبر 1956م بمدينة جنيف السويسرية بوفد من جبهة التحرير الوطني يضم كل من فرحات عباس وأحمد فرانسيس ومحمد يازيد وعبد الرحمن كيوان، وتم الاتفاق من خلال هذا الاجتماع على ضرورة الاعتراف الفرنسي بمبدأ الأمة الجزائرية، ورفض كل ماله صلة مع السيادة المزدوجة أو الفدرالية، والتوجه نحو مبدأ قيام دولة جزائرية مستقلة⁽²⁾، وبعد المحادثات سافر بورقيبة إلى باريس حيث استقبله يوم 19 سبتمبر 1956م رئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي - Guy Molly"، وتم التباحث حول الشرط الأساسي لجبهة التحرير

1- جريدة العمل، ع 219، 07 جويلية 1956.

2- جريدة الصباح، أحداث الاجتماع بين الرئيس الحبيب بورقيبة بوفد جبهة التحرير الوطني، ع 1453، 14 سبتمبر 1956.

الوطني من أجل الجلوس على طاولة المفاوضات ألا وهو الاعتراف بمبدأ الدولة الجزائرية المستقلة⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق خطط بورقيبة لإقامة ندوة ثلاثية بتونس يتم من خلالها التنسيق المحكم في المواقف الدبلوماسية بين تونس والمغرب وجبهة التحرير الوطني، حيث يتم من خلالها اقتراح حلول يتم بموجبها الاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم، كما يتم وضع حجر الأساس لوحدة منطقة شمال إفريقيا تحت المظلة الفرنسية⁽²⁾. تزامن التحضير لهذه الندوة مع اتصالات ومشاورات من الطرفين التونسي والمغربي مع ممثلين عن الحكومة الفرنسية والرأي العام الفرنسي بهدف التوصل لخطة مشتركة لإيقاف الحرب والدخول في مفاوضات⁽³⁾.

وقد وجه الملك المغرب محمد الخامس دعوة إلى لأعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني وتكون من أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد ومحمد خيضر والصحفي مصطفى الأشرف، وجرت محادثات تهدف إلى تليين موقف القادة الجزائريين لقبول مشروع وحدة شمال إفريقيا وتأسيس المغرب العربي الكبير في ظل السيادة الكاملة للجزائر، ولهذا سعت تونس والمغرب إلى حمل الطرفين الجزائري والفرنسي على تليين موقفهما والقبول بمبدأ الاستقلال في نطاق التكافل الفرنسي⁽⁴⁾.

ولحضور الاجتماع بتونس امتطى الوفد الجزائري طائرة من المغرب نحو تونس ولكن سلاح الجو الفرنسي اعترض الطائرة وأجبرها على النزول بمطار

1- نفسه، ع 1459، اجتماع بورقيبة برئيس الحكومة الفرنسية غي مولي، 21 سبتمبر 1956.

2- الحبيب بورقيبة، خطب، ج 11، مؤتمر تونس، 19 أكتوبر 1956، ص ص 23-28.

3- الحبيب بورقيبة، خطب، ج 11، مؤتمر تونس، 19 أكتوبر 1956، ص ص 23-28.

4- جريدة العمل، تصريح وزير الأخبار المغربي، ع 309، 22 أكتوبر 1956.

الجزائر وتم إلقاء القبض على أعضاء الوفد الجزائري، كانت هذه الحادثة تمثل بداية تحول جذري في المواقف الدبلوماسية لبورقيبة حيث أدان هذه العملية وعقد ندوة صحفية في تونس مساء يوم 23 أكتوبر 1956م شرح من خلالها ملابسات اختطاف الطائرة أمام الرأي العام العالمي، كما قام بورقيبة باستدعاء السفير الفرنسي بتونس " ألم دي لاسن" وأبلغه استنكاره وإدانته لهذه العملية الدنيئة، وفي الآن نفسه استقبل سفراء الدول الأجنبية بتونس وطلب منهم لفت أنظار حكوماتهم إلى العواقب الوخيمة التي ستنجج جراء مثل هذه العمليات، كما قام باستدعاء السفير الفرنسي مرة ثانية وأعلمه بالإجراءات المتخذة من طرف الحكومة التونسية، وعلى رأسها سحب السفير التونسي (محمد المصمودي)⁽¹⁾ من باريس، وتزويد سفير تونس بواشنطن ولندن (المنجي سليم والطبيب سليم)⁽²⁾، بجميع التعليمات

1- محمد المصمودي: سياسي ورجل دولة تونسي من مواليد منطقة الساحل في مدينة المهدية في 25 ماي 1925، تلقى تعليمه في المرحلة الأولى بالمعهد الصادقي بتونس، ثم توجه لمواصلة دراسته في فرنسا، وفي سنة 1954 عين وزيرا للدولة في حكومة الطاهر بن عمار، وفي سنة 1956 كلف بوزارة الاقتصاد الوطني، وبعد حصول تونس على استقلالها انضم المصمودي إلى الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد، كما تولى عدة مناصب في الحكومة التونسية وأبعد عن الحكم سنة 1965 بسبب انتقاده للحكم الفري لبورقيبة. عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية - طلبة الجامعات الفرنسية (1880 - 1956)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، 2006، ص 147.

2- الطبيب سليم: ولد في تونس العاصمة في 19 جانفي 1914 وهو شقيق المناضل المرحوم منجي سليم، درس بتونس العاصمة وأتقن عدة لغات خاصة الإنجليزية، وكان من ابرز تلاميذ معهد كارنو بتونس، شارك وهو ابن 16 سنة في مظاهرات صاخبة ضد المؤتمر الأفخارستي الذي أقيم سنة 1931 بتونس العاصمة، وألقي عليه القبض في العديد من المناسبات بسبب نشاطه الوطني، وبعد إطلاق سراحه التحق بفرنسا ليواصل دراسته بكلية الحقوق في باريس بين سنوات 1937 و 1939، ثم عاد إلى تونس إثر حوادث 09 أفريل 1938 ليصبح من أصغر أعضاء الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد، واصل الطبيب سليم نضاله لجمع كلمة التونسيين حول الثورة ضد المحتل الفرنسي وهذا ما عرضه للاعتقال مرة أخرى، وأفرج عنه في ديسمبر 1942 من طرف الجنرال (استيفا - ESTIVA) بتدخل من الملك المنصف باي، واصل الطبيب سليم نضاله متقلدا بين مختلف العواصم الأوربية حتى سنة 1946 أين استقر بالقاهرة بدعوة من الزعيم الحبيب بورقيبة، أين سعى رفقة رواد الحركات التحررية المغاربية إلى تأسيس مكتب المغرب العربي =

للقيام بمساعي حقيقية لدى هذه الدول لأن ثقة الحكومة التونسية أصبحت منعقدة في فرنسا⁽¹⁾.

وعقد بورقيبة ندوة صحفية بحضور ممثلين عن جبهة التحرير الوطني والاتحاد العام للعمال الجزائريين وصحفيين دوليين، وأكد من خلالها أن فرنسا لن تنجح في إفشال ندوة تونس بدسائسها ومكائدها، وأن أقطار المغرب العربي ستتوجه إلى تنسيق جهودها في الميدان مع الثورة التحريرية الجزائرية⁽²⁾، كما صرح أحمد فرانسيس في رسالته إلى بورقيبة بأن مثل هذه العملية لن تنتهي جبهة التحرير الوطني في مواصلة مسار تكوين الاتحاد الفيدرالي الشمال الإفريقي، باعتباره الحل الوحيد لمواجهة التعنت الفرنسي⁽³⁾.

3- جهود بورقيبة في تدويل القضية الجزائرية على مستوى هيئة الأمم المتحدة:

بعد اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين الخمس توجه بورقيبة للمطالبة بتدخل هيئة الأمم المتحدة في القضية الجزائرية، كما انتقد ازدواجية الخطاب الفرنسي وغموض موقفه السياسي تجاه الجزائر، وقد استغرب الحبيب بورقيبة تصريح رئيس الحكومة الفرنسية غي مولي "لا سلم تحت الاستبداد والإرهاب" وتساءل لماذا لا تطبق فرنسا هذا الشعار في حق الشعب الجزائري؟ أصبح تدخل

= يوم 15 فيفري 1957، كما أشرف المنجي سليم على فتحت عدة فروع لمكتب المغرب العربي في برين وباريس كما أشرف على إصدار الصحف والنشريات الناطقة عنها باللغتين الألمانية والفرنسية، وبعد الاستقلال كلف بالعديد من المهم الدبلوماسية. عادل بن يوسف، النخبة العصرية التونسية - طلبة الجامعات الفرنسية (1880 - 1956)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، 2006، ص ص 122 - 124.

1- جريدة العمل، اختطاف الوفد الجزائري، ع 311، 23 أكتوبر 1956.

2- جريدة العمل، البلاغ التونسي المغربي، ع 34، 24 أكتوبر 1956.

3- تصريح احمد فرانسيس لجريدة العمل، ع 556، 07 أوت 1957.

الأمم المتحدة بقواتها العسكرية خيارا حتميا في نظر بورقيبة لوضع حد لمجازر التي يرتكبها الجيش الفرنسي وغلاة المعمرين في الجزائريين⁽¹⁾.

وخلال زيارة الحبيب بورقيبة إلى الأمم المتحدة خلال شهر نوفمبر 1956 ألقى خطابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أدان من خلاله الجرائم الفرنسية المرتكبة في حق الشعب الجزائري الأعزل، لا ذنب له سوى أنه طالب بحقه الطبيعي في الاستقلال، وتساءل عن مصير ضمير التمدن والحضارة الذي تتغنى به فرنسا، وقد اقترح حلا يتكون من أربع مراحل:

- وقف إطلاق النار.
- إرسال قوة أمنية دولية.
- إرسال لجنة وساطة تسعى إلى البحث عن شروط وقف القتال.
- تأمين عملية وقف إطلاق النار والمرحلة الانتقالية من طرف قوات الأمن الدولي التابعة لهيئة الأمم المتحدة⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن الرئيس الحبيب بورقيبة كان أول من طرح القضية الجزائرية في أروقة الأمم المتحدة، وذلك بهدف تدويلها وإخراجها من حيز الثنائية⁽³⁾، حيث تحدث عن حرب الإبادة المنتهجة في الجزائر وانتقد سكوت العالم

1- الحبيب بورقيبة، خطب، الأمم المتحدة رسالة كبرى، 16 نوفمبر 1956، ص 112.

2- جريدة الصباح، خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة بالأمم المتحدة، ع 1513، 23 نوفمبر 1956.

3- الجدير بالذكر أن قيادة جبهة التحرير الوطني تعاملت بحذر شديد مع الموقف الدبلوماسي المتقلب لبورقيبة تجاه الثورة التحريرية الجزائرية، حيث طرح هذا الأخير العديد من المقترحات والمشاريع لدفع قيادة الثورة نحو القبول بالحلول الجزئية والسلمية، وأولها (مغربة السلام بدل مغربة الحرب) وتطبيق نموذج الاستقلال الذاتي التونسي في إطار التكامل والتعاون مع فرنسا، كما اقترح بورقيبة مشروع حلف غربي البحر الأبيض المتوسط ويشمل كل من (تونس والجزائر والمغرب وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا)، ويرعى هذا الحلف كل من أمريكا وبريطانيا، مؤكدا بأن الحلف سيكون وعاءا لحل الكثير من الأزمات والمشاكل وعلى رأسها المشكلة الجزائرية. واصل بورقيبة اقتراح الحلول وأبدا حماسا زائدا في غمرة الإغراءات الفرنسية والأمريكية، ومضى بعيدا في التجاوب مع مقترحات الإدارة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى إرساء مشروع الحكم الذاتي في=

تجاه هذه الجرائم، كما طالب بورقيبة الدول الغربية بأن تتصح حليفتها فرنسا بالاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم، لأنه حسب رأيه الحل الوحيد الذي سيخرج فرنسا من مأزقها في الجزائر⁽¹⁾.

وفي هذا الإطار طلب سفير التونسي في الأمم المتحدة المنجي سليم⁽²⁾ من اللجنة السياسية التأكيد على إعطاء الأولوية للقضية الجزائرية في دورتها

= جميع أقطار المغرب العربي، ووقع في متاهة التدخل في الشؤون الداخلية للثورة التحريرية الجزائرية وبلغت جرائته إلى أن بادر رئيس الوفد التونسي في جمعية الأمم المتحدة "الباهي لدغم" بالتصريح على لسان "أحمد يزيد" مندوب جبهة التحرير الوطني بالأمم المتحدة، بأن جبهة التحرير الوطني قد تخلت عن شرط الاعتراف بالاستقلال المسبق للجزائر من أجل الدخول في مفاوضات مع الاستعمار الفرنسي.

وقفت جبهة التحرير الوطني موقفا حازما تجاه التدخل التونسي وحتى المغربي في الشؤون الداخلية للثورة الجزائرية، خاصة بعد أن صرح رئيس الوفد التونسي في هيئة الأمم المتحدة السيد "الباهي لدغم" أن الوفدين التونسي والمغربي هما المتحدثين باسم جبهة التحرير الوطني، وهذا ما نستشفه من خلال رسالة العقيد محمود الشريف عضو لجنة التنسيق والتنفيذ إلى مندوب جبهة التحرير الوطني في الأمم المتحدة أحمد يازيد: (لا تنسى أن سياسة الدولتين الشقيقتين تونس ومراكش تقوم على إيجاد حلول مهما كانت، ولذا نلفت نظرك إلى أن التساهل حقا أنه جائز من الناحية التكتيكية، لكن ليس في الوقت الذي صار فيه العدو سواء من الناحية العسكرية والسياسية منتشبا بعدم قبول أي لين ويزداد تصلبه يوم بعد يوم...). للمزيد ينظر فؤاد سعد زغلول، عشت مع ثوار الجزائر، دار العلم للملايين، ببيروت، دت، ص ص 172، 173. بورقيبة بالقيروان يوم 04 جانفي 1957، الحبيب بورقيبة، من أقوال المجاهد الأكبر، المصدر السابق، ص 25. مراسلة لجنة التنسيق والتنفيذ (الفرع الدئم) إلى ممثلها بنيويورك محمد يازيد، علي زغود، ذاكرة الثورة التحريرية الجزائرية، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2004، ص 199.

1- جريدة العمل، في سبيل تعاون دولي، ع 373، 04 جانفي 1957.

2- المنجي سليم (1908-1969): ولد بتونس في عائلة من أصل يوناني في 15 سبتمبر 1908، زاول تعليمه بالمدرسة الصادقية بتونس ثم بكلية الحقوق بباريس حيث على الإجازة في الحقوق ونشط في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، انخرط مبكرا في النشاط الحزبي الدستوري، وقد القي عليه القبض بسبب هذا النشاط إثر أحداث أبريل 1938 واستمر سجنه حتى سنة 1943، انعقد مؤتمر الحزب في أكتوبر 1948 بمنزله، وقد أنتخب خلاله مديرا للحزب، أعتقل وسجن في العديد من المناسبات، وبعد إطلاق سراحه عين وزيرا في حكومة الطاهر بن عمار في أوت 1952، قاد الوفد التونسي في مفاوضات الحكم الذاتي، تولى عدة حقائب وزارية في حكومتي الطاهر بن عمار والحبيب بورقيبة، كما عين مندوبا لتونس لدى الأمم=

الحالية، كما توجه بمساع حثيثة لدى الوفود الإفريقية والآسيوية يوم 06 فيفري 1957 لتقديم لائحة مشتركة للجنة السياسية، وقد كللت بموافقة سبعة عشر وفداً، وأهم ما ورد هو الاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها طبقاً لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة⁽¹⁾.

وقد بذلت البعثة التونسية بقيادة الحبيب بورقيبة جهوداً معتبرة للتعريف بالقضية الجزائرية والتشهير بالجرائم الفرنسية، كما وجهت انتقاداً إلى اللائحة التي تقدمت بها دول أمريكا الجنوبية وإيطاليا المساندة لفرنسا في جرائمها المرتكبة بحق الشعب الجزائري، وتعنّتها وعدم الاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم وهذا تجاوز صارخ لأبرز مبادئ هيئة الأمم المتحدة، كما كان للبعثة الدبلوماسية التونسية دور بارز في تقديم التصريحات للصحفيين ومندوبي الإذاعات وتوزيع المناشير عليهم للتشهير بجرائم فرنسا بحق الشعب الجزائري⁽²⁾.

كما اتصل المندوب التونسي المنجي سليم بوفود أمريكا اللاتينية، وعقد اجتماعاً مشتركاً مع عشرين وفداً منهم، وألقى خطاباً يطلب الدعم منهم لحل القضية الجزائرية وفقاً لمبادئ وميثاق الأمم المتحدة، وهي نفس الجهود التي بذلها في لقاءاته مع سفير ألمانيا بالأمم المتحدة والسفير الأمريكي ونائب وزير الخارجية الكندية⁽³⁾، وفي نفس السياق تمكن المندوب التونسي في جمع الدول الأفرو آسيوية حول مسودة لمشروع استقلال الجزائر، وتم رفعها إلى مجلس الأمن الدولي وبالتالي كانت أول خطوة فعلية لكسر الحاجز الفرنسي حول

= المتحدة وسفيراً بواشنطن، وقد تم انتخابه في سبتمبر 1961 رئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة، أين كان له دور مهم في دعم وتدويل القضية الجزائرية، ثم عاد إلى تونس أين تولى عدة مسؤوليات حزبية وحكومية، إلى أن توفي سنة 1969. للمزيد ينظر حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص 331، 332.

1- جريدة الصباح، لائحة المبادرة الإفريقية الآسيوية، ع 1578، 07 فيفري 1957.

2- جريدة العمل، نشاط البعثة التونسية في أروقة هيئة الأمم المتحدة، ع 497، 29 ماي 1957.

3- جريدة العمل، مذكرة السفير التونسي إلى الأمين العام بالأمم المتحدة، ع 731، 28 فيفري 1958.

القضية الجزائرية باعتبارها قضية فرنسية داخلية، وقد سجل تغير في موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القضية الجزائرية، حيث صرح كاتب الدولة للخارجية الأمريكية "مستر فوستردلاس": (أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تعتبر قضية الجزائر مسألة عالمية)⁽¹⁾.

4- جهود بورقيبة في تدويل القضية الجزائرية على مستوى الدول الآفرو آسيوية:

توجه بورقيبة إلى التنسيق مع الدول العربية الشقيقة، خاصة المجاورة مثل ليبيا من أجل توحيد المواقف وتقديم مساعدة ملموسة وفعالية للثورة التحريرية الجزائرية، حيث صرح بورقيبة إثر زيارته إلى ليبيا " نظرنا في إمكانية القيام بعمل مشترك يرمي إلى الأخذ بيد شقيقتنا الجزائر في محنتها...وأردنا سلوك أقرب السبل وأنجعها لتخفيف المحنة التي يكابدها أشقاؤنا الجزائريون"⁽²⁾، وفي نفس الإطار اجتمع بورقيبة برئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم انطلاقا من 02 جانفي 1957 وأصدرا بلاغا مشتركا يؤكد أن الحل العادل يقتضي الاعتراف بحق الشعب الجزائري في السيادة والاستقلال وتقرير المصير⁽³⁾.

كما شاركت الحكومة التونسية أيضا في المؤتمر التضامن الإفريقي والآسيوي المنعقد بمصر حيث تم انتخاب لجنة خاصة بالقضية الجزائرية، وقد قدم الوفد التونسي في المؤتمر اقتراحات أهمها استحداث لجنة الجزائر وتدعيم وساطة الرئيس بورقيبة والملك محمد الخامس وإقامة يوم الجزائر في إفريقيا⁽⁴⁾، وفي ذات السياق اجتمع الرئيس بورقيبة مع الرئيس الإندونيسي في قصر

1- نفسه، تصريحات وزير الخارجية الأمريكي، ع 217، 12 فيفري 1958.

2- الحبيب بورقيبة، خطب، ج12، ص 289.

3- جريدة الصباح، ع 1552، 08 جانفي 1957.

4- جريدة العمل، مقترحات تونسية للمؤتمر الإفريقي الآسيوي، ع 689، 09 جانفي 1958.

الجمهورية بالمرسى حول القضية الجزائرية وأكدا على ضرورة دعمها على مستوى الأمم المتحدة⁽¹⁾.

أما على الصعيد الإفريقي فقام الرئيس بورقية بالعديد من الزيارات للعواصم الإفريقية للتأسيس وحشد الدعم الدبلوماسي الإفريقي لصالح القضية الجزائرية، كما استقبل العديد من ملوك ورؤساء الدول الإفريقية:

- زيارة بورقية إلى غانا لحضور عيد الاستقلال حيث ناقش مع المسؤولين الغانيين والوفود الحاضرة سبل تأمين الدعم الدبلوماسي لصالح الثورة التحريرية الجزائرية، وألقى في عاصمتها أكرا خطابا عن الجزائر وأكد على ضرورة الحل التفاوضي السلمي لقضيتها⁽²⁾.

- استقبال بورقية العديد من رؤساء الدول الإفريقية في تونس العاصمة، حيث اجتمع في مقر إقامته رفقة فرحات عباس وعبد الحميد مهري ولخضر بن طوبال وأحمد بومنجل برؤساء دول الكاميرون والنيجر والسنغال ودارت بينهم محادثات حول سبل تنسيق المواقف ودعم القضية الجزائرية على المستوى الدبلوماسي الخارجي.

- رفض الحكومة التونسية المشاركة في ندوة لاغوس بنيجيريا نهاية شهر جانفي 1961، لعدم توجيه دعوة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية⁽³⁾.

خاتمة:

يمكن القول من خلال تتبع مسيرة العلاقات الجزائرية - التونسية، أن الثورة التحريرية الجزائرية قد أكدت حضورها السياسي والعسكري في تونس، وهذا ما جعل بورقية يقف على حتمية الاعتراف بنشاط الثورة التحريرية الجزائرية

1- نفسه، ع 1408، 03 ماي 1960.

2- الحبيب بورقية، خطب، الدولة التونسية والسلام في العالم، 05 مارس 1957، ص 60.

3- جريدة العمل، ع 1579، 17 نوفمبر 1960.

داخل قاعدة تونس الإستراتيجية وتحمل تبعاتها، كما انعكس على موقفه الدبلوماسي تجاهها فتوجه نحو البحث عن حلول لمشاكلها المستعصية.

حاول بورقيبة من خلال سياسته وفي إطار تكتيكي تجاوز الضغوط بل الاستثمار فيها، من أجل حماية المكاسب المحققة لتونس، فعمل على الموازنة بين علاقة التعاون مع فرنسا وبين خيار التضامن مع الثورة التحريرية الجزائرية، وهذا ما يفسر تذبذب مواقفه الدبلوماسية تجاه الثورة التحريرية الجزائرية بين السرية والعلنية وبين التأييد والتنديد، ولكن رغم ذلك فإن قيادة الثورة تحلت بالرزانة والصبر في مواقفها السياسية والدبلوماسية وحتى بالنسبة لردودها العسكرية، وصمدت أمام كل المشاكل والضغوطات التي تعرضت لها خاصة في المناطق الحدودية.

سادت العلاقات بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية درجة عالية من التوتر مع قدوم الجمهورية الفرنسية الخامسة إلى الحكم، بحيث لم يستطع بورقيبة الصمود أمام سياسة الإغراء والتفرقة التي انتهجها الجنرال ديغول، والتي كانت تدفعه بصفة مستمرة للضغط على جبهة التحرير الوطني من أجل قبول بالحلول الجزئية والتجاوب مع مطامحه الوطنية القطرية، خاصة خلال مرحلة المفاوضات. من أجل تجاوز الأزمات الظرفية التي شهدتها جبهة التحرير الجزائرية في تونس، حذرت من مخاطر السياسة الديغولية، كما لجأت إلى التهذئة أمام التصعيد البورقيبي وإن كلفها ذلك تقديم بعض التنازلات الظرفية، وبذلت جهودا معتبرة لضبط الأوضاع على الحدود وتوفير الضمانات الكافية لطمانت بورقيبة، وإظهار المغرب العربي في صورة الكتلة الواحدة والمتماسكة.

رغم الاضطراب الذي ساد العلاقات بين الثورة التحريرية الجزائرية والحكومة التونسية من حين لآخر في تلك الظروف الصعبة، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر بأن تونس كانت قاعدة خلفية هامة للثورة الجزائرية، وأن الدعم

الرسمي والشعبي التونسي كان عاملا حاسما في استمرارية الثورة التحريرية والتعجيل بتحقيق الاستقلال.

المظاهرات الجماهيرية وأثرها على العمل الدبلوماسي للثورة للجزائرية:

مظاهرات ديسمبر 1960م أنموذجا

✍ د/ عبد القادر خليفني

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص:

تعالج هذه المساهمة العلمية المتواضعة الدور الذي لعبته حركة المظاهرات الجماهيرية لشهر ديسمبر 1960م بالجزائر، في تحطيم الدعاية الفرنسية عن ولاء السكان، والدفع القوية التي قدمتها لنشاط الحكومة المؤقتة في المجال الدعائي، والسياسي، والدبلوماسي على المستوى الدولي، بما قاد إلى تسريع ونيرة المفاوضات، انطلاقا من ترسيخ مبدأ الوحدة الشعبية، والتمثيلية الحصرية لجبهة التحرير الوطني. **الكلمات المفتاحية:** المظاهرات الشعبية - الحكومة المؤقتة - حركة الشارع - جبهة التحرير الوطني.

Résumé:

Cette modeste contribution scientifique aborde le rôle joué par le mouvement de manifestations de masse de décembre 1960 en Algérie dans la destruction de la propagande française concernant la loyauté de la population, et sa forte influence aux activités du gouvernement provisoire au niveau de la propagande, des politiques et de la diplomatie internationalement. Ce qui a évoqué l'avancement des négociations et de la consolidation du principe de l'unité populaire et de la représentation exclusive du Front de libération nationale.

les mots clés: Manifestations populaires - Gouvernement provisoire - Mouvement des rues - Front de libération nationale .

مقدمة

لقد أظهرت تطورات أحداث الثورة الجزائرية، تأخر اندفاع الجماهير إلى الساحات والميادين للتعبير عن موقفها العلني الرافض للحرب الاستعمارية

الدمرة، ودحض الدعاية الاستعمارية عن ولاء السكان، ولتأكيد تلاحمها مع جبهة التحرير الوطني في سعيها لبلوغ الأهداف المعلنة في بيان الفاتح نوفمبر 1954م، وقد جاء خروجها بشكل حاشد في العامين الأخيرين من عمر معركة الكفاح، إيذانا بتحول جديد في آليات الصراع مع المستعمر.

إن اجتياح الشارع من طرف الجماهير الجزائرية بكيفية حاشدة، وبانتشار جغرافي واسع عبر الوطن في شهر ديسمبر 1960م، قد أحدث زلزالا في المنظومة الدعائية الكولونيالية، التي أُلصقت بالمجاهدين منذ البداية نعوت الفلّاقة والخارجين عن القانون، وظلّت تروج بأن معركتها أمنية تجري مع أقلية متطرفة ومعزولة، تمارس إرهابا على المجموعتين الأوربية والمسلمة، تقف وراءها قوى معادية لفرنسا، وللغرب الديمقراطي عموما.

إن تحليل بعض جوانب تلك الانتفاضة، هو ما سينصب حوله جهدنا في هذه الورقة البحثية المتواضعة، حيث سنسعى إلى القيام بمقاربة تاريخية للإجابة عن تساؤلات مهمة منها، ما حقيقة الدور الذي لعبته هذه الحركة الجماهيرية في دحض الأكاذيب الفرنسية، وإسقاط مخطط الجنرال شارل ديغول؟ كيف أبرزت التقاف الشعب حول قيادته الثورية، وأكدت حصريّة تمثيلية ج ت ولرغباته وتطلعاته المشروعة؟ وإلى أي مدى ساهمت في تحريك عجلة التضامن العالمي الإعلامي والدبلوماسي والسياسي مع القضية الجزائرية؟ بما قاد في النهاية إلى ارتفاع مستويات الضغط على الحكومة الفرنسية، التي وجدت نفسها مكرهة على الدخول في مفاوضات مع الحكومة المؤقتة باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد، ومن ثمة الإقرار بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره والاستقلال.

1/ واقع الثورة السياسي والعسكري غداة تفجر مظاهرات ديسمبر 1960م.

من الثابت تاريخيا أن رهان مفجري ثورة أول نوفمبر قد ارتكز منذ البداية على البعد الجماهيري لتحقيق شمولية ونجاح المشروع الثوري، وقد كانت قناعة

الشهيد الرمز محمد العربي بن مهيدي راسخة عندما صدح بمقولته: " أرموا بالثورة إلى الشارع سيحتضنها الشعب "¹، كما توجه بيان فاتح نوفمبر إلى الجمهور الواسع، حيث دعا الجزائريين جميعا إلى الانخراط في المعركة المصيرية، فجاءت صياغة الدعوة على النحو الآتي: "إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة وواجبك هو أن تنظم إليها لإنقاذ وطننا، والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك"²، كما أكد البيان السياسي لمؤتمر الصومام على أن جبهة التحرير الوطني تمثل أداة نضال يتحتم عليها أن تكون قادرة على توجيه الموجات الواسعة من المواطنين، وهكذا وتحت عنوان (تحويل التيار الشعبي إلى طاقة خلاقة) جاء: " يجب أن تكون جبهة التحرير الوطني قادرة على توجيه الأمواج الهائلة التي تحرك الحماس الوطني لدى الأمة كما لا يجب أن تضع قوة الغضب الشعبي الجبارة، مثل ضياع قوة السيل الجارف في التراب، وحتى تتحول هذه القوة إلى طاقة جبارة، فقد قامت ج ت و بعمل كبير لتحريك ملايين الرجال، وهذا يعني ضرورة وجودنا في كل مكان ويجب تنظيم كل فروع النشاط الإنساني تحت أشكال عديدة "³.

كانت الأشهر التي سبقت تفجر مظاهرات ديسمبر مليئة بالتحركات والمناورات، فعلى صعيد المفاوضات، قبلت الحكومة المؤقتة عرض الجنرال

1 - عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، (شهادة) ترجمة موسى أشرشور وزينب قبي، ط2، منشورات الشهاب، الجزائر 2010م، ص 23.

2 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع الجزائر، 2012، ص 595.

3 - ميثاق مؤتمر الصومام الوثيقة السياسية الأولى للثورة الجزائرية، مجلة أول نوفمبر، العدد 51، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1981، ص 38.

ينظر أيضا: الأخضر بالظمين، " جبهة التحرير، وتعبئة الجماهير "، مجلة أول نوفمبر، العدد 68، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 01 نوفمبر 1984، ص ص 12-13.

ديغول الجديد بالتفاوض وذلك في شهر جوان 1960م على الرغم من الشروط القاسية التي حملها العرض، ومنها حظر الاتصال بالعالم الخارجي وبالوزراء المسجونين، ومع ذلك، فقد آلت مفاوضات مولان Melun خلال الفترة 25-29 جوان 1960م إلى الإخفاق، وصاحب ذلك استقبال الجنرال ديغول بباريس لمجلس الولاية الرابعة بقيادة سي صالح، دون علم الحكومة المؤقتة، وهي المسألة التي أصابت قيادات جيش التحرير الوطني بالإحباط ولعل ما عرضه آنذاك فرحات عباس في شهر أوت 1960م بصدد الوضع الداخلي يعطي صورة مذهلة عن هبوط معنويات الأوساط القيادية، حيث لخص الواقع القائم في الملاحظتين الآتيتين:

- الصعوبات البالغة بل استحالة اجتياز الحواجز التي أقامتها السلطات الاستعمارية على مستوى الحدود، لتغذية الثورة داخل التراب الوطني.
- بوجود مراكز المقاومة في وضعية لا تسمح لها بالتقدم نحو النصر، بل تمثل خطرا حقيقيا على استمرارها في البقاء طويلا، إذا لم تتعزز بإمدادات بشرية، ودعم مالي، وتأطير قيادي¹.
- وهكذا، صارت عزلة الداخل عن الخارج ملحوظة، وقد نتج عن ذلك إتاحة الفرصة للفرنسيين كي يسجلوا مكاسب مهمة على الصعيد الاقتصادي والإداري والاجتماعي، وقد جرى تفكيك البنية التحتية العضوية في المراكز المدنية، وغدت هذه البنية أكثر فأكثر انعداما في الأرياف، مما حدا بالبعض إلى القول إذا لم يكن الشعب مع فرنسا، فينبغي بالمقابل أن يكون المرء متفائلا كي يؤكد أنه مع الحكومة المؤقتة.

1 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983م، ص 227.

وبرأي محمد حربي، فإن جهاز جبهة التحرير الوطني، الذي أخذ في النظر إلى حاله في المرآة وطغت على تفكيره ورؤيته لإيجاد المخرج الوجوه العسكرية للنزاع، لم يدخل في حساباته العمل الشعبي كان للمعتدلين كما للراديكاليين رؤية مجردة للواقع، وكانوا يتصورون الشعب الجزائري ككتلة خارج إمكانية أن تمارس تلقائيا أي عمل يؤثر على مصيرها، وسوف تأخذهم على حين غرة تلك التظاهرات الوطنية الهائلة للجماهير المدنية التي بدأت في 10 ديسمبر 1960م¹.

والواقع، أن استجابة الشعب الجزائري لنداء جبهة التحرير منذ اندلاع الثورة سنة 1954م كانت تعني إدانته القوية للاستعمار وبشكل حاسم، فلم تؤثر فيه الأخطاء التي ارتكبها القادة، ولم ينل من تصميمه التنظيم الضعيف لقوى الثورة، ومحدودية إمكاناتها، وفي الوقت الذي كان في حوزة الجيش الفرنسي غداة اعتلاء ديغول مقاليد الحكم كل الوسائل لإخضاع جيش التحرير الوطني، كان المنظرون للتهدة يعتقدون أن الشعب الجزائري كتلة جامدة، وعديمة التأثير، يمكن التلاعب بها حسب الأهواء².

لقد أصيب جيش التحرير الوطني جديا خلال عامي 1959-1960م، إلا أنه أعاد مع ذلك تكوين قواه، وبفعل إرادة الحرية لدى الشعب الجزائري، لم يكن الجيش الفرنسي قادرا على تصفية جيش التحرير رغم تفوقه التقني والعدي، لكن هذا الأخير لم يكن أيضا بإمكانه تحقيق النصر، وأن هزيمة الإمبريالية ستكون سياسية، إذ أن الحكومة الفرنسية، لم تكن قادرة على الاستمرار في حرب لا تتوقف إلا لتتطلق من جديد دون رؤية اقتصادها يتلف، ونزعتها الإصلاحية الاستعمارية في إفريقيا تمنى بالفشل، فضلا عن ذلك، فإن الإصلاحات

1 - محمد حربي، المصدر السابق، ص ص 228-229.

2 - المصدر نفسه، ص 230.

السياسية والعسكرية التي تحاول تأخير استحقاق محتوم على المدى الطويل، كان يقضي عليها عمى الأوربيين والجيش، فلقد أفسد موقفهم من السكان الجزائريين كل فكرة للتعايش¹.

وتصب تحليلات محفوظ قداش في نفس الاتجاه، فقد تحدث على أن وضعية جبهة وجيش التحرير الوطني كانت حرجة يتهدها الإنهاك، كما أن مدينة الجزائر العاصمة كانت قد فقدت بريقها وأضحت مدينة مستضعفة، بسبب عمليات القمع الممنهجة التي طاولتها، ونجاح السلطات الفرنسية في تفكيك الشبكات الناشطة، مما أدى إلى اندثار المنظمة الثورية، ولم تفلح المحاولات التي تمت لإعادة وضع الجهاز السياسي والعسكري السابق على قدميه، ولذلك قررت الحكومة المؤقتة تكليف الولاية الرابعة بتنظيم منطقة العاصمة، التي أصبحت تعرف بالمنطقة السادسة، فقد كلف العقيد محمد بونعامة بعض ضباطه المطلعين على الوضع بالعاصمة بهذه المهمة، وقد كان من بينهم محمد بوسماحة، وروشاي بوعلام، وجدراوي سعيد، ولونيس محمد، الذين وجدوا الوضع في غاية الصعوبة، حيث لم يستطيعوا الاتصال إلا بعدد محدود من المناضلين. إن الهدوء الملحوظ على المدينة، بدا ظاهريا بأنه يعطي المصادقية لمنظري الربع ساعة الأخير كما كان يسود في المحيط المقرب من رجل الاليزي الأول، قناعة بأن المسلمين مالوا، أو سيميلون إلى أطروحات الجنرال، ووسط هذه الأجواء، جاءت المظاهرات الشبانية لتعطي نفسا جديدا للثورة².

وفيما يشبه استشراف حركة الجماهير الشعبية خلال شهر ديسمبر، يستوقفنا ذلك التصريح الذي أدلى به القيادي سعد دحلب ستة أشهر من قبل، فقد جاء

1 - المصدر نفسه، ص 231.

2 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص ص

في حديثه الذي أعقب فشل جولة المفاوضات بمدينة مولان في أواخر شهر جوان 1960م، إشارات تتعلق بالدور المحوري للجماهير في صنع معادلة الحل، نلمسها في قوله: " سنواصل مناوشتنا كل الوقت اللازم، إن الجيش الفرنسي يستطيع أن يقول بصفة جيدة أن عملية التهدئة أنجزت، والجنرال ديغول يتحدث عن قوة ثالثة، فإن الشعب الجزائري سوف لن يتأخر عن النزول إلى الشارع من جديد، ليظهر لأصدقائنا وأعدائنا أن الحرب متواصلة، وأن المجتمعات الجزائرية هي الشعب الجزائري الوحيد، وأن القوة السياسية والمحاور هما جبهة التحرير الوطني"¹، وهو ما يعطي الانطباع بأن قيادة الثورة في الخارج أو على الأقل بعضا من طاقمها لم تكن تحمل نظرة سلبية حول أهمية هذا الدور، ولم تكن ترى الجماهير كتلة جامدة، لا يمكن أن تذوب، فتتحول إلى سيل عرمرم، يأتي على جدار الاستعمار فيسحقه، مثلما ذهب إليه محمد حربي في تحليلاته.

2/ تقييم الفرنسيين لتأثير المظاهرات

إن المتنبع للتعاطي الفرنسي مع ردود الفعل الجزائرية يلحظ ذلك التجاهل المتعمد، وعدم الاعتراف بالحقائق القائمة على الأرض، لكن يبدو أن هذه المسلمة في سلوكيات المستعمرين قد اصطدمت بالجدار هذه المرة، فلم يكن هناك بد من التسليم بالآثر البالغ الذي أحدثته الانتفاضة الشعبية، ونلمس ذلك في العديد من التصريحات على مستويات مختلفة، فقد كتب آلان جاكوب Alain Jacob المبعوث الخاص لصحيفة Le Monde مقالا تحليليا نقل عبره تصريحاً لأحد الضباط ممن أسندت إليهم مهام ترويض الجزائريين، فكتب على وجه الخصوص: " قال لي أحد قادة المصالح الإدارية الخاصة SAS إنها دملة تنقيح بعد ست سنوات من الاحتقان "، ويضيف في موقع آخر: " هذا الازدهار

1 - شارل أنري فافرو، الثورة الجزائرية، ترجمة كابوية عبد الرحمن وسالم محمد، منشورات دحلب،

المفاجئ للأعلام الخضراء والبيضاء، هذه الجماهير الصادحة بشعارات جبهة التحرير الوطني، هذا الانفجار للمشاعر الشعبية بما لا يدع أي مجال للشك... كلها تكذيب للمزاعم الأساسية للدعاية الرسمية¹.

وفي مقال للسيد روني أندريو René Andrieu بعنوان (المسلمون يتطلعون للاستقلال) حملته صفحات جريدة لومانيتي l'Humanité الشيوعية جاء فيه: " لقد عبّر عموم المسلمين من دون لبس عن دعمهم لحركة التحرير الوطني...إن الغموض قد زال، فمن يستطيع أن ينكر من الآن فصاعدا أن الجماهير المسلمة تتطلع إلى الاستقلال، وتدعم الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية "،² وفي ذات الصدد، علّق السيد جيرارد بودال Gérard Bodel في صحيفة le Parisien Libre قائلا: " إن مظاهرات جموع المسلمين قد فككت خلال ساعات الأساس الذي يتكئ عليه الاستفتاء القادم(الجزائر الجزائرية) لن تكون الجزائر التي تختار الاتحاد مع فرنسا، بل ستكون جزائر فرحات عباس³."

إن مظاهرات ديسمبر 1960م التي جاءت ثلاث سنوات بعد معركة الجزائر، هي نهاية أسطورة الجزائر الفرنسية، وقبر لأكذوبة عودة السلام في المدن الكبرى، وحرقت لأسطوانة أن المعركة مع حفنة من المتمردين كما تم ترديده طيلة سنوات الحرب، فقد اعتبرها كثيرون، ومنهم ألبير بول لونتان Albert-

1 - محمد تقيّة، الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمآل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر 2010م، ص 516.

2- رمضان بورعدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962 سنوات الحسم والخلاص، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2012م، ص 394.

3 - المرجع نفسه، ص 395.

Paul Lentin ديان بيان فو سياسية ضد الدعاية الرسمية¹، وذهب أحد موظفي الحكومة العامة إلى القول: " لا حاجة لنا إلى استفتاء، فالمسلمون اليوم قرروا مصيرهم"².

ورأى اليسار الفرنسي من ناحيته، بأن المظاهرات الوطنية ذات الشعبية الواسعة جدا دليل على تمثيلية ج ت و، فبالنسبة للكنفدرالية العامة للشغل، فقد بيّنت الأحداث المأساوية الواقعة بالجزائر ببداية مدى عمق وقوة وقوف الجماهير الجزائرية إلى جانب حركة التحرير الوطني³.

حمل أحد التعليقات التي نشرتها صحيفة لوموند Le Monde ليوم 13 ديسمبر 1960م ما يصور الواقع الجديد الذي أفرزه الشارع، حيث جاء " الحقيقة أن سنوات التهذئة لم تحل شيئا، لا في العاصمة حيث كانوا يتباهون بالنجاح، ولا في سواها، فالحقيقة هي أن الرغبة التي تضطرب بها أعماق المسلمين، لا تلبّيها الجزائر الجزائرية كما يفهما ديغول، بل الجزائر المستقلة، وأنهم حتى حين يهتفون: الجزائر الجزائرية، فإنهم بالجزائر المستقلة يفكرون"⁴.

3/ أهمية المظاهرات في مسيرة الثورة التحريرية.

كتبت صحيفة المجاهد في ديسمبر 1960م بشأن تلك المظاهرات تقول: " إن الصفحات المولية كلها ليست كافية لتعكس الكثافة التاريخية والبطولة

1 - Alistair Horne, Histoire de la guerre d'Algérie, traduit par Yves du Guerny et Philippe Bourdrel, 4ed, Editions Dahleb, Alger, 2007, p 450

2 - محمد تقيّة، المصدر السابق، ص 518.

3 - نيل ماك ماستر وجيم هاوس، باريس 1961: الجزائريون وإرهاب الدولة والذاكرة، ترجمة أحمد بن

محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013، ص 311.

4 - محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961م، ترجمة علي الخش، ط2، دار الرائد للكتاب الجزائر، 2005م، ص 100.

الرائعة لتلك الأيام من ديسمبر"¹، وهو ما يعكس النفس الجديد الذي أعطته تلك الحركة للحكومة المؤقتة، التي كانت تعاني من التفكك في بنيتها، وخروج خلافاتها إلى السطح، فجاءت بردا وسلاما عليها، ومن ثمة، فقد اعتبرها البعض مفاجأة سارة لاسيما وأن كثيرا من أعضائها لم يكونوا يتوقعون ذلك المد الجماهيري الجارف.

لقد اعتبرها بن يوسف بن خدة منعرجا في مسيرة الثورة، وحدثا حاسما في تاريخ المعركة المسلحة فلقد أظهرت هذه الانتفاضات الشعبية العارمة روح الكفاح، والقدرات النضالية التي ظلت مرتفعة لدى الجماهير رغم الإرهاب البوليسي والعسكري، فأقنعت بالتالي ديغول بأن كل محاولة ترمي إلى فرض حل عسكري ستبقى بدون جدوى، كما كانت هذه الانتفاضات عاملا حاسما في تعجيل سير المفاوضات².

ويقول أحمد طالب الإبراهيمي، كان ينبغي انتظار اندلاع مظاهرات 11 ديسمبر 1960م لإبطال مناورات ديغول الخاصة بالجزائر الجزائرية بصفة نهائية، وإرغام الرجل على فتح مفاوضات مع ممثلي الحكومة المؤقتة، إن تلك المظاهرات دحضت بكثافتها، وعزيمة رجالها ونسائها، كل نظريات أولئك الذين يعتقدون أو يزعمون بأن الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني شيئان مختلفان³.

1 - Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN 1954-1962, Casbah Editions Alger, 2003 p 467.

2 - بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار ومحل العين جبائلي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص ص 19-20.

3 - أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، الجزء الأول: أحلام ومحن 1932-1965، دار القصة للنشر الجزائر، 2006م، ص 133.

وبالنسبة للمؤرخ يحي بوعزيز، فإن نتائج هذه المظاهرات كانت بالغة الأهمية، إذ اعتبرها بعث جديد للمقاومة على النطاق الشعبي الجماهيري في المدن والحوضر الجزائرية، التي كان الاستعمار يتبجح بأنه قضى عليها تماما، وأن الشعب أصبح صديقا حميما للسلطات الاستعمارية ولجيشها، والتي أصابها الغرور بفعل حالة الهدوء النسبي التي كانت تعم المدن الجزائرية خلال عامي 1959 و 1960م، مما جعل الخبراء النفسانيون يرددون أسطوانة انهيار نفوذ ج.ت.و. وفقدان ثقة السكان بها¹.

وذهب عبد الحفيظ أمقران، إلى التأكيد بأن حراك ديسمبر قد أمدّ الثورة بدم جديد، وعجلّ بنهاية الاستعمار في البلاد، ففي الوقت الذي اعتقد فيه الفرنسيون في السنوات الأخيرة من عمر الكفاح المسلح أنهم قد نجحوا في النيل من الإرادة الشعبية، بفعل عمليات القمع الممنهجة، جاءت أيام ديسمبر لتبرهن للعدو وللصديق على السواء، بأن كفاح الجماهير لا يقهر أبدا، ومثلت قمة الكفاح الجماهيري في الثورة المسلحة، وضربت العدو في مقتل، بقبر الأسطوانات المرددة عن التآخي والتهذئة، وقضت على كل آماله في استمالة أي فريق أو طائفة من شعبنا المكافح².

يصف جودي أتومي الشعور العام الذي خلفته الأحداث على قوات جيش التحرير بالقول: " وفي الجبال عشنا الحدث بابتهاج عارم، الجماهير رفعت شعارات ج ت و عبر كل مدن الوطن شيء لم يكن يصدق بالفعل...لأول مرة

1 - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، 1996م، ص 205. ينظر أيضا: يحي بوعزيز، " ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف دوعول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960 "، مجلة الأصالة، العدد 73-74، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، سبتمبر - أكتوبر 1979، ص 38.

2 - عبد الحفيظ أمقران، " في ذكرى 11 ديسمبر ثورة الجماهير الواعية "، مجلة أول نوفمبر، العدد 14، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، فيفري 1976م، ص ص 10-12.

إذن استعدنا الثقة في أنفسنا، وعدنا نؤمن بأن الاستقلال قريب، كانت مظاهرات 11 ديسمبر بالنسبة لنا تمثل لحظة ميلاد جديد، فالجماهير عبرت مرة أخرى وبشكل أقوى وأوضح عن إرادتها "،¹ ورأى بأن تلك المظاهرات قد قلبت الموازين، فمنذ ذلك التاريخ بدأ الخوف والحذر يتلاشى، وأصبح الناس يعبرون عن تمسكهم بجبهة التحرير الوطني بشكل علني، ومن جديد غيّر الخوف معسكره، ليستقر عند الأوربيين وعملاءهم،² وهو ما يشاطره علي كافي، الذي حيث تحدث عن الانعكاسات الإيجابية لهذه المظاهرات، والتأثير الحسن الذي تركته على الشعب بكيفية ليس له مثيل، مما منحه القوة الذاتية، والقدرة على المجاهرة بقول الحقيقة، وعمليا وضع شجاعته هذه في الميزان، حيث قاطع بصفة مثالية استفتاء 08 جانفي 1961م³.

ويصور فرحات عباس تلك المشاهد التي صنعتها الحركة الجماهيرية عندما يكتب: "ومن كل مكان في العاصمة من كل حي مجاور جاء الهتاف الرهيب المدوي: يحيا ديغول - يحيا فرحات عباس - تحيا الجزائر الجزائرية - يحيا الاستقلال - تحيا جبهة التحرير الوطني، وكان مشهد الأعلام البيضاء والخضراء يعرض رسالة بالغة العمق، كان مشهدا جديدا لم يحدث هذا الأمر في العاصمة من قبل، وكانت الزغاريد تدوي العاصمة طابعة بصمتها "。⁴

وبرأي مصطفى الأشرف، فإن أيام ديسمبر 1960م تنفي المزاعم القائلة بأن الجماهير الشعبية الجزائرية، قد اتخذت موقفا فاترا من قيادة الثورة السياسية

1 - جودي أتومي، العقيد عميروش أمام مفترق الطرق، ترجمة موسى أشرشور، ج2، منشورات ريم أتومي الجزائر، 2008، ص 213.

2 - المصدر نفسه، ص 213.

3 - علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011م، ص 238.

4 - فرحات عباس، تشريح حرب، ترجمة أحمد منور، el Musk editions، الجزائر، 2010م، ص 396.

والعسكرية، ورضخت لها على استكراه، فهذه المزاعم لا أساس لها من الصحة، بل بالعكس، فقد اعترفت الجماهير بالسلطة الثورية، وأخذت تعمل بتوجيهاتها، حتى ولو كانت الظروف قد منعتها أحيانا من الانخراط في نظام جبهة التحرير الوطني كما أن الحكومة المؤقتة، صارت من جهتها تستمد من هذا الرأي العام قوتها وصلابتها، وتستنبط المعايير التي على ضوءها توجه سياستها¹.

ومن جهتها، كتبت جريدة المجاهد أياما بعد توقف المظاهرات في افتتاحية لها بعنوان المفاجأة فتحدثت عن الأوهام التي عاشها الفرنسيون واقتنعوا بها، بعدما أقنعوا حلفاءهم بها من قبل، والتي تتلخص في أن معركتهم ليست مع الشعب الجزائري، وإنما هي مع عصابات المتمردين، وأن القضاء على هؤلاء " سيجعل الشعب الجزائري يقبل بكل صدقة من فتات الإصلاحات، تقدم إليه تحت ظل العلم الفرنسي، فيأكلها بشهية فرنسية، وهو يرقص على جثث الشهداء من أبنائه"².

وفي سياق متابعة ارتدادات الحركة الشعبية، تحدثت مذكرة صادرة عن مصالح الاستعلامات العامة الفرنسية مؤرخة في 28 جوان 1961م عن التأثيرات التي خلفتها المظاهرات الديسمبرية حيث أبرزت بأنها مثلت ثورة حقيقية لج ت و، التي وجدت طريقة أخرى أكثر فاعلية لبلورة الانتباه العالمي³. وبالنسبة لمحمد بجاوي، فإن جبهة التحرير الوطني قد استغنت الشعب بشأنها في مناسبات عديدة، حيث لقيت تعلقا بشعاراتها، لكن الجماهير انتهزت بنفسها مناسبات أخرى لتسجيل ولائها الواعي لأهداف الثورة الجزائرية، وفي هذا الصدد، فإن أيام ديسمبر

1 - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص 380.

2 - المجاهد، العدد 85، 19 ديسمبر 1960م، ص 2.

3 - Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, Le FLN Documents et Histoire 1954-1962 Casbah éditions, Alger, 2004 , p161.

1960م، وجانفي 1961م ستخلد لا في تاريخ الجزائر فحسب، بل في كراسات علم السياسة، إنها إذن أنقى شهادة على ولاء الشعب للحكومة المؤقتة، الذي أظهر مدا إنسانيا لم يفلح حتى الموت المحقق بأن يقف في طريقه¹.

4/ المظاهرات والإعلام العالمي

لقد أسهمت التغطية الإعلامية الواسعة التي قامت بها الصحافة الفرنسية المرافقة لديغول في زيارته في تسليط الأضواء بقوة على المظاهرات الشعبية، التي غدت مادة دسمة على مدار أيام عديدة شاركت في تحليل محتواها، وإبراز تفردا الصحافة الدولية، على غرار الصحافة الأمريكية والبريطانية والسويسرية، مما كان له الأثر الفعال في دفع الهيئة الأممية إلى جدولة القضية ومناقشتها للمرة السادسة².

فمن التعاليق التي ظهرت على أعمدة الصحف الأمريكية، ما كتبه جريدة New York Herald Tribune في مقال لها بتاريخ 13 ديسمبر، حيث ذكرت بأن الرأي القائل بأنه ليس ثمة إلا عصابة من المتمردين والمتعصبين تنادي بفكرة استقلال الجزائر، وأن غالبية المسلمين لا تحفل بهذا إن لم تكن ترى خلاف هذا الرأي، بات من الصعب الدفاع عنه، على ضوء النزاع الدامي في شوارع الجزائر³.

(وتحت عنوان) تدخل المسلمين المأساوي يقلب الموقف في الجزائر كتبت Gazette de Lausanne في يوم 12 ديسمبر 1960م، في باريس كما في الجزائر ينسبون إلى قلة من المحرضين الاضطرابات الإسلامية في العاصمة

1 - محمد بجاوي، المصدر السابق، ص 26.

2- أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962م، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 87.

3 - محمد بجاوي، المصدر السابق، ص 100.

ووهران، ولكنهم يوجسون قلقا من النتائج التي قد تترتب على الدماء المسفوكة خلالها " إن الشعب المسلم قد خرج من لامبالاته الظاهرة، بل أنه عبّر بصورة لم يسبق لها مثيل عن طموحه العميق إلى السلام...والولاء الذي يكنه لحركة التمرد"¹.

وعنونت جريدة La Tribune de Lausanne في عددها ليوم 12 ديسمبر (الرجعيون ينتحرون سياسيا، المسلمون سيصوتون لجبهة التحرير الوطني)، حيث كتبت " إن تعليقات الصحفيين مجمعة على أنه يوم يستشار المسلمون بحرية، فإنهم جميعا سيصوتون للاستقلال، ولا يقتضي إدراك هذا أن يكون المرء فقيها كبيرا، إن الفرنسيين يكتشفون اليوم بذهول حقيقة الوطنية الجزائرية"².

وتناولت الأحداث بالتحليل صحيفة The Economist البريطانية، ففي مقال لها بتاريخ 22 ديسمبر 1960م خلصت إلى التأكيد: " ربما يقول التاريخ أن 125 قتيلا الذين سقطوا في تلك الأيام قد تركوا أثرا أعمق من عشرات الآلاف الذين ماتوا في معارك الثورة"³.

وبالنسبة لجريدة المجاهد، فإن الشعب الجزائري بهذه المظاهرات، قد قضى على شبح كان ديغول يحاول أن يبعث فيه الحياة، ويطلق عليه اسم (الجزائر الجزائرية)، والجزائريون يعرفون أن هذا المخلوق الذي يريد ديغول أن يلدّه هو مخلوق غير جزائري، إنه لقيط لا يعترف به الشعب والشعب أراد أن يقتل هذا اللقيط قبل أن يولد، وإذا أصر ديغول على مواصلة سياسته، فإنه سيهلك في

1 - المصدر نفسه، ص 100.

2 - محمد بجاوي، المصدر السابق، ص ص 101-102.

3 - الجنيدى خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، ج 2، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 370.

المخاض¹.

5/ المظاهرات وصداها السياسي العالمي

خلفت المظاهرات أصداء كبيرة على الساحة العربية والعالمية، ففي بلدان المشرق العربي تعالت موجة التنديد بالجرائم الفرنسية، وتأييد الكفاح الجزائري، فكان أن شهدت مصر حملة إعلامية قوية وكان الأسبوع الذي تلا أحداث الجزائر مليئا بالنشاط الشعبي المؤيد لكفاح الشعب الجزائري، فقد أصدر شيخ الأزهر نداء إلى العالم قاطبة، طالب فيه بالتدخل للمحافظة على حقوق الإنسان في الجزائر، وأدى ممثلو الأقطار الإسلامية صلاة الغائب في الجامع الأزهر، وصاحب ذلك مظاهرات ضخمة وتجمعات شعبية، وعقد مجلس الأمة المصري اجتماعا دعا في ختامه البرلمانات والحكومات العربية إلى قطع علاقاتها مع فرنسا، وتأميم ممتلكاتها، وتعزيز الإعانة العربية الممنوحة إلى ج ت و وعرض التلفزيون المصري شريطا مصورا عن مظاهرات الجزائر وخصصت الكليات والمدارس الثانوية والابتدائية الدرس الأول ليوم 17 ديسمبر 1960م للحديث عن كفاح الشعب الجزائري.

وفي سوريا، قام طلاب المعاهد العلمية وأساتذتهم، ونقابات عدة قطاعات في مدينتي دمشق وحمص، بإرسال برقيات احتجاج إلى الأمم المتحدة، تطالب من خلالها بوضع حد لحرب الإبادة في الجزائر، كما انتظمت في مختلف المدن السورية مظاهرات شعبية كبرى، رفعت مطالب القطيعة مع فرنسا، ودعت إلى دعم غير مشروط وفوري للشعب الجزائري ماديا وسياسيا.

وفي العراق، انتظمت مظاهرة ضخمة في بغداد بتاريخ 20 ديسمبر 1960م، شارك فيها عشرات الآلاف من العمال والطلاب والنساء، حمل خلالها

المتظاهرون الأعلام الجزائرية، ورددوا أناشيد جبهة التحرير الوطني، ورفعوا لافتات منددة بالحلف الأطلسي، ومطالبة الأمة العربية بمقاطعة فرنسا¹.

وفي المغرب العربي، تعالت المواقف المؤيدة للجزائريين على المستويين الرسمي والشعبي ومن ذلك استدعاء الحكومة التونسية القائم بأعمال سفارة فرنسا لديها، وإبلاغه قلقها العميق حول الوضع بالجزائر، وعلى الصعيد المجتمعي، أصدرت المنظمات القومية التونسية المجتمعة بدعوة من الحزب الحر الدستوري، لائحة حيّت من خلالها في خشوع أرواح الشهداء الجزائريين، وشجبت العنصرية المقيتة التي أظهرها الفرنسيون جنودا ومعمرين² وبالمملكة المغربية أصدرت الحكومة بلاغا رسميا نددت من خلاله بعمليات القمع الوحشي المسلط على المدنيين الجزائريين العزل وقامت باستدعاء السفير الفرنسي، حيث قدمت له احتجاجا صارما ضد الاعتداءات الإجرامية المقترفة وعملت في سياق مواز على تحريك الاتصالات بالأمم المتحدة، للتعجيل باتخاذ قرار لصالح القضية الجزائرية، وألقى جلالة الملك خطابا بالإذاعة، أكد فيه بأن استقلال المغرب لن يتم ما لم تحصل الجزائر على استقلالها، وعلى المستوى الشعبي، قام الشباب والطلاب المغاربة بمظاهرات تضامنية مع الشعب الجزائري، ونظموا تجمعا أمام مقر السفارة الفرنسية، هاتفين بنشيد الثورة الجزائرية، ومطالبين بالقصاص من القتلة، وذات المشاهد عاشتها مدينة وجدة، ونشر الإتحاد المغربي للشغل بلاغا تنديديا ودعا إلى المشاركة الشعبية وإلى إرسال المتطوعين للانضمام إلى الكفاح الجزائري³.

1 - المجاهد، العدد 86، 02 جانفي 1961م، ص ص 6-7.

2 - المجاهد، العدد 85، 19 ديسمبر 1960م، ص 22.

3 - المصدر نفسه، ص 22.

وفي ليبيا، عاشت العاصمة والعديد من المدن على مدار يومين متتاليين 17 و 18 ديسمبر 1960م على وقع مظاهرات شعبية عارمة، شاركت فيها كل الفئات، عبّرت عن استنكارها القوي للجرائم الدموية التي ارتكبتها الفرنسيون، وبالموازاة مع حراك الشارع، قدمت الحكومة الليبية احتجاجا شديدا للهجة للسفير الفرنسي، ووجه رئيسها خطابا تحذيريا للفرنسيين وحلفائهم الغربيين من التماادي في الوقوف في وجه المطامع المشروعة للجزائريين¹.

وخارج الدائرة العربية، كان للأحداث صداها القوي أيضا، ففي تركيا، قامت مظاهرة ضخمة في إسطنبول، شارك فيها الآلاف من الطلبة، رفعت لافتات التأييد لاستقلال الجزائر وعاشت مدينة أزمير على وقع المظاهرات الشعبية والطلابية، التي نادت بتحرير الجزائر، وفي الهند، عقد السيد جواهر لال نهرو رئيس الحكومة الهندية ندوة صحفية في العاصمة نيودلهي بتاريخ 25 ديسمبر، أعلن فيها تأييده لكفاح الشعب الجزائري، واستنكار حرب الإبادة الكولونيالية موضحا أن الحل الوحيد الممكن للقضية يتمثل في استقلال الجزائر². وفي يوغسلافيا، تعاطت وسائل الإعلام في هذا البلد مع الأحداث، بتخصيص برامج حول الجزائر، وأبرق الماريشال تيتو برسالة مؤازرة إلى قيادة الثورة، ودعت حكومته هيئة الأمم إلى التدخل بسرعة لإجراء استفتاء تقرير المصير للشعب الجزائري، أما في الصين، فقد أصدرت السلطات بلاغا رسميا، ذكر بتطورات الحالة في البلاد، وركز على إفلاس السياسة الديغولية، ووجه نداء إلى البلدان الإفريقية والآسيوية وجميع الشعوب المحبة للسلام من أجل تأييد الكفاح الشرعي للجزائريين.

1 - المجاهد، العدد 86، 02 جانفي 1961م، ص 6.

2 - المجاهد، العدد 85، 19 ديسمبر 1960م، ص 22.

وفي الاتحاد السوفياتي، فقد استتكرت محطات الإذاعة والصحف جرائم الاستعمار الفرنسي وأذاعت وكالة " تاس " بيانا خاصا عن هذه الحوادث، أكدت فيه إيمان حكومة موسكو بأن هذه الجرائم الوحشية أكبر دليل على قرب نهاية الاستعمار الفرنسي بالجزائر، موضحة أن ساعة انتصار الشعب الجزائري قد دقت¹.

وفي فرنسا، لم يتأخر الطلاب عن إبداء موقفهم الشجاع مناصرة للكفاح العادل، فقد بعثت فروع اتحادات الطلبة التونسيين، والمغاربة، والأفارقة، والفييتاميين، وجمعية طلاب شمال إفريقيا رسالة مؤرخة في 19 ديسمبر 1960م، موجهة إلى رئيس الحكومة المؤقتة فرحات عباس، أعربوا خلالها عن وقوفهم الحازم وتضامنهم القوي مع الثورة الجزائرية، وفي جامعة غرونوبل أعلن الطلبة الجزائريون إضرابا من يوم 19 إلى يوم 22 ديسمبر 1960م حدادا على الشهداء، وسانداهم زملاؤهم من إفريقيا والفييتام، والمغرب، وتونس، وبعثوا برسائل إلى الأمين الأممي هامر شولد مطالبين بتدخله، ووجهوا برقيات تأسف لرؤساء وفود ساحل العاج، والنيجر، والسنغال، بعد الموقف المخزي الذي اتخذته هؤلاء بمناسبة التصويت على مشروع القرار الأفروأسيوي².

6/ المظاهرات في أروقة هيئة الأمم المتحدة

ودوليا جاءت المظاهرات وسط النقاش المحتدم في دوايب الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث جاء التكريس الرئيسي لحق الشعوب في تقرير مصيرها، في القرار رقم 1541 المؤرخ في 15 ديسمبر 1960م المتعلق بمنح الاستقلال للشعوب المستعمرة، فقد جاء فيه أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تعلن رسميا ضرورة وضع حد للاستعمار في جميع أشكاله ومظاهره، وبصورة عاجلة وبلا

1 - المصدر نفسه، ص 22.

2 - المجاهد، العدد 86، 02 جانفي 1961م، ص 7.

قيد ولا شرط وتصرح في هذا السبيل، بأنه من الملائم أن تتخذ التدابير الخاصة التي من شأنها في البلاد الموضوعة تحت الوصاية والبلاد غير المستقلة، وسائر البلاد التي لم تتل بعد استقلالها، أن تنتقل السلطة إلى شعوب هذه الأقطار، بلا أي شرط أو تحفظ، وفقا لإرادتها ولأمانيتها، وبدون أي تمييز للعرق أو الدين، أو للون البشرة¹.

لقد أعلن كريم بلقاسم بأنه سيعبر من على منصة مبنى مانهاتن في نيويورك عن رغبته في تحويل هتاف بلكور إلى نصر دبلوماسي حقيقي²، وبالفعل فعند استئناف أشغال الجمعية العامة يوم 12 ديسمبر، أخذت موجة الاستنكار تتو إلى، وعبرت وفود الكتلة الأفروأسيوية عن شديد تنديدها بالمجازر الوحشية المرتكبة، ويعود الفضل إلى الوزير محمد يزيد، الذي لعب دورا كبيرا في نقل صورة الوقائع، ودفع الوفود إلى التحرك رغم المحاولات اليائسة للوفد الفرنسي، لتكذيب الحقائق القائمة على الأرض، والتي تم تدعيمها بفرض الرقابة على تسرب الأخبار³.

كان من التدخلات البارزة، كلمة مندوب غينيا، الذي أكد " أن مبادئ ما يسمى بالعالم الحر قد ديست تحت الأقدام بالجزائر"، وانتقد سياسة ديغول التي برأيه تعتمد على السيطرة الاستعمارية بتوظيف الحكومات الإفريقية التابعة للمجموعة في طعن كفاح الجزائريين، وانتهى إلى أن أي حل لا يحقق هدف الثورة الجزائرية، يظل استعمارا يرمي إلى الاحتلال من جديد⁴. وتدخل ممثل المملكة المغربية في الولايات المتحدة السيد محمد بوسنة، الذي ألقى خطابا مما

1 - محمد بجاوي، المصدر السابق، ص 26.

2 - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 240.

3 - المجاهد، العدد 85، 19 ديسمبر 1960م، ص ص 20-21.

4 - المصدر نفسه، ص 20.

جاء فيه: "ليس من المعقول أو المنطق، أنه في وقت أصبحت فيه قضية السلام هي المحرك الرئيسي لجميع الشعوب، نجد حربا طاحنة تجري في الجزائر كانت هي العامل الحاسم في التعجيل بتصفية الاستعمار بإفريقيا... إن حرب الجزائر لا تهدد سكان الجزائر فقط، بل أن خطرهما يمتد إلى كامل أرجاء المغرب العربي".¹

وتحت عنوان "دوي القصة يوقظ النيام في الأمم المتحدة"، عرضت جريدة المجاهد الأجواء التي كانت تسير فيها المناقشات بالجمعية العامة، وتحركات الوفد الجزائري، ونقلت تصريحاً لمحمد يزيد عبر من خلاله عن الوضع القائم "إن جبال الأوراس، قد انتقلت اليوم إلى الأمم المتحدة، فها نحن جنود الجزائر الأحرار أمام جيش فرنسا، فهل تقذفون أنتم بمدافعكم على جنود الجزائر المكافحين وتقفون إلى جانب الجيش الاستعماري؟ إن الشعب الجزائري الذي ضحى بالكثير في سبيل الحرية ينتظر جوابكم".²

لقد أدت تلك المظاهرات إلى ترجيح كفة الثورة في الأمم المتحدة، إذ نالت أثناء الانتخاب حول تقرير المصير يوم 20 ديسمبر 1960م، ثلاثة وستين صوتاً مؤيداً، مقابل ثمانية أصوات معارضة وهي أصوات دول استعمارية وعنصرية، أو بلدان كانت في قبضة فرنسا، فيما امتنعت سبع وعشرون دولة عن التصويت،³ وتضمن القرار:

- الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ونيل الاستقلال.
- التأكيد على ضرورة الحصول على كل الضمانات التي تسمح له بتحقيق هذا

1 - محمد قنطاري، مظاهرات ديسمبر 1960 أسبابها وقائعها ونتائجها، مجلة المصادر، العدد 03،

المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2000، ص 49.

2 - المجاهد، العدد 85، 19 ديسمبر 1960م، ص 20.

3 - جودي أتومي، المصدر السابق، ص 213.

الهدف مع احترام سلامة الأراضي الجزائرية ووحدتها.

- تتولى الأمم المتحدة مسؤولية تطبيق حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره¹.

خاتمة

وصفوة القول إن مظاهرات ديسمبر 1960 قد جاءت في وقت بالغ الحساسية، حيث منحت جبهة التحرير الوطني بأجهزتها المختلفة وفي مقدمتها الحكومة المؤقتة جرعة الأكسجين الضرورية التي كانت تبحث عنها، وفرضت بشعاراتها المعلنة، وقوة مدّها الشعبي القضية الجزائرية إعلاميا وسياسيا ودبلوماسية على الصعيد العالمي، حتى عدّ الكثيرون هذه الانتفاضة الشعبية ميلادا جديدا للثورة.

لقد عجّلت بإنضاج الحل، وقضت على كل مخططات المستعمر والمتواطئين معه للالتفاف على المشروع الثوري وإجهاضه، وأظهرت بوضوح كيف أن الشعب يستطيع تحويل مجرى حركة التاريخ وهي المسألة التي يبدو أن قيادة الثورة قد استوعبتها جيدا، مما قادها إلى الاتكاء على حيوية هذا الدور والقيام بتفعيله في أكثر من مناسبة، لعل أبرزها، محطات الخامس جويلية، والسابع عشر أكتوبر والفاتح نوفمبر 1961م، والسابع والعشرون فيفري 1962م، حيث رسخت جميعها وبصفة قاطعة الوحدة الوطنية الشعبية والترايبية.

المحور الثالث

استراتيجية وأطر عمل الدبلوماسية الجزائرية

النشاط الدبلوماسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين 1956-1962

أ. د/ محمد السعيد عقيب

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي

مقدمة:

سعت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها في الفاتح نوفمبر 1954 لتوسيع نطاق نشاطها جغرافيا ليشمل كل أنحاء الوطن، وبشريا لتجنيد الشعب الجزائري بمختلف فئاته للانخراط في ركب الثورة، لأن احتضان الشعب لها يعتبر عاملا مهما من عوامل نجاحها وضمانة لاستمراره ويمثل قاعدة خلفية يركز عليها جيش وجبهة التحرير الوطني. ومن بين الفئات التي كافحت إلى جانب غيرها من فئات الشعب الجزائري فئة الطلبة، الذين التحق العديد منهم بالثورة والثوار منذ انطلاق الثورة، والتحق البعض الآخر منهم بعد إضراب 19 ماي 1956، ويمثل إنشاء المنظمة الخاصة بالطلبة الجزائريين: «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين»، إثر المؤتمر التأسيسي المنعقد بباريس 8-14 جويلية 1955 خطوة هامة لتأطير الطلبة وربطهم بقضيتهم الوطنية بصورة منظمة.

فأخذ الطلبة المنضمون تحت لواء الاتحاد على عاتقهم قضية وطنهم، وصار الاتحاد رافدا هاما من روافد جبهة التحرير الوطني، وقام الطلبة بالعديد من النشاطات مساهمة في الثورة التحريرية ودفعوا للقضية الجزائرية. ومن مجالات مساهمتهم ومنظمتهم المجال الدبلوماسي، حيث استطاع الاتحاد ربط علاقات مع مختلف المنظمات الطلابية الوطنية والعالمية، على اختلاف توجهاتها الإيديولوجية ومشاربها الثقافية، وانتماءاتها الفكرية، وحتى السياسية. خاصة في ظل الصراع الذي عرفه العالم عقب الحرب العالمية الثانية، والذي عرف بالحرب

الباردة. فكيف استطاع الاتحاد ربط تلك العلاقات؟ وما آلياته للتوفيق بين التوجهات المتناقضة للمنظمات الطلابية الدولية؟ وما هي أبرز المنظمات الطلابية التي تعامل معها الاتحاد، وما تأثير ذلك على القضية الجزائرية؟

مبادئ وأهداف الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في علاقاته مع المنظمات الوطنية والعالمية للطلبة:

اتبع الاتحاد في سبيل إرسائه لعلاقات على الصعيد العالمي سياسة مضبوطة، ومبادئ محددة، طبعت مسيرته، أكدها رئيس اللجنة التنفيذية له، في تقريره للمؤتمر الرابع، وحددها فيما يلي: «أولا: أننا نتعاون مع جميع المنظمات الطلابية، والشباب على أساس من الأخوة الصادقة، والمساواة بين جميع الاتحادات الوطنية.

ثانيا: أننا سنعمل بكل قوانا لمحاربة الاستعمار، ومساعدة البلاد التي تريد التخلص من أغلاله: وإننا نمد يدنا إلى كل المنظمات التي تعمل حسب هذا المبدأ، ونتعاون معها، وهذا ما جعلنا نبتعد عن بعض المنظمات التي لم توضح موقفها من الاستعمار، ومن حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

ثالثا: والمبدأ الثالث والأساسي هو الحياد الإيجابي لمنظمتنا، واستقلالها في الميدان العالمي، إذ كنا دائما نتجنب المشاكل الخاصة التي تؤدي إلى تقسيم العالم الطلابي إلى جبهتين، وكان رائدنا هو مبادئ ومصالح ثورتنا، والنضال التحرري للشعوب المستعمرة...»⁽¹⁾.

إضافة لهذه المبادئ، رسم الاتحاد لتحركه على هذا المستوى المذكورة أهدافا، يسعى لتحقيقها، وعلى رأسها: «إنجاح الثورة، وتعزيز مركزها في العالم،

(1)- مركز الأرشيف الوطني، رصيد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، التقرير الأدبي للمؤتمر الرابع

ل ا ع ط م ج، من 26 جويلية إلى 01 أوت 1960 بيئر الباي-تونس، العلبة/225، الملف/03، ص /

وكان العمل هو إفهام الرأي العام الطلابي حقيقة الثورة الجزائرية، والآلام التي يعيشها شعبنا من جراء هذه الحرب البشعة التي تهدده بالفناء، كما كان علينا أن ننبه المثقفين الذين يعرفون الوجه الحضاري لفرنسا إلى الوجه الاستعماري الذي يناقضه تماما»⁽¹⁾.

أما الهدف الثاني فقد تمثل في «إقناع العالم بأن بقاء الاستعمار، وسفك الدماء البريئة عامل مهدد للسلام العالمي، وبذلك كنا نرمي إلى توجيه النشاط الطلابي، إلى محاربة الاستعمار أينما كان، وتعبئته للقضاء على مخلفاته. والأخطار التي تكمن في وجوده»⁽²⁾.

والملاحظ أن هذه المبادئ والأهداف تعكس بوضوح الارتباط الكبير - إن لم نقل الكلي - مع الأهداف التي حددتها الثورة الجزائرية نفسها، وبينتها في بيان أول نوفمبر، الذي نص على: «... وغابتنا في الميدان الخارجي هي:

1 - تدويل القضية الجزائرية.

2 - تحقيق وحدة شمال إفريقيا في نطاقها الطبيعي العربي الإسلامي.

3 - وموقفنا في دائرة ميثاق هيئة الأمم المتحدة هو تأكيد تعاطفنا وتضامننا الفعال إزاء كل الأمم التي تؤكد كفاحنا التحرري.... ولبلوغ هذه الغاية ... ستقوم جبهة التحرير الوطني بعمل خارجي لجعل المشكل الجزائري واقعا مطروحا أمام العالم أجمع بتأييد جميع حلفائنا الطبيعيين»⁽³⁾.

وهكذا فإن ا.ع.ط.م.ج. كان منذ إنشائه يعمل وفق خطة مرسومة المعالم: «إن يعتبر تكوينه مشاركة جدية في مشروع الثورة التي يخوضها الشعب الجزائري من أجل التغيير الجذري للبنية الاستعمارية الموجودة بالجزائر... وذلك لأنه

(1)- نفس المصدر.

(2)- مركز الأرشيف الوطني، العلبة 225، الملف: 03، ص ص/13-14.

(3)- بيان أول نوفمبر 1954.

ارتبط بالثقافة العربية. الإسلامية، ولا يعني ذلك الرفض المطلق لأي ثقافة أخرى...»⁽¹⁾.

وهذه الخاصية التي اختارها مؤسسو الاتحاد انطلاقا من حرصهم على التمايز عن المنظمات الفرنسية الطلابية بالدرجة الأولى ولإظهار مدى تمسكهم بثوابت الشخصية الجزائرية، زيادة على هذا فإن الاتحاد: «قد استلهم مفاهيمه وأهدافه، ونشاطاته من متطلبات الثورة، وإن حياة الاتحاد تتدرج دوما في نطاق الحركة التحريرية التي جعلت كل الشعب الجزائري يثور بقيادة جبهة وجيش التحرير الوطني...»⁽²⁾.

2- علاقة الاتحاد بالاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين:

منذ تأسيس الاتحاد ع.ط.م.ج تكونت بينه وبين الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين علاقة تميزت بمراحل تبعا للمواقف التي تصدر اتجاه القضية الجزائرية، وعند انعقاد المؤتمر التأسيسي للاتحاد الجزائري حضر السيد: روبري شابوي ممثلا لتنظيمه وأكد: «...أن الطلبة الفرنسيين يرحبون بالمولود الجديد، ويرجون أن يعود الحدث بالفائدة على الطلبة الفرنسيين مهما كانت أصولهم، والطلبة المسلمين الجزائريين خاصة»⁽³⁾. ثم عبر عن: «إرادة صادقة في بحث حوار فعال من خلال احترام الحضارات والآراء الشخصية...»⁽⁴⁾.

إن انطلاقا من المبادئ والأهداف التي حددها الاتحاد لمسيرته أخذ يعمل لمعرفة مدى تجاوز المنظمات الأخرى مع طموحات وآمال الشعب الجزائري،

(1) ANDRE, Mandouze, **la Revolution Algérienne par les textes**; France, éditions d'aujourd'hui, Paris, 1961, P 14

(2) - مسعود آيت شعلال، " الحركة الطلابية الجزائرية في حرب التحرير"، مجلة أول نوفمبر، العدد 57، السنة 1982، ص 45.

(3) UNEF, **Le Syndicalisme Etudiant et Problème Algérien**, France, lille 1960; P 02

(4) - Idem ا.ع.ط.م.ج: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

ومنها الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين. وعندما نظم ا.ع.ط.م.ج. يوم 20 جانفي 1956 يوما للإضراب عن الطعام والدروس تضامنا مع الطلبة المعتقلين، وذلك بعد العديد من الرسائل والنداءات الاستكارية، والاحتجاجات عن وضعيتهم ووقوفا ضد سياسة العنف التي تتبعها فرنسا في الجزائر، بدأت تظهر مواقف منظمة الطلبة الفرنسيين إزاء ما يحدث بالجزائر.

ففي ذلك اليوم المذكور حدثت مواجهات بين الطلبة الجزائريين والشرطة الفرنسية من جهة، وبينهم وبين الطلبة الفرنسيين من جهة أخرى، ومن المدن التي شهدت هذا الحدث مدينة مونبيليه، إذ أعلن الفرع المحلي للاتحاد ع.ط.م.ج بها عن احتجاج وتظاهر تنديدا بالاعتقالات التي مست الطلبة ودعا في إعلاناته الرأي العام في مونبيليه إلى ندوة إعلامية حول المشكلة الجزائرية، وصادف أن تزامن ذلك مع نشاطات للطلبة الفرنسيين، مما أدى إلى توتر الوضع ومما زاد في حدته، التماطل في منح قاعة للطلبة الجزائريين للقيام بنشاطهم، مما أدى إلى انفجار المواجهة بين المنظمين الجزائريين والفرنسية.⁽¹⁾ وأظهر هذا التدخل للطلبة الفرنسيين بأنهم لا ينطلقون من موقف واضح اتجاه ما تعيشه الجزائر، وما يعانيه الطلبة الجزائريين، ورغم ذلك فإنهم وقفوا ضدهم، عندما قاموا بالتنديد بالسياسة الوحشية لفرنسا بالجزائر، وهذا الأمر سيشكل المعيار الحقيقي الذي يستحكم في علاقة المنظمين المذكورين.

زيادة عما حدث في مونبيليه بفرنسا فإن الجزائر كانت أيضا مسرحا لمواجهات بين الطلبة، وذلك إثر تعرض المنتمين منهم إلى ا.و.ط.ف والجمعية العامة للطلبة، ولجنة العمل الجامعي⁽²⁾ للأستاذ الفرنسي مندور، ومتعه من إلقاء

(1) - UNEF, OPCIT، P 4، وكذلك: عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة أول نوفمبر 1954،

الجزائر لأفوميك، 1986، ص 30 - 31. - ا.ع.ط.م.ج: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

(2) - ا.و.ط.ف: الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا.

دروسه في جامعة الجزائر، انطلاقا من اعتباره متعاطفا مع جبهة التحرير الوطني، ودليلهم على ذلك المقالات التي نشرها على صفحات مجلة - Les « Consciences Maghrébines - واحتوت هذه المقالات على تصريحات لعبان رمضان، موجهة لرئيس الحكومة الفرنسي منديس فرانس، كما أنه وجه نداء علنيا من قاعة التعاونية عنونه " تحية المقاومة الجزائرية للشعب الفرنسي ". وهذا يوم 28 جانفي 1956.⁽¹⁾ حدث هذا المنع للأستاذ مندوز إثر عودته من فرنسا يوم أول مارس من السنة المذكورة آنفا، حيث رفض ممثلو لجنة العمل الجامعي تدريسه في أي جامعة فرنسية، وحاولوا الاعتداء عليه، لكن طلبة ا.ع.ط.م.ج تكفلوا بحمايته من تهديداتهم، فحدثت يوم 6 مارس مشادات في حرم الجامعة بين الطرفين، وأدى ذلك إلى خروج الأستاذ بعد تعليق دروسه، ومغادرته الجزائر⁽²⁾.

إن هذه المواقف، والأحداث صارت توجي بأن الوضع داخل أسوار الجامعة بين الطلبة مرشح للتوتر بصورة أكبر مما حدث، نظرا لما عرف من تعصب لدى الطلبة أنصار الجزائر الفرنسية، مقابل تمسك الجزائريين بمبادئهم التي لا يمكنهم التنازل عنها أبدا، لكونهم حددوا أهداها على رأسها الاستقلال، وهو حق شرعي يجب عليهم العمل في سبيل تحقيقه.

-الجمعية العامة للطلبة بالجزائر AGEA وتأسست سنة 1883، وظهرت بصورة رسمية قانونية سنة 1885. وشملت الطلبة والتلاميذ من أبناء المعمرين وغيرهم، واستمرت حتى سنة 1962.

- لجنة العمل الجامعي: C.A.U - هي لجنة ضمت كل الطلبة الفرنسيين، وحتى بعض الأساتذة، وتساندها الإدارة الاستعمارية، وتميزت بعنصريتها، وعرفت الظهور بعد تأسيسها بكلية الحقوق وترأسها الأستاذ بوكي Bousquet - يوم 1 فيفري 1956.

-(1) André Mandouze, OPCIT, P 280.

-(2) - Alger Université, Avril 1956.

ولقد أعلن الطلبة الجزائريون تمسكهم بهذا الهدف إثر المؤتمر الثاني للاتحاد المنعقد ما بين 24 و 30 مارس 1956 بباريس. في لائحة المؤتمر، والتي حملت ما يلي: «إن المؤتمر يطالب بإعلان استقلال الجزائر، وتحرير جميع المساجين الوطنيين، والتفاوض مع جبهة التحرير الوطني»⁽¹⁾ وبهذا الموقف الجريء رداع ط م ج على السلطات الفرنسية من جهة، وعلى الطلبة الفرنسيين الرافضين الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال من جهة أخرى. وفي ظل هذه الظروف عقد اوط ف من جهته مؤتمره الخامس والأربعين من 5 إلى 9 أبريل 1956 بستراسبورغ، وافتتح هذا المؤتمر في جو من الانفعال خاصة من فرنسي الجزائر، الذين حضروه بنية مبنية قصد إحداث القطيعة مع اوط ج، ووضع حد نهائي لعلاقته مع اوط ف، ولذلك أصدر هذا المؤتمر قرارات تسير في هذا الاتجاه، حيث وافق المؤتمر على ما يلي: «... إن المؤتمر الخامس والأربعون للاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين، يؤكد إدانته للمواقف الوطنية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ويؤكد على ضرورة احترام الحريات الجامعية وأنه لن يدخر جهدا في مساندة مطالب الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين النقابية والمهنية»⁽²⁾.

من خلال ما صدر عن مؤتمر اوط ف يتضح بأن هذه المنظمة تتجنب اتخاذ موقف صريح إزاء ما يحدث في الجزائر من أعمال، وحاولت فصل ما يعيشه الطلبة عما يعيشه شعبهم لتسهيل فصل مشاعرهم، وإبعادهم عن مساندة الثورة ضد فرنسا. جاء هذا رغم أن اتحاد الطلبة الفرنسيين يتضمن ميثاقه العمل

(1)- المقاومة الجزائرية، العدد / 03. 1956/12/3. ص / 09.

(2)- UNEF, opcit, P 7.

على تحقيق "الحرية" و"التقدم"، و"مناهضة الاستعمار". إلا أنهم لم يتخذوا موقفا واضحا اتجاه الوضع في الجزائر⁽¹⁾.

ولذا عرفت العلاقة بين المنظمتين منحنى آخر بعد إعلان ا ع ط م ج عن الإضراب اللامحدود، ودعوة الطلبة إلى الالتحاق بصفوف الثورة، وهو الموقف الذي يعد تحديا أدى إلى بروز مواقف عدة، سواء من السلطات الفرنسية أو الطلبة بباريس عن قطع علاقاتها الودية مع ا ع ط م ج بداية من اليوم الموالي (29 ماي 1956)، وقد اجتمع مكتب: ا و ط ف ولم يتخذ موقفا مدعيا بأن ذلك سيكون عقب إكمال التقارير.⁽²⁾ هكذا كان موقف المنظمة الطلابية الفرنسية من إضراب ا ع ط م ج. وكان خاضعا للاتجاه السياسي.

وفي يوم الأحد 3 جوان 1956، وبعد الدورة الطارئة التي عقدها المجلس الإداري للاتحاد و.ط.ف، قرر قطع علاقاته مع ا ع ط م ج بحجة أن الظروف أجبرته على ذلك واشترط لعودتها، إدانة ا ع ط م ج للعنف، وأن تكون اهتماماته محددة في الإطار النقابي واعتبر هذا القرار مؤقتا، رغم أنه اتخذ بالإجماع من الأغلبية⁽³⁾.

بعد هذا القرار بذات العلاقة بين الطرفين تأخذ طابع التوتر. ورغم هذا فقد استمرت الاتصالات بينهما، حيث أنه وبتاريخ 13 جويلية 1956. وجه رئيس ا و ط ف ميشال دي لافورنيار... Michel de la Fournière رسالة إلى رئيس اللجنة التنفيذية لـ ا ع ط م ج دعاه فيها إلى مواصلة الاتصالات، واستعادة العلاقات الودية بين الطرفين. ولقد رد السيد ميلود بلهوان رئيس اللجنة التنفيذية لـ ا ع ط م ج عنها يوم 6 أوت من نفس السنة. موضحا في رده أن موقف

-(1)C.A.N - «Rapport Moral» présenté par: Messaoud Aït Chaalal IVème Congrès de l'UGEMA - 26 juillet - 1er Août 1960. Boite / 224, Dossier / 03.

-(2)UNEF, Opcit, P 14 - 15.

-(3) Ibid P / 16

الاتحاد ويأخذ في الاعتبار الآمال والطموحات الوطنية، وبين أن سبب توتر العلاقة هو موقف اوطاف من الاستعمار، والقضية الجزائرية خصوصا⁽¹⁾.
 إثر هذا الحدث ساد العلاقة نوعا من الركود، وأصبحت مرشحة بأن تشهد تطورات أخرى، انطلاقا من تمسك اوطاف بضرورة وضوح موقف اوطاف من القضية الجزائرية. ورغم هذا لم يقيم الطرف الفرنسي بهذا العمل. ومما زاد في مطالب الطرف الجزائري، اتساع نطاق الثورة داخليا وخارجيا، واستمرار السلطات الفرنسية في مواجهتها بصور بشعة. ومع حلول الموسم الدراسي 1956 - 1957 أعلن اوطاف عن تمسكه بمواصلة الإضراب اللامحدود، وعند اجتماع لجنته المديرية في العاشر من شهر ديسمبر 1956، طلبت من اوطاف إدانة واضحة لسياسة الحكومة الفرنسية بالجزائر، والتصريح بمراعاة المطامح الوطنية للشعب الجزائري، وإلا فإن الاتحاد سيقطع كل علاقاته مع اوطاف⁽²⁾.

ومما سبق يبدو واضحا، رغم إلحاح اوطاف على أن اوطاف لم يرد الخوض في القضية الجزائرية، وقد يكون ذلك بسبب الأعضاء المنتمين إليه وإن كانوا ليسوا أغلبية مطلقة وقد يفسر انطلاقا مما تمارسه السلطات الفرنسية على منظماتها الجماهيرية من سلطة لإبعاد أي سند، وأي موقف ضد سياستها من طرف الفرنسيين اتجاه القضية الجزائرية، خوفا من أبعاده وتأثيراته على الرأي العام الداخلي والخارجي.

ويوضح السيد مسعود آيت شعلال أسباب هذا الانقطاع في العلاقة، مبينا: «إن الأسباب التي أدت إلى قطع العلاقات بيننا وبين اتحاد طلاب فرنسا ترجع

(1) UNEF, Opcit P / 19 - 21.

(2) - مجلة الشباب الجزائري، العدد 14 - 15. أوت سبتمبر 1960، ص / 28. وكذلك التقرير الأدبي للمؤتمر الرابع (26 جويلية - 1 أوت 1960).

إلى عدم اتخاذ موقف من التصرفات العدائية التي كان بعض أعضائه يبديها تجاه اتحادنا وطلابنا، وإلى عدم اعترافه بشرعية مطالب شعبنا، وأخيرا إلى الاعتداءات التي قام بها بعض أفرادها على اتحادنا».

إن هذا الوضع الذي عرفته علاقة الطرفين، كان له أثر بالغ الأهمية على الطلبة الفرنسيين الأحرار المنتمين إلى الوطن وهو ما يظهر الدور الكبير الذي قام به الاتحاد الجزائري لإقناع الوسط الطلابي، سواء تعلق الأمر بالفرنسيين أو غيرهم من الطلبة الدارسين بالجامعات الفرنسية، وقد يكون هذا الأمر هو السبب الأساسي الذي كان وراء عودة العلاقة بين الطرفين لتشهد مرحلة أخرى تتميز بالتقارب، والمواقف الشجاعة للطرف الفرنسي.

وتعتبر هذه المرحلة الجديدة نتيجة طبيعية لتراجع الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين، وإقدامه على إصلاح ما بدر من خطأ، مبديا تفهما سليما للكفاح التحريري في الجزائر، وإدانة صريحة للحرب، بالإضافة إلى الدعوة للعمل من أجل استعادة السلم إلى ربوع الجزائر عن طريق التفاوض مع جبهة التحرير الوطني⁽¹⁾.

وبذلك كسب الاتحاد ع.ط.م.ج سندا آخر مهم يضاف إلى صف المهتمين بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، نظرا لقوة هذه المنظمة وكبر حجمها في أوساط الطلبة وقدرتها على التأثير في الرأي العام الفرنسي.

(1) C.A.N Rapports des G.P.R.A «Rapport sur les discussions UNEF - UGEMA à Lausanne le 6 juin 1960» Boit 75, Dossier 07.

- ظهر التقارب، وبوادر عودة العلاقة بين الطرفين بعد المحادثات واللقاءات التي جمعتها في ماي 1960، و6 جوان 1960، هذا الأخير الذي توج ببيان يدل على عودة العلاقة بينهما.

3- علاقة الاتحاد بالاتحاد العام للطلبة التونسيين، والاتحاد الوطني لطلبة المغرب:

مع بداية خمسينيات القرن العشرين تأسس في كل قطر مغاربي منظمة وطنية للطلبة، ورغم ذلك فإن التقارب ظل قائما بينهم، وحلم الوحدة ملازما لنضال عدد كبير منهم، وبقيت الفكرة الوحدوية موجودة كشعور وإحساس ارتقى في أحيان كثيرة إلى ميدان التجسيد، وكان من أبرز مظاهر المساعدات، والمساندة التي حظي بها الطلبة الجزائريون في كل من تونس والمغرب. وعندما نظم ا ع ط م ج أسبوعه التضامني مع الطلبة المعتقلين في سجون فرنسا في الفترة الممتدة من 14 إلى 10 نوفمبر 1957، فإن الاتحاد ع.ط.ت، اتخذ موقفا حازما وأعد برنامجا زاخرا بالأعمال⁽¹⁾.

وإثر حل الاتحاد من طرف السلطات الفرنسية وذلك في 28 جانفي 1958، سجل الاتحاد ع.ط.ت موقفه تجاه القضية، وأصدر بيانا أوضح فيه أن الطلبة التونسيين: «يلفتون نظر الحكومة الفرنسية إلى خطورة مثل هذا الصنيع الذي يشوه سمعة الجامعة الفرنسية ويمس بتقاليد الديمقراطية. وأنهم يعتبرون هذا القرار لا يؤثر على وجود الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين»⁽²⁾.

ولقد أصدر بهذه المناسبة بلاغا مشتركا مع الاتحاد الوطني للطلبة المغاربة، وكذا الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأعلن ذلك في ندوة صحفية عقدت يوم الأربعاء 30 جانفي 1958 تضمن تنديدا بتصرفات القوات الفرنسية.. وبالممارسات التي تمس الحقوق النقابية للطلبة، وبأمن طلبة الشمال الإفريقي في فرنسا⁽³⁾.

(1)- المجاهد، العدد 12، 15/11/1957، ص 09. ا.ع.ط.ت: الاتحاد العام للطلبة التونسيين.

(2)- المجاهد، العدد 17، 01/02/1958، ص 10.

(3)- المجاهد، العدد 18، 25/02/1958، ص 10.

وحينها صرح ممثل الطلبة التونسيين السيد: محمد العلاوي بأنهم: «...مقتنعون بأن الأهداف المقصودة من حل ا ع ط م ج هي إفشال تلك الإجراءات التي كانت نتيجتها يوم 01 جانفي 1958 بإنشاء الاتحاد الشمال إفريقي للطلبة الذي تم بتونس، ويؤكدون بأن هذا القرار لن يمس أبدا بوحدة حركة الشمال الإفريقي»⁽¹⁾.

وفي إطار دعم ومساندة ا.ع.ط.ت لقضية الجزائر عامة والطلبة خاصة، أصدر إثر انعقاد مؤتمره الثامن من 8 إلى 13 أوت 1960 بتونس، لائحة خاصة بالجزائر تضمنت: «أن المؤتمر الثامن للاتحاد العام لطلبة تونس يحيي الشعب الجزائري الباسل... ويندد بحرب الإبادة التي يشنها الاستعمار الفرنسي بمساعدة حلفائه أعضاء الحلف الأطلسي ضد المجاهدين الجزائريين، ويرى بأن مبدأ تقرير المصير الذي اعترف به للشعب الجزائري، والذي كان ثمرة جهاد ست سنوات يمثل قاعدة لحل عادل للمشكلة الجزائرية، ويعتقد أن تطبيق تقرير المصير تطبيقا نزيها يؤدي حتما إلى استقلال الشعب الجزائري»⁽²⁾.

ومن خلالها أعاد التأكيد على أنه: «يستكر أشد الاستنكار تنفيذ أحكام الإعدام المتكررة على المجاهدين الجزائريين... ولا يعترف إلا للحكومة الجزائرية المؤقتة بحق التفاوض باسم الشعب الجزائري، ويطلب من جميع طلبة العالم أن يعملوا لدى حكوماتهم حتى تعترف بالحكومة الجزائرية...»⁽³⁾.

-(1) Le Monde, N° 4051, 31/01/1958, P 03.

-(2) - المجاهد، العدد 75، 1960/08/22، ص 02.

-(3) - نفس المصدر.

إضافة إلى هذا العمل الذي كان يقوم به الاتحاد التونسي، فقد نظم اجتماعا مع عدد من المنظمات التونسية يوم الخامس جويلية 1961⁽¹⁾. تضامنا مع الحكومة الجزائرية، التي أعلنت هذا اليوم يوما وطنيا ضد التقسيم، بغية الخروج بموقف واحد إزاء الخطة التي رسمتها فرنسا لتقسيم الوحدة الترابية للجزائر.

وتم هذا الاجتماع بمقر الحزب الدستوري التونسي، وبعد استعراضهم لتطورات القضية الجزائرية، وتتبعهم لتصريحات مسؤولي الحكومة الفرنسية الهادفة إلى تقسيم الجزائر، خرجوا بلائحة تضمنت نقاطا أربعا كالتالي: «1 - استنكار الخطة الجنوبية التي ينوي المسؤولون الفرنسيون تطبيقها لحل القضية الجزائرية بواسطة التقسيم.

2 - يعتبرون أن كل محاولة لتقسيم الوطن الجزائري تشكل خطرا على القطر الجزائري الشقيق، وعلى المغرب العربي، وعلى الأمم الإفريقية وسائر أنحاء العالم، وفي التاريخ الحديث عدة حالات للتقسيم أدت إلى إحداث مناطق اضطراب دولية، وعدم استقرار.

3 - يؤيدون موقف الحكومة الجزائرية المؤقتة، والشعب الجزائري المناضل في سبيل وحدة التراب الجزائري وسلامته.

4 - يحيون من جديد، وبإجلال أرواح شهداء الكفاح الجزائري في سبيل الحرية، والاستقلال»⁽²⁾.

ومن مظاهر هذا التضامن والتنسيق المتبادل في المواقف إزاء أي حدث بإحدى البلدين، فكما وقفت المنظمات التونسية بجانب الجزائر، نجد أن

(1)- وكانت هذه المنظمات هي: الحزب الحر الدستوري التونسي. الاتحاد العام التونسي للشغل - الاتحاد القومي للصناعة والتجارة - الاتحاد القومي النسائي التونسي - الاتحاد العام للطلبة التونسيين - الكشافة التونسية.

(2)- المجاهد، العدد / 100، 1961/07/17. ص/09.

المنظمات الجزائرية فعلت هذا أيضا إثر أحداث بنزرت، حينما قامت القوات الفرنسية بقنبلة المدينة عندما صمم التونسيون على استرجاعها، وذلك بداية من يوم 19 جويلية 1961.

إثر هذه الأحداث العدوانية على سيادة تونس، سارعت المنظمات الجزائرية⁽¹⁾ إلى تسجيل موقفها وأكدت للشعب التونسي وحكومته تضامنها الأخوي، ومساندتها للكفاح من أجل إجلاء القوات الفرنسية عن بنزرت، واعتبرت هذا الكفاح من كفاحها، وبينت أنها مستعدة لتقديم التضحية في سبيل التحرر الكامل لشعوب شمال إفريقيا، وتحقيق المغرب العربي الموحد⁽²⁾.

بهذه المواقف التضامنية بين الطرفين أثبت كل من ا ع ط م ج واتحاد طلبة تونس عن توطد العلاقة بينهما وترسخها من جهة، ومدى تجاوبهما مع الأحداث التي يعيشها كل البلدين من جهة أخرى، ولم يكن هذا غريبا خاصة وأن التقارب كان حاصل من قبل وأعيد بعثه بإنشاء الجامعة الشمال إفريقية للطلبة.

أما بالنسبة للاتحاد الوطني للطلبة المغرب فإن علاقاته مع ا ع ط م ج كانت متميزة إذ أنه، كلما وقعت أحداث على صعيد كل دولة - وما يمس الطلبة بالخصوص - سواء كان الموقف: تضامنا ومساندة، أو احتجاجا وتنديدا، بما تستعمله السلطة الفرنسية من أساليب وسياسة قمعية. ومن جملة المواقف الشاهدة على العلاقة الحسنة بين الطرفين تلك الحملة التضامنية التي نظمت بينهما، إثر قرار حل ا ع ط م ج. ولقد تحدث تقرير لفرع ا ع ط م ج بالرباط عن هذا متعرضا للنشاط المقام كالتالي: «... قمنا رفقة إخواننا الطلبة المغاربة... بحملات تضامن فعال وأخوي، إزاء قرار حل اتحادنا ونظمنا داخل الحرم

(1)- المنظمات التي عبرت عن موقفها مجتمعة هي: - الاتحاد العام للعمال الجزائريين الاتحاد العام

للطلبة المسلمين الجزائريين - اتحاد النساء الجزائريات - الشباب الجزائري.

(2)- المجاهد، العدد/101، 1961/07/3 ص/10.

الجامعي يوما للإضراب، وتبعته احتجاجات كبيرة، أمام سفارة فرنسا بالرباط»⁽¹⁾. وبعد هذه الحركة الاحتجاجية تم تنظيم أسبوع تضامني مع الطلبة الجزائريين، ومما التي تضمنه هذا الأسبوع أنه «... شرع بالتنسيق مع ا.و.ط.م ... في تنظيم تجمع كبير بجامعة العلوم بالرباط، حضره الكثير من الشخصيات الجزائرية والمغربية»⁽²⁾.

ولقد رافق هذا التحرك الطلابي تحركا للحكومة المغربية، إذ قام وزير خارجيتها باتصالات لدى الحكومة الفرنسية عندما حلت ا ع ط م ج، وأبلغها الاحتجاج المغربي على الأعمال التعسفية ضد منظمة طلابية⁽³⁾. وفي ظل هذه الأحداث عقد ا و ط م مؤتمرا من 25 إلى 31 جويلية 1958. حضره عن الجزائر ممثلان واحد عن اللجنة التنفيذية ل ا ع ط م ج هو الطالب "قارة علي"، وآخر عن فرع الرباط، وهو الطالب "بالعربية"، وفي كلمة لهما وجهها الشكر لوزارة التربية والحكومة المغربية والاتحاد المغربي على اهتمامهم، ومساعدتهم للطلبة الجزائريين⁽⁴⁾. ومن الجدير بالذكر أن التنسيق بين الاتحادات الطلابية الثلاث لكل من: تونس، الجزائر، المغرب، أدى إلى إنشاء "كونفدرالية شمال إفريقيا للطلبة"⁽⁵⁾. التي جاء في قانونها الأساسي: ((...إن وحدة الشمال الإفريقي حقيقة

(1) C.A.N "Rapport Moral" Section de Rabat. Boite / 300. Doss / III.

(2) C.A. N "Rapport Moral" Section de Rabat. Boite / 300. Doss / III. ا.و.ط.م.

الاتحاد الوطني لطلبة المغرب.

(3) - المجاهد، العدد/18. ص 10/

(4) - المجاهد، العدد/75، 1960/08/22. ص/02. والتقرير الأدبي لفرع الرباط.

(5) - جاء تأسيس هذه الكونفدرالية، بعد اجتماعات تنسيقية حضرها ممثلو اللجان التنفيذية لكل اتحاد. وتم

الإعلان عن تأسيسها رسميا بعد المؤتمر المنعقد بتونس من 31 ديسمبر 1957 إلى 2 جانفي

1958. حضره عن اللجنة التنفيذية للاتحاد: آيت شعلال جلول بغلي - الطاهر حمدي. للمزيد ينظر:

محمد السعيد عقيب، "كونفدرالية شمال إفريقيا للطلبة: تأسيسها ونشاطها"، مجلة المعارف، العدد 08،

نوفمبر 2016، ص ص 12-30.

طبيعية وتاريخية، ورغم الحواجز الاصطناعية المتميزة حاليا، فإن شعبنا لم يكن إلا واحدا في حضارته وثقافته، وينتظره نفس المصير...»⁽¹⁾.

وقامت هذه المنظمة الجديدة بنشاط معتبر فإثر حل - ا.ع. ط. م.ج - كان ردها سريعا وتجسد في بلاغ تضمن ما يلي: «إن حل اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين وإيقاف مسيريه، في الوقت الذي يعلن فيه تأسيس الجامعة الشمال إفريقية للطلبة يرمي إلى خلق صعوبات في وجه الاتحاد الشمال إفريقي، ويعتبر مساسا بكرامة الطلبة المغاربة والتونسيين. أجل إن هذا التعسف ليس إلا انفعالا وردا على بروز الجامعة الطالبة الشمال إفريقية إلى الوجود...»⁽²⁾.

ونظمت احتجاجا على القرار المذكور ومظاهرات يوم الثلاثاء 4 فيفري 1958 وذلك بالحي اللاتيني، انطلقت من ساحة السربون (فرنسا). وحضرها أكثر من ألفي طالب وطالبة بمشاركة 16 منظمة طلابية. وفي يوم الجمعة 7 فيفري 1958، عقد اجتماعا بقاعة الجمعيات العلمية بباريس، حضره ما يزيد عن 700 شخص من طلبة وأساتذة، للاحتجاج على قرار الحكومة الفرنسية والمطالبة بالإفراج عن المعتقلين⁽³⁾.

إضافة إلى هذا فإنها طلبت من الكتابة العامة للجنة التنسيق بين الاتحادات الوطنية الغربية للطلبة، عقد ندوة طارئة لمعالجة قضية حل ا.ع. ط. م.ج. والمشاكل الناتجة عنه، وتم ذلك بعقد ندوة بلندن يومي 17 و 18 أبريل 1958. حضرها ممثلين عن 23 اتحادا وطنيا قدموا من أوروبا وأمريكا، وأعربت القرارات المتخذة بكل وضوح وقوة عن عطف العالم الطلابي ومؤازرته الفعالة للطلبة

(1)- التقرير الأدبي للمؤتمر الرابع ل ا.ع. ط. م.ج.

(2)- المجاهد، العدد / 17. ص / 10.

(3)- المجاهد، العدد / 18. ص / 10.

الجزائريين ولقضية الشعب الجزائري، كما عبرت عن استنكارها لوسائل العنف التي تستعملها الحكومة الفرنسية لقمع الطلبة الجزائريين⁽¹⁾.

وعندما أخذت فرنسا تعد للقيام بتجاربها للأسلحة النووية - القنبلة الذرية - في الصحراء الجزائرية، تحركت كونفدرالية الطلبة وعقدت اجتماعا لها بالرباط (المغرب) في جويلية 1959، وقد تبنى المجتمعون قرارات تضمنت المواضيع الآتية: « - اعتبار التجارب النووية ذات مخاطر مرعبة للإنسانية، وأن العناد الإجرامي للحكومة الفرنسية وضع حيز التنفيذ هذه التجارب، وتوعدت بإجرائها في كولمب - بشار رغم المعارضة والاحتجاجات الرسمية للحكومات الإفريقية ... ولهذا فإن مجلس الكونفدرالية يحذر الرأي العام العالمي ويخبره، بخطر مشروع الحكومة الفرنسية على أمن الشعب الإفريقي، ويوجه نداء عاجلا لكل الحكومات الإفريقية من أجل القيام بعمل مشترك لمنع فرنسا من ارتكاب هذه الجريمة، وتطلب من كل المنظمات الوطنية والدولية للطلبة والشباب بعمل كل ما تستطيع لإفشال عزم فرنسا على القيام بعملها ... »⁽²⁾.

وبمناسبة إعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عن يوم الخامس من جويلية 1961 يوما وطنيا ضد التقسيم، نظمت الكونفدرالية باسم طلبة المغرب العربي يوما عالميا للتضامن مع الشعب الجزائري عبر من خلاله الطلبة عن مساندتهم، ومساعدتهم للجزائريين للصمود في وجه السياسة الفرنسية القاسية.⁽³⁾

(1)- المجاهد، العدد / 23. 23/05/1958، ص / 13.

(2)C.A.N «Rapport des activités de l'UGEMA» 1959. 27 septembre 1959, Boite / 300, Doss / III.

(3)- المجاهد، العدد 100، 17/07/1961، ص 09.

4- علاقة الاتحاد بالاتحاد العالمي للطلبة:

ومن المنظمات الطلابية التي كان للاتحاد معها علاقات «الاتحاد العالمي للطلبة». وجاء هذا الارتباط بعد أن عرف الاتحاد أنها تتماشى مع مبادئه وأهدافه، ويبين ذلك السيد مسعود آيت شعلال بأن الكل: «يعرف موقف هذه المنظمة، ومناهضتها للاستعمار، وحرصها على استتباب الأمن، وسيادة السلم في العالم... وسعيها لتوحيد الطاقات الطلابية في العالم، وهذا ما جعلنا ننتسب إليها، ونصبح عضوا مشاركا فيها، ولقد قدمت هذه الهيئة يد العون في عدة مناسبات. سواء مباشرة أو بواسطة فروعها الوطنية»⁽¹⁾.

وترجع جذور هذه العلاقة إلى الاجتماع الذي حضره الاتحاد للندوة الأفرو-آسيوية للطلبة، المنعقد بباندونغ من 30 ماي إلى 7 جوان 1956، والتي ناقشت في أشغالها المسألة الجزائرية، وحينها حظي ممثلي الطلبة الجزائريين باستقبال خاص وحرار. ⁽²⁾ وخلال هذه الندوة تم الإجماع على قرارات هامة لصالح القضية الجزائرية منها: «1 - إدانة الحرب الاستعمارية في الجزائر والتضامن مع الشعب الجزائري في ثورته من أجل استقلاله.

2 - توجيه نداء إلى هيئة الأمم المتحدة، بغرض إرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر، للنظر في الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية من طرف المستعمرين الفرنسيين، ووضع حد لحرب الجزائر لأنها تهدد السلام العالمي، وإجبار الحكومة الفرنسية على إيجاد حل يوافق المطامع الشرعية للشعب الجزائري.

(1)- التقرير الأدبي للمؤتمر الرابع للاتحاد. - تأسس الاتحاد العالمي للطلبة في أوت 1946، وكان مقره عاصمة تشيكوسلوفاكيا (براغ).

(2)- C.A.N Rapport du GPRA, «Déclaration de comité Directeur de l'UGEMA 13 Décembre 1956». Boite / 4-2 Dossier / 10.

3 - الطلب من رؤساء حكومات دول إفريقيا وآسيا، الدعوة إلى عقد ندوة خاصة بغرض دراسة وسائل المساعدة الفعالة للشعب الجزائري في ثورته من أجل حريته.

4 - نداء إلى كل الطلبة في إفريقيا وآسيا، بجعل يوم 20 أوت 1956، يوما للتضامن مع أصدقائهم الجزائريين»⁽¹⁾.

ولقد عمل الاتحاد على توطيد هذه العلاقة بمداومة الحضور إلى التجمعات الطلابية الدولية التي نظمها الاتحاد العالمي للطلبة، كمؤتمره الرابع المنعقد ببراغ من 26 أوت حتى 04 سبتمبر 1956، وفيه: «تم الوقوف دقيقة صمت ترحما على أرواح الطلبة الجزائريين... واختير بيان اللجنة المديرة للاتحاد الخاص بالإضراب كوثيقة عمل من طرف لجنة المؤتمر، فيما يخص المشاكل والنشاطات الطلابية ضد الاستعمار... وبين بالإجماع لائحة تطالب بإنهاء الحرب في الجزائر، وتحقيق المطامح المشروعة للشعب الجزائري»⁽²⁾.

وشارك الاتحاد في المؤتمر الخامس للاتحاد العالمي للطلبة الذي جرت أشغاله بالعاصمة الصينية - بكين - خلال شهر سبتمبر 1958. وحينها تم عرض تقرير من طرف كونفدرالية الشمال الإفريقي للطلبة. ولقد تضمن هذا التقرير نقطتين هامتين كالتالي: ((1- أن الحرب الاستعمارية التي تقودها فرنسا قد عرفت تطورا خطيرا بعدا لمؤتمر الرابع ببراغ (سبتمبر 1956). مما أدى إلى خسائر مادية وبشرية فأصبح واضحا تهديدها للسلام العالمي، ويظهر هذا من خلال استمرار التزايد التدريجي للقوات الفرنسية وتجهيزاتها بالجزائر، حتى

(1)ibidem(1)

(2)-محمد السعيد عقيب، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1955-

1962، دار سنجاق الدين للكتاب والتوزيع ووزارة الثقافة الجزائر، 2012، ص218.

أصبحت اليوم 700 ألف رجل مع سقوط العديد من الضحايا في السنتين الأخيرتين، واستعمال التعذيب

- أنه خلال هذين السنتين الحكومات الفرنسية المتعاقبة¹. رفضت كل حل تفاوضي للمشكلة الجزائرية رغم أن الأمم المتحدة في دورتها الحادية عشرة والثانية عشرة² صوت على ذلك ورغم انقلاب 13 ماي 1958، فإن الحكومة الفرنسية ظلت بعيدة كليا عن فكرة التفاوض.³

ونظرا للتطورات التي عرفت الجزائر طيلة السنتين 1956 حتى 1958 فإن هذا المؤتمر وبناء على الملاحظات والتقرير المقدم أكد أنه: (1- يندد بالموقف اللامتغير للحكومة الفرنسية المعادية لكل حل تفاوضي.

2- يعتبر أن المساندة الدبلوماسية والمادية لفرنسا من طرف حلفائها في الحلف الأطلسي. ترخيصا باستمرار الحرب الاستعمارية في الجزائر.

3- المؤتمر الخامس للاتحاد العالمي للطلبة، يندد بتواطؤ الدول الأعضاء في الحلف الأطلسي مع الاستعمار الفرنسي.

4- أن الحرب في الجزائر أدت إلى نتائج جد خطيرة على الدراسة، وعلى مستقبل الطلبة الجزائريين، الذين دفعوا ضريبة غالية للقمع المسلط على جميع الشعب الجزائري مما جعله يساند الثورة من أجل الاستقلال.

(1) هي حكومات: منديس فرانس . إدغار فور - قيمولي - بوجيسموني - فيليكس غيار ثم في موللي مرة أخرى.

(2) الدورة 11 للهيئة الأمم المتحدة (جوان 1956) وال 12 (نوفمبر 1957).

5- يؤكد رسميا دعمه لكل الطلبة والشعب الجزائري في ثورته من أجل الاستقلال، ويذكر بأنه يعتقد أن فتح المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني على أساس قاعدة تقرير المصير هو وحده الكفيل بوضع نهاية للصراع.

6- يطلب بإلحاح من كل المنظمات الوطنية العضوة في الاتحاد العالمي للطلبة تكثيف التأييد للطلبة والشعب الجزائري من طرف حكومات بلدانهم من أجل التأييد السياسي والدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني، خاصة في الدورة القادمة للأمم المتحدة⁽¹⁾.

3-علاقة الاتحاد بالندوة العالمية للطلبة ونتائجها:

كان الاتحاد حريصا على المشاركة في " الندوة العالمية للطلبة"، التي تشرف عليها «كتابة التنسيق بين الاتحادات والمنظمات الطلابية الغربية». وجاء هذا الأمر: «بعد خروجها من التناقض على مستوى محاربة الاستعمار، إذ تقاربت حينها وجهة نظرها مع الاتحاد فدخل فيها كاتحاد وطني»⁽²⁾.

ومن الندوات التي شارك فيها الاتحاد تلك التي انعقدت بسيلان من 11 إلى 21 سبتمبر 1956. وفيها تم التصويت على لائحة حول الوضع في الجزائر، نادى بوضع حد للنظام الاستعماري وتقرير مصير الجزائر، وطالبت: ((إرسال لجنة بحث وتحري للجزائر من أجل دراسة الوضعية التي تعرفها ثقافتها الوطنية ومعرفة الظروف المادية والمعنوية التي يعيشها الطلبة الجزائريين))⁽³⁾. إضافة إلى هذا فإن الاتحاد حضر مجلس الجمعية العالمية للشباب، الذي عقد ببرلين من

(1)Ibidem

(2)- التقرير الأدبي للمؤتمر الرابع للاتحاد.

(3)- C.A.N Rapport du GPRA. Boite / 4-2 Dossier / 10 بيان اللجنة المديرة للاتحاد

(1956/12/13).

20 إلى 25 أوت 1956، وتعهدت هذه المنظمة حينها بمد يد المساعدة للطلبة الجزائريين ونادت بوضع حد للاستعمار¹.

رغم الصعوبات التي واجهها الاتحاد ع.ط.م.ج، فإن نشاطه لقي اهتماما من المنظمات الطلابية ومنها الندوة العالمية للطلبة التي عملت لجنة البحث والإعلام التابعة لها على إعداد تقرير حول التعليم في الجزائر، وكونت من أجله فرقة بحث². تعمل على إنجازها ليعرض في الندوة السادسة، لكن الفرقة لم تتمكن من ذلك، لرفض فرنسا منح أعضائها تأشيرات الدخول إلى الجزائر³. فاستبدلت بفوج آخر لمواصلة العمل، وذلك في شهر أوت 1957، لكن مصيرها كان كسابقتها، فشكلت أخرى في فيفري 1959، فاستطاع فوج هذه الفرقة القيام بذلك، لكنه لم يتمكن من إتمامه إلا أثناء الندوة التاسعة في مارس 1960⁴.

ولقد تطرق هذا التقرير إلى مختلف المراحل التي مر بها الاتحاد الجزائري، واستعرض نماذج عن الأساليب الوحشية التي واجهها الطلبة الجزائريين، كما أنه احتوى على مسحة شاملة للوضع الذي عاشته الجزائر منذ بداية الاحتلال الفرنسي لها في 1830⁵.

(1)- نفس المصدر.

(2)- تكونت هذه الفرقة من الشخصيات الآتية: روبرتوسليس (الأرجنتين). جاك مانلي دورت (سويسرا).

حافظ ترميز (تونس)

(3)- Annales de la commission de recherche et d'information 1959-1960 Rapport supplémentaire sur l'Algérie p95

(4)- نفسه. تشكل الفوج الثاني من كارلوس دي ماتوس (الأوروغواي)، كونت ميدقارد (النرويج)، عبد

الرحمان كريشن (تونس). أما الفوج الثالث فتكون من: جيونباروس (الشيلي)، كراوفورد يونغ (الولايات المتحدة الأمريكية).

(5). Annales de la commission de recherche et d'information 1959-1960 , p95

احتوى هذا التقرير على 34 صفحة، وتم إنجازها على ثلاث مراحل، وأصبح مكتملا وعرض في الندوة

وعندما عقدت الندوة العالمية للطلبة مؤتمرا لها بنيجيريا من 11 إلى 22 سبتمبر 1957، شارك الاتحاد فيها، وقد أصدر المؤتمر ملاحظات وتوصيات شملت عدة مجالات، ففي المجال الطلابي جاء فيها: ((إن وضعية الطلبة الجزائريين لا تسمح لهم بأن يتلقوا تعليمهم كما يتلقاه غيرهم من الطلبة في العالم، وإن هذه الوضعية لا يمكن أن تتغير مادامت الحرب قائمة، ويلاحظ أنه منذ عامين لم يكن الطلبة الجزائريون يستهدفون للسجن والتعذيب والطرده والنفي والقتل.... ولهذا فالمؤتمر يدعوا الحكومة الفرنسية لتغيير سيرتها مع الطلبة الجزائريين، ويوصي جميع الاتحادات الطلابية في العالم اجمع بتنظيم أسبوع للتضامن مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وحدد ذلك من 4 إلى 11 نوفمبر 1957)). أما في المجال السياسي فإن المؤتمر: ((يأمل أن يتوصل الطرفان الجزائري والفرنسي إلى حل عادل وسريع للمشكل الجزائري على أساس الاعتراف بالاستقلال الوطني الذي هو الشرط الأول لإقامة تعليم حر وديمقراطي في الجزائر))¹.

وعندما أقدمت الحكومة الفرنسية على حل الاتحاد سجلت العديد من المنظمات موقفها، إذ أنه وبطلب من كونفدرالية الشمال الإفريقي للطلبة عقدت الكتابة العامة للتنسيق بين الاتحادات الطلابية الوطنية ندوة طارئة يومي 17 و18 أبريل 1958 بلندن خرجت بلائحة شملت ملاحظات منها أن: ((زيادة الحالة التي عليها الطلبة الجزائريين سوء خصوصا بعد انعقاد المؤتمر العالمي السابع للطلبة. (وهم) معرضون لقمع يزداد عنفا وشدة يوما بعد يوم مما يجعلهم

التاسعة مارس 1960، ومن النقاط التي تضمنها لمحة تاريخية عن الجزائر، وضعية التعليم، السياسة

الفرنسية -التعذيب بالفرنسيين- وقضية اللاجئين والاستقلال.

(1)المجاهد، العدد 12، 15 نوفمبر 1957، ص/9.

محرومين من أبسط الحريات والحقوق، ويضعهم في حالة دائمة من عدم الاستقرار واللامن...إن الحالة قد بلغت من الرداءة إلى درجة أن حرم الطلبة الجزائريون من اتحادهم الوطني الوحيد الذي يمثلهم...¹.

وبعد توضيح المأساة التي يعانيها الطلبة الجزائريون اتخذت هذه الندوة موقفها الذي تمثل في أنها:

((1- تستنكر بكل شدة الأعمال العدوانية التي يذهب ضحيتها الطلبة بالخصوص، كما تستنكر بكل صرامة حل الاتحاد العام للطلبة الجزائريين في فرنسا، والذي هو منظمة طالبية ديمقراطية ممثلة.

2- لا تعير أية قيمة لقرار حل الاتحاد بل هذا الخير المنظمة الوحيدة التي تمثل الطلبة الجزائريين.

3- تعبر عن عطفها العميق على الطلبة الجزائريين ضحايا القمع، وتعبر لهم مرة أخرى عن تضامنها الكامل وتؤكد الاعتراف بحق طلبة المناطق غير المستقلة في التطور التقدمي داخل المجتمع كأشخاص أحرار مستقلين. وكذا سوء حالة الطلبة الجزائريين، وهي أثرا مباشرا للحرب الدائرة في الجزائر. وتعبر عن يقينها بأن جعل حد للحرب في الجزائر بوسائل سلمية وبالمفاوضة والاستقلال هي الوسيلة الوحيدة الكفيلة بحل جميع المشاكل التي تعترض سبيل الطلبة الجزائريين... وتطلب الندوة أخيرا من لجنة حقوق الإنسان ومن هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن أن يعيروا اهتمامهم لهذه اللائحة²)).

ونشير إلى أن الندوة المذكورة أرفقت ملاحظاتها ومطالبها بجزء عملي تمثل في ما يلي: ((ترفع نداءها إلى جميع الاتحادات الوطنية كي يخصصوا منا

(1)المجاهد، العدد23، 07/05/1958، ص13.

(2)المجاهد، العدد23، 07/05/1958، ص13.

مالية تساعد الطلبة الجزائريين على مواصلة تعليمهم، كما تطلب من جميع الاتحادات أن يؤسسوا صندوقا للإسعاف لفائدة الطلبة الذين لجأوا إلى تونس والمغرب، وتطلب كذلك منح أدوات علمية للطلبة الموقوفين واستدعاء ممثلين عن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ليقدموا معلومات عن مشاكل الطالب الجزائري، وتنادي الندوة أخيرا جميع الاتحادات الطلابية لإبلاغ قراراتها إلى السلطة الفرنسية وإلى حكوماتهم المحلية وإلى الصحافة، وفي النهاية فإن لجنة تنسيق بين الاتحادات الوطنية الغربية أنيطت بها مهمة السهر على تنفيذ هذه القرارات ونشر أعمال الندوة بواسطة منشورات مختلفة¹.

وإزاء تردي الوضع العام بالجزائر والطلبة خصوصا باعترالهم بفرنسا رفع ا.ع.ط.م.ج إلى عدد من الاتحادات الطلابية الوطنية والعالمية قائمة للطلبة المسجونين ضمت ثلاثون طالبا وعلى رأسها الاتحاد العالمي للطلبة، الذي صادق في اجتماع اللجنة التنفيذية له من 20 إلى 26 جانفي 1959 على لائحة نددت بالوسائل القمعية التي تقوم بها فرنسا. واستتكرت اعتقال الطلبة الجزائريين وجهود فرنسا لإشراك دول أخرى في الحرب الجزائرية، واعتبرت أن هذا يمثل تهديدا خطيرا للسلام العالمي وطالبت بوجوب التفاوض مع الحكومة الجزائرية في بلد محايد².

ولأن ا.ع.ط.م.ج عضو في الندوة العالمية للطلبة فإنه شارك في المؤتمر العالمي الثامن للطلاب من 15 إلى 25 فيفري 1959 المنعقد بعاصمة البيرو - ليما- وتم دراسة القضية الجزائرية وحالة الطلبة الجزائريين من خلال التقرير

(1) نفسه.

(2) محمد السعيد عقيب، دور الاتحاد العام للطلبة...، ص ص 229-230. وكذا: المجاهد، العدد/

المرفوع للمؤتمر من طرف لجنة البحث والإعلام. وخرج بلائحة تضمنت نقاطا منها: ...إجراءات الحكومة الفرنسية ضد الطلبة واستعمالها أساليب وحشية. وقضية حل الاتحاد وما انجر عنها من انعدام الأمن مما أجبر الطلبة على مغادرة فرنسا واللجوء إلى الخارج. ووجه المؤتمر رسالة للسلطة الفرنسية مما احتوته: ((استتكار القمع الذي تسلطه الحكومة الفرنسية منذ أكثر من أربع سنوات على الطلبة الجزائريين، ويشهر بالاعتداءات المتكررة على أبسط وأقدس الحقوق الإنسانية -خاصة بأساليب التعذيب- ويطلب بكل إلحاح احترام القوانين الدولية، ويفند سياسة الإدماج لمناقضتها لوجود ثقافة وطنية مطابقة لماضي الجزائر وتقاليدها))¹.

ولقد صرح في هذا المؤتمر عبر لائحة خاصة بما يلي: ((...يعترف المؤتمر بشرعية الكفاح الذي يقوم به الطلبة الجزائريين من أجل الاستقلال الوطني ... كما يعرب عن تضامنه الكامل مع كفاح الطالب الجزائري ... ويعبر عن ابتهاجه للجهود التي بذلها المكتب العالمي للطلاب والاتحادات الوطنية في سبيل تأييد ومساعدة الاتحاد الجزائري أثناء حملة التضامن مع الطلاب الجزائريين، كما يحث المكتب المذكور الاتحادات الوطنية على مضاعفة تلك الجهود، والمؤتمر يؤكد اقتناعه العميق بأن التسوية النهائية، والناجحة لمشاكل المجموعة الطلابية الجزائرية تتوقف على إنهاء الحرب واستقلال الجزائر، عن طريق التفاوض بين الحكومتين الفرنسية والجزائرية))². وبعد أن انتهت أشغال هذا المؤتمر قام الوفد الممثل للاتحاد وللطلبة الجزائريين بزيارة إلى بلدان أمريكا اللاتينية: كالشيلي،

(1) المجاهد، العدد /38، 1959/03/17، ص ص/02-10.

(2) نفسه.

الأورغواي، البرازيل، الإكوادور، كولومبيا. لشرح القضية الجزائرية وتبيين أبعادها وإسماع صوت الجزائر في كل أنحاء العالم¹.

وللتذكير فإن اللجنة التنفيذية للاتحاد حددت رزنامة لنشاطاتها على الصعيد الخارجي، للمشاركة في المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي تعقدها المنظمات والهيئات الطلابية والشبانية، الوطنية والإقليمية والدولية سواء السياسية أو الثقافية أو النقابية بناء على الدعوات التي وصلتها ووفقا لمواعيد اللقاءات السنوية². ويدل هذا العمل على التنظيم الذي كانت تقوم به اللجنة والذي أدى لتحقيق نتائج هامة منها: ((الاعتراف السريع بالاتحاد من قبل الاتحادات الوطنية والمنظمات الدولية، فاندراج بسرعة في الحركة الطلابية العالمية، وبفضل السمعة التي يمنحها إياه الكفاح البطولي للشعب الجزائري احتل مكانة مرموقة في الشؤون الطلابية العالمية وفي كل منطقة من المناطق أسمع صوت الثورة الجزائرية، في إفريقيا وآسيا، وأمريكا، وأوروبا الشرقية والغربية... فتضاعفت حركة المساندة لفائدة كفاح التحرير، وقد جابت وفود الاتحاد قارات المعمورة وعرفت بكفاح الشعب الجزائري وتضحياته وآماله ومطامحه))³.

الخاتمة:

هكذا نلاحظ أن الاتحاد لم يأل جهدا في سبيل إظهار القضية الجزائرية على المستوى الدولي، وذلك بأساليب ووسائل متنوعة كالنداءات ولجان المساندة والحضور إلى مختلف النشاطات الطلابية والشبانية التي تعقد في أنحاء العالم، واستطاع الاتحاد بفضل هذا أن يساهم بحجم معتبر في كسب المسألة الجزائرية

(1) المجاهد ، العدد/40، 1959/04/16، ص/10. ومحمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص232.

(2) programme des activités extérieurs-Fév. -Sep1961 « C.A.N. Rapports de G.P.R.A, Boite /75 Doss/12.

(3)- جريدة الشعب، 1 نوفمبر 1974، ص08. ومحمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص239.

العديد من المؤيدين والأَنْصار، الذين كان لهم دور في الضغط على فرنسا مما دعم الانتصار الذي حققه جيش التحرير الوطني في الداخل، وأدى إلى رضوخ فرنسا إلى مطالب الشعب الجزائري وتحقيق طموحه وأمله المتمثل في الاستقلال الذي تحقق في 05 جويلية 1962.

أهداف ومبادئ السياسة الخارجية للثورة الجزائرية من خلال مواثيقها

د/فتح الدين بن أزواو

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

سطرت الثورة الجزائرية في مختلف مواثيقها (بيان أول نوفمبر، ميثاق الصومام، برنامج القاهرة 1957 برنامج طرابلس 1959-1960، برنامج طرابلس 1961، ميثاق طرابلس 1962) أهدافا ومبادئ نظرية رسمت من خلالها الخطوط العريضة لتوجهاتها الخارجية وركائز نشاطها الدبلوماسي، على الصعيد الإقليمي والجغرافي والحضاري والإنساني والعالمي، ووضحت طبيعة تحالفاتها المستقبلية. فالى أي مدى استطاعت هذه المواثيق والبرامج تجاوز الاختلاف الموجود بين الانتماء المغاربي والعربي والإفريقي والتناقض في النظام الرسمي العربي والاستراتيجيات الدولية لتسطير سياسة خارجية متوازنة تعتمد مبادئ وأهداف أصيلة وثابتة لتحقيق هدف الثورة الجوهري (تدويل القضية الجزائرية)؟ وما هي الآليات والوسائل التي اقترحتها لتجسيد هدف التدويل بناء على الأهداف والمبادئ المسطرة؟

1- بيان أول نوفمبر:

أفصح بيان أول نوفمبر عن المبادئ العامة والأهداف الحيوية لسياسة الثورة الخارجية، ونستطيع القول بأن هذه المبادئ والأهداف لم تحد عنها جبهة التحرير الوطني بل حاولت إثراءها في البرامج والمواثيق الأخرى في هذا الإطار

أشار البيان إلى تدويل القضية الجزائرية⁽¹⁾ كهدف إستراتيجي، هذا يعني تصميم الثورة الجزائرية على استرجاع الاستقلال الوطني بكل الوسائل المتاحة - بما في ذلك التدويل - ويبدو أن رصد هذا الهدف كان يحمل في طياته دلالة أخرى؛ هي تدمير أسطورة << الجزائر فرنسية >>⁽²⁾، وهو ما يؤكد العمق الثوري لإيديولوجية جبهة التحرير الوطني.

ومن بين ما تضمنه البيان كذلك << تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل الإطار الطبيعي العربي الإسلامي >>⁽³⁾. ذلك لأن جبهة التحرير الوطني كانت ترى في الاستقلال المنشود إنما يكمن في الوحدة مع أقطار المغرب العربي، وفي ظل هذه الوحدة ستتعلم شعوب الشمال الإفريقي بالرقى والتطور في مختلف المجالات لأن الوحدة كانت ولا تزال شرط القوة والازدهار⁽⁴⁾. ونلاحظ أن البيان قد أضفى الصبغة العربية الإسلامية على هذه الوحدة، فأكد أصالة وهوية الثورة الجزائرية وانتمائها الحضاري إلى العالم العربي الإسلامي⁽⁵⁾، وكرس طموحات الحركة الوطنية التي كثيرا ما تناولت أدبياتها هذا الجانب⁽⁶⁾.

وقد حدد بيان أول نوفمبر آخر أهداف الثورة الخارجية في مساندة جميع الشعوب التي تساند القضية الجزائرية⁽¹⁾ وهو هدف كانت الحركة الوطنية قد تبنته⁽²⁾، وها هي جبهة التحرير الوطني تكرسه معطية الثورة الجزائرية بعدا عالميا وإنسانيا.

وبهذا يكون البيان النوفمبري رسم توجهات الثورة الخارجية بأبعادها: الإقليمية، الحضارية، العالمية والإنسانية⁽³⁾، أبعاد عبرت عن شمولية النظرة

(1) بيان أول نوفمبر، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر 1979،

ص 09.

(2) Mohammed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, Editions Jeune Afrique, Paris, 1981, p313.

للفكر الوطني، جعل الثورة الجزائرية في خانة الثورات العالمية والإنسانية التي ناضلت لنشر مبادئ الحرية والعدل والسلام والتعاون في العالم، وقد ظلت هذه المبادئ ثابتة في كل البرامج والمواثيق الصادرة عن جبهة التحرير الوطني.

2- ميثاق الصومام:

كرس ميثاق الصومام أهداف بيان أول نوفمبر من خلال الدعوة إلى >> تأسيس اتحاد لدول شمال إفريقيا الثلاث << (4). وإذا كان بيان أول نوفمبر لم يوضع آليات هذه الوحدة (5) فإن ميثاق الصومام نجح في إبرازها بدعوته إلى >> تنظيم دفاع مشترك ونشاط دبلوماسي مشترك، وحرية المبادلات والتعاون في مجال التصنيع والتجهيز، وإيجاد سياسة مشتركة في مجال التعليم وتبادل الأركان الفنية والاقتصادية والمبادلات الثقافية واستثمار الموارد الباطنية لكل بلد << (6). ونلاحظ أن هذا الهدف جاء أكثر ثراء وتطورا في الأفكار والمناهل الموصلة إلى تحقيق الوحدة المغاربية؛ باعتماد الميثاق على وضع سياسة تعاون شاملة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. وهو ما ينم عن قناعة أضحت راسخة في الفكر الوطني الجزائري بخصوص وحدة المغرب العربي، قناعة تولدت منذ ظهور الحركة السياسية الجزائرية (1) وارتبطت هذه الفكرة منذ ذاك بالإسلام والعروبة بوصفها مؤشرا بارزا من مؤشرات يقظة الوعي القومي الذي يعتبر ردة فعل ضد الاستعمار في هذه المنطقة من العالم العربي

(4) المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية (20 أوت 1956)، الأرشيف الوطني الجزائري، علبة

232.

(5) اكتفى بيان أول نوفمبر في هذا المجال بتحديد الهدف فقط دون إعطاء آليات تطبيقه. أنظر: بيان أول نوفمبر، مصدر سابق، ص 09.

(6) المنهج السياسي لتحقيق انتصار الثورة الجزائرية (20 أوت 1956)، مصدر سابق.

(1) نعني بذلك منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا سنة 1926 الذي جعل من مسألة الوحدة المغاربية هدفا رئيسا في برنامجه.

الإسلامي وضد محاولاته الهادفة المس بالهوية الإسلامية العربية لسكانها لفصلهم عن العالم العربي الإسلامي ثم تطورت هذه الفكرة وارتبطت بإنجاز نهضة عصرية متقدمة⁽²⁾ لإخراج هذه المنطقة من مخلفات التخلف الثقافي والاجتماعي والاقتصادي .

في جانب آخر من الأهداف الخارجية، ركز ميثاق الصومام على تطوير العمل الدبلوماسي بغية تدويل القضية الجزائرية وجلب العون المادي والمعنوي والروحي للثوة وذلك بواسطة >> حمل دول مؤتمر باندونغ على استعمال ضغط سياسي ودبلوماسي واقتصادي مباشر على فرنسا علاوة على مساعيها لدى الأمم المتحدة والسعي في الحصول على تأييد الدول والشعوب الأوروبية بما فيها البلاد الشمالية والديمقراطيات الشعبية⁽³⁾ وكذلك بلاد أمريكا اللاتينية >>⁽⁴⁾ . ونلاحظ أن هذه الأهداف جاءت أكثر ثراء وشمولية مقارنة ببيان أول نوفمبر⁽⁵⁾ ؛ فقد وضعت الآليات الممكنة لتدويل القضية الجزائرية عن طريق تكثيف العمل الدبلوماسي ليشمل معظم دول العالم.

3 - برنامج القاهرة 1957:

دعا هذا البرنامج إلى >> توسيع النشاط الدبلوماسي >>⁽¹⁾ . وما يلاحظ على هذا الهدف أنه سطر ليدعم مكانة الثورة في الخارج بعد المساندة والتأييد التي لقيتها من طرف عديد من الشعوب والحكومات في العالم⁽²⁾ لذلك فإن هذا

(2) محمد عابد الجابري، >> فكرة المغرب العربي في أثناء الكفاح من أجل الاستقلال >> محاضرة أقيمت في ندوة خصصت لوحدة المغرب العربي منشورة في كتاب مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 1987، ص17.

(1) HARBI, les Archives de la Révolution Algérienne , o p . cit , p314.

(2) المجاهد، عدد 102 (14 أوت 1961) ، ص 12.

القرار دعم بقرار آخر حاسم هو إنشاء حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية إذا ما توفرت الظروف لذلك (3).

وبين رصد هذا الهدف الهام النظرة الإستراتيجية للفكر الوطني، اعتمدت على دراسة وتقييم المستجدات؛ فما كان قرار إنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلا بعد أن قيمت قيادة الثورة بعض المعطيات الإيجابية (4) التي تتلاءم وتحقيق هذا الهدف الذي يعطي للثورة، من دون شك، دعما ماديا ومعنويا هاما. وهذا يعد إثراء لأهداف ومبادئ السياسة الخارجية، من خلال اقتراح وسائل أكثر فعالية للتعريف بالقضية الجزائرية على صعيد عالمي.

4 - برنامج مؤتمر طرابلس الأول 1959 - 1960:

رسم هذا البرنامج إستراتيجية عمل جاءت مرتكزة على تحقيق أهداف (خارجية) حيوية تتمثل في تدويل القضية الجزائرية، وعزل فرنسا دوليا واستئناف العمل المسلح داخل أراضيها، وتقوية تحالفات الثورة مع البلدان العربية والإفريقية، وتكثيف النشاط الدبلوماسي ليشمل دول الشرق والغرب (5).

فبالنسبة لمسألة التدويل تقرر: >> إحداث أوضاع مقلقة في شمال إفريقيا تؤدي إلى تدويل القضية الجزائرية << (1). وبذلك فإن هدف التدويل الذي رصدته البرامج السابقة للثورة كأحد أهدافها الرئيسية واقتרכת أسلوب العمل الدبلوماسي لتحقيقه، عرض برنامج طرابلس أسلوبا أكثر فعالية بواسطة القيام بأعمال عسكرية على الحدود (2) لإحداث وضعية شبيهة بتلك التي تهدد الأمن والاستقرار في شمال إفريقيا مما يرغب الأطراف الدولية التدخل لحل القضية الجزائرية.

وبخصوص عزل فرنسا دوليا واستئناف العمل المسلح داخل أراضيها فقد بين المجتمعون أن ذلك يكون بـ >> عزل البلدان العربية سياسيا عن فرنسا،

وكسب مساندة الرأي العام الفرنسي والأوروبي وتقوية الدعاية، وجلب كل بلد من بلدان الحلف الأطلسي على هذا للموافقة على استقلال الجزائر وتقوية العمل المسلح داخل فرنسا << (3).

ويعد هذا تطور في الأهداف الدبلوماسية لجبهة التحرير الوطني؛ التي أصبحت ترمي أكثر إلى إضعاف الموقف الدولي للخصم وعزله دوليا بوسائل متنوعة، جاء عرضها في شكل شامل وعميق، ما يوحي بتصميم الفكر الوطني على استرجاع السيادة الوطنية وتدمير أسطورة الجزائر فرنسية (4).

وعن توجه الثورة نحو البلدان العربية وردت في البرنامج العبارة التالية: >> إن الجزائر جزء من المغرب العربي، وتنتمي إلى الوطن العربي، الذي تربطها به أربعة عشر قرنا من التاريخ والثقافة العربية الإسلامية، والكفاح المشترك ضد الاضطهاد الاستعماري << (1). ويعبر دمج الجزائر في إطار محيطها العربي الإسلامي أصالة وهوية الثورة الجزائرية وارتباطها الوثيق بأطروحات الحركة الوطنية (2)، كما يبرز طبيعة التحالفات التي تريد الثورة إقامتها؛ تحالفات موجهة أساسا نحو حلفاء الجزائر الطبيعيين الذين تربطهم بها روابط جغرافية وحضارية ونضالية.

وفي الاتجاه نحو الدول الإفريقية تقرر >> إحداث تضامن بين دول شمال إفريقيا ودول إفريقيا السوداء والمشاركة في ندوات دورية للحكومات الإفريقية، وتوحيد الأهداف والبرامج السياسية والاقتصادية والدبلوماسية << (3). ويبدو

(3) CNRA, Session de Tripoli (1959-1960), op . cit.

(2) منذ تأسيسه سنة 1926، رفع نجم شمال إفريقيا مطلب الوحدة المغاربية كأحد أهدافه الرئيسية، كما حرص مع جمعية العلماء المسلمين على إبراز انتماء الجزائر إلى العالم العربي الإسلامي. وهو دليل آخر يبرز ذلك التواصل بين إيديولوجية الثورة وإيديولوجية الحركة الوطنية. للاطلاع على مطالب التيارين (الثوري، الإصلاحية) في هذه المجالات أنظر:

واضحا من النص اهتمام الفكر الوطني بالبعد الإفريقي لإدراكه بأن الكفاح من أجل الحرية والاستقلال الوطني مرتبطا ارتباطا جدليا بالكفاح ضد الاستعمار في إفريقيا⁽⁴⁾ وهو ما حذى بهذا الفكر تسطير تلك الأهداف المتعلقة بالتضامن الإفريقي والوحدة الإفريقية، هذه الرؤية عبرت عنها مجلة المجاهد بعبارة صريحة: << الوحدة والتضامن الفعال شرط لتحرير إفريقيا >>⁽⁵⁾. وهو ما يجعلنا نقول إن البعد الإفريقي لسياسة الثورة الخارجية قد اتضح أكثر مع هذا البرنامج.

وفي إطار تكثيف النشاط الدبلوماسي وتوسيعه جاء التركيز - بالإضافة إلى الدول العربية - على الدول الأفروآسيوية والدول الاشتراكية، والرأي العام في الدول الغربية. وهو ما يوسع مجال التحرك الدبلوماسي المستقبلي للثورة.

وكان الاتجاه نحو شعوب الدول الغربية⁽¹⁾ يهدف إلى خلق تناقضات بين حكومات وشعوب هذه الدول لتقف هذه الحكومات على الحياد من القضية الجزائرية⁽²⁾. فضلا عن هذا كرس البرنامج مبادئ الثورة الإنسانية، بل أثراها عندما دعا إلى تجسيد الحرية والسلم في العالم: << إن كفاح الشعب الجزائري يندرج في الحركة الواسعة التي مكنت شعوب آسيا وإفريقيا من التحرر وهو ما يندرج في الحركة التاريخية لتحرير الشعوب، وإن انتصار الشعب الجزائري سيساهم في تدعيم المثل الأعلى للسلم والحرية في العالم >>⁽³⁾. هذا يوضح بأن الثورة الجزائرية بالإضافة إلى كونها حركة تغيير داخلية فهي حركة تسعى للتغيير الخارجي، الذي هو في عرف الثورة الجزائرية تحرير الشعوب المستضعفة من الهيمنة وتحقيق الحرية والسلم في العالم، وليس التسلل الإيديولوجي وتصدير

(4) فرانتز فانون، من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، دون تاريخ، ص 127.

(3) CNRA, Session de Tripoli (1959-1960), op . cit.

الثورة إلى الخارج⁽⁴⁾، ولعل هذا ما أضفى على مبادئ دبلوماسيتها طابعا إنسانيا وعالميا.

5 - برنامج مؤتمر طرابلس الثاني (1961):

ألح هذا البرنامج على ضرورة >> إقامة وحدة مغاربية سياسية واقتصادية <<⁽⁵⁾ فساير بذلك أطروحات الحركة الوطنية⁽⁶⁾ وبرامج الثورة التحريرية⁽⁷⁾، هذا يوحي بتجذر الصبغة الوحدية في الفكر الوطني، لإدراكه بأن وحدة المغرب العربي ليست واجبا فحسب، بل هي ضرورة أيضا كونها واقع ملح وموضوعي لأسباب جغرافية واقتصادية واجتماعية وعرقية وثقافية ودينية، فمن النادر أن نجد على سطح الأرض مجموعة بشرية وثقافية تحمل نفس ما يحمله المغرب العربي من تجانس⁽¹⁾.

دعا البرنامج كذلك إلى إنجاز تجمعات اقتصادية عربية وإفريقية⁽²⁾، هذه الرؤية حملت فهما لواقع العلاقات الاقتصادية العالمية، أدركت من خلاله الثورة الجزائرية بأنه لا يمكن لاقتصاد دولة أن يتطور إلا بتكامل اقتصاداتها مع دول أخرى، وفي اختيار إفريقيا والوطن العربي ليكونا مجالين لهذا التجمع الاقتصادي دليل على اهتمام الفكر الوطني المتواصل بالبعدين الإقليمي الإفريقي، والحضاري العربي للجزائر. وقد قيم البرنامج السياسة الخارجية لجهة التحرير فأشار إلى فقدانها >> للدينامية خاصة على مستوى الدول الاشتراكية ودول أمريكا اللاتينية <<⁽³⁾. لذلك حث على ضرورة:

- الاتجاه أكثر نحو الدول الاشتراكية ودول أمريكا اللاتينية وإفريقيا وزيادة النشاط الدبلوماسي تجاه الدول العربية.

(4) ولد خليفة، مرجع سابق، ص 109.

- القيام بنشاط دبلوماسي تجاه الغرب، خاصة نحو الولايات المتحدة ودول حلف شمال الأطلسي.

- توسيع النزاع الجزائري توسيعا حقيقيا، خاصة في شمال إفريقيا قصد إحداث وضعية تهدد الأمن والاستقرار في العالم يرغم القوى الدولية لوضع حل للقضية الجزائرية⁽⁴⁾.

هذه الأساليب بالإضافة إلى كونها مؤكدة للخطوط العامة لدبلوماسية الثورة، فإنها أعطت الآلة الدبلوماسية حركية أكثر (فعالية ونشاطا) قصد الإسراع قدر الإمكان بتدويل القضية الجزائرية. وكان الاتجاه نحو دول حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا كون الأخيرة الممون الرئيسي والمدعم المعنوي الأساسي للاستعمار الفرنسي في الجزائر إضافة إلى كونها القاعدة الأساسية للإمبريالية في العالم⁽¹⁾.

6 - ميثاق طرابلس 1962:

بعد إنجازها مهمة التحرير، بدأت جبهة التحرير تحضر لإعادة بناء الدولة الجزائرية؛ فعقدت مؤتمر طرابلس (ماي-جوان 1962)، توجت أشغاله بإصدار ميثاق، هو عبارة عن مشروع عمل داخلي وخارجي أطلق عليه (الثورة الديمقراطية الشعبية)، برزت فيه الخطوط العريضة لسياسة الجزائر المستقلة (الخارجية)، جاءت مرتكزة على المبادئ الدبلوماسية للثورة التحريرية، ترمي لتحقيق أهداف حيوية على الصعيد الإقليمي والعالمي والإنساني.

في هذا الإطار أكد الميثاق على ضرورة محاربة الاستعمار والإمبريالية:
>> وما من شك أن إرادتنا في مواصلة مسيرة الثورة ستلاقي العديد من

(4) Ibid .

(1) SLIMANE CHICK, la Révolution Algérienne: Projet et Action (1954-1962) TH.Doct.Tome 03, Université de Grenoble , 1975,non publiée , p676.

الصعوبات، غير أن هذه الصعوبات لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمنعنا من بذل أقصى الجهود لحماية عملنا المعادي للإمبريالية >>⁽²⁾. ويبدو أن الفكر الوطني بتناوله لهذا الهدف، كما يقول أحد الباحثين، أدرك إدراكا تاما لواقع الاستعمار الجديد وهو ما دفعه لوضع سياسة خارجية معادية للإمبريالية >>⁽³⁾. وتجد هذه السياسة التعبير عنها في تأييد كافة حركات التحرر: >>حوسنقدم الجزائر المستقلة مساعدة كاملة للشعوب التي تناضل فعلا لتحرير بلدها<<⁽⁴⁾.

ويدل الإعلان صراحة في ميثاق طرابلس عن محاربة الاستعمار والإمبريالية في العالم والثورة التحريرية قد أنجزت مهمة التحرير ترسخ الصبغة الثورية والإنسانية في دبلوماسية الثورة الجزائرية، كما يبين تمسك الفكر الوطني بمبادئ وأهداف الحركة الوطنية ⁽¹⁾ والثورة التحريرية ⁽²⁾.

ولتأكيد البعد الإقليمي للثورة وتوظيف هذا البعد في تسطير سياسة خارجية تحقق الأهداف الإستراتيجية الخارجية للدولة الجزائرية المستقلة، أوصى البرنامج >> بدعم حركات النضال من أجل الوحدة ... والمساعدة على وضع تقدير صحيح لمقتضيات تحقيق الوحدة في المغرب الكبير والوطن العربي وإفريقيا عن طريق الحركات الطلائعية والمنظمات الجماهيرية وتنفيذ المشاريع الاقتصادية المشتركة والسياسة الخارجية المبنية على التشاور والتضامن الكامل في محاربة الإمبريالية >>⁽³⁾. وبذلك أسهب ميثاق طرابلس في ابتكار الوسائل الكفيلة بتحقيق الوحدة المنشودة (العربية والإفريقية). وهذا استمرار لأطروحات الثورة في هذا المجال.

(4) Projet de Programme du FLN, Tripoli (mai-juin 1962) , op . cit .

(1) كانت حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية تطرقت إلى هذا المبدأ سنة 1949.

(1949- 8 - 18) L'Algerie Libre, N° 1 أنظر :

فضلا عن ذلك، جاءت السياسة الخارجية للميثاق ترمي إلى تحقيق التعاون والتضامن الدوليين: >> إن التعاون الدولي أمر ضروري لاستعمال كافة المصادر المادية والبشرية من أجل التقدم في جو من السلام ... ولتحقيق ذلك يجب تعبئة الجماهير ضد الإمبريالية تعبئة دائمة لدعم الروابط مع بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وتطوير المبادلات في كل الميادين مع البلدان الاشتراكية وإقامة علاقات مع كل الدول على أساس الاحترام المتبادل ... وهكذا ستكون الجزائر قادرة على الإسهام بصفة إيجابية في مقاومة السباق نحو التسلح والتجارب النووية ... كما أنها ستساعد على تصفية الأحلاف العسكرية والقواعد الأجنبية << (4).

ويظهر من النص بأن الفكر الوطني قد اكتشف طوال كفاحه ضد الاستعمار ذلك التضامن الذي كان موجودا بين أعضاء الكتلة الاستعمارية (1) هذا جعله يؤكد على ضرورة إحداث التكافل والتضامن بين حركات التحرير في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. ولعل أهم تطور سجله البرنامج هو دعوته، في هذا النص، إلى تحقيق التقدم والسلام العالميين، مبينا الطرق الكفيلة بتحقيق هذين المبدئين، وقد جاء عرض هذه الطرق في شكل شامل وعميق، بين ذلك اطلاع الفكر الوطني على واقع العلاقات الدولية وإدراكه للخلل الذي بدأ يعترى تلك العلاقات.

وكما لاحظنا فإن الميثاق ربط مبدأ التقدم بمبدأ السلم؛ ذلك لأن التقدم العالمي لا يتحقق إلا في جو من السلام، كما أن السلام بدون تقدم قد يجعل الأمن العالمي معرضا للخطر. وهذه العلاقة الجدلية بين السلم والتقدم العالميين

(4) Ibid.

(1) فانون، مرجع سابق، ص150.

يبدو أن الفكر الوطني استوعبها جيدا وهو ما يعد تطورا في البعد العالمي لدبلوماسية الثورة الجزائرية.

أخيرا على ضوء تحليلنا لهذه الأفكار المتعلقة بالسياسة الخارجية يمكن القول إن الفكر الوطني أكمل بناء الأبعاد الإقليمية والإنسانية والعالمية للثورة الجزائرية؛ فقد جاءت مبادئ وأهداف ميثاق طرابلس في هذه المجالات أكثر عمقا وشمولية في الطرح. وهو ما سمح برسم سياسة خارجية شاملة للدولة الجزائرية المستقلة. ولعل أهم ملاحظة تستوقفنا هنا؛ هو أن البرنامج كان حريصا على أن تكون هذه السياسة مستقلة، معتمدا في ذلك على مبدأ عدم الانحياز؛ وما دعم التيار الحيادي في العالم وتصفية الأحلاف العسكرية والقواعد الأجنبية وتحقيق التقدم والسلم العالميين ومحاربة الاستعمار ونصرة الشعوب المستضعفة إلا أهداف ومبادئ تؤكد استقلالية هذه السياسة وحيادها.

خاتمة:

توصلنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في العناصر التالية:

إن الثورة الجزائرية، بالإضافة إلى كونها ثورة تسعى إلى التغيير الداخلي، فإنها انطوت على أفكار تتعلق بالتغيير الخارجي؛ فدعواتها المتكررة في مختلف المواثيق لتحرير الشعوب المستضعفة ونشر الحرية والسلم والتعاون في العالم أضفى على دبلوماسيتها بعدا عالميا وإنسانيا، وجعل فكرها في مصاف فكر الثورات الإنسانية والعالمية الكبرى.

على مستوى التضامن والوحدة مع العالم العربي وإفريقيا قدمت مواثيق الثورة الجزائرية رؤية متقدمة تركز على التحرر من الهيمنة الاستعمارية كحل أمثل لتحقيق التعاون والاتحاد. هذا أعطى ثماره في إحياء التضامن المغاربي،

وتنسيق المواقف والجهود العربية والآفروآسيوية لتحرير المنطقة من الاستعمار وترسيخ شعار الوحدة والتعاون الاقتصادي.

استطاعت موثائق الثورة تنظيم النشاط الدبلوماسي وترشيده، بما يتأقلم وطبيعة كل مرحلة وأولوية التحالفات المبرمة؛ على مستوى دول عدم الانحياز، أو على صعيد العالم العربي والإسلامي، وكان التركيز على دول المغرب العربي ومصر، كونها تشكل قواعد خلفية للثورة. هذا أدى إلى إحداث التواصل ومد الجسور بين الجزائر ودول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والأشقاء في العالمين العربي والإسلامي، توج بفك العزلة الخارجية عن الثورة الجزائرية؛ من خلال الدعم العربي العسكري والمالي الذي أعطى للثورة الجزائرية نفسا مستمرا، أو الدعم السياسي للدول العربية والإسلامية والدول الآفروآسيوية، دفع بقضيتها إلى أكبر المحافل الدولية؛ عندما أدرجت المسألة الجزائرية في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة واعترف بها كقضية تحرر دولية، فانهزمت فرنسا هزيمة قانونية ونفسية وزاد من عزلتها الدولية، وفي المقابل أعطى ذلك قيمة معنوية للثورة الجزائرية ورفع أسهمها في المجتمع الدولي حيث أصبحت أكثر رواجاً.

ورثت الجزائر المستقلة مبادئ وأهداف السياسة الخارجية للثورة واستلهمت منها مختلف القيم والمثل للعمل الدبلوماسي الرزين الذي يقارب بين التناقضات الإقليمية والدولية، ويقف على مسافة واحدة بين الدول الصديقة والشقيقة، ويدافع عن حقوق الشعوب المظلومة، وينشد السلم والتعاون، وينبذ العنف والتنافر حيث عملت الدولة الجزائرية على خطى هذه السياسة في حل النزاعات ودعم قضايا السلام والتعاون والتحرر؛ فوقفت ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا، وتضامنت مع حركات التحرر، وساندت القضية الفلسطينية (حرب 1967، حرب 1973، إعلان قيام دولة فلسطين 1987)، وبذلت جهودا لحل الأزمة اللبنانية (اتفاق الطائف 1989)، وقامت بدور الوساطة بين العراق

وإيران (اتفاق الجزائر 1975)، وحاولت في كثير من المناسبات تقريب وجهات النظر العربية في إطار موقف متكافئ من جميع الأطراف العربية عملا بسياسة توازن التحالفات القومية التي انتهجتها الثورة، هذا أكسب الدولة الجزائرية المستقلة - المستفيدة من تجربة الثورة الجزائرية - سمعة عربية رسمية وشعبية، وأعطاهما وزنا سياسيا ودبلوماسيا إقليميا ودوليا، جعلها تساهم حتى في حل بعض الأزمات الدولية؛ كتسويتها لمسألة الرهائن الأمريكيين في إيران 1981.

إستراتيجية العلاقات الخارجية في أدبيات الثورة الجزائرية 1956/1962

✍ أ. د / أحمد مسعود سيد علي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملخص المداخلة:

تتشهد هذه المداخلة قراءة متأنية في أدبيات الثورة الجزائرية منذ الاعلان عن بيان الفاتح من نوفمبر 1954، إلى آخر بيان اعلنت عنه الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية، اثر التوقيع على وقف إطلاق النار بين وحدات جيش التحرير الوطني وقوات الاحتلال الفرنسي 19 مارس 1962، مروراً بما أكدت عليه من مبادئ واستراتيجيات للنشاط الدبلوماسي قرارات مؤتمر الصومام في اوت 1956، ثم النصوص التأسيسية للهيئات القيادية للثورة الجزائرية خاصة ما تعلق بالمؤسسات الدبلوماسية البعثات والمكاتب ثم وزارة الخارجية، يضاف إلى ذلك النصوص الاساسية لمختلف برامج جبهة التحرير الوطني التي كانت تعرض على برلمان الثورة عبر مختلف مؤتمراته بدءاً من ديسمبر 1959 إلى فيفري 1962 وهو تاريخ مناقشة أرضية اتفاقية ايفيان وتحدياتها الخارجية خاصة مع دول الجوار (خاصة المغرب وتونس اللذان كان يتوجسان خيفة من موضوع تعديل الحدود كيف تعاطت دبلوماسية الثورة مع موضوع الحدود الجزائرية التونسية والحدود المغربية الجزائرية خلال معركة المفاوضات مع الجانب الفرنسي دون الاخلال بعلاقات حسن الجوار التي كانت الثورة بحاجة ماسة اليها حينها؟) والدول الشقيقة (اشارة مصر الناصرية التي كانت ترى في الثورة قد تقطف من يدها وتستثمرها نخبة عسكرية صاعدة لا تدين لها بالولاء، وهو ما يجعلنا نطرح إشكال في هذه الدراسة كيف تمكنت دبلوماسية الثورة من

كسب ود وتعاطف مصر في معركة المفاوضات مع الجانب الفرنسي والخروج من العزلة التي كانت تحاول ان تفرضها هاته الاخيرة عليها في المشرق؟ او باسلوب آخر كيف تمكنت دبلوماسية الثورة من المحافظة على الدعم المصري للثورة الجزائرية في ذات الوقت والحفاظ على استقلاليتها؟ فضلا عن مجموع حركات التحرر التي كانت شعوبها لا تزال تنن تحت نير الاستعمار واتخذت من الثورة الجزائرية قبلة للثورات العالمية .

أدبيات ونصوص كانت تؤسس لاستراتيجية العمل دبلوماسي لجبهة التحرير الوطني وتوجهها نحو كسب رهان الصراع مع فرنسا على المستوى الدولي اولا، بإرساء إستراتيجية هادئة، وهادفة ترمو إلى إيجاد آليات فعّالة يمكن من خلالها الحصول على المستوى المطلوب لخط العلاقات الخارجية مع الثورة، و ذلك قصد كسب مزيد من التأييد الدولي على المستويين الرسمي والشعبي، وفي ذات الوقت العمل على فك الحصار الدولي الذي فرضته الدبلوماسية الفرنسية لأجل عزل الثورة.

وتفعيلا لذلك، فقد ركزت جبهة التحرير الوطني على تحديد إستراتيجية وقواعد مرنة لنشاطها الدبلوماسي تتكيف مع طابع كل منطقة لجأت إليها، وهذه الأبعاد التي تبنتها أدبياتها، إنّما تتم عن إرادة حقيقية في التغيير ونقل وضع الجزائر من ثنائية الصراع الفرنسي الجزائري الذي طال أمده منذ الاحتلال إلى تحقيق التدويل الذي سيرفع الستار عن القضية الجزائرية ويبرز عدالة قضيتها ومشروعية مطلبها على المستوى المغربي والإقليمي والعالمي.

إن هذه المساعي في مجملها وان كانت مسخرة من أجل تدويل القضية الوطنية ومراهنه على كسب الرأي العام العالمي، لم تكن تهدف فقط على تحقيق حق الشعب الجزائري في استرجاع سيادته المغتصبة، بل تعدتها إلى تبني قضايا الشعوب التي رزحت كثيرا تحت وطأة الاستعمار، ووهن عزمها السياسي بسبب

التجاوزات الإمبريالية الغربية في حقّه، لذلك ركزت أدبيات الثورة الجزائرية في صميم مواعيقها على رسم الخطوط العريضة لإستراتيجية العلاقات الخارجية على عدّة مستويات، تمثلت تارة على مستوى البعد المغاربي في تعاملها مع دول الجوار وأخرى على البعد القومي العربي مع الأشقاء العرب وطورا آخر على التضامن الأفروآسيوي في إطار توصيات مؤتمر باندونغ واجتماعات حركة عدم الانحياز من ناحية، وكذا على النضال التحرري للشعوب المضطهدة في إفريقيا السمراء وأمريكا اللاتينية من ناحية أخرى وهو ما سنبينه في هذه الدراسة.

1- العلاقات المغاربية:

أكدت أدبيات الثورة في بيان أول نوفمبر ومؤتمر الصومام وباقي مؤتمرات المجلس الوطني للثورة الجزائرية، التزام ج.ت.و، وتمسكها بإقامة وحدة مغاربية في إطارها العربي والإسلامي⁽¹⁾، وإن كانت هذه الوحدة تعني آليا تكوين فدرالية من الدول الثلاث⁽²⁾.

هذا الأمر الذي سعت الجبهة إلى تجسيده، قد راهنت عليه في لقاء مؤتمر طنجة 1958⁽³⁾ الذي جمع إلى جانب ج.ت.و، كل من حزب الاستقلال المغربي والحزب الدستوري الجديد التونسي، لكن هذين الآخرين وقع في الكثير من الأحيان في شراك أحابيل الدبلوماسية الفرنسية وتحت تأثيرها عن طريق الضغط أو الإغراء بتعديل الحدود مع الجزائر لذلك قبلا بمحاولة الزج بجبهة التحرير الوطني للقبول بتسوية محاكة سلفا⁽⁴⁾ مع الحكومة الفرنسية، التي ظلت توعز إلى تونس والمغرب، لإثارة -من حين إلى آخر- مسألة المطالب الترابية،

(3) وم و ث ج، م م ط الأول 1960/59 ت س ع، علبة مصورة رقم C017، المصدر السابق. حول هذا المؤتمر أنظر معمر العايب الثورة الجزائرية ومؤتمر طنجة 1958، رسالة ماجستير جامعة الجزائر قسم التاريخ 2002

(4) وم و ث ج، م م ط الأول 1960/59، ت س ع علبة مصورة رقم C017 المصدر السابق

خاصة في الصحراء التي أصبحت موردا و مصدرا اقتصاديا هاما بعد اكتشاف البترول فيها وتخويفهما من عواقب تواجد قوات جيش التحرير الوطني واللاجئين على أراضيها⁽⁵⁾، علما أن تونس والمغرب يمثلان قواعد خلفية للثورة، ففيهما جيش الحدود، ومنهما يهرب السلاح إلى الداخل ، وبهما أعداد كبيرة من اللاجئين الجزائريين .

كما أن أراضيها ظلت إلى ذلكم الحين تقيم بهما قواعد عسكرية للجيش الفرنسي، وهو ما قد يشكل خطرا على الثورة، وعلى سلطة البلدين في آن واحد، لأجل ذلك لم يكن أمام جبهة التحرير الوطني سوى مواجهة كل هذه المخاطر المحدقة والآتية من أقرب الأطراف، لأنها تعلم أنّ أيّ توتر في العلاقات مع تونس والمغرب سيؤدي حتما إلى عزل الثورة التي قد تصبح مهددة باختناق.

وفي ظل هذه الظروف استوجب على جبهة التحرير الوطني، البحث عن سبل أخرى تجعل من البلدين المغاربة يؤديان دورهما المنوط بهما تجاه القضية الجزائرية، نظرا لحساسية وخصوصية هذا الدور، الذي ينبع من الإدراك الواسع والأكيد للمصير المشترك لشعوب بلدان المغرب العربي، ولهذا الغرض وضعت قيادة الثورة أسسا متينة لمد علاقات وطيدة مع التونسيين والمغاربة تعتمد على توسيع دائرة الوفاق، وتضييق عوامل التفرقة، وإرجاء الخلافات الثنائية إلى ما بعد استرجاع الجزائر لسيادتها الوطنية، كما أوجبت اتخاذ إجراءات صارمة ضد الذين يعملون على توتير العلاقات الحسنة بين شعوب المغرب العربي الثلاث.

كان الهدف المتوخى من هذه الإستراتيجية هو إثارة المشاكل بين الحكومة الفرنسية ونظيرتها المغربية والتونسية، مع العمل على تحريك وتفعيل الشعبين

المغربي والتونسي لخدمة الثورة وأهدافها التي كانت إحدى مراميها دفع سلطتي المغرب وتونس إلى تطبيق مقررات مؤتمر طنجة⁽⁷⁾.

-2- مع الدول العربية:

إن جوهر العلاقات التي حددتها الثورة الجزائرية مع الدول العربية عبرت عن الامتداد الطبيعي للجزائر داخل العالم العربي، وأكدت أنّ سعيها لتحقيق الوحدة المغاربية لم يكن إلا خطوة نحو تجسيد الوحدة العربية المشتركة، التي كان يطمح إليها المشروع القومي العربي وأمل الشعوب العربية الواسعة. وعليه، فلا غرابة أن تكون هاته الشعوب والدول الشقيقة سباقة إلى دعم الكفاح التحريري الذي يخوضه الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

ومهما كانت قيمة وطبيعة هذه المساعدات الهامة التي كانت تقدمها الدول الشقيقة إلى الثورة فإنها لم ترق إلى المستوى الذي كانت تأمله جبهة التحرير الوطني التي كابد نشاطها الدبلوماسي في بعض هذه الدول عناء كبيرا، وقد يكون مرد ذلك إلى طبيعة بعض الحكومات العربية وطبيعة علاقاتها مع الدول الغربية المؤيدة للسياسة الفرنسية في الجزائر.

لكن هذا الواقع لن يجعلنا نؤمن بعقم رابطة الصلة ومضمون التعاون والتضامن العربي مع الثورة الجزائرية، فعلى سبيل المثال، واسترشادا بالقرائن التاريخية، تُعدّ مصر أولى الدول العربية التي احتضنت وشجعت الثورة في بدايتها، بصفتها رائدة وحاضنة المشروع القومي العربي، بحيث قدمت الكثير من المساعدات المعنوية والمادية، وتحملت لأجل الثورة العدوان الثلاثي على أراضيها وإن كان آتيها لا محال بمشاركة فرنسا مع بريطانيا وإسرائيل في 26 أكتوبر 1956، وعلى الرغم من تأكيدات قادة الثورة واعترافيهم بالجميل المصري ليس على الثورة فحسب بل على العالم العربي واعتبارهم إياه رائدة الحركة العربية

الحديثة⁽⁸⁾، وعلى الرغم أيضا من اقتناعهم بضرورة الحفاظ وتعزيز أوصل الصداقة مع مصر، فإن ذلك لم يجعلهم يجازفون بالانسياق وراء عبد الناصر أو غيره للتدخل في شؤون الثورة⁽⁹⁾.

وكي لا تترك قضايا الثورة المصرية للصدف¹ وللظروف التي تفرض القيام بأعمال مرتجلة، وحتى يتسنى للثورة بناء إستراتيجية واضحة المعالم والأهداف في هذا الميدان تخدم القضية الجزائرية على جميع المستويات، حدد المجلس الوطني للثورة الجزائرية في اجتماعه بمؤتمر طرابلس الأول ديسمبر 1959/جانفي 1960، حدد إستراتيجية العلاقات الخارجية للحكومة المؤقتة في المشرق العربي على الأسس التالية².

- تعزيز الروابط مع الدول العربية.
- الحياد فيما يخص المشاكل بين هذه الدول.
- استغلال هذه العلاقة للضغط على دول المعسكرين (الشرقي والغربي).

- عزل الدول العربية سياسيا واقتصاديا عن فرنسا.
- جعل القضية الجزائرية معضلة بين الغرب والعالم العربي.
- أنبت هذه الإستراتيجية على ضوء هذه المقترحات . من إيمان جبهة التحرير الوطني، بأن الدول العربية جميعها وخصوصا مصر ودول المغرب

(8) نفسه.

(9) و م و ث ج، م م ط الأول 1960/59 م م س ع، علية مصورة رقم C005، المصدر السابق. وهو ما يفسر موقف الحكومة المؤقتة لنقل مقرها الرئيسي من مصر إلى تونس بعد الأزمة التي عصفت بها في صائفة 1959

العربي بما فيها المملكة الليبية هي الحليف الطبيعي للثورة، وهو ما سيعطيها دعما قويا على المستويين العسكري والدبلوماسي¹.

-إستراتيجية جبهة التحرير الوطني في التعاطي مع الأزمات
الدبلوماسية التي شهدتها مع المغرب وتونس:
أ- مع المغرب:

سيكون من السذاجة اعتبار مواقف المغرب تجاه الثورة على أنها من وحي السياسة الفرنسية على الأقل قبل مطالبته الرسمية بتعديل الحدود أي سنة 1958، لكن بعد هذا التاريخ فإنه بدا واضحا في تقديرنا أن مواقفه وأطماعه حتى وإن لم تكن بإيعاز من ديغول، فإنها كانت تصب وتخدم في سياسة هذا الأخير، سياسة قائمة على تفجير جبهة مؤتمر طنجة الذي انعقد في افريل 1958، وتفكيك عرى النضال الوحدوي ألمغاري بين الشعبين، وبالتالي إضعاف الثورة والنيل منها بعد إنهاكها لتجر نحو تسوية مهياة سلفا تخدم بدرجة رئيسة المصالح الفرنسية وبدرجة ثانوية المصالح المغربية².

ويمكننا تحليل ذلك بتصاعد المواقف السلبية المغربية تجاه الثورة بعد هذا التاريخ، ففي أوت 1958، تمكن ديغول من تسميم علاقات الثورة مع المغرب بعد أن جر هذا الأخير في مفاوضات لتعديل الحدود مع الجزائر، مفاوضات أسالت لعاب السلطات المغربية التي استصدرت قرارا بإنشاء لجنة رسم الحدود بناء على المفاوضات التي أجرتها مع فرنسا بنفس التاريخ، وهو ما اعتبرته جبهة ت.و خرقا لمبادئ النضال ألمغاري؛ وهكذا تقطعت أواصل النضال والتأخي المغاربيين، وتهاوت صروح آمال بناء المغرب الكبير، بعد أن بنا المغرب مواقفه من قضية الحدود على أمل إعادة إحياء مجد الإمبراطورية المغربية التي

1 و م ث ج، م ط الأول 1960/59 ر م خ، علبة مصورة رقم C008، المصدر السابق

تضم -على حد زعم علال الفاسي- شمال موريتانيا، أجزاء من السنغال، مالي والجزائر.

وفي أثناء انعقاد ندوة الدار البيضاء بالمغرب في أبريل 1961، والتي ضمت¹: جمهورية مالي، الجمهورية العربية المتحدة، غينيا، والمملكة الليبية والحكومة. م.ج.ج. في خلال انعقاد الندوة أكد محمد الخامس ثانية على مطالبه في موريتانيا ومنطقة رقان الجزائرية، حينها قامت ح.م.ج.ج. بشجب موقف المغرب أمام كل الوفود الحاضرة، واعتبرته خرقا صارخا لتوصيات ومقررات مؤتمر طنجة والمهدية وكذا المبادئ الأساسية التي قامت لأجلها الجامعة العربية، أو حتى الجبهة الأفروآسيوية، مما أكسبها تعاطف الوفود المشاركة².

ويبدو أن ح.م.ج.ج. ظلت تتعامل في خلافها الحدودي مع المغرب الشقيق بحنكة سياسية ودهاء قام على المرونة، قصد تقادي المواجهة وتعميق الصراع وذلك بإيفاد بعثات تفاوضية مع السلطات المغربية لأجل إقناعها³ غير أن المغرب ظل يؤكد على بضرورة العدول عن الاتفاق الذي أبرمته مع فرنسا سنتي 1957 و 1958، موقفه بطريقة غامضة، حتى خلال المحادثات التي جرت بين عباس فرحات والملك الحسن الثاني في 11/07/1961، حيث أكد هذا الأخير بأن المغرب لن يقدم على تقديم أي عرض بخصوص مسألة الحدود ما لم تعين لجنة عامة قصد دراسة مطالب المغرب والجزائر، وهو ما يوحي بأن المقصود من اللجنة العامة هي لجنة دولية، فالقضية لا تخص الدولتين كما

1.م.م.و. للأرشيف.و.ح.م.ج.ج. تقرير عباس فرحات حول الخلاف الحدودي مع المغرب .

11/جويلية 1961 علبة.رقم: 03. ملف رقم: 3

2 نفسه

3 نفسه

فهمتها ح.م.ج.ج. وهو ما جعلها تؤكد مرة ثانية على موقفها المبدئي من المسألة والذي يقوم على:¹

-لا يمكن للمغرب حل مشكل الحدود مع الجزائر بناء على الاتفاق الذي أجراه سنة 1957 مع فرنسا.

-إن المغرب قد تنكر لدعمه الأخوي والتضامني للشعب الجزائري بتفاوضه على قطعة تراب لا زال دم الجزائريين يسيل لأجلها.

-على المغرب إرجاء دراسة خلافاته الحدودية مع الجزائر إلى ما بعد الاستقلال. ومهما يكن فإن ظهور الخلافات الحدودية تحكمت فيها ظروف الثورة ذاتها، فمحاولة ديغول لأجل فصل الصحراء الجزائرية أسالت لعاب الجارتين، وهو ما يبرز درجة تسميم العلاقات المغربية مع الثورة بفعل سياسة ديغول، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن معركة الصحراء التي خاضتها جبهة التحرير الوطني ضد ديغول، كانت تستوجب من الجبهة ليس فحسب كسب تونس والمغرب لصالحها، بل تضامن وتعاطف الدول الصحراوية، وهو ما يبرز الوضع الحرج الذي كانت فيه ح.م.ج.ج. ، فمحاولة المغرب قامت على الضغط لأجل التفاوض وفقا لرؤاه ومطالبه وإلا، فانه كان يلوح بالعودة إلى اتفاق الذي أجراه مع فرنسا سنة 1957، لأجل ذلك سعت الحكومة المؤقتة لإنجاح المحادثات التي عقدها فرحات عباس مع الملك الحسن الثاني في 11/07/1961، وهو ما تم بالفعل حيث توصل الطرفان إلى الاتفاق التالي²:

-إرجاء مناقشة قضية الصحراء إلى ما بعد استقلال الجزائر.

-بعد الاستقلال يناقش الشعب الجزائري السيد القضية.

1MOHAMMED HARBI: LES ARCHIVES DE la REVOLUTION ALGERIENNE.OPCIT. P: 458

2م.م.و.للأرشيف و.ح.م.ج.ج. تقرير عباس فرحات 11. 1961/08/. نفس المصدر السابق.

- حل لجنة رسم الحدود الناتجة عن اتفاق 1957 بين فرنسا والمغرب.

- مواصلة دعم المغرب للكفاح المسلح للثورة التحريرية بتسهيل عمليات الإمداد والتموين.

- ب مع تونس:

كان بورقيبة يطمح لتعديل حدود تونس مع الجزائر وفتح نافذة على الصحراء الكبرى، ومتخوف من الثورة الجزائرية بما كانت تشكله من خطر في نظره وحدات جيش التحرير الوطني المرابط على حدود، وهو بذلك كان المعول الذي استعمله ديغول لشق التحالف المغاربي الذي ظهر بعيد حوادث ساقية سيدي يوسف، وأداة عول عليها لأنها كانت تطمح بحكم تخوفاتها لدفع جبهة التحرير الوطني لقبول أية تسوية سياسية مع فرنسا¹، كان ديغول على دراية بمواقف السيد لحبيب بورقيبة تجاه الثورة الجزائرية منذ اندلاعها، فهو لم يتوان في التدخل في شؤونها، سواء في إطار خلافاته مع صالح بن يوسف إثر مناصرة هذا الأخير للثورة، أو محاولته استيعابها أو جلبها لقلقه أثناء صراعه مع جمال عبد الناصر، مروراً باستغلاله لقيام ح.م.ج.ج ثم نقل مقرها إلى تونس ومناوراته قبل ذلك في مؤتمر طنجة والمهدية 1958²، ليعرب صراحة عن مواقفه تجاه القضايا الحدودية مع الجزائر إثر تتالي عملية اكتشاف البترول، لأجل ذلك جر من طرف ديغول للتوقيع على اتفاقية أيجلي في 1958/06/20، مع السلطات الفرنسية والتي نصت على تمرير انبوب الغاز الطبيعي الجزائري عبر التراب التونسي إلى ميناء السخيرة التونسي³، متكرراً بذلك لمبادئ التضامن والنضال

1 م.م.و. للأرشيف: ح.م.ج.ج. محضر اجتماع 1959/10/03، تدخل السيد محمود شريف وزير التسليح، علبنة مصورة: G007.

2 المجاهد: مؤتمر تونس كيف بدا وكيف انتهى. 1958/07/02

3 المجاهد: بترول المغرب العربي مشاكله اليوم وغدا: 1958/08/22

المغاربي ضد الاستعمار والإمبريالية، حينها قامت لجنة التنسيق والتنفيذ بالتنفيذ بالتدريج بنص الاتفاق لدى السلطات التونسية، فردت على إثر ذلك هذه الأخيرة بمنع توزيع جريدة المجاهد وحجز أعدادها، بل أدهى من ذلك إذ راحت توقف وتصادر في عماليات الإمداد والتموين لوحدة جيش التحرير المرابطة في الحدود، مباشرة بعد أن استنكرة لجنة التنسيق والتنفيذ صفقة الخبز المسموم أي اتفاقية إيجلي¹، وفي هذا الصدد أورد وزير التسليح والتموين في الحكومة المؤقتة السيد محمود شريف كمية الأسلحة التي تضمنتها حملات جيش التحرير الوطني والمصادرة من طرف السلطات التونسية بداية من جوان إلى ديسمبر 1958: 5070 بندقية، 2937 رشاشة، و 2037 مسدس رشاشا، و 20 بازوكا، و 75 رشاشا، و 30 مدفع هاون 81 و 10 ملايين خرطوشة، وبداية من أبريل 1959 إلى تاريخ عرضه لتقريره العسكري على الحكومة المؤقتة في أكتوبر 1959، أورد ذات الوزير أن الحرس الوطني التونسي استولى على مخازن الأسلحة التابعة لجيش التحرير الوطني، مخازن كانت تضم: 7000 بندقية، و 2000 بندقية رشاشة (FM) و 10 ملايين خرطوشة، وفي ذات الوقت شددت الخناق على وحدات جيش التحرير الوطني وشلّت حركتها بعدم تقديمها لرخص التنقل²، كما أقدمت السلطات التونسية على حد تعبير كريم بلقاسم وزير القوات المسلحة، منذ ستة أشهر على منع عمليات الإمداد بالأسلحة عبر ترابها وراحت تسعى لمعرفة تعداد وقدرات وحدات جيش التحرير الوطني³، يضاف إلى ذلك فرضها لرقابة

1 نفسه

2 م.م.و. للأرشيف: ح.م.ج. ح.م.ج. محضر اجتماع 1959/10/03، تدخل السيد محمود شريف وزير التسليح، العلة المصورة: G007 .

3 نفسه: محضر اجتماع: 1959/10/02، تدخل وزير القوات المسلحة كريم بلقاسم ع.م. G007. تجدر الإشارة هنا إلى ما يفسر تخوفات السلطات التونسية، ويبدو على الأقل في تلك الأثناء أن حادثة الطيار الفرنسي الذي وقع أسير لدى وحدات جيش الحدود في 1961/06/10، هي التي تفسر حدة التخوفات التونسية =

صارمة على اللاجئين والمقيمين الجزائريين في تونس¹، والظاهر أن تخوفات بورقيبة من الثورة الجزائرية انطلت عليها خطط ديغول لعزل هذه الأخيرة على المستوى الإقليمي، تخوفات انبنت من التواجد العسكري المكثف لوحداث جيش التحرير الوطني المرابطة بأراضيها قد توسع من رقعة الحرب في المنطقة، ومن تخميناته القائمة على إمكانية وقوعها كأداة طيعة في يد النظام الناصري للإطاحة ببورقيبة².

تلکم هي أهم الضغوطات التي كان يمارسها بورقيبة على الثورة الجزائرية وهو بذلك لم يكن إلا منفذا لطموحات ديغول، وإن كان يطمح لتحقيق أهداف سياسية تونسية خالصة، كان على الحكومة م.ج.ج. أن تتعامل مع هذا النوع من الأزمات بمرونة سياسية وواقعية تفرض الحفاظ على ما تبقى من عرى الأخوة المغاربية وإرجاء كل القضايا المصيرية إلى مابعد الاستقلال، وفي هذا السياق تمكنت من تلطيف الأجواء الدبلوماسية مع بورقيبة بتبديد سوء التفاهم القائم حول التواجد المكثف لوحداث جيش التحرير الوطني وباستقلال الثورة عن كل المؤثرات الخارجية، الأمر الذي أسهم في إعادة تحسين العلاقات التونسية مع الثورة الجزائرية نسبيا، حيث تعهد بورقيبة برفع الحصار الذي كان مفروض على مخازن الأسلحة التابعة لجيش التحرير الوطني³؛ لكن أن ديغول لم يتوان

وكيف استغلت فرصة هذه الحادثة ليس للإجهاد على الثورة ولكن على أقل تقدير لإبعاد خطرهما فبعد ضغط ديغول سارعت هذه الأخيرة إلى محاصرة وحدات جيش الحدود وكادت تخنقها بعد أن رفضت هذه الأخيرة تسليم الطيار كما أمر بذلك ديغول، وهو الأمر التي قبلته الحكومة المؤقتة ورفضته هيئة الأركان لتضطر في الأخير للخضوع بعد أن حوصرت وحداتها.

1 MOHAMMED HARBI LES ARCHIVES DE LA REVOLUTION
ALGERIENNE: OP CIT P: 245

2 م.م.و.و. للأرشيف: ح.م.ج.ج.ج. تتدخل وزير القوات المسلحة، وزير الداخلية ووزير شؤون شمال إفريقيا:
محضر اجتماع G007.1959/10/07.

3 م.م.و.و. للأرشيف: ح.م.ج.ج.ج. تتدخل كريم بلقاسم، 1959/11/11، عليه رقم: G008.

في توظيف بورقوية لعزل الثورة الجزائرية، ولو تطلب الأمر الزج به في متاهات سياسية ستدفع تونس ثمنها في الأخير، ذلك أن بروز قضية فصل الصحراء الجزائرية ضمن الإستراتيجية الفرنسية توازيا مع تطور عروض السلام لحل القضية الجزائرية فتحت شهية بورقوية للتأكيد مرة أخرى على مطالبه الحدودية مع الجزائر بشكل رسمي وأمام الرأي العام، فلقد أعلن أمام المجلس الوطني التونسي في فيفري 1961، بضرورة إعادة رسم الحدود مع الجزائر، واعتبر الصحراء الكبرى بمثابة بحر داخلي تشترك فيه كل الدول المجاورة، وهو بذلك تبنى علنا طرح ديغول فيما يخص هذه القضية، مما دفع بالحكومة م.ج.ج. إلى استنكار وشجب تصريحات بورقوية¹.

وتزامنا مع عملية التحضير لعقد محادثات أيفيان الأولى المزمع إجراؤها في أبريل 1961، بين وفدي الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية، وخوفا من حل الصراع الجزائري الفرنسي قبل تحقيق أطماعه الحدودية، تمادى بورقوية في التكرار للنضال المغاربي وراح يبحث عن طريق يمكنه من تعديل حدوده مع الجزائر مستغلا فرصة انعقاد ندوة رامبوي في فيفري 1961² الخاصة باتحاد الدول الناطقة باللغة الفرنسية، حيث أكد لديغول مطالبة تونس بأجزاء من الصحراء الجزائرية، كان هذا الموقف بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، ذلك أنه أسهم في تشنج العلاقات التونسية الجزائرية في صيف 1961، هذا التشنج ظهرت فيه بصمات ديغول الضاغطة على بورقوية لحصار الثورة، كما حدث بعيد ذلك على اثر إقدام المدفعية المضادة للطيران التابعة لوحدات جيش التحرير الوطني، في مركز ملاق بالأراضي التونسية بإسقاط طائرة حربية فرنسية

1م.م.و.و. للأرشيف. و.م.و.ث.ج. أوت 1961 تقرير عباس فرحات عن الخلاف الحدودي مع تونس. علة

مصورة رقم: C027

في 1961/06/21، حينها قام الجنرال ديغول بالضغط على بورقيبة لاسترجاع الطيار الأسير، فسارع هذا الأخير وقدم طلب رسمي للحكومة المؤقتة لاسترجاع الطيار، وهو ما حاولت الحكومة المؤقتة القيام به إدراك منها بخطورة الموقف، لكن هيئة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني رفضت تسليمه متعذرة بأنه مات، واعتبرت هذا الفعل بمثابة خضوعا لبورقيبة من طرف الحكومة المؤقتة وراحت تصعد من صراعها ضد الحكومة المؤقتة، وتبحث لها عن نصير في صفوف المساجين الخمس، لكن ديغول طلب تسليم جثة الطيار وواصل ضغطه على بورقيبة الذي أمر قواته العسكرية بفرض حصار على جيش التحرير الوطني المتمركز بالحدود ومنعه من عمليات الإمداد حتى بالماء وتعزيز إجراءات الرقابة على اللاجئين¹، إلى أن قامت هيئة الأركان العامة بتسليم الطيار الأسير fridiric؛ كل ذلك كان يجري في الوقت الذي كانت فيه ح.م.ج. ج.تتفاوض مع فرنسا²، الأمر الذي يبرز خطط ديغول لعزل الثورة وإضعافها لجيستيكية ودبلوماسية حتى وهو في أثناء المفاوضات لدفعها بالقبول بالتسوية التي كان يرتئها هو؛ وعليه فإن المعركة الدبلوماسية التي خاضها ديغول ضد جبهة التحرير الوطني، لعزلها إقليميا كانت مأكرة وتعتمد أساليب الخداع، لأجل ذلك لم يكن بوسع الحكومة المؤقتة، إلا كسب ود دول الجوار في معركتها الحقيقية ألا وهي المفاوضات، فالحرب والمعارك الدبلوماسية والتدويل كان الهدف منها هو الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري واسترجاع السيادة المغتصبة، ما جعلها تتصرف بواقعية، تجاه الأزمة مع تونس ففي جويلية 1961 أوفدت كريم بلقاسم، فرحات عباس، بن طوبال ومحمد يزيد للتحادث مع السلطات

1 انظر رسالة المساجين الخمس إلى بورقيبة بتاريخ 1961/06/24، ح.م.و.و. للأرشيف. و.م.و.ث. ج.ع.ب.

التونسية، -باهي لدغم، طيب مهيري ومصمودي، -وإثر هذا اللقاء اتفق الطرفان على أن تقوم تونس بإبلاغ باريس بأن مسألة الحدود ستدرس مع الجزائر المستقلة، وفي ذات الوقت سعت ح.م.ج.ج. للحصول على دعم الدول الصحراوية فجلبت تعاطف: مالي، غينيا، وغانا، بخصوص قضية الصحراء¹.

وبالرغم من ذلك فإن بورقيبة ظل بإيعاز من ديغول أو بوشي من سياسته يناور في الخفاء من أجل تحقيق أطماعه الحدودية مع الجزائر مستغلا بذلك الصراعات التي كانت تعيشها الثورة سواء بين الداخل والخارج (الولايات والحكومة المؤقتة) أو هذه الأخيرة وهيئة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني، حيث أوفد صادق مقدم إلى ليبيا في جويلية 1961، لدفعها عن العدول على الاتفاق الذي وقعته مع السلطات الفرنسية سنة 1956، ويبدو من خلال هذا أن بورقيبة أراد بذلك توسيع حدوده بين ليبيا والجزائر، وإيجاد ممر نحو الصحراء الكبرى.

حينها اصطدمت الأطماع التونسية بالمصالح الفرنسية وواجهتها طائرات الجيش الفرنسي بقتلة منطقة بن زرت في 20/07/1961²، وبالتالي فإن لقاء رامبوي لم يجني منه بورقيبة إلا الخزي والعار، حينها دعا ح.م.ج.ج. لفتح محادثات حول قضية الصحراء، وهو ما تم خلال لقاء الذي جمع عن الحكومة المؤقتة السادة: عباس فرحات، كريم بلقاسم، أحمد فرنسيس³ وعن

1م.م.و.و. للأرشيف.و.م.و.ث.ج.اوت1961تقرير عباس فرحات عن الخلاف الحدودي مع تونس. علبة

مصورة رقم: C027

2من العدوان على بنزرت إلى توقف المفاوضات. المجاهد: عدد: 101- 31/جويلية 1961وانظر أيضا

HENRI LEMIRE OPCIT- P-P-355-356:

3أحمد فرنسيس من مواليد غليزان 1912 متحصل على شهادة الطب، مارس السياسة مبكرا مع عباس فرحات ضمن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.1956/1946حيث التحق بجبهة التحرير الوطني، ثم

السلطات التونسية: طيب مهيري وعبد الله فرحات، وفي خلال هذا اللقاء ناور بورقيبة عبر محاولة جر وفد ح.م.ج.ج.ج إلى صياغة بيان مشترك، لم تعلن عنه هذه الأخيرة بنفس الصياغة التي حملها إعلانه عنه رسميا خلال اجتماعه بأعضاء المجلس الوطني التونسي، مؤكدا على مطالبه الحدودية بالصحراء الكبرى، كما حاول إيهام الرأي العام بتصدع قيادة الثورة ولهذا وجه خطابين متمايزين إلى الحكومة المؤقتة وإلى أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية¹ ارتكزت مطالب تونس الحدودية مع الجزائر، على التوسعات التي قام بها الجيش الاستعماري في الصحراء الجزائرية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تمتد إلى غاية النقطة 233، مستندة في ذلك على الاتفاق الذي عقد سنة 1910 بين ليبيا وفرنسا باسم تونس².

لأجل ذلك فان بورقيبة كان يطالب بتوسيع حدوده على مسافة 40 كلم نحو الجنوب، بل كان يؤكد أن لتونس مثلما هو للجزائر والمغرب جزء من الصحراء الكبرى، ولكي تلامس حدوده النيجر ظل يرفض وجود حدود ليبية جزائرية (منطقة الدباب) بل أراد دحرجة تونس فيما بينهما³.

مما سبق ذكره يتبين أن قيادة الثورة إلى غاية 1962 ظلت تتعامل مع جيرانها بخصوص المسائل الحدودية بمنطق الحكمة والتعقل، ذلك أنها حاولت تجاوز الخلافات مع تونس والمغرب وتأجيلها إلى ما بعد الاستقلال⁴، فأولوية

وزير للشؤون المالية والاقتصادية في الحكومة المؤقتة إلى الاستقلال، عين أيضا وزير للشؤون المالية خلال

الاستقلال توفي سنة 1968 انظر. MOHAMMED HARBI.LEF.L.N.OPCIT.p 400.

1م.م.و.و. للأرشيف. و.م.و.ث.ج. اوت 1961مداخلة كريم بلقاسم .علبة مصورة :C018:

2 BOULAME BOUGETAIA/ LES FRONTIERES MERIDIONALES DE L A LGERIE E: SNED.ALGER1981. P: 239

3م.م.و.و. للأرشيف. و.م.و.ث.ج. تقرير عباس فرحات حول الخلاف الحدودي مع تونس . المصدر السابق.

4انظر رسالة السجناء الخمس إلى الحكومة المؤقتة بتاريخ 1961/06/24.: بالملحق رقم: .

النضال كانت تتطلب المصلحة المشتركة لتعبئة الجماهير المغاربية ضد العدو المشترك¹.

وعليه فإن محاولة ديغول لعزل الثورة مغاربيا أخذت مناحي عديدة في الوقت الذي كانت تروم هدفين أساسيين، تفجير عرى التلاحم المغاربي وبالتالي إضعاف الثورة بغية جرها للدخول في مفاوضات من موقع ضعيف، مفاوضات قد تنتهي باستقلال يفتقد لأدنى شروط السيادة الوطنية، ويحول دون تكوين جبهة أو اتحاد مغاربي يقف في وجه المصالح الفرنسية في فترة ما بعد الاستقلال وهو ما يفسر احتدام الصراع في المغرب العربي بين الجارتين تونس والمغرب الأقصى للعب دور الوساطة بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة ج.ج.، لكن هذه الأخيرة عمدت إلى محاولة تحييدهما والتعامل معهما بمرونة وذلك بفتح النقاش معهما واستشارتهما بقصد كسبهما في المعركة الدبلوماسية الحامية الوطيس².

مما سبق ذكره يتبين أن قيادة الثورة إلى غاية 1962 ظلت تتعامل مع جيرانها بخصوص المسائل الحدودية بمنطق الحكمة والتعقل، ذلك أنها حاولت تجاوز الخلافات مع تونس والمغرب وتأجيلها إلى ما بعد الاستقلال، فأولوية النضال كانت تتطلب المصلحة المشتركة لتعبئة الجماهير المغاربية ضد العدو المشترك.

مما سبق ذكره يتبين أن قيادة الثورة إلى غاية 1962، ظلت تتعامل مع جيرانها بخصوص المسائل الحدودية بمنطق الحكمة والتعقل، حفاظا على وحدة الصف المغربي ودرءا لخطر التفتيت الذي كانت تسعى إليه الدوائر

1 HOCIN AIT AHMED/ LA GUERR et LA pres GUERRE. - E: minuit. Paris.
1964.P :61

2م.م.و. للأرشيف: م.ج.ح.م.ج.ج.: تدخل ع ح بوصوف, وم بيزيد: G007,1959/10/03.

الاستعمارية، وهي إذ فعلت ذلك أي الحكومة المؤقتة فإنها انتهجت إستراتيجية كسب ود الجارتين والعمل ما أمكن على طمأننتهما بخصوص المسائل الحدودية التي أرجأ البت فيها إلى ما بعد الاستقلال، فأولوية النضال كانت تتطلب المصلحة المشتركة لتعبئة الجماهير المغاربية ضد العدو المشترك.

المحور الرابع

مكاسب دبلوماسية الثورة الجزائرية

دبلوماسية الثورة الجزائرية في المغرب العربي ومكاسبها 1958.1960

✍ أ. د / عبد الله مقلاتي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص:

في هذه المداخلة نحاول إبراز إستراتيجية الثورة الجزائرية في تجنيد المغرب العربي دبلوماسيا وسياسيا لتحرير الجزائر وتحقيق أهداف الثورة، وذلك في مرحلة حاسمة اتسمت بالجنوح للحلول السياسية للقضية الجزائرية، وقد استطاع القادة العسكريون أن يضعفوا من مكانة السياسيين، وكرست دورة المجلس الوطني للثورة في أوت 1957 مراجعة مبدئي أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، وبذلك تم تغيير الإستراتيجية المنتهجة مع أقطار المغرب العربي عام 1958، وتم التأكيد على وحدة المغرب العربي وتوجيه سياسته لخدمة أهداف الثورة، وخلصنا من خلال المقال إلى نتائج مهمة منها: أن اهتمامات وأهداف الثورة الجزائرية خلال مرحلة 1958 . 1960 وجهت بشكل واضح علاقاتها المغاربية، فقد رغبت بطموح في دعم إستراتيجيتها السياسية والعسكرية مغاربيا، غير أن علاقاتها المتشابكة تأثرت بحدود الدعم المقدمة لها وبظهور المطامح والمصالح القطرية، وبالضغوط الفرنسية والغربية المسلطة على المنطقة، وأخذت خطوة المفاوضات ومسألة تدويل المشكلة الجزائرية أبعادا محلية ودولية انعكست على حجم التضامن الشعبي المؤازر للقضية الجزائرية وعلى الموقف السياسي المتأرجح بين حتمية التضامن المغاربي والحصول على مكاسب قبل أن تجسد الجزائر استقلالها.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، المغرب العربي، تحرير، إستراتيجية.

Summary:

In this article we try to highlight the strategy of the Algerian revolution in recruiting the Arab Maghreb diplomatically and politically to liberate Algeria and achieve the objectives of the revolution at a decisive stage characterized by the withdrawal of the political solutions to the Algerian issue. The revolution leadership oversaw the implementation of its policy. Between the fighters of the border army, and with the politicians of the Moroccans and Egyptians, and the military (Karim, Ben Tobal, Bosuf) could weaken the status of politicians, and devoted the National Council of Revolution in August 1957 a preliminary review of the priority of the political on the military and the inside abroad, The unity of the leadership and unity of direction, and we concluded the important results, including: that the interests and objectives of the Algerian revolution in the period of 1958 and 1960 clearly directed their relations Maghreb, wanted to aspire to support the political and military strategy of the Maghreb, but its interrelated relations affected by the limits of support provided to them and the emergence of ambitions and national interests , And the French and Western pressure on the region, and took the step of negotiations and the question of internationalization of the Algerian problem, local and international dimensions reflected on the size of popular solidarity supportive of the Algerian issue and the political position oscillating between the inevitability of Maghreb solidarity and get Gains before you embody Algeria independence.

Keywords: Algerian revolution, Maghreb, liberation, strategy.

مقدمة:

اهتمت قيادة الثورة الجزائرية بمسألة تدويل القضية الجزائرية، واعتمدت فضاء المغرب العربي منطلقاً وحليفاً لتحقيق ذلك، بحكم أهمية هذا الفضاء ودوره في كسب المناصرة الدولية، فكيف رسمت الثورة الجزائرية إستراتيجيتها لاحتواء دعم المغرب العربي في تحقيق استقلال الجزائر وخاصة من الناحية الدبلوماسية والسياسية، هذا ما نحاول معالجته في مقالنا، مركزين على إبراز مكانة المغرب العربي في الإستراتيجية الثورية للجزائر خلال مرحلة الدراسة، وهادفين إلى إبراز مكانة المغرب العربي في إستراتيجية الثورة الجزائرية، وخاصة خلال المرحلة

التي تميزت بمجيء الجنرال ديغول والدخول في المفاوضات وتزايد النشاط الدبلوماسي.

أولا . نحو تضامن أقوى لتوحيد المغرب العربي وتحرير الجزائر:

عرفت الثورة الجزائرية منذ عام 1958 تطورات عسكرية وسياسية حاسمة زادت قوة وتنظيما، وأكدت لها أهمية ارتباطاتها المغاربية، ففي جوان 1957 خرجت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس والمغرب مضطرة، وهناك وقفت على إمكانيات الثورة وقدراتها في القواعد الخلفية، وسهرت على تنفيذ سياستها، وفي ضل تنازع السلطة بحث قادة لجنة التنسيق والتنفيذ على نفوذ لهم بين مقاتلي جيش الحدود، ومع الساسة المغاربة والمصريين، وقد استطاع العسكريون (كريم، بن طوبال، بوصوف) أن يضعفوا من مكانة السياسيين، وكرست دورة المجلس الوطني للثورة في أوت 1957 مراجعة مبدئي أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، والحفاظ على وحدة القيادة ووحدة التوجه، وتقرر توسيع عضوية المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، وقد ضمت هذه الأخيرة عناصر سياسية معتدلة مثل فرحات عباس ولكنها خضعت لهيمنة الثوريين العسكريين، واختارت القاهرة مقرا بحجة أن تونس والمغرب ليستا مؤمنتين، وأن القاهرة تحظى بمكانة سياسية تؤمن الدعم الدبلوماسي والإعلامي للثورة⁽¹⁾. لكن هذه الوضعية والمكانة التي حازتها مصر لم تدم طويلا، وذلك لأن أهمية المغرب العربي بدأت تسطع بحكم مستجدات الأحداث السياسية، وتزايد نشاط جبهة وجيش التحرير الوطني في البلدان المغاربية، فهل عرفت إستراتيجيتها تغييرا في السياسات المنتهجة مع المنطقة المغاربية؟ لقد أدى لجوء قيادة الثورة إلى الخارج

1 انظر محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر (1942 . 1992)، ج2، دار هومة، الجزائر،

واشتداد الهجمة العسكرية الفرنسية إلى التفكير في تطوير آليات المواجهة، وتركزت اهتمامات الثورة في هذه المرحلة على بعدين استراتيجيين هما:

1. تعزيز الموقع العسكري لجيش التحرير الجزائري: رأى قادة الثورة أن مواجهة السياسة الفرنسية تتطلب جهدا عسكريا أكبر، خاصة في ظل التصلب والهجمة الفرنسية الشرسة على الشعب الجزائري، ورغم ما حققته حرب العصابات والأعمال الفدائية من نجاحات إلا أنها لم تسمح بإنجاز ديان بيان فو ثانية، وعليه كان التفكير باتجاه تحويل جيش التحرير الوطني إلى جيش نظامي وعصري يعتمد الوحدات العسكرية الكبرى ويتجاوز حدود المنطقة والولاية، والعمل على تجهيز هذه الوحدات بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة⁽¹⁾، وقد تأخر تجسيد قرار إنشاء قيادة موحدة للجيش نتيجة الصراع بين أقطاب لجنة التنسيق والتنفيذ، والمشاكل التي عرفتها قاعدة تونس والقاعدة الشرقية، وفي أبريل 1958 ولدت لجنة التنظيم العسكري المشتعلة على فرعين أحدهما في الشرق والآخر في الغرب وإن كانت لجنة الحدود الغربية بقيادة هواري بومدين حققت بعض النتائج المهمة على مستوى الانضباط والتحديث فان لجنة الحدود الشرقية عرفت إخفاقا في إدارة مهامها، واتهم قادتها بالتقصير، وأدت محاكمتهم غير البريئة إلى إدخال جيش الحدود الشرقية في صراعات وفوضى⁽²⁾، الأمر الذي استدعى تدخل قادة ولايات الداخل والضغط أكثر على قيادة الثورة العليا من أجل تسخير

1 انظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص. ص، 180. 181.

2 كان من نتائج التحيز في إصدار العقوبات وتمثيل قادة الأوراس والقادة الشرقية بتشجيعهم للدخول في مغامرة الانقلاب على الحكومة الجزائرية المؤقتة في أكتوبر 1958، وكان تمرد الجنود الموالين لهم، وعدم انصياعهم للقيادة الجديدة: انظر، الطاهر سعيداني: القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص. ص، 192. 193.

كل الطاقات لتعزيز قدراتهم العسكرية، غير أن إغلاق الحدود بالأسلاك الشائكة جعل قيادات الداخل المحاصرة في حرج، في مقابل تعزيز قوة جيش الحدود، إذ تجمعت الفرق العسكرية والأسلحة على طول الحدود التونسية والمغربية وبوشرت مهمة تدريب وتنظيم الجيش، وهكذا تحول جيش الحدود الذي انتظم في عام 1960 إلى قوة نافذة يحسب لها حسابها، وبحكم تواجده في التراب التونسي والمغربي وتوسع نشاطه، وأحيانا فإنه مثل عنصرا مهما في العلاقة مع سلطات البلدين المضيفين (1).

2. تفعيل النشاط السياسي: لقد أعلنت الثورة الجزائرية أن من أهدافها الأساسية تدويل المشكلة الجزائرية، والاعتراف بالنضال التحرري الذي تخوضه جبهة التحرير الوطني لأجل تحرير الشعب الجزائري من ريقة الاستعمار، وردا على الموقف الفرنسي الذي لا يقر بوجود شخصية جزائرية توجهت للعمل في الميدان الخارجي، وسجل المجلس الوطني للثورة أهمية العمل الخارجي في التعريف بالقضية الجزائرية وتدويلها، وضرورة تآزر مختلف الفعاليات لتأطير النشاط الخارجي خاصة المنظمات الجماهيرية، ودعا إلى إنشاء حكومة مؤقتة، ولم يكن من السهل الإعلان عن تشكيل حكومة في الخارج، ذلك أن الأمر يتطلب استعدادا كافيا وحسابات دقيقة تضمن نجاحها وبقائها، وحصل إجماع قادة الثورة على دخول المعترك السياسي بقوة، وتنشيط حملة دبلوماسية واسعة لإثبات الذات وجس نبض بعض الحكومات الصديقة (2).

واهتمت قيادة للثورة بكسب التأييد الخارجي وعزل السلطة الاستعمارية دوليا، وكان الاتجاه إلى الأمم المتحدة ضامنا لتدويل المشكلة الجزائرية، وأما

1 محمد حربي: المرجع السابق، ص 213.

2: Ferhat ABBAS; *Autopsie d'une guerre*, L'Aurore, ed garnier freres, paris, 1981, p- 242-246

دائرة الأحلاف فهي تركز أساسا على المغرب العربي والدول العربية والإسلامية، وعلى مجموعة الدول الآفرو آسيوية، والدول الصديقة المتضامنة مع القضية الجزائرية في أوروبا الشرقية وأمريكا الجنوبية.

وقد تركز الاهتمام على دائرة المغرب العربي لارتباطها الوثيق بالثورة الجزائرية، ولأهميتها الإستراتيجية في كسب إفريقيا والعالم الخارجي، ومن أجل ذلك شددت دورة المجلس الوطني للثورة في أوت 1957 على تحسين العلاقات مع الدول المغاربية بما يثبت جبهة التحرير الوطني على الساحة الدولية ويخدم إستراتيجيتها⁽¹⁾، وقد لاحظت الدورة أن العلاقات تشكو نوعا من الفتور بدأ مع نيل تونس والمغرب استقلالهما، وأن توصيات ميثاق الصومام بتنسيق العمل السياسي وإنشاء لجنة مشتركة لم تتجسد في الميدان، نتيجة عدم تجاوب الشقيقتين المستقلتين، في حين أن المنظمات الجماهيرية بدأت تتحرك ببطء في هذا الاتجاه، وفسر هذا الموقف بانشغال تونس والمغرب باهتماماتهما القطرية على حساب مبدأ التضامن المشترك في تحرير شمال إفريقيا⁽²⁾، والحق أن لجنة التنسيق والتنفيذ قبل خروجها من الجزائر لم تفعل نشاطها المغاربي بالشكل الذي يكرس توصيات مؤتمر الصومام، ولم توفق في إرساء تنسيق سياسي محكم نتيجة فتور العلاقة مع الحزب الدستوري الحر وحزب الاستقلال.

لقد أكدت الثورة الجزائرية منذ نهاية عام 1957 من أهمية البلدان المغاربية في خدمة إستراتيجيتها، إذ كانت المرحلة الجديدة تتطلب كسب الجماهير الشعبية وجعلها أداة للضغط على السلطات الحاكمة، والتحالف مع الأنظمة السياسية للحصول على دعمها، سواء في دعم قدرات الجيش العسكرية

1 انظر محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص. 144، 145.

2 المرجع نفسه، ص. 144، 145.

أو مساندة قضيتها سياسيا، وهكذا حددت الأهداف الأساسية لإنجاح سياستها المغاربية في النقاط الآتية:

. إجراء لقاءات ومفاوضات مع السلطات التونسية والمغربية من أجل فض بعض المسائل الخلافية، خاصة فيما تعلق بضبط نشاط جيش التحرير على الحدود، ومسألة تمرير الأسلحة وحل الخلافات الطارئة، وقد عقدت عدة لقاءات في تونس بين جبهة التحرير الوطني وممثلي الجيش التونسي ولقاءات أخرى في المغرب لطفت أجواء العلاقات إلى حد ما بين الطرفين إلا أن عقدة الإقليمية وفرض السيادة ظلت تؤثر على نشاط الجيش وعلى تمرير الأسلحة (1).

. إحياء مبدأ الكفاح المشترك من أجل التحرر الشامل لأقطار المغرب العربي، وغرسه في الضمير الشعبي، وتجنيد الجماهير الشعبية للضغط على الأنظمة السياسية التي حادت عن التزامات الكفاح المشترك ورضخت للضغط الفرنسية.

. إقناع المغرب وتونس بسلامة موقف جبهة التحرير الوطني من أجل القضية الجزائرية، خاصة مبدأ الاعتراف بالاستقلال شرطا مسبقا للدخول في مفاوضات مع فرنسا، وتجنيدهما لمواصلة العمل على الساحة الدولية من أجل تجسيد وساطتها في حل القضية الجزائرية وفق ما أقرته الأمم المتحدة (2).

إن هذه الأهداف وجهت إستراتيجية الثورة المغاربية، وفرضت نشاطا واسعا للجنة التنسيق والتنفيذ في المغرب العربي، إذ لم يقتصر على الجانب

1 Ferhat ABBAS: op, cit, p-p، 208-209

2 انظر محمد العربي الزبيري: المراجع السابق، ص . ص، 151_152، ووثائق المجلس الوطني للثورة

الجزائرية 1959_1960، انظر تقرير السياسة العامة CNRA Microfiche C007 A.N.A.

العسكري والتسلح بل شمل الشؤون السياسية والإعلامية والاجتماعية، وأوجدت عدة مصالح ولجان تتبع مديريات لجنة التنسيق والتنفيذ، مهمتها الإشراف على شؤون الثورة المختلفة وتجسيد أهدافها المغاربية المرسومة، وكذا تنسيق العمل مع المؤسسات العسكرية والمدنية للثورة ومع سلطات البلدان المضيفة⁽¹⁾.

وقد زادت أهمية البلدان المغاربية بشكل واضح، إذ كانت فرق جيش التحرير الوطني مرابطة بالحدود وتستفيد من خدمات القواعد الخلفية، والمعابر الرئيسية للسلاح تمتد عبر أراضي ليبيا وتونس من جهة الشرق وعبر المغرب من جهة الغرب، كما أن حركة لجوء الجزائريين المهددين بويلات الحرب ازدادت حدتها، هذا فضلا عن وجود جالية جزائرية بأعداد كبيرة ووضعية متميزة كان بإمكانها أن تساهم بفعالية في خدمة إستراتيجية الثورة الجزائرية.

وتنفيذا لميثاق مؤتمر الصومام عاد الحديث عن مسألة التنسيق السياسي مع القوى السياسية والحزبية في تونس والمغرب، صحيح أن جبهة التحرير الوطني ما فتئت تطالب بتضامن "الأخوة" المغاربية إلا أن ظروف نهاية عام 1957 ومناسبة مشروع الوساطة ساعدت أكثر على إعادة طرح الموضوع، وإبداء مقترحات فعالة للتضامن والوحدة كانت قد أثبتت نجاحها مع المنظمات القطاعية والجماهيرية التي حسمت موضوع وحدتها⁽²⁾، وأكدت الهجمة الشرسة لاحتلال الفرنسي على الجزائر وعلى الحدود التونسية والمغربية، ورفضه لمطلب الجلاء، وفشل مشروع الوساطة على وجوب إبداء تضامن مشترك لمواجهة عدو واحد، خاصة وأن جبهة التحرير الوطني أكدت أن الحرب التي تخاض في

1 انظر تقرير عبد الحميد مهري المقدم للمجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959-1960. **A.N.A.**

CNRA Microfiche C002

2 نشير أساسا إلى الوحدة النقابية العمالية التي ولدت في مارس 1958 والوحدة الطلابية التي أعلن عنها في أوت 1958.

الجزائر تتجاوز حدود هذا البلد، وأن تحقيق الأمن والاستقلال في الشمال الإفريقي مرهون باستقلال الجزائر، وأنه من واجب الشمال الإفريقي دعم انتصار الثورة "قالمغرب في حالة حرب، ولكي تكون لهذه الحرب كل إمكانيات النصر، لا بد أن تدعم من قابس إلى أغادير" ⁽¹⁾، وقد جاءت حادثة ساقية سيدي يوسف والاعتداءات الفرنسية على الحدود لتؤكد تصور جبهة التحرير الوطني لمشاكل الشمال الإفريقي الحقيقية .

وقد انتهزت الجبهة مسعى الوساطة التونسية المغربية لتدعو إلى تنسيق سياسي مشترك خاصة في ظل تدويل القضية الجزائرية والاختلاف في وجهات النظر لمعنى الوساطة، وأرادت جبهة التحرير الوطني تجنب هذا التباين وتأكيد موقفها، ووضع النخب السياسية المغاربية أمام الأمر الواقع بدعوتهم إلى تنسيق سياسي أكبر، وتجسيد تضامن فعال في مواجهة السياسة الفرنسية ⁽²⁾.

ومن أجل ذلك جاءت الدعوة إلى مؤتمر طنجة، في ظرف حساس للغاية وأحداث متسارعة، فكان فرصة ثمينة لجبهة التحرير الوطني لتكريس تضامن سياسي فعال مع الحزب الدستوري الحاكم في تونس وحزب الاستقلال المغربي المشارك في الحكومة المغربية، وإن كانت تدرك أن توحيد المعركة في هذه المرحلة لم يعد ممكنا إلا أنها هدفت إلى إرساء تضامن مغاربي مع الثورة الجزائرية يحقق تجنيد البلدين الشقيقين لخدمة الكفاح الجزائري وبناء علاقات

1 انظر، **المجاهد** ع، 25(13 حزيران 1958)

2 أنظر نص بيان لجنة التنسيق والتنفيذ بتاريخ 29 أكتوبر 1957، وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر): النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962، طبع وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص

قوية ومفيدة مع الحزبين الحاكمين في تونس والمغرب⁽¹⁾، وقد حققت بذلك جبهة التحرير الوطني عدة مطالب كرستها بنود مؤتمر طنجة نذكر منها :

. تصفية رواسب الاستعمار، وجلاء القوات الفرنسية عن المغرب وتونس والتي كانت تساهم في الحرب على الجزائر.

. تشجيع مقترح إنشاء حكومة جزائرية مؤقتة بالتشاور مع حكومتي تونس والمغرب.

. الاعتراف بحق الشعب الجزائري في نيل استقلاله وإدانة الاستعمار والحلف الأطلسي.

. الشروع في إنشاء مؤسسات الوحدة المغاربية (المجلس الاستشاري والأمانة الدائمة)⁽²⁾.

إن المصادقة على هذه المطالب يعد انتصارا حقيقيا لإستراتيجية جبهة التحرير الوطني في إرساء التضامن المغاربي مع الكفاح الجزائري، ثمنته لتشجذ همم شعوب المغرب العربي وتقوي الآمال في نفوس المناضلين الجزائريين وتؤكد أن مسألة استقلال الجزائر هي تحرير للمغرب العربي ودحر للإمبريالية، وقد تشجعت القوى الشعبية والسياسية لمباركة قرارات المؤتمر، وطالبت تونس والمغرب بجلاء القوات الأجنبية، وبالتضامن مع القضية الجزائرية وإنهاء حرب الجزائر، وهكذا توفرت للثورة الجزائرية قاعدة دعم شعبية واسعة كانت كافية في انتظار ترسيم الحكومات التنفيذية للمقررات لضمان مناصرة طروحاتها وتأييد

1 انظر محمد المبلي: مواقف جزائرية، ط1، م وك، الجزائر، 1984، ص72

2 انظر محمد المبلي: المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص54.

مطالبها، وجعلها أداة ضغط على الأنظمة السياسية المترددة و المتصلة من خط طنجة⁽¹⁾.

ولئن كانت الأنظمة السياسية المغاربية شعرت بخطورة المشاعر الثورية التي فجرها مؤتمر طنجة، وانصاعت للتهديدات الفرنسية حفاظا على مصالحها القطرية فإن جبهة التحرير الوطني اجتهدت في الحفاظ على خط طنجة، والدعوة إلى تضامن شعبي يحقق وحدة المغرب العربي وتحرير أقطاره من جميع أشكال الهيمنة الأجنبية، وقد أدى مجيء ديغول للسلطة وانتهاجه لسياسة احتواء تونس والمغرب وضرب المشروع المغاربي إلى ظهور كثير من الخلافات والمشاكل مع الأقطار المغاربية تصدت لها الثورة الجزائرية بإستراتيجية مدروسة.

وقد خططت جبهة التحرير الوطني كذلك لمواجهة السياسة الديغولية وانعكاساتها المغاربية، واتخذت عدة قرارات سياسية مهمة، إذ واجهت السياسة الاندماجية، ودعت إلى مغربة القضية الجزائرية من أجل الاستقلال والوحدة، وتأكيد الاعتراف بجبهة التحرير الوطني وبمطالبها الشرعية، وحرصت على إظهار علاقاتها الودية مع نظامي تونس والمغرب، وفي سبتمبر 1958 اتخذت خطوة سياسية مهمة تمثلت في تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة، التي أعطت شرعية وقوة أكبر للكفاح الجزائري، وأطرت علاقات التنسيق السياسي مع البلدان المغاربية وفق أسس جديدة⁽²⁾.

1 انظر، احمد ابن فليس: السياسة الخارجية للجمهورية الجزائرية المؤقتة: رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1986 ص 108.

2 انظر التقرير السياسي للحكومة الجزائرية المؤقتة المقدم في أوت 1959، والذي أورده حربي:

Mohammed HARBI: Les Archives de la revolution Algerienne ,ed, jeune Afrique, Paris, 1981 P 261 ,

ثانيا . الجالية الجزائرية والموازرة الشعبية في خدمة السياسة التضامنية:

لقد اعتمدت جبهة التحرير الوطني على نشاط الجالية الجزائرية والفعاليات الجموعية في إرساء التضامن المغاربي، وفسحت المجال أمام القوى الشعبية لتقوم بدورها الفعال في تجنيد شعوب المغرب العربي وقواه الحية مع الثورة الجزائرية، خاصة وأن شعارات ومبادئ الكفاح المشترك والتحرير الشامل كانت تجند ورائها تعبئة شعبية تعاكس المواقف الرسمية التي لم تجسد تضامنا سياسيا تاما مع جبهة التحرير الوطني.

وقد حقق التضامن الشعبي مع كفاح الشعب الجزائري إجماعا عاما، لكن مسألة تفعيله واستغلاله تراجعت في المرحلة الأولى لاستقلال تونس والمغرب، وذلك رغم إلحاح مؤتمر الصومام على ضرورة رعاية التضامن الشعبي، واستغلاله في دعم الثورة الجزائرية ووحدة المغرب العربي.

وقد تحققت بعض النتائج المهمة في ميدان التضامن الشعبي، منها إنشاء لجان شعبية تضامنية في الأقطار المغاربية ⁽¹⁾، وإظهار القوى الشعبية لتضامنها في مناسبات معينة ⁽²⁾، وإقامة تنسيق وتعاون بين التنظيمات الجماهيرية المغاربية خاصة اتحادات العمال والطلبة والتجار ⁽³⁾، ودعت صحافة

1 أقيمت كثير من اللجان الشعبية والقطاعية في المغرب وتونس، وأحيانا بإشراف الأحزاب السياسية، غير أن أهم تجربة في هذا المجال هي تجربة لجنة مناصرة جيش التحرير الجزائري في ليبيا منذ عام 1956.

2 مثل إحياء أعياد الثورة الجزائرية ومساندة القضية الجزائرية في مواعيد محددة، إذ دعا الشعبين التونسي والمغربي بمناسبة عرض القضية الجزائرية في الأمم المتحدة إلى إضراب عام يوم 30 جانفي 1957 في تونس، ويوم 1 فيفري 1957 في المغرب.

3 بذلت في هذا المجال جهود تنسيقية معتبرة من قبل الاتحاد العام للعمال الجزائريين الذي تأسس في فيفري 1956، والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي ظهر في جويلية 1955، والاتحاد الوطني للتجار والحرفيين الذي أنشأ في سبتمبر 1956.

جبهة التحرير الوطني إلى تعزيز هذا التضامن الذي يعبر عن وحدة قضايا شعوب المغرب العربي، ويستحيل الحد منه أو التعرض له "فهذا أمر طبيعي وواجب، وليست في العالم أي قوة تقدر على أن تقطعه أو تنقص منه"، وفي هذا تأكيد للفرنسيين وحتى الأنظمة الرسمية أن شعوب المغرب العربي تتضامن تلقائيا وبشكل مطلق مع قضية الجزائر، خاصة وأنها أكدت أن هذا التضامن سيزداد التحاما ليفتك بالاستعمار الفرنسي⁽¹⁾، ونظرا لأهمية التضامن الشعبي في دعم ونصرة الثورة الجزائرية اهتمت جبهة التحرير الوطني برعايته وإظهاره في إطار وحدة الشمال الإفريقي، مستعينة في ذلك بمبادئ التضامن المشتركة، وبحتمية التضامن في هذه المرحلة الحاسمة، واعتمدت في ذلك على نشاط الجالية الجزائرية وعلى المنظمات النقابية والجهادية، والتي عملت وفق توجيهاتها ومبادئها، وساهمت في تفعيل الدعوة إلى التضامن ووحدة الشمال الإفريقي.

كما تم تأطير الجالية الجزائرية المتواجدة في تونس والمغرب بغية الاستفادة من خدماتها، وكانت تمثل خزاناً بشرياً مهما (50 ألف في تونس و30 ألف في المغرب)، وتشمل عائلات مرموقة، وإطارات مكونة عملت مع سلطات الحماية واحتفظت بها حكومتا المغرب وتونس، وبعض هؤلاء بادروا لاحتضان الثورة والبعض الآخر طلبت جبهة التحرير الوطني خدماتهم الثمينة⁽²⁾، وقد استفاد بوصوف مثلاً في المغرب من مساعدات هامة قدمها أمثال شانقرicha

1 انظر المجاهد عدد 10 (5 سبتمبر 1957) ص1.

2 انظر، تقرير وزارة الداخلية المقدم للمجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959 . A.N.A. CNRA

ومحمد خطابي، ورحال...الخ⁽¹⁾، وقدم الجزائريون المتواجدون في تونس وفي ليبيا خدمات متنوعة، كالتجنيد والدعاية وتمثيل الثورة وجمع المساعدات لها.

وقد عرفت قاعدة المغرب تنظيما محكما بفضل الجهود التي بذلها بوضياف والطيب الثعالبي، بإنشائهما للمنظمة المدنية للجبهة، وهي جهاز سياسي للتنظيم والدعم اللوجستيكي، أطرت جميع الجزائريين في مختلف الجهات في لجان وخلايا، يدفعون الاشتراكات ويلتزمون بنظام الثورة ويخدمونها بما يستطيعون تقديمه كل في مجاله⁽²⁾، ونظرا لنجاح تجربة المغرب طلبت لجنة التنسيق والتنفيذ الطيب الثعالبي للإشراف على المنظمة المدنية في تونس، وتمكن بعد أشهر من إرساء النظام في قاعدة تونس وتأطير جميع الجزائريين وتسخيرهم لخدمة الثورة الجزائرية⁽³⁾، وقد ساعد تنظيم هذه الجالية والإشراف المباشر على شؤون اللاجئين في إرساء تمثيل فعال أفاد الثورة الجزائرية، إذ عمل على تعبئة الرأي العام المغاربي وراء مساندة قضية الجزائر، وشكل أداة ضغط على الحكومة والسلطات المحلية، وفي ظل الحماس الذي فجره مؤتمر طنجة برز دور الجالية الجزائرية الهام في وتجنييد الجماهير وراء الأهداف الثورية التي رفعتها جبهة التحرير الوطني⁽⁴⁾ وبفضل ذلك أمنت الثورة الجزائرية مناصرة شعوب المغرب العربي لأهدافها المغاربية المشتركة.

1 Abd Elkarim HASSANI. **op.cit.** p 136. Et Mohamed LEMKAMI: **op.cit** p-p.262-263

2 انظر تقرير وزارة الداخلية حول تنظيم فدراليات جبهة التحرير الوطني السابق **A.N.A.** CNRA Microfiche C011

3 شهادة الطيب الثعالبي، مقابلة مع الباحث.

4 انظر الجندي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، طبع المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، الجزائر، 1986، ج3، ج2، ص 241.

وقدر كذلك للفعاليات الجماهيرية أن تلعب دورا رياديا في قضية التضامن الشمال إفريقي، وذلك بحكم نخبويتها وتجذر تضامنها، وقدرتها على تعبئة فئات واسعة من العمال والطلاب والتجار والحرفيين والفلاحين والكشافة والنساء... الخ، وقد دعت جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا مبكرا للتضامن مع الثورة الجزائرية، وأعربت الاتحادات النقابية المغاربية عن استعدادها الكامل لمؤازرة القضية الجزائرية، ومن أجل تفعيل هذه المبادرات وخدمة أهداف الثورة حثت جبهة التحرير الوطني منظماتها الجماهيرية على مراعاة البعد المغاربي في نضالها وتنسيق مجالات التضامن المشتركة ومناصرة القضية الجزائرية، وقام الاتحاد العام للعمال الجزائريين بنشاط تنسيقي حثيث لقي تجاوبا من النقابيتين العماليتين التونسية والمغربية اللتين أعلنتا منذ جويلية 1956 طموحهما في إنشاء نقابة شمال إفريقية موحدة، وأحييا في مناسبات عديدة مظاهر تضامنية مؤازرة للثورة الجزائرية ⁽¹⁾، وفي مارس 1957 نقل الاتحاد العام للعمال الجزائريين نشاطه إلى تونس وكذلك فعل الاتحاد الوطني للتجار والحرفيين، وأصبحا يديران نشاطهما في تونس ويلقيان تضامنا واسعا، وكانت الاتحادات النقابية المغاربية سباقة لإعلان وحدتها، إذ أعلن في فيفري 1958 عن اتحاد نقابات الشمال الإفريقي ودعت جميع القوى للمساهمة في تحرير الجزائر.

وكانت مساهمة الحركة الطلابية المغاربية فعالة في التضامن مع الطلبة الجزائريين ومناصرة القضية الجزائرية، وقد عمل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين على توطيد صلات التضامن المغاربية وبعث وحدة طلابية شمال إفريقية، وذلك على غرار التنظيم العريق الذي كان ينشط على مستوى الجامعات

1 انظر بتفصيل، بويحي سالم: العلاقات النقابية المغربية ودور الطبقات العاملة في وحدة المغرب العربي من 1946 إلى 1959 المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 43. 44 (نوفمبر 1984) ص. 96.72

الفرنسية، ومع تزايد حجم التضامن الطلابي المغربي مع الثورة الجزائرية دعت الاتحادات الطلابية الثلاث في أوت 1958 إلى مؤتمر بتونس، توج بإنشاء جامعة طلاب المغرب العربي⁽¹⁾، وقد كانت خطوة هامة شجعتها الوحدة التي أعلنت في مؤتمر طنجة، ومثلت مكسبا مهما لنضال الحركة الطلابية الجزائرية والمغربية، إذ أكد الطلبة وقوفهم إلى جانب القضية الجزائرية ودفاعهم عن مطلب الوحدة السياسية والتحرير الشامل والقطيعة مع المستعمر، وقد شكل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ضغوطا وتحديات للحكومة المغربية وهو يدعوها للمساهمة الفعالة في تحرير الجزائر و"تجسيد وحدة شعبية تقدمية بين أقطار المغرب العربي"⁽²⁾، وهكذا تجلت أهمية الحركة الطلابية والنقابية في قضايا الوحدة السياسية، والتضامن المشترك، وقد اهتم الاتحاد الطلابي الجزائري بخدمة مشروع وحدة شعوب المغرب العربي فضلا عن توفير الدعم والمؤازرة لنضال الطلبة الجزائريين وللقضية الجزائرية⁽³⁾.

وبدورها ساهمت الاتحادات النقابية والجماعوية المغربية في تعميق الشعور بالوحدة المغربية، وتفعيل التضامن مع القضية الجزائرية، إذ آزرت نقابات التجار والحرفيين والمحامين واتحادات النساء القضية الجزائرية، ودافعت عن مشروع وحدة المغرب العربي⁽⁴⁾، وتكون بذلك الثورة الجزائرية قد نجحت في تجنيد القوى الشعبية وال جماهير الواسعة لخدمة أهدافها ومطامحها في إنجاح

1 انظر **المجاهد**، ع 38 (28 أوت 1958) ص3.

2 **المجاهد**، ع 75 (22 أوت 1960) ص 2.

3 انظر، يحي بوعزيز: دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني، مجلة **الثقافة**، ع 83 (سبتمبر . أكتوبر 1984) ص . ص 281 . 285

4 انظر بتوسع ما كتبناه في أطروحتنا للماجستير، مقالاتي عبد الله: **دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية** 1954 . 1962، مرجع سابق، ص . ص، 253 . 298

مشروع وحدة شعوب المغرب العربي بعد أن خابت الآمال في القرارات السياسية، وهو مكسب مهم خدم إستراتيجية دعم ومؤازرة الثورة الجزائرية.

ثالثا . ميلاد الحكومة الجزائرية المؤقتة وإستراتيجيتها المغاربية.

خرجت جبهة التحرير الوطني من مؤتمر طنجة بمكاسب لا يستهان بها، وقد كان الإعلان عن قيام الحكومة الجزائرية المؤقتة إحدى النتائج المهمة، فبناء على مباركة تونس والمغرب للمشروع، وتجاوبا مع المرحلة الدقيقة من عمر الثورة والتي تتهددها السياسة الديغولية رأت قيادة الثورة بعد استشارات موسعة أن تنشأ حكومة مؤقتة تمثل الشعب الجزائري وتقود كفاحه التحرري.

لقد سجلت قيادة الثورة في مؤتمر المهدية تملصا تونسيا ومغربيا من التزامات مؤتمر طنجة يرجع بالأساس إلى الخشية على سيادتها القطرية، والتأثر بالسياسة الديغولية التي خططت لضرب التحالف المغاربي، ورأت أن تستغل الاعتراف الحزبي والرسمي لتونس والمغرب بتمثيل لجنة التنسيق والتنفيذ في طنجة ومؤتمر تونس لتضع في أقرب وقت ممكن البلدين الشقيقين أمام الأمر الواقع، خاصة وأن الظرف كان حساسا للغاية ⁽¹⁾، وكان إنشاء حكومة مؤقتة أمر لا يستهان به تطلب إجراء الكثير من الاستشارات مع الدول الصديقة وحكومات المغرب العربي لتبلور موقفها في الوقت المناسب، وحتى وإن كان القرار جزائريا خالصا فإنه من الواجب إجراء استشارة واسعة بين قادة الداخل والخارج.

إن الخلافات التي فجرتها الخروقات المناقضة لقرارات طنجة جعلت الموقف المغاربي حاسما في مسألة الاعتراف بالحكومة المؤقتة، ذلك أن اعتراف

1 انظر التقرير السياسي للحكومة الجزائرية المؤقتة المؤرخ في أوت 1959. Mohammed HARBI

جبران الجزائر بحكومتها المؤقتة سوف يمنعهم من التراجع ويدفعهم للتعامل مع الحكومة الشرعية في القضايا المشتركة، ولا يمكنهم في هذا الوقت بالذات عدم الاعتراف بالحكومة المؤقتة نتيجة تزايد الضغط الشعبي المتضامن مع الجزائر (1).

إن إنشاء حكومة مؤقتة والاعتراف الدولي بها يعني في الإستراتيجية المغاربية الجديدة محاوره حكومتي تونس والمغرب بلغة الند للند ووضعهما أمام الأمر الواقع، وهما اللتين اشتكيتا طويلا من عدم وجود تمثيل سياسي قوي يواجه لغة "الخارجين عن القانون" ووجدتا نفسيهما في حرج تواجهان حكومة جزائرية قائمة تطالبهما بتنفيذ قرارات طنجة وإقامة وحدة مغربية قبل حصول الجزائر على استقلالها، وأمام عدم التنازل صراحة لروح طنجة ستجد الحكومة الجزائرية المؤقتة في تحقيق غايتها، خاصة وإن التعلق بوحدة مع تونس والمغرب يظهر أمام الرأي العام الخارجي تكتلا دبلوماسيا مواجهها لفرنسا، وبهذا الشكل تقع حكومتا البلدين في المصيدة ولا يمكنهما الاتفاق منفردتين مع فرنسا دون إعلام الحكومة الجزائرية المؤقتة، ودائما فإن خيار ضغط الشارع يعد ورقة مهمة عرفت جبهة التحرير الوطني كيفية استغلالها، وهي تجند معها تضامن شعوب المغرب العربي لدفع الساسة إلى تنفيذ مقررات طنجة والتضامن مع الجزائر (2).

وتأكيدا على أهمية البعد المغاربي والعلاقات الأخوية أنشأت وزارة خاصة بشؤون شمال إفريقيا، أسندت لعبد الحميد مهري، وهو سياسي محنك كانت له علاقات واسعة مع النخب المغاربية، وقد حددت مهام الوزارة في رعاية مختلف

1 انظر إسماعيل العربي: مرحلة حاسمة في تاريخ الثورة من لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الحكومة المؤقتة، مجلة الباحث تصدرها المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي، الجزائر، ع4 (نوفمبر 1986)، مرجع سابق، ص 18.

2 محمد الميلي: مواقف جزائرية، مرجع سابق، ص. ص، 124.127.

شؤون الثورة وتفعيل العلاقات مع الدول المغاربية، وفي هذا تأكيد على أهمية المنطقة في إستراتيجية الحكومة المؤقتة ⁽¹⁾.

وهكذا يبدوا لنا أن نجاح الحكومة الجزائرية المؤقتة بدأ عبر البوابة المغاربية لتفتح أمامه بعد ذلك آفاقا واسعة في المجال الإفريقي والدولي، ومثل هذا النجاح صدمة قوية لفرنسا، وقد فتح الآفاق لحماسة الشعب الجزائري والمناضلين، ولتجسيد أهداف الثورة على الصعيد الدولي، إذ أصبحت للجزائر منذ 19 سبتمبر 1958 مقومات الشخصية الدولية، الأمر الذي يساعد على رفع حرج بعض الدول المتعاملة مع الثورة الجزائرية، وعلى رأسها حكومات المغرب العربي، ولعل حكومتي تونس والمغرب لم تتفهم ذلك مما دعا الحكومة الجزائرية المؤقتة للتوضيح في مناسبات عدة أن نشاطها ومعاملتها تكتسي الصبغة الرسمية ⁽²⁾.

لقد سببت السياسة الديغولية للثورة الجزائرية خلافات مع تونس والمغرب، وكانت الحكومة المؤقتة محرجة أمام موقف سياسي ظاهره التضامن، وواقعه الميداني تصرفات منافية لأبسط مبادئ هذا التضامن و ممارسات تعترض نشاط الثورة في القواعد الخلفية، كما لم يكن بمقدورها مسايرة ظاهر التصريحات المعلنة وجني نتائج سلبية في الميدان، ولم يكن في وسعها الجهر بالحقائق والدخول في صدام مع حكومتي تونس والمغرب، لأن سياسة المصادمة تخلف نتائج وخيمة على نشاط الثورة والعلاقة مع النظامين التونسي والمغربي، إذ يسهل عليها اتهام الثورة الجزائرية بالتدخل في شؤونهما الداخلية، ويتخذانه مبررا

1 شهادة مهري عبد الحميد، مقابلة مع الباحث الجزائري العاصمة، 7 أوت 2005.

انظر، تقرير بعثة الحكومة الجزائرية المؤقتة بتونس حول تطور العلاقات الجزائرية . التونسية، أبريل 2

1960 Mohammed HARBI: op.

cit p- p° 450 - 451

لضرب وتعطيل نشاط الثورة وحجة للتملص من الاتفاقات المشتركة ومشروع الوحدة⁽¹⁾.

وبفضل هذه السياسة تخطت الحكومة الجزائرية المؤقتة أزمات خطيرة وحافظت على علاقاتها المغاربية، وقد سعت إلى طمأنة النظامين التونسي والمغربي أنها ستقنن نشاطها وتبعده عن الأنظار قدر الإمكان، وأنها ستعمل بتكتم حتى لا تشعر الأنظمة أن نشاطها ومؤسساتها تشكل دولة داخل دولة، وتأكيدا على شرعية تمثيلها ومن أجل تجاوز الخلافات اقترحت الحكومة الجزائرية المؤقتة على تونس والمغرب إرساء تنظيم قانوني لعلاقاتها، وذلك بالتصديق على عدة اتفاقيات، منها العسكرية الخاصة بتنظيم توزيع قوات جيش التحرير على الحدود ونقل الأسلحة، والمالية الخاصة بدخول الأموال والسلع والعتاد، والمدنية التي تقنن وجود الجالية واللاجئين الجزائريين⁽²⁾، وعلى الرغم من أنها لم تلق التجاوب مع هذا المطلب إلا أنها ظلت تؤكد أنه الإطار المضمون لتجاوز الخلافات، وأن روابط الأخوة والتضامن الشعبي تملّي على السلطات الرسمية احترام نتائج الاعتراف بسلطة الحكومة الجزائرية المؤقتة التي تحترم سيادة البلد المضيف، خاصة وأن أغلب المشاكل ناتجة عن وجود مؤقت لمؤسسات الحكومة الجزائرية المؤقتة واللاجئين وجيش الحدود⁽³⁾، وحرصت كذلك على التمهين من حدة بعض المشاكل، والدعوة إلى تأجيل بعض القضايا الخلافية إلى مرحلة الاستقلال والتوجه بتضامن نحو إظهار الوحدة والمصلحة المشتركة ضد العدو المشترك⁽⁴⁾.

1 انظر، محمد الميلي: المرجع السابق، ص، 121.

2 انظر، تقرير بعثة الحكومة الجزائرية المؤقتة بتونس. Mohammed HARBI.: op. cit p 450

3 Mohammed HARBI: op. cit ، p- p، 450 - 451

4 انظر، احمد ابن فليس: المرجع السابق ص. ص، 127، 128.

وقد كانت الحكومة الجزائرية المؤقتة مدعوة باستمرار إلى تأكيد احترام سيادة البلدان المغاربية المضيفة لنشاطاتها، وبمقابل ذلك كانت تسعى إلى تحسين العلاقات المغاربية وتنميين علاقات التضامن الشعبية، وقد أكدت أن المصلحة المشتركة تقتضي إلى جانب تحرير الجزائر تدعيم استقلال تونس والمغرب حتى يتسنى بناء وحدة مغاربية حقيقية، ودعت باستمرار وجوب إبداء تضامن "الأخوة المغاربية" المرسخ في قرارات طنجة، آخذة بالاعتبار ترابط قضايا المغرب العربي وأفضال الثورة الجزائرية على توطد استقلال تونس والمغرب تدريجيا، إذ أوردت في إحدى تقاريرها السياسية المهمة تأكيد على "أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لا يجب أن تسمح في حقوق الشعب الجزائري، متيقظة يجب أن تفرض احترامها"⁽¹⁾، ومن أجل كسب التضامن الشعبي والضغط على الموقف الرسمي، تم تجنيد مؤسسات الحكومات المؤقتة، ومختلف الفعاليات الجماهيرية للدعاية والتعبئة، فكانت تشرف على أيام التضامن وأعياد الثورة الجزائرية في بلدان المغرب العربي، وتنسق إحيائها وتنظيمها في تجمعات خطابية ومظاهرات واحتجاجات مع الأحزاب المغاربية والقوى الشعبية كالاتحادات النقابية والطلابية...الخ، وضمنت بذلك هدفا أساسيا هو تجنيد شعوب المغرب العربي وراء دعم الكفاح الجزائري ومشروع وحدة المغرب العربي⁽²⁾، وهو أمر لم تنفطن له الأنظمة السياسية التي تدخلت متأخرة لمراقبة وتأطير هذا التضامن الشعبي حتى لا يحيد عن الأهداف المرسومة.

ونخلص أخيرا إلى أن إستراتيجية الثورة الجزائرية شددت على التكيف مع الوضع الجديد وإنجاح سياسة التهدئة في علاقاتها المغاربية، وذلك حفاظا على

1 انظر، التقرير السياسي للحكومة الجزائرية المؤقتة، أوت 1959 **op.cit** Mohammed HARBI، p 258

2 شهادة مهري عبد الحميد، مقابلة مع الباحث.

استمرارية الدعم الرسمي والتضامن الشعبي وعلى المكاسب الإقليمية والدولية المفيدة للقضية الجزائرية، وهكذا فإن التعويل على حماسة التضامن الشعبي التي فجرها مؤتمر طنجة كان بإمكانه أن يتجاوز التراجع الرسمي المسجل في مؤتمر المهديّة، والذي لم يكن من الحكمة مواجهته بسياسة التشدد والتجذير حفاظا على مصالح الثورة.

رابعا - بعد العلاقات المغربية في سياسة الحكومة الجزائرية المؤقتة

قررت للحكومة الجزائرية المؤقتة على إثر تلك النجاحات التي حققتها السياسة الديغولية إعادة النظر في علاقاتها مع بلدان المغرب العربي، ورسم إستراتيجية تمكنها من تجنب الأفخاخ التي وضعها ديغول لضرب الثورة الجزائرية، وعليه صبغت العلاقات الجزائرية- المغربية بملامح جديدة تتمثل في نشدان وحدة المغرب العربي وخدمة أهداف الثورة الجزائرية، وإظهار قوة التضامن المغربي المساند للقضية الجزائرية.

تفيد قراءة متأنية في تقارير بعض قادة الثورة المقدمة للمجلس الوطني للثورة في دورته الثالثة أن هنالك اختلافا واضحا في تقييم العلاقات المغربية، بين منتقد وناقم على موقف النظامين التونسي والمغربي، وبين مقدر للمسؤوليات القطرية وللسياسة الواقعية لهذين البلدين، وداع إلى إرساء سياسة قطرية براغماتية تأخذ في الاعتبار تحقيق إستراتيجية الثورة الجزائرية في عرقلة المفاوضات (1).

لقد تسببت الخلافات والمشاكل التي صدمت بها الثورة الجزائرية في تدمير كثير من قادتها خاصة العسكريين منهم، في حين تغلبت حكمة السياسيين

1 انظر تقارير دباغين المقدم للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الثالثة والمؤرخ في 5 جانفي

في فض أعقد المشكلات وتسويتها وديا مع المسؤولين السياسيين، وقد ردت الحكومة المؤقتة أسباب تلك الخلافات إلى التحسس من تزايد نشاطات الثورة العسكرية ومن تجذر توجهها الثوري والإيديولوجي، وأكدت أن السياسة الديغولية زادت في تفجير الطموحات القطرية لتونس والمغرب وساهمت في إظهار معاداتها للثورة الجزائرية⁽¹⁾.

ويوضح التقرير الذي أعده احمد بومنجل في أوت 1959 أهمية اعتماد المغرب العربي كواجهة للتصدي للسياسة الديغولية الشرسة، واعتمادا على دورها التاريخي في تحرير المغرب العربي وإفريقيا فهو يحث الجزائريين للمطالبة بتضامن تونس والمغرب في معركتهم المصيرية، ويتوجب على المسؤولين الجزائريين إدارة علاقاتهم المغاربية من منطلق قوة والتصدي للمشاكل التي يتسبب فيها التونسيون والمغربيون، "إن الحكومة الجزائرية المؤقتة للجمهورية الجزائرية لا يجب أن تسمح في حقوق الشعب الجزائري، متيقظة يجب أن تفرض احترامها"⁽²⁾.

لقد أدى النقاش خلال دورة المجلس الوطني للثورة إلى ضرورة توجيه العلاقات المغاربية لخدمة إستراتيجية الثورة خلال المرحلة المقبلة، وذلك بعدم مصادمة المواقف المغاربية، وإتباع سياسة مهادنة تسمح أولا بإظهار المؤازرة المغاربية للقضية الجزائرية رسميا وشعبيا وإعادة بعث مشروع وحدة المغرب العربي، وتؤدي ثانيا إلى الاستفادة من المساعدات والتسهيلات التي تضمن صمود الجزائريين في معركتهم، وقد أدى تسيير الأزمات مع البلدان

1 انظر تقرير فرحات عباس المقدم لمجلس الحكومة الجزائرية المؤقتة حول مهمته في المغرب والمؤرخ في 11 جويلية 1961 .N.A.A 3_3 DOS B ; GPRA :

2 انظر التقرير السياسي للحكومة الجزائرية المؤقتة أوت 959، Mohemmed HARBI: op 258،

المغربية وفق هذا التصور إلى طمأنة القادة السياسيين على سيادتهم وعلى عدم تدخل الثورة الجزائرية في شؤونهم الداخلية⁽¹⁾، وارتكز الجهد على تجنيد القاعدة الشعبية وراء الطموحات الثورية، وذلك بالدعوة لتجسيد الوحدة والتضامن مع معركة الجزائر وإيجاد قواسم إيديولوجية مشتركة مع القوى الثورية خاصة التيار القومي الذي تزعمه الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في المغرب، حيث تم التأكيد على ضرورة إيجاد تقارب يسمح بدعم الثورة الجزائرية، "ينبغي طمأنة شركائنا بخصوص منظوراتنا الاقتصادية بعد الاستقلال، عن طريق البرهنة لهم على أنه سيكون في وسعهم الاستفادة من استثمار موارد الأرض الجزائرية، إذا التزموا معنا بمزيد من الحزم..."⁽²⁾، وقد نجحت هذه السياسة في تجنيد القوى الشعبية والجماهيرية لموازة الثورة الجزائرية والضغط على القادة السياسيين لإظهار التضامن الفعال معها، حتى أن هذه القوى الجماهيرية في المغرب لوححت بربط مصير نضالها بنضال الشعب الجزائري خدمة للتضامن المغربي مع الثورة الجزائرية⁽³⁾، وأبدى الشعب الليبي ولجنة جمع التبرعات لمساعدة الجزائر ضروبا مختلفة من التضامن ونجحت في بلورة خطوة مقاطعة فرنسا اقتصاديا⁽⁴⁾، كما أن المعارضة التونسية دعت بورقية بعد أن تم التنديد بسياسته لإبداء ليونة في مواقفه، ووعد قادة الثورة الجزائرية بالتجاوب مع مطالبهم التضامنية⁽⁵⁾،

1 انظر شهادة عبد الحميد مهري. مقابلة مع الباحث

2 انظر محمد حربي: المرجع السابق، ص 208، وتقرير برنامج السياسة الدولية وثائق المجلس الوطني

للثورة الجزائرية (1959 . 1960) CNRA: microfiche C008 **A.N.A.:**

3 المهدي ابن بركة: الاختيار الثوري في المغرب، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1966، ص77.

4 انظر، محمد الصالح الصديق: دور الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، ط1، شركة دار الأمة،

الجزائر، 2000، ص. ص97.96

5 انظر، عبد الجليل التميمي وآخرون: شهادة احمد بن صالح السياسية، مرجع سابق، ص. ص،

وإن كانت الحكومة الجزائرية المؤقتة استطاعت تجاوز مشكلاتها العالقة مع تونس والمغرب بعقد اتفاقيات تعاون مشتركة، والدعوة إلى وحدة مغربية متضامنة ضد الاستعمار والإمبريالية فإن سياسة التهدئة التي سلكتها سمحت باستمرار مظاهر التضامن الشعبية مع الجزائر، وضمنت عدم تدخل الساسة للحد من هذا التضامن أو عرقلته، وقد أحست الأنظمة السياسية بضغط هذا التضامن لكنها لم تكن تتصور أن الجزائر الثورية تلقى على مشارف استقلالها مثل هذه الحماسة الشعبية.

لقد اتخذت الحكومة الجزائرية المؤقتة عدة خطوات سياسية مهمة لإعادة طرح مشروع الوحدة المغاربية وإرساء علاقات التضامن الفعالة، وارتكزت هذه الخطوات في النقاط الآتية:

- الدعوة إلى جلاء القوات الفرنسية عن تونس والمغرب باعتبارها تساهم في فرض الإمبريالية الغربية على المنطقة، وتشارك في الحرب المسلحة على الشعب الجزائري، وقد كان الجلاء مطلباً جماهيرياً يثير الحماس الثوري ويخرج الأنظمة السياسية.

- المطالبة بالمقاطعة الاقتصادية لفرنسا وهذه الخطوة تعبر عن التضامن الفعال مع الثورة الجزائرية، وتشكل ضغطاً حقيقياً على الحكومة الفرنسية، وإن كانت حققت نجاحاً في ليبيا فإن التلويح بها شكل تهديداً للعلاقات الرسمية التي تربط تونس والمغرب بفرنسا.

- طرح مشروع المتطوعين لدعم الكفاح الجزائري، وهو مشروع يسهم في تفعيل التضامن الشعبي، ويدفع تجاوب السلطات الرسمية معه إلى تضامن أكبر مع الثورة الجزائرية، وهكذا جند أبناء المغرب العربي للمساهمة المباشرة في معركة الجزائر تأكيداً على التضامن المشترك، وقد سمحت السلطات الرسمية

بمبدأ السماح لدخول المتطوعين الأجانب إلى الحدود التونسية والمغربية، وكل هذا أظهر اصطفاً للمغرب العربي الشعبي والرسمي وراء القضية الجزائرية.

إن هذه الإجراءات المدروسة أكدت تحمس الجماهير المغاربية لقضية استقلال الجزائر، ودعمت مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في الاستفادة من الدعم الرسمي الضروري لاستمرار نشاطها في بلدان المغرب العربي، وقد أوضحت اللقاءات الحكومية والاتفاقيات المشتركة استعداد المغرب العربي للوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية في هذه المرحلة، وبذلك استطاعت هذه الإستراتيجية أن تكسب تضامناً للمغرب العربي، وأن تفشل المخطط الديغولي الرامي لتسخير تونس والمغرب والمجموعة الإفريقية ضد الجزائر، وفرض الحل السياسي الذي تراه مناسباً⁽¹⁾.

لقد صمدت دبلوماسية الحكومة الجزائرية المؤقتة أمام المناورات الفرنسية التي استغلت الطموحات العريضة لسانية المغرب العربي والاختلافات التي تفصلهم عن قادة جبهة التحرير الوطني، وقد لوححت فرنسا مثلاً بمشروع التقسيم وحثت بورقيبة ومحمد الخامس على دفع الجزائريين لوقف القتال قبل الدخول في المفاوضات، وجندت المجموعة الإفريقية لتأييد الطرح الفرنسي في منح الجزائر استقلالاً مجزئاً أو شكلياً، وأهم وتر حساس ناورت حوله الدبلوماسية الفرنسية لإرباك العلاقات المغاربية هو ملف الصحراء، فأمام المطامح التي كانت ترفع عنها تونس والمغرب وتفاقم مشكلة الحدود طرح مشروع أفرقة الصحراء، الذي يقوم على فكرة أن الصحراء ليست أرضاً جزائرية بل هي اكتشاف فرنسي، وأن ثرواتها ملك مشا ستستغلها فرنسا بالتعاون مع البلدان المجاورة لها،

1 انظر، محمد الميلي: **مواقف جزائرية**، مرجع سابق، ص. 167-168. وتقرير السياسة العامة للمجلس الوطني للثورة (1959-1960) CNRA، microfiche C0017.N.A.A ؛

واستمال المشروع المحبوك بدق تونس والمغرب وقوى الحجة الفرنسية في معترك المفاوضات، الأمر الذي جعل الرئيس فرحات عباس يستقيض في شرح مخاطر هذا المشروع بالقول: "إن الغاية من وراء ذلك هي محاصرتنا والدفع بنا للدخول في نزاعات ليس فقط مع الفرنسيين لانتزاع الاعتراف بوحدتنا الترابية، ولكن أيضا مع الجيران، في حين أن التضامن معهم يجعل من المخرج جدا الدخول معهم في نزاعات أو أزمات" (1).

ولم تكتف الحكومة الجزائرية المؤقتة بالتنبيه على خطورة المناورة الفرنسية، ورأت من الأفيذ تحديها بمشروع معاكس يدعو المغرب العربي إلى استغلال مشترك لثروات الصحراء الجزائرية، واستطاعت بواسطته أن تترك المخطط الفرنسي- الإفريقي الرامي إلى محاصرة الثورة الجزائرية، وإثارة جيران الجزائر ضد أهدافها (2)، وهكذا كفل عرض الاستغلال المشترك لثروات الصحراء المتزامن مع الدعوة لوحدة المغرب العربي كسب عدة أطراف مناصرة لأطروحة الحكومة الجزائرية المؤقتة، وأجل مشكلة الحدود مع الجيران إلى ما بعد استقلال الجزائر، الأمر الذي ساعد على دخول المفاوضات من منطلق قوة، ومن أجل إرغام العدو للتراجع عن مخطط فصل الصحراء اتخذت عدة إجراءات دبلوماسية وعسكرية، منها الضغط على الدول الإفريقية المساندة للأطروحة الفرنسية ومنها تونس بورقية، وشرح وجهة النظر الجزائرية أمام الدول الإفريقية والقيام بمبادرات في الداخل لتعزيز حضور الثورة مغاريا وإفريقيا، وقد جاء مشروع الجبهة الجنوبية ليخدم هذه الإستراتيجية، فهو يؤكد على البعد الإفريقي للثورة الجزائرية

1 انظر تقرير فرحات عباس حول زيارة وفد الحكومة إلى المغرب مؤرخ في 11 جويلية 1961، A.N.A.;

GPRA ; B3: DOS 3-3

2 انظر مذكرة جبهة التحرير الوطني حول الصحراء، مؤرخة في جوان 1961، A.N.A. ، DOS, B 182،

GPRA_

ويثبت حضور جبهة التحرير الوطني في أقاصي الصحراء ويدعم السيادة الجزائرية على الصحراء (1).

لقد تطلبت معركة الصحراء إضافة إلى إنشاء الجبهة الجنوبية إثراء للبعد الإفريقي والمغاربي، أفضى بمنظري الثورة إلى ربط المغرب العربي الموحد بإفريقيا كما هو واضح في مقررات الدورة الثالثة للمجلس الوطني للثورة، وبدرجة لا تقل عن ارتباطه بالوطن العربي والإسلامي (2)، وأكدت الدورة الثالثة للمجلس على ضرورة إشادة وحدة مغاربية متينة خالية من جميع أشكال الهيمنة الأجنبية وعلى إرساء علاقات وطيدة مع القوى الثورية لبناء وحدة حقيقية وتجاوز العراقيل التي واجهت مشاريع الوحدة المغاربية (3)، وسوف يدعو برنامج طرابلس إلى العمل الموحد باعتباره اختيارا إيديولوجيا وسياسيا واقتصاديا ينبثق عن القوى الطلائعية والمنظمات الجماهيرية، ويهدف إلى الضغط على الطبقات الحاكمة والإمبريالية الأجنبية (4)، وهذا التوجه الإيديولوجي سيرفعه عسكريو هيئة الأركان العامة بهدف نشر أفكارهم الثورية في المغرب العربي، وإيجاد تحالفات تضايق السلطات الحاكمة التي لم تكن في خدمة شعوبها بقدر ما هي في خدمة الإمبريالية الأجنبية، وهكذا فإن وحدة المغرب العربي أعطي لها مفهوما جديدا يقوم على طموح الجماهير للتغيير الاجتماعي والاقتصادي، وبمواجهة الأنظمة الحاكمة، وعندما ستصبح الجزائر المستقلة ملجأ للمعارضتين التونسية والمغربية

1 انظر تقرير اللجنة العسكرية لإعداد استراتيجية جيش التحرير الوطني، A.N.A. GPRA ; microfiche

23.

2 انظر محمد العربي الزبييري: المرجع السابق، ص 190

3 المرجع نفسه

4 انظر تقرير السياسة العامة للثورة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية أوت 1962. A.N.A. CNRA

ستأخذ العلاقات المغربية مظهر التدهور والمصادمة مثلما حدث في حرب الرمال، وقد فجرت الاختلافات الإيديولوجية للأنظمة الحاكمة من جديد خلافات العسكريين مع سلطات البلدين المجاورين زمن الكفاح المسلح، إذ لا يمكن تناسي تلك المضايقات والمعاملات المجحفة في حق ثوريين يواجهون أشرس القوى الأجنبية الإمبريالية.

إن قيادة الثورة الجزائرية ومثلما تطلعت إلى الوحدة المغربية أعطت العلاقات الثنائية أهمية أكبر، ذلك أن الخصوصيات القطرية المفروضة تطلبت سياسة متميزة تجاه كل قطر، ففي المغرب وازنت في بناء نسق علاقاتها بين سلطة العرش ونفوذ التوجه التقدمي الناشئ، وكان لا بد من الحفاظ على العلاقات الرسمية مع ليبيا وتونس وتأكيد كسب التضامن الشعبي، ولم تكن التزامات العلاقة مع المغرب لتفرض قيودا على إرساء العلاقة مع النظام الموريتاني المحاصر مغربيا.

ونظرا لأهمية نشاط جبهة وجيش التحرير الوطني في قاعدتي تونس والمغرب ارتبطت الحكومة الجزائرية المؤقتة بعلاقات وثيقة مع سلطات البلدين في المجالين السياسي والعسكري، فتم توقيع اتفاقية تعاون مع المغرب في أبريل 1960 واتفاقية أخرى مع تونس في ديسمبر 1960 وحافظت على أهمية ليبيا البالغة في مجال التسليح والإمداد، أما موريتانيا فان استقلالها المتأخر وبعدها عن ساحة المعركة لم ينتج علاقات متشابكة، فظلت على حيادها إلى أن حركتها قضية الصحراء.

وعموما فقد نجحت إستراتيجية الحكومة الجزائرية المؤقتة خلال هذه المرحلة في تحقيق جملة أهداف سياسية وعسكرية، يمكننا رصدتها في النقاط الآتية:

- إرساء علاقات وطيدة مع الأنظمة السياسية أفضت إلى كسب موقفها وتأكيد دعمها لسياسة الحكومة الجزائرية المؤقتة وتجنيذ تضامن شعبي ملتحم ومؤازر للثورة الجزائرية.

- إظهار المغرب العربي واجهة متضامنة مع كفاح الجزائر ومناوئة للسياسة الفرنسية، وذلك برغم الاختلافات الإيديولوجية والأزمات المؤثرة على علاقات أقطاره بالثورة الجزائرية، وقد فرض التضامن المغربي تجاوز التناقضات المصلحية من أجل مواجهة العدو المشترك وإظهار المغرب العربي أمام الرأي العام كتلة موحدة لا خروق فيها.

- تعبئة التضامن الشعبي وراء الأهداف الثورية والتقدمية خاصة وأن إيديولوجية جبهة التحرير الوطني الثورية والشعبوية ساهمت في بعث تيار مناصر لقضايا التحرر ومناهض للإمبريالية ومدافع عن الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، وقد وقفت بعض الأحزاب والمنظمات العمالية وراء هذه الإيديولوجية وربطت مصيرها بنجاح الثورة الجزائرية، وهكذا شهدنا مظاهر تضامن واسعة وقرارات ثورية ومؤازرة ومدعمة لمطالبها ومطامحها وخاصة مسألة تحقيق الاستقلال التام ووحدة المغرب العربي.

- العمل على تفعيل قدرات جيش التحرير الوطني، وذلك من خلال تسهيل مرور الأسلحة والتجهيزات والمتطوعين الأجانب ووضع حد للمضايقات التي يتعرض لها جيش الحدود وقواعده الخلفية، وقد اهتمت الحكومة الجزائرية المؤقتة بدعم القدرات العسكرية بقدر اهتمامها بالبحث عن الحلول السلمية للمشكلة الجزائرية، وتلقت من تونس والمغرب وليبيا تجاوبا مشجعا ولكنه لم يكن في مستوى طموحاتها الثورية.

الخاتمة:

وعليه ومن خلال دراستنا لإستراتيجية الثورة الجزائرية مغاريا نؤكد أن اهتمامات وأهداف الثورة خلال مرحلة 1958 . 1960 وجهت بشكل واضح لتطوير علاقاتها المغاربية، فقد رغبت بطموح في دعم إستراتيجيتها السياسية والعسكرية مغاريا، غير أن علاقاتها المتشابكة تأثرت بحدود الدعم المقدمة لها وبظهور المطامح والمصالح القطرية، وبالضغوط الفرنسية والغربية المسالطة على المنطقة.

وقد أخذت خطوة المفاوضات ومسألة تدويل المشكلة الجزائرية أبعادا محلية ودولية انعكست على حجم التضامن الشعبي المؤازر للقضية الجزائرية وعلى الموقف السياسي المتأرجح بين حتمية التضامن المغاربي والحصول على مكاسب قبل أن تجسد الجزائر استقلالها، ونظرا لخصوصية العلاقات الجزائرية مع كل قطر فقد تباينت الإستراتيجية المتبعة من أجل خدمة الإستراتيجية الثورية فضلا على خدمة مشروع وحدة المغرب العربي الذي تكرر في مؤتمر طنجة.

النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية من خلال مذكرات محمد حربي:

"حياة تحدّ وصمود"

د/سفيان لوصيف

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02

مقدمة:

عملت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها على إسماع صوتها وإبراز عدالة قضيتها في المحافل الدولية لاسيما الهيئات الإقليمية والقارية، وكسب التأييد والدعم الخارجي، فبرزت شخصيات وطنية مثلت الجزائر أحسن تمثيل في المؤتمرات والاجتماعات المساندة لها، وقد حاولت التاريخ لنشاطها الدبلوماسي، وهنا نحاول استقراء مذكرات أحد من مثلها وهو محمد حربي في مذكراته السياسية: "حياة تحدّ وصمود"، فما هي جوانب النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية التي تحدث عنها محمد حربي؟ ما مدى نجاحها في كسب الحشد الدولي إلى صفها؟

أضواء من سيرة محمد حربي:

مناضل جزائري من مواليد سنة 1933 بالحروش ولاية سكيكدة، ينتمي حربي إلى أسرة تقليدية كمجموعة اجتماعية، ودون أن يسهب كثيرا، يلمح القارئ الثراء وبحبوبة العيش في هذه الأسرة، إلا أنه، ربما ابتعادا عن النرجسية، ينخرط في تحليل عادات العائلة، كجزء من البنية الاجتماعية في المجتمع الجزائري، رغم أنه لا ينكر أن طفولته كانت محظوظة، ينتقل الكاتب من الحروش، إلى مدينة سكيكدة، ليتابع تعليمه وهو لا يزال ابن الثانية عشر، إلا أنه كان محملا بأحلام التحرر من سطوة العائلة ورقابتها، ويسعى إلى التمتع بقدر أكبر من

الحرية الفردية، إلا أنه يكتشف بأنّ الوضع في المدينة لا يختلف كثيرا عنه في القرية، لأنّ المدينة تكاد تكون مجموعة قرى، والكل يعرف الكلّ، لذلك، فالرقابة ذاتها موجودة، ولم تتحرّر المدينة من القرية، ولم يتحرّر القرويون الذين وفدوا إلى المدينة، من القرية.

في سكيكدة، المدينة التي انتقل إليها، بدأ محمد حربي مشواره السياسي، وهنا انخرط في أول تنظيم سيشغل طيلة حياته القادمة، الحزب كفضاء جمعي يدمج الخاص بالسياسي بدقة، وتحليل، وصرامة، ومواجهة مع الذات، وموضوعية، وكل ما قد يقال أمام تفسيرات عقلانية هادئة، يقدم لنا حربي علاقته بالحزب، تلك العلاقة التي نراها من الضرورة بحيث تصبغ الكثير من أسباب الانخراط في الأحزاب السياسية، لا من وجهة نظر عقائدية، بل من زاوية تحليل سوسيوي. عاطفية، كما يقول حربي ذاته، مفسّرا دور الحزب، ليس فقط هذا الحزب، وهذا رأي شخصي، بل دور أيّ حزب أو تنظيم أو حتى جماعة فكرية، في الرغبة في التواجد داخل مجموعة، وتبنّي أفكار ومواقف متقاربة ' انخرطت، إذا، في حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وأصبحت مناضلا في حزب. ولكن ما هو هذا الحزب ' ¹.

انخرط في حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، اشتغل أمين عام جمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1954 م، كان من أوائل المسؤولين في فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا، تولى عدة مسؤوليات خلال الثورة التحريرية وفي فترة الرئيس أحمد بن بلة، سجن مدة خمس سنوات لمعارضته انقلاب 19 جوان 1965م قبل أن يختار المنفى ويتفرّغ للكتابة لاسيما في الثورة الجزائرية ².

مذكرات " حياة تحدّ وصمود ":

الكتاب يتألف من اثني عشر فصلا، يعرض علينا الكاتب خلالها سيرته السياسية، أكثر مما هو تحليل لأوضاع اجتماعية، ولكنها مهمة في سياق التعرف على مسيرة هذا الرجل، وعلى تاريخ الجزائر، بطريقة لا تخلو من المتعة، والتحليل يقدم لنا الكاتب والمؤرخ والمناضل محمد حربي، عبر أربعمئة صفحة تقريبا مذكراته السياسية للفترة ما بين 1945 و 1962 تحت عنوان ' حياة تحدّ وصمود، المترجم عن الفرنسية³.

جوانب من النشاط الدبلوماسي لمحمد حربي:

مقتطفات من وقائع إفريقية:

غادر محمد حربي سكيكدة ليتابع دراسته و نضاله في باريس في ثانوية سان بارب، ومن هنا يبدأ مشوار جديدا من العمل السياسي، حيث وقع انشقاق في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، و تنشأ جبهة التحرير الوطني، و يتابع حربي نشاطه في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، ويتعرض للملاحقة والمطاردة من الشرطة، إلى أن يغادر باريس إلى أوروبا، عبر بلجيكا، وألمانيا، وتتعدد نشاطاته ورحلاته السياسية، ليصل تونس والقاهرة، ويلتقي بشخصيات كبيرة و فاعلة في المجتمع السياسي، حيث يلتقي مثلا بالسوريين صلاح البيطار، وأكرم الحوراني، وبالفلسطيني جورج حبش، ومن مصر يتعرف إلى توفيق الحكيم، وعبد الرحمن الشرقاوي، ويوسف إدريس، كونه المسؤول الإعلامي في فيدرالية فرنسا، وتتشعب علاقاته ونشاطاته، التي لا تتفصل دوما عن هاجسه السياسي وهمه الرئيسي استقلال الجزائر⁴.

يتحدث محمد حربي عن نشاطه الدبلوماسي لصالح الثورة الجزائرية قائلا: " مكثت بوزارة الشؤون الخارجية حوالي ثلاث سنوات (فيفري 1960 إلى أكتوبر 1962) أثناء هذه الفترة كلفني مسؤولي بعدة مهام، فمثلت جبهة التحرير الوطني

لدى منظمة تضامن شعوب إفريقيا وآسيا (ASPAA) وفي المؤتمر الدولي للسلام، في نهاية فيفري 1960 عينت رئيسا لبعثة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في غينيا، حيث مكثت إلى نهاية 1961، تغيبت عن هذا البلد في منتصف جوان للمشاركة كخبير في مفاوضات إيفيان الأولى مع فرنسا⁵.

ويبرز في مذكراته هذه ظروف الداخلية في الحكومة المؤقتة و ما تعيشه من نزاعات بخصوص المناصب و التسابق على توليها، و ظروف خارجية على الصعيدين العربي والإفريقي، يقول: "استدعيت إلى القاهرة في نهاية أوت 1961 للمشاركة في مؤتمر دول عدم الانحياز في بلغراد، المنعقد من 3 إلى 6 سبتمبر، وقد جعل مني سعد دحلب الذي أصبح وزيرا للخارجية خلفا لكريم الذي عين وزيرا للداخلية مساعده الرئيس في منصب "منسق المديرية المركزية"... فكانت سنتا 1960 - 1962 فترة تكوين مكثف بالنسبة إلي، كانت العلاقات الدولية المعقدة تدفعني لمتابعة دور الفاعلين عن قرب، والذهاب إلى أبعد من حدود الأحداث والأفكار الإيديولوجية القبلية لتجنب مفاجآت المنطق الدبلوماسي الخادع، خاصة في خضم السباق إلى الوحدة العربية أو الإفريقية، التي كانت تتعاطاها الدول⁶."

تجربة سياسية مليئة بالنجاح عاشها محمد حربي من التجارب والاحتكاك ومعرفة الآخر، مصرحا عن ذلك بقوله: "أريد أن ألح هنا على الثراء الذي منحني إياه التعاطي مع تجارب وثقافات يمثل هذا التنوع عبر العالم، كان بإمكانني الانغلاق في هذا النوع من الثقة بالنفس الذي تمنحني إياه الوطنية، ولكن طبعي جعلني على استعداد مسبق للاستفسار، والابتعاد عن انتماءاتي الخاصة، كان بداخلي في نفس الوقت رجل عمومي مولع بالتاريخ، ومسافر متفتح على العالم، متعطش لاستخراج خلاصته الجوهرية. 0794762407."

كانت رسالة التجربة والثقة الواردة من يقظة إفريقيا وآسيا مصدر إلهام بالنسبة إلي، كما كانت بالنسبة للآخرين، ولكن لا ينبغي الخطأ، فعلى العكس مما يتأكد اليوم بالنظر إلى مآسينا فإن الرساليين في العالم الثالث لم يضببوا جميع العقول، فالوهم الغنائي لم يأخذنا بنشوته إلى درجة تجعلنا نصرف النظر عن محدوديتنا، وعن الأزمات القوية الكامنة في مجتمعاتنا ذاتها فقد كانت قصة الكونغو - ليوبولد فيل (الزائير) الأليمة، ومأساة باتريس لومومبا، وقصص أخرى عديدة بالنسبة إلينا تنبيهها للانضباط، كنا نعتقد كمناضلين مهمشين أن احتضار النظام الاستعماري سيهز أركان الرأسمالية، ويفتح الطريق أمام ثورة عالمية، وعلى العكس من الإيديولوجيات الشعبوية، كنا مقتنعين أن مفتاح التحرر كان يوجد في الدول التي تتوفر على تراكم للقدرات المنتجة، وعلى ثروات كافية لجعل الاشتراكية ممكنة في شيء آخر غير البؤس، وكان بروز العالم الثالث في العلاقات الدولية من منظرنا وسيلة للمساهمة في إيقاظ القوى المعادية للرأسمالية في الغرب والبلدان الشرقية، وفي وضع الثورة العالمية على السكة⁷.

كان لمحمد حربي نشاط دبلوماسي كثيف في الكثير من قارات العالم، مبرزا خاصة إفريقيا التي عانت من ويلات الاستعمار الأوروبي وعبر ذلك متحدثا: "تنقلت بين 1960 و 1962 عبر أوربا (الأراضي المنخفضة، إيطاليا، السويد، يوغوسلافيا) وآسيا (الهند) وإفريقيا (غينيا، غانا، مالي و نيجيريا)، غير أنني بذلت أهم نشاطاتي في القارة الإفريقية، كانت هذه القارة بكيفية ما في الستينات أكثر ألفة لدي من دول آسيا العربية، كان للجزائر بعد إفريقي محسوس من خلال اختلاط سكانها، فالسكان الملونون في الجنوب الجزائري يحتفظون بذكريات حية عن أصولهم ونظرة مواطنوهم البيض، لازالت مرتبطة بالأفكار المتولدة عن ممارسة العبودية التي ألغاه الاستعمار، لكنها لازالت راسخة،

شكلت ولا زالت تشكل الأفكار المسبقة والعنصرية التي كان السود الجزائريون وأشباههم ضحية لها، إحدى انشغالاتي⁸.

ففي باريس تعلم محمد حربي الكثير عن إفريقيا و مشاكلها، حيث أقام علاقات مع مناضلي الفيدرالية الطلابية لإفريقيا السوداء، كانت هذه المنظمة تعمل على تجذير الحركة المناهضة للاستعمار، فمن خلالها عاش سنتي 1950-1951، الاضطرابات الناجمة عن القطيعة بين التجمع الديمقراطي الإفريقي، والحزب الشيوعي الفرنسي لفرنسا ميتران، وكان شاهدا على ميلاد كيانات إقليمية - البلقنة كما كان يقال آنذاك - ناتجة عن تقسيم إفريقيا الغربية وإفريقيا الاستوائية الفرنسية، عندما انقسم رفاقه في الفيدرالية الطلابية لإفريقيا السوداء الفرنسية بين فيدراليين وإفريقيين مستقلين.

في دولة غينيا:

كان محمد حربي مطلعا على شؤون دول إفريقيا الداخلية قائلا: " كنا ننتظر الأمل من غينيا، فنتيجة تدهور الوضعية الاستعمارية الناجم عن انتصار الفيتنام وعن حرب الجزائر، ورغبة منه في التراجع بشرف، قام الجنرال ديغول باستبدال الاتحاد الفرنسي الذي تجاوزه الزمن، بالمجموعة الفرنسية - الإفريقية، كانت غينيا الوحيدة من بين كل الأقاليم المحتلة، التي رفضت هذه الصيغة الجديدة مجيبة " لا " عن سؤال استفتاء حول المجموعة وأصبحت مستقلة في 2 أكتوبر 1958.

أصبحت غينيا تحت قيادة أحمدو سيكو توري الأمين العام السابق للاتحاد العام لنقابات إفريقيا السوداء إلى جانب غانا الحرة منذ 1957، بقيادة كوامي نكروما، تشكلان محور استقطاب الحركات التحررية، والقوى المعارضة في الدول الواقعة تحت التأثير الفرنسي ووجد بلدنا الذي عجل كفاحه ظهور الحركات التحررية في إفريقيا الفرنكوفونية، في هذا القطب بطبيعة الحال، ميدانا مناسباً

للسداقة، و أكثر من ذلك نجح في وضع الدبلوماسية الفرنسية أمام صعوبات حقيقية، ففي هذا السياق عينت الحكومة المؤقتة عمر أوصديق لتمثيلها في كوناكري وبعد عام خلفته في هذا المنصب.

كنت أحمل عن غينيا صورة مثالية من نسج عمر أوصديق، وأصدقاء اليسار الفرنسي وصلت إلى هناك عقب مؤامرة كان الضباط يصفونها بـ "مؤامرة النقابيين وعناصر من أصل إقطاعي و فوضوي"، وكان حادث مماثل وقع سنة 1960 سمي بـ "مؤامرة المثقفين المعتهوين والقوى المنحطة"، نسب لأحد معارفي من القادة يدعى إبراهيم ديالو، لم أكن في حاجة إلى وقت طويل لأدرك أن هذه المؤامرات الزائفة هي مظاهر هذيان، ذلك أن سيكوتوري كان في الواقع يهاجم مناضلي الحزب الديمقراطي الغيني المتموقعين على يساره، منهم بعض الستالينيين كانوا يقيمون علاقات مع سفير الاتحاد السوفيتي دانيال صولود، الذي كان يعتبر نفسه محافظ شرطة في إحدى المستعمرات، حسب سيكو توري الذي قام بطرده، يمكن أن نعقد مقارنة ولكنها سطحية - مع محاكمات موسكو، التي كانت تدرج في سياق نظام يرتكز على الإيديولوجيا، في حين أن الأمر في غينيا يتعلق بجنون دموي لنظام جائر يغترف من تقاليد قارتنا أكثر من اغترافه من مسوخ الحداثة الستالينية " ⁹.

كان لي امتياز لا أحسد عليه، وهو أن أصحح الأفكار التي كانت سائدة في الوزارة حول نظام غينيا، دون التغاضي عن أن سيكو توري بقي وفيا، في المؤتمرات الإفريقية، لالتزاماته تجاه تحرر المستعمرات وتجاه السياسة عدم الانحياز، كان بمثابة سفير لنا لدى الرئيس تيبمان (ليبيريا)، وهابيليسيلاسي (إثيوبيا)، ودافع عن قضيتنا لدى محاوريه الأفارقة، الذين كان جندهم يحاربون إلى جانب القوات الفرنسية، وهذا لم يمنعه أحيانا من ترك قضيتنا جانبا، عندما يكون ذلك في صالح الدولة الغينية.

في هذا السياق كانت لي تجربة أثناء مؤتمر للحزب الديمقراطي الغيني في سنة 1961، استدعيت لحضور أشغاله دون أن يكون لي الحق في أخذ الكلمة، استغرقت الأمر فحدثت رئيس الجمعية الوطنية سيف الله ديالو، وهو من أصل بولي (Peul)، وكان الشخصية الثانية بعد سيكو توري، أجنبي أن "القرار يتوقف على الرئيس، سأحدد لك موعدا معه".

استقبلني سيكو توري لمدة ساعة تقريبا ليشرح لي أن عدم إعطائي الكلمة يعود إلى الرغبة في عدم إزعاج ضيوفه الفرنسيين، بيار مونداس، فرانس وفرانسوا ميتران، اللذين كانت غينيا في حاجة إلى دعمهما، فهذان الرجلان كان يشكلان البديل الوشيك الوقوع لنظام الجنرال ديغول، الذي كان يريد تركيع غينيا، شككت في توقعات سيكو توري بخصوص الوضعية الفرنسية، التي لم تكن تأخذ في الحسبان تحولات رقعة الشطرنج السياسية السائدة آنذاك، مقترحا عليه حلا وسطا يتمثل في قراءة رسالة حول تقرير مصير الجزائر أمام المؤتمرين، قبل سيكو توري اقتراحي، قبل أن يخطرني عن طريق سياكا توري أحد أقاربه أنه تراجع عن موافقته، بعد أيام ذهبنا سويا إلى القاهرة لحضور اجتماع "مجموعة الدار البيضاء"، الذي يمهد لمؤتمر حركة عدم الانحياز في بلغراد، أقر سيكو توري أنه: ربما كان بإمكانه أن يتصرف بطريقة أخرى"، كنت أمام رجل براغماتي متبدل الطوية، فأتن ووقع في نفس الوقت.

إقامتي في غينيا كانت قصيرة، حوالي سداسي واحد، وبصفة غير دائمة أيضا، هناك حكاية طريفة في هذا الموضوع، وأنا عائد من مفاوضات إيفيان حضر إلى مقر البعثة عون من مصلحة التشرiftات لتسليمي رسائل، طالبا مقابلة رئيس البعثة الجزائرية، كنت أقترّب منه لتسلم الرسائل، عندما أنترع الطباخ نابي الرسائل من يد العون ليسلمهما إلى جانيت المعروفة أكثر مني.

واقعتان أليمتان طبعتا إقامتي في غينيا، الأولى اغتيال المعارض التونسي صالح بن يوسف في 12 أوت 1961 بفرانكفورت"، كان بن يوسف مدعوا لمؤتمر الحزب الديمقراطي الغيني أبرق لي قبل يوم أو يومين من انطلاق الأشغال لاستقبله في المطار، انتقلت إلى المطار في اليوم المحدد و- يا للمفاجأة-، رأيت وزير الشؤون الخارجية التونسي "محمد مصمودي" و مدير ديوان الرئيس بورقيبة "محمد فاضل" ينزلان من الطائرة خلف مونداس فرانس وفرانسوا ميتران جمد الدم في عروقي، وتوقعت حادثا دبلوماسيا مع تونس، سارعت الخطى بسيارتي مترصدا قدوم الآخرين، لم يكن صالح بن يوسف موجودا بينهم، شعرت في جبن بارتياح، و دنوت من الممثلين التونسيين الذين لم يكن حضورهم متوقعا، ثم أعلمت الوزير الغيني للشؤون الخارجية لويس لونزانابيفوغي، والتحقت رفقتهم بمقر بعثتنا، في بلبله وارتباك، بعد قليل تكفلت مصلحة التشريرات بالتونسيين الذين تم إسكانهما في فندق فرنسا.

بعد أقل من ساعة، عاد فاضل إلى مقر البعثة محموما مضطربا، شاحب الوجه، قال لي في صوت خافت وهو يلهث: " أتدري آخر الأخبار "، لم تكن الاضطرابات الناجمة عن أزمة بنزرت، قد هدأت بعد، مما جعل ذهني ينصرف أولا إلى هذه الأحداث، عندما أعلمني فاضل باغتيال بن يوسف أضاف: " كل العالم يعتقد أننا نحن الذين دبرنا هذه الجريمة"، فأجبت مجازفا: " من غيركم فعلها إذن"، كنت أتصور في غليان حزن زوجته صوفيا، المبادرة إلى خدمة اللاجئين الجزائريين، تحسرت على كوني بعيدا، في وقت يفترض أن يكون أصدقاؤها حاضرين لمواساتها.

الواقعة الثانية كانت فشل الوحدة بين سوريا ومصر، كنت أستعد لمغادرة كوناكري نهائيا عندما أذيع خبر الانقلاب العسكري المعلن عن استقلال سوريا في 28 سبتمبر 1961، كان لدي إحساس أن الهيمنة المصرية لن تدوم طويلا،

من خلال ملاحظة الوضعية التي كان عليها الموظفون السوريون المؤمنون بمثل الوحدة - نديم قديماني، مستشار سفارة الجمهورية العربية المتحدة واحد منهم- كان من الصعب عاطفيا أن أتقبل هذا الانفصال، لأنني أدركت أن فكرة الوحدة العربية تلقت ضربة قاتلة.

لنعد إلى تجربتي الإفريقية، فاكتشافي لإفريقيا الحقيقية - وليس تلك التي قدمتها لي النخب المثقفة التي قابلتها في باريس - جعلني أدرك لبس العلاقات بين العالم العربي وإفريقيا، كنت أتصور أن العقبات التي تواجهها إفريقيا مصدرها تجارة العبيد"، وظروف السود الأفارقة، ولكني نسيت ثقل الأفريقية التي تحدد في نسختها الأصلية مجال الانتماء الإفريقي في السكان السود وحدهم.

ولم يكن لنداء الدبلوماسيين العرب إلى التضامن الإسلامي في سنوات الستينيات الصدى الذي كان منتظرا، وينبغي القول إنهم كانوا يثيرون الانطباع أنهم يهتمون بأنفسهم فقط، فمصر مثلا، كانت تتوفر على دبلوماسيين ممتازين، ولكن الذين قابلتهم في غينيا لم يقدموا عن بلدهم صورة جذابة، ولم يكونوا يدركون خصوصية الإسلام في هذا البلد، ولا الحياد الصارم، الذي تتبناه الدولة تجاه مختلف الطوائف الدينية، كانوا يختزلون المسيحية في تاريخ تغلغلها في المجتمعات الإفريقية، ولا يأخذون في الحسبان أن رفض الخضوع في هذه المجتمعات كان ينخر بالكنائس من الداخل.

كان واضحا أن المستعمرات الفرنسية في إفريقيا سنة 1960 تشق طريقها نحو تصفية الاستعمار على مراحل، في حين كان الأمر غير ذلك في المستعمرات البرتغالية، حيث كانت القوى المؤيدة للتغيير لازالت تصقل أسلحتها في العاصمة الغينية، كان بالإمكان التعرف على القادة المستقبليين لكل من غينيا والرأس الأخضر، وأنغولا، والموزنبيق (مارسيلينيو دوس سانتوس)، وغوا (أكينود بيرانغتسا)، هؤلاء المثقفين أسسوا تنسيقية للحركات المناهضة

للإمبراطورية البرتغالية، تضم الحركة الشعبية لتحرير أنغولا والحزب الإفريقي من أجل استقلال غينيا والرأس الأخضر غينيا والرأس الأخضر)، و (الموزنبيق)، وكانت جبهة تحرير الموزنبيق، لم تؤسس بعد، حيث أن المنظمات التي انبثقت عنها لم تتوحد سوى في جوان 1961، وكان على هؤلاء المثقفون الذين أقاموا علاقات مع الأحزاب البرتغالية المناهضة بعضهم كان يعتمد على خطاب صراع الطبقات، و البعض الآخر يعتبر البرجوازية الصغيرة هي الطلائعية¹⁰.

وكان أميلكار كابرال ينتمي لهذه الفئة الأخيرة، ولكن السؤال الذي كان يشغله دائما هو: هل تتحول هذه البرجوازية الصغيرة إلى برجوازية، أم ستكون في خدمة الطبقات الشعبية، لم يكن يسلم بفكرة "طبقة جديدة" في طور التكوين التي كانت في رأيه، ستوضح أكثر الديناميكية السياسية من خلال شكلها ووظيفتها الاجتماعية، ولعل الحثالة الإيديولوجية التي ألصقتها الستالينية بالماركسية الإفريقية هو الذي منه انتشر مثل هذا التحليل.

قضيت مع قادة تنسيقية الحركات المناهضة للإمبراطورية البرتغالية أيما لا تنسى في مناقشة آليات السلطة في إفريقيا، والتوجهات الفعلية للتجمعات الجهوية المشاركة في السباق نحو الوحدة الإفريقية "مجموعة الدار البيضاء"، و"مجموعة منروفيا"، كنا نعتقد أن تمييز الدول على أساس معيار واحد -موقفها تجاه الاستعمار- يشجع التفسيرات الإيديولوجية التي تحرف وتشوه الواقع، وتضل قوى التقدم، فمحاربة خطاب النخب حول طبيعة الدول التي يقودونها كان ضروريا في رأينا لتجمع العناصر الراديكالية في القارة.

كان ضروريا أيضا محاربة التصاميم المختزلة من مثل هذا النموذج، اقترح فرانز فانون المعروف بتقديره الكبير للقوى الأنغولية المجندة لمحاربة السلازارية على الوزارة مساندة روبيرطوهولدن زعيم جبهة التحرير الوطني الأنغولية وممثل الفلاحين حسب فانون في صراعه ضد الحركة الشعبية لتحرير أنغولا، بقيادة

أغوسينونيتو، الذي كان مستقلا آنذاك والذي كان قانون بصفته بـ "ممثل الحركة الحضرية" والواقع أن الأول يتمثل مع البكونغوس والثاني مع امبانديس، والمولدين البيض في لواندا عاصمة أنغولا، كان علي أن أصحح هذا الخطأ.

كان يوجد داخل حركات المقاومة في المستعمرات البرتغالية صراع بين المولدين والسود المتنافسين على السلطة، لم أكن أدركه، كان ينقصني أنا بدوري التمييز، إلى أن قام وزيران غينيان-إسماعيل الأخ غير الشقيق لسيكو توري، وفوديبا كايثا، المعروف بمدير الفرق البالية الغينية أكثر من رجل سياسة- بلفت انتباهي إلى الخصومة بين المولدين والسود، التي يكون أميلكار كابرال ضحية لها، في جانفي 1973 كنت تحت الإقامة الجبرية بالجزائر، عندما علمت بوفاته المأساوية، التي انتزعت مني دموع غضب شديد كان جبرار بريني محقا عندما كتب: "الأفارقة زناس مثل الآخرين، ومطالبتهم القيام بالثورة الجبارة التي تحتاجها قارتهم بشكل نظيف ويدون عنف يعني الانتقاص من قيمة الصيرورات التاريخية التي جرت في أماكن أخرى".

فهم محمد حربي في إفريقيا كم كانت التصاميم الإيديولوجية المستمدة من الماركسية ونظريات التحديث بصفة عامة مثقلة بالمركزية الأوروبية، فهي لا تأخذ بعين الاعتبار تنوع وتعدد الأمور: عدم تأكد الكيانات الوطنية المتولدة عن رسم الحدود بطريقة تعسفية وانقسام العرقيات وتعددتها في إطار الدولة الإقليمية ونظام الشفاعة والزبونية...

في سنة 1960 كانت نشوة الوطنية تخفي نوعا ما جميع هذه المشاكل، ولكن كنا نراها تتصاعد في الكونغو وفي أماكن أخرى، في تونس والمغرب وفي الجزائر لاحقا، لاحظت علامات منذرة بتحلل المجموعات الراديكالية التي تكونت في الجامعات الفرنسية وانضوائها تحت قيادات تحارب توجهاتها.

ولكن طالما أن الحياة لا تختصر في بعدها السياسي فقد عرفت في غينيا أيضا الجمال الغرائبي لإفريقيا في جانبه الترفيهي، وعرفت نوعا من فرحة الحياة، رغم عوائق الحياة اليومية، أتذكر يوما كنت انتظر موعدا مع الرئيس سيكو توري فإذا بمصلحة التشريفات تعلمني أن الرئيس مستعد لاستقبالي... ولكن أين؟ في مرقص شعبي، حيث يختلط دبلوماسيون ووزراء موظفون سامون، وأناس عاديون، مختارون على المقاس؟ ربما، ولكن ينبغي أن يكون المرء متمرسا حتى يدرك ذلك، انتقلت إذا إلى المرقص رفقة جانيت رحب بي سيكو توري دافعا بمراقصته السيدة بيافوفي إلى أحضاني، وجاذبا جانيت إلى حلبة الرقص، وقدم لي فيما بعد السيدتين كامارة بانغورة وكامارة لوفو، وهن على التوالي عضوة قيادة الحزب الديمقراطي الغيني ووزيرة، لاحظت أنه رغم التقاليد البطريقية فإن العلاقات بين الجنسين هنا كانت أقل جمودا من المجتمعات الإنسانية الأخرى. هل كنت توقعت مصير إفريقيا والسلطات الاستبدادية التي ستعاني بطشها، والحروب الأهلية التي تعذبها اليوم؟ هل ينبغي اعتبار حجم الوفاء والتضحيات التي قدمها المناضلون المناهضون للاستعمار كفتورة دفعت للوصول إلى السلطة ومزاياها؟ يكون ذلك بسيطا جدا وجائرا جدا، فمصير جيل المحررين كان يتوقف على عوامل لم يكونوا يتحكمون فيها، والمدارس المتعددة المتفرعة عن الماركسية كانت تتوقع تكوين ترتيبات طبقية اجتماعية جديدة، ونظام هيمنة جديد بعد الاستقلال، وللتموقع بالنسبة لذلك كان يجب دراسة بروزها وتحديد قدراتها على تغيير المجتمع.

بالنسبة للذين عاشوا مسيرة إفريقيا نحو استقلالها يبرز جلها أمامهم أن الدولة هي المكان الأساسي الذي خرج منه الحكام الجدد، الذي تذكر غطرسهم ونمط حكمهم، ومزاياهم بأسوأ مما كان يفعله المستعمرون، نعرف أن مجتمعات قارتنا السوداء أو البيضاء الزنجو-إفريقية أو الألبو-إفريقية كما يقول ليوبولد سيدار

سينغور- كان عليها أن تواجه الفقر والبؤس والهزات السياسية قبل الوصول إلى عتبة الاستقرار، لم يكن بمقدور أحد أن يتصور المآسي والعنف في رواندا والزانير وليبيريا والجزائر... كان يجب أن نعكف بجدية أكبر مما فعلنا على دراسة العوامل التي دفعتنا إلى العبودية وإعادة مناقشة أسس الروابط الاجتماعية من أجل صقل توازنات جديدة.

تحاشت الحركات الوطنية هاتين القضيتين وفرضت نفسها بعنف علينا في منظمة تضامن الشعوب الإفريقية - الآسيوية، في وقت انهار الكونغو واغتيال باتريس لومومبا الذي كشف عنه في 13 فيفري 1961 بدلا من الحديث عن الكونغوليين وقدراتهم على أخذ مصيرهم بيدهم اختار المتدخلون الحديث عن هيئة الأمم المتحدة وعن البلجيكين وعن كل المنقضين على الكونغو لجعله ميدانا لطموحاتهم الخاصة ولصراعاتهم، وتم في تعسف ترجيح الأسباب الخارجية على حساب الأسباب الداخلية، حيث غاب عن الجلسات العامة ثقل ونمط تدخل الماضي في الصراعات بين الكونغوليين وتم التطرق إليها ولكن في الكواليس.

في الوقت الذي كان فيه الكونغو يغرق في الكارثة شرع أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تضامن الشعوب الأفرو- آسيوية مع الزعيم المغربي المهدي بن بركة في الحديث عن عواقبها على حركات التحرر الإفريقية وعدم الاستقرار الناجم عن المنافسة الصينية- السوفييتية ولتجاوز هذه العقبة التي كانت تشل عمل منظمة التضامن فرضت نفسها فكرة ظلت تختمر منذ مدة طويلة وهي تقريب القارات الثلاث - إفريقيا، آسيا وأمريكا- في الكفاح ضد الإمبريالية.

لم يكن قادة المنظمة يعطون هذه الفكرة نفس الدلالات، فبن بركة الذي كان قد ناقش المشروع مع شخصيتين بارزتين متمركزتين من إفريقيا الشرقية - أودينغأوجينغا وأوسكار كامبونا كان يرى أنه يضم الشبكات الموالية لكاسترو

في أمريكا اللاتينية المستقلين أكثر تجاه الاتحاد السوفييتي والصين، كما كان يعتقد ستتضمن المنظمات الإفريقية من توسيع هامش مناوراتها وافقته على هذه النظرة ولم أتوقف على مساندته إلى أن تم اعتقالي سنة 1965¹¹.

كان مهدي بن بركة صديقا لي، ويعود لقاؤنا الأول إلى صيف 1958 بسفارة المغرب ببون كان يومئذ رئيس الجمعية الوطنية المغربية، سمعني قبل أن أودعه أقول لأخيه عبد القادر أنني ذاهب إلى فرانكفورت، حيث كان لي موعد مع ميشال رابينيتس"، للحديث معه في مشروع له مع فيديريالية فرنسا، قال لي بن بركة: "إنني ذاهب إليها أيضا، أستطيع نقلك إلى هنا"، تبادلنا أثناء السفر وجهات النظر حول المغرب، قال أنه مهتم بمقارنتي التي تركز على مشاريع اقتصادية وتربوية مشتركة، تقابلنا بعد ذلك مرتين، مرة في القاهرة، وأخرى في لبنان، حيث قادتنا دولة إلى مدن صيدا وطرابلس ومختارة، عند الزعيم الكردي كمال جنبلاط.

ذهبنا معا في مارس 1961 إلى نيودلهي لحضور اجتماع حركة السلام، حيث كانت لي مواجهة جدية مع إليا إهرانبورخ، "ذوبان الجليد" الذي تلفظ في إجابة على إفريقي مناصر للماوية بعبارة بائسة: "الاتحاد السوفييتي ينزع الخبز من فمه ليمنحه لكم"، واستلزم الأمر تدخل الشاعر التركي ناظم حكمت بكل سلطته المعنوية للتخفيف من حدة غضبي.

مناقشاتي مع بن بركة كانت متكررة، فقد دعاني في ديسمبر 1961 إلى إقامة بالشامبيزي بسويسرا، أشركني في صياغة خيار ثوري في المغرب" (في ذلك الوقت تعرفت عنده على المؤرخ المغربي عبد الله العروي)، كان بن بركة رجلا نشطا مثقفا ذا مرونة فكرية كبيرة، فهم شيئا دون أن يدركه فوراً، أبعد عن الشخصيات السياسية التي كانت وراء الحركة الوطنية، فقد علمته تجربته أن يتعرف على عراقيل التغيير، ليس فقط كمجرد قوى خاملة أو رجال ينبغي

تحبيدهم ولكن كقوى اجتماعية منظمة، وكان واعيا بالمسؤولية الملقاة على عاتق الانتليجنسيا، فكرس جزءا من مجهوداته لسد الهوة التي تفصل بينها وبين الشعب، اغتياله سنة 1965 له تفسير واحد: القضاء على بديل سياسي، كان المغرب ينتظر منه الكثير، ونحن كذلك، جريمة اختطفته وافنقذته آماننا.

ينبغي علي أن أعود إلى دوري "كمنسق للمديرية المركزية بوزارة الشؤون الخارجية، فقد دشنت بكيفية ما وظيفتي الجديدة، في مؤتمر عدم الانحياز ببلغراد، في بداية سبتمبر 1961 حيث انزلت انعزالا شبه كلي في فيلا إقامة الضيوف رفقة الرئيس بن خدة، ففي الوقت الذي كان يستقبل فيه الوفود أو يتحادث مع رؤساء الدول كنت عاكفا على تحرير الخطاب الذي سيلقيه في أشغال المؤتمر.

كان مبروك بلحسين قد مهد الأرضية جيدا، حيث تحصل على الموافقة على مشاركتنا في هذا المؤتمر، الأمر الذي لم يكن سهلا، وعرف كيف يحرك حلفاءنا لتجاوز تحفظات الهند كنا على اطلاع بالاعترافات الجديدة التي ستستفيد منها حكومتنا"، والدعم الذي تقدمه لنا حركة عدم الانحياز حول مسألة انتماء الصحراء للجزائر، كان وفدنا مهيبا من حيث العدد ومن حيث نوعية المشاركين، حيث انضم إلى الوفد دبلوماسيون الأوائل يزيد وبين يحي، ولكن لم تكن مساهمة جميع أعضاء الوفد بنفس المستوى، فالأخضر الإبراهيمي مثلا واحد من أقدم دبلوماسيينا، الذي كانت نشاطاته تغطي جنوب شرق آسيا تحمل عملا مفرطا. كانت المفاوضات متواصلة عشية جولة دبلوماسية صعبة مع فرنسا، وقد تجلى بوضوح الدور الذي تلعبه العلاقات الدولية في إيجاد مخرج للحرب.

فقد عومل الرئيس بن خدة على قدم المساواة مع الرؤساء الآخرين الذين خصوه باستقبال احتفالي، غادرت يوغوسلافيا بحرقه في القلب لم أعرف عمليا

من هذا البلد سوى قاعة المؤتمرات والمطار، فالظروف لم تكن مواتية للسياحة ولم أستطع حتى أن أنتقل إلى سراييفو لتلبية دعوة الصحفي فايق ديزداروفيتش. تم تنصيب القيادة الجديدة للوزارة في شهر سبتمبر 1961، وقد تجددت كلية باستثناء مصلحة المالية، التحق عبد المالك بن حبيلس القادم من اليابان والأخضر الإبراهيمي من إندونيسيا، وعبد العزيز زرداني الذي كان يشغل منصب كاتب الديون لدى كريم، كما تم تعديل وتشبيب وتخفيف التمثيلية الخارجية، وباقتراح من الأخضر الإبراهيمي أسند نشاطنا الدبلوماسي في كل من ماليزيا تحت الإشراف المباشر للإدارة المركزية، ولم يعد لمجال عملنا نفس المساحة التي كانت عليها حين كان كريم يشرف على الوزارة، كان رئيس الدبلوماسية سعد دحلب يتابع المفاوضات مع فرنسا، ولم يعد مقيما في القاهرة، أما علاقاتنا مع حلفائنا فكان يضمنها غالبا الوزراء المقيمون في تونس أو الرباط، حيث انتقلت الحكومة لبعض الوقت هروبا من الضغوط التونسية بشأن رسم الحدود، وكان الانشغال الأساسي آنذاك نهاية الحرب التي باتت تقترب وكان البون الشاسع بين سياستنا ومواقفنا الرسمية من الوحدة المغاربية يطرح العديد من المشاكل.

في تقرير وجهته لسعد دحلب في شهر أبريل 1962 كتبت: "إن حل المشكل الجزائري ترك على حالها مشاكل الحدود مع المغرب وتونس، والكيفية التي حلت بها قضية الصحراء تجعل منا شركاء لفرنسا بحكم الأمر الواقع، ينبغي علينا إذن إيجاد صيغة باستعمال الاتفاقيات الفرنسية-الجزائرية لإشراك البلدين المغاربيين الآخرين في استغلال الثروات الصحراوية بدون هذا سنسهم في تدعيم الخصوصيات الوطنية لفائدة الإمبريالية الفرنسية، ويجب التطرق بدون تأخر لمشكل علاقتنا مع تونس والمغرب على ضوء النزاع الحدودي القائم، ومن منظور توحيد المغرب العربي"، ولكن بدلا من التوجه البناء المرحلي لمجموعة

اقتصادية فضل القادة الجزائريون على غرار جيرانهم استعمال النزاعات الحدودية كوسيلة للتأكيد الوطنية وتدعيم أجهزة الدولة.

اهتديت إلى هذه النقطة من خلال محادثات مع وزير الشؤون الخارجية المغربي أحمد بلفرج في شهر جانفي 1962 فقد شارك كلانا في اجتماع وزراء الشؤون الخارجية "لمجموعة الدار البيضاء" الذي عقد في أكرا، تحت رئاسة كوامينكروما" لمناقشة الرد على "مجموعة منروفيا" التي اقترحت اجتماعا إفريقيا في لاغوس بدون الحكومة الجزائرية المؤقتة، وقد قررنا باتفاق مشترك أن نرد سلبا على "مجموعة منروفيا" ولكن القرار لم يكن من السهل التوصل إليه، حيث بدا لي أن ممثل غانا كان مترددا، وممثل مصر بقي صامتا ونكروما الذي كان جامدا مثل صنم لم يخرج عن تحفظه إلا بعد اتخاذ القرار.

دعانا الوزير المالي إلى موبتي حيث سألت بلفرج عن النتيجة التي يريدها المغرب من بروتوكول الاتفاق المبرم في 30 ماي، بين محمد الخامس والحكومة المؤقتة، فأجابني بسؤال: "هل تتساهلون مع تراث أجدادكم؟ أجبته مع الإخوة نعم"، وتوقف الحديث هنا...

كنا نستهدف من خلال رفضنا انزواء الجزائر السماح لدول المغرب تجنب تبعية محكمة للقوى العظمى، ورغم الصعوبات اليومية بقينا واضحين فيما يتعلق باختيارات المدى البعيد¹².

خاتمة:

إن قراءة مذكرات حربي السياسية، تبدو مهمة، في استقراء جوانب من الدبلوماسية الجزائرية خلال الثورة التحريرية، ومعرفة دورها الهام... إنه كتاب مهم، تاريخي وسوسيولوجي، لفهم الكثير من إشكاليات في تاريخ الجزائر، بدءا من التاريخ الاستعماري وانتهاء بالدول المستقلة، ومكانة المثقف السياسي، في الساحة السياسية عامة والدبلوماسية خاصة.

هوامش المقال

1 محمد حربي: حياة تحدي وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص. 75، 77.

2 من مؤلفاته نذكر: في جذور جبهة التحرير، الشعبوية الثورية في الجزائر، جبهة التحرير الوطني السراب والحقيقة، أرشيف الثورة الجزائرية، الجزائر وقدرها.

3 Une vie debout, mémoires politiques, T 1 : 1945 -1962 , Edition La découverte syros, paris, 2001.

4 محمد حربي: المصدر السابق.

5 المصدر نفسه.

6 المصدر نفسه.

7 المصدر نفسه.

8 المصدر نفسه.

9 المصدر نفسه.

10 المصدر نفسه.

11 المصدر نفسه.

12 المصدر نفسه.

التضامن الدبلوماسي الإفريقي الجزائري في إطار حركات التحرر وانعكاساته على

تدويل القضية الجزائرية (1954-1962)

✍️ أ/ الطاهر خالد

جامعة الجزائر 02

الملخص:

عمل قادة الثورة التحريرية منذ الساعات الأولى من اندلاعها على شن حملة دبلوماسية، وهي وليدة الكفاح الثوري وثمره جهود أبنائها في المنفى. وقد كانت متعددة الجوانب لنقل القضية إلى هيئة الأمم المتحدة والمطالبة بحق تقرير المصير، وإضفاء البعد الدولي للقضية الجزائرية وإثارة حركة تضامنية واسعة تسمح لجبهة التحرير بتأكيد سياستها الخارجية، والعمل على إخراج القضية من الإطار الفرنسي وجعلها في نفس مرتبة القضايا التحررية على المستوى الدولي. وبهذا فقد ساهمت ثورتنا في تصفية القارة السمراء من السيطرة الاستعمارية، لأن التيار الثوري كان أقوى من السدود الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى عزل امتداد الروح الثورية نحو سائر الأقطار المستعمرة من القارة السمراء. فاندلع لهيب الثورات التحررية في عدد من البلدان الإفريقية، في حين كانت إفريقيا بمثابة حقل لنشاط دبلوماسي ومحورا من المحاور الأساسية للدبلوماسية الجزائرية في الثورة من باب مساندة موقف الجزائر في حق تقرير مصيرها أثناء التظاهرات الدولية. لأن الروابط التاريخية التي تربط الجزائر بإفريقيا، قد جعلت قيادتها الثورية توظف أدواتها الدبلوماسية لخدمة القضية الجزائرية وتكريس مبدأ التضامن الإفريقي من خلال المشاركة في المؤتمرات الإفريقية.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية، التضامن، حركات التحرر، القضية الجزائرية، إفريقيا.

Summary:

Since the early hours of the revolution, the leaders of the liberation revolution have embarked on a diplomatic campaign, the birth of the revolutionary struggle and the fruit of the efforts of their sons in exile. It has been multifaceted to transfer the issue to the UN body and to demand the right of self-determination, to give the international dimension to the Algerian cause and to stir up a broad solidarity movement that would allow the Liberation Front to reaffirm its foreign policy and work to bring the issue out of the French framework. Thus our revolution contributed to the liquidation of the continent of colonial domination, because the revolutionary movement was stronger than the French colonial dams to isolate the extension of the revolutionary spirit to other colonial countries of the continent. The flames of liberal revolution erupted in a number of African countries, while Africa served as a field of diplomatic activity and one of the main axes of Algerian diplomacy in the revolution in support of Algeria's right to self-determination during international events. Because the historical ties linking Algeria to Africa have made its revolutionary leadership employ its diplomatic tools to serve the Algerian cause and to enshrine the principle of African solidarity through participation in African conferences.

Key Words : Diplomacy, Solidarity, Freedom movements, The Algerian case, Africa.

مقدمة:

كل ثورة في العالم تستلهم أهميتها وعالميتها من خلال امتلاكها لعقيدة واضحة، ومقدرتها على التحرك الواسع والمؤثر في أرضيتها الذاتية والعالمية في آن واحد، والثورة الجزائرية الكبرى هي إحدى تلك الثورات التي تجاوزت حدود أرضيتها بفلسفتها وقيمتها. فقد سعت منذ البداية إلى تقوية جبهتها الداخلية والدفاع عن شرعية وعدالة قضيتها في المحافل الدولية خاصة الأمم المتحدة وإخراجها من الإطار الفرنسي بتكثيف النشاط السياسي والدبلوماسي على الصعيد الدولي فهي بالإضافة إلى تأثيرها الجذري في الواقع الجزائري، ونسفها لكل جسور الاحتلال، فإنها فرضت نفسها كتجربة أضاعت الطريق أمام حركات التحرر العالمية ولا سيما في إفريقيا السمراء، وتحقيق ريادتها على المستوى

القاري بما حملته مرتكزاتها من أبعاد وطنية وإنسانية فقد وجدت هذه الحركات في الثورة الجزائرية السند القوي والمدافع عن حرية شعوب القارة. ومن هذا المنطلق وجب علينا أن نتساءل عن: ما مدى مساهمة الثورة الجزائرية في تكريس فكرة التحرر بين الشعوب الإفريقية؟ وما هي أشكال الدعم الدبلوماسي الإفريقي في تدويل القضية الجزائرية؟ لهذا ارتأينا أن نعالج هذا المقال مركزين فيه على ثلاث محاور أساسية، إذ استهلينا في هذه الورقة العلمية بالدبلوماسية الجزائرية من خلال مواثيق الثورة والمتمثلة في بيان أول نوفمبر 1954 ومؤتمر الصومام 20 أوت 1956، ثم تطرقنا إلى التضامن الدبلوماسي للدول الإفريقية في دعم القضية الجزائرية من خلال المؤتمرات واللقاءات الدولية، كما عالجنادور الثورة الجزائرية في دعم حركات التحرر بإفريقيا.

أولا/الدبلوماسية الجزائرية من خلال مواثيق الثورة

لقد كان العمل الدبلوماسي ⁽¹⁾ الذي قامت به جبهة التحرير الوطني لتدويل القضية الجزائرية أحد المبادئ الأساسية، وقد نظرت إلى الرأي العام العالمي على ثلاث جبهات هي: الرأي العام العربي وهو موال للثورة الجزائرية والرأي العام الأفرو آسيوي ⁽²⁾ يجب كسبه والرأي العام الغربي يجب تحييده ⁽³⁾. وبذلك وضعت الجبهة تدويل القضية من أولوياتها القصوى والتعريف بها خارجيا على مستوى الهيئات والمنظمات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة وهو ما نلاحظه من خلال مواثيق الثورة التحريرية، التي حددت عملية تدويل قضيتها كهدف أول أساسي للنشاط الدبلوماسي لأجهزة الثورة وهذا من أجل تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي والإسلامي، وكذلك لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعية لتعم العالم كله وذلك بمساعدة كل الحلفاء الطبيعيين ⁽⁴⁾.

1- بيان أول نوفمبر 1954

لقد تناول بيان أول نوفمبر 1954 استراتيجية قادة الثورة الذين وضعوا خطة للعمل على تدويل القضية الجزائرية والتي تقوم على أساس خلق جهاز سياسي لجبهة وجيش التحرير الوطنيين بحيث يكون هذا الجهاز قادرا على شرح معنى أهداف الثورة وذلك بهدف كسب التأييد الداخلي لها ⁽⁵⁾. فالبيان قد شرح أهدافها الخارجية وهي تدويل القضية الجزائرية والاستقلال في إطار الشمال الإفريقي واستغلال الأوضاع الخارجية في ظل الانفراج الدولي والدعم الدبلوماسي خاصة العرب والمسلمين ⁽⁶⁾.

بمجرد اندلاع الثورة الجزائرية أخذ قادة الثورة على عاتقهم مهمة البحث عن مخرج لقضيتهم في المحافل الإقليمية والدولية معتمدة في ذلك على المساندة الأفرو آسيوية في الخارج وعلى النشاط العسكري والتفاف الشعب حولها في الداخل، وكلما ازدادت الجبهة الداخلية تصلبا ازداد تلاحم الجزائريين وبذلك تسهيل المهمة وتكريس الأهداف التي نادى بها بيان أول نوفمبر 1954، فلم يطل الوقت كثيرا بعد اندلاع الثورة وحتى قبل بداية سنة 1955 حتى بدأت ملامح القضية الجزائرية تظهر على المستوى الدولي من خلال أجهزة الأمم المتحدة وقد تمثل هذا الظهور على مجلس الأمن في 05 جانفي 1955 عن طريق السعودية وعلى مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ الدورة العاشرة 1955 عن طريق الدول الأفرو آسيوية ⁽⁷⁾. ولتحقيق أهداف جبهة التحرير الوطني واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية وضعت الجبهة مهمتين أساسيتين لإنجازهما أنها لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تتجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض أو العمل في الخارج لجعل القضية حقيقة واقعة في العالم ⁽⁸⁾.

وبالعودة إلى نص البيان والأهداف الواردة فيه يمكننا فهم الخطوط العريضة لاستراتيجية جبهة التحرير وسعيها لتدويل القضية وضبط علاقاتها الخارجية سواء كانت مع الدول الحليفة المنتمية للعالم الإسلامي الذي تربطه بالجزائر روابط حضارية تاريخية وتشابه التجارب المعاصرة والمصير المشترك أو القوى المعادية لها باعتبارها تشكل حليفا طبيعيا للاستعمار الفرنسي نتيجة الانتماء الحضاري المشترك وواقع الانتماء الإيديولوجي والعلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية⁽⁹⁾.

ونلاحظ أن البيان قدم ولأول مرة حصيلة النضال الوطني وقدم الوسائل الكفيلة لإخراج الإيديولوجية الوطنية من مرحلة التنظير إلى ثورة التنفيذ والتطبيق، فالبيان عبر عن إيديولوجية الثورة المتكاملة من خلال شمولها للمبادئ والأهداف ووسائل العمل، بحيث أكدت جبهة التحرير الوطني أنها ليست حدثا جاء بطريقة عفوية، وإنما هي نتيجة النضال الطويل الذي خاضه الشعب الجزائري عشرات السنين وبذلك هو الآن يجد الطريق نحو التجسيد الحقيقي⁽¹⁰⁾. وبتحديده للأهداف الداخلية والخارجية يكون بيان أول نوفمبر 1954 قد أكمل بناء إيديولوجية الثورة بأبعادها الوطنية الإقليمية، الحضارية والعالمية والإنسانية، وهي بذلك عبرت عن مدى شمولية النظرة واتساع الأفق للفكر الوطني⁽¹¹⁾.

2- بيان مؤتمر الصومام 20 أوت 1956

وقف مؤتمر الصومام مطولا لإدراكه أهمية العمل الدبلوماسي بهدف دحض الشبهات الفرنسية وتدويل القضية⁽¹²⁾. وبذلك يعتبر بداية لمرحلة جديدة في مسيرة ثورة التحرير أو محصلة لما سبق، فهو المعلم البارز لها ويدل على أن الكفاح المباشر قد تضخم وتغلغل في مختلف الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية، فقد تميز بأنه أول مبادرة تتصف بالشمول والعمق وإعطاء الثورة

الجزائرية خلفية فكرية وتنظيمية وتخطيطية⁽¹³⁾، وهو بذلك خرج بوثيقة سياسية تعبر عن مسارها من خلال المنهج أو الميثاق الذي سار عليه⁽¹⁴⁾.

فقد جاء هذا المؤتمر في ثلاثة أقسام شملت الحالة السياسية الراهنة الآفاق العامة ووسائل العمل. ففي القسم الأول أعطى تقييمه للكفاح السياسي والمسلح وخلص على أنهما يسيران في الطريق السليم مرجحا ذلك إلى الانتصارات المحققة من طرف جيش التحرير الوطني ونفوذ الجبهة، كما تطرق أيضا إلى استراتيجية الاستعمار الفرنسي الهادفة إلى تدمير الثورة من خلال منح الاستقلال لتونس والمغرب والإبادة الجماعية للشعب الجزائري⁽¹⁵⁾.

ومن أهم القرارات الهامة التي خرج بها المؤتمر خاصة على المستوى السياسي أكد على ضرورة العمل على تدويل القضية ولم يفوت طرحها أمام المحافل الدولية والمتمثلة في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية كما تضمن جدول أعماله أن يكون هناك بحث في العلاقات الدولية الخارجية خاصة مع الجارتين تونس والمغرب الأقصى، فرنسا والأمم المتحدة، ومما ورد في ميثاق المؤتمر الذي كرس أهداف بيان أول نوفمبر من خلال الدعوة إلى تأسيس اتحاد لدول شمال إفريقيا الثلاث، حيث نجح في وضع وإبراز آليات لتحقيق هذه الوحدة، فإن ميثاق الصومام قد نجح إلى حد بعيد في إبرازها بدعوته إلى تنظيم دفاع مشترك ونشاط دبلوماسي مشترك وحرية المبادلات والتعاون في مجال التصنيع والتجهيز، وبذلك أن الهدف أكثر ثراء من خلال تطور الأفكار الموصلة لتحقيق الوحدة المغاربية باعتماد الميثاق على وضع سياسة تعاون شاملة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. هذا وقد أشارت وثيقة المؤتمر إلى الوضع في شمال إفريقيا بحقيقة واضحة للعيان وأن القضية الجزائرية مندمجة في القضية التونسية والمغربية، بحيث تكون قضية واحدة، معتبرة بذلك استقلالهما بدون الجزائر لغوا لا قيمة لهما. فالتونسيون والمغاربة لم ينسوا أن الاحتلال

الفرنسي لبلديهما قد جاء عقب احتلال الجزائر، هذا وأكدت الوثيقة أنه خطأ فاحش أن يعتقد أحد أن باستطاعة المغرب وتونس التمتع بالاستقلال الحقيقي إذا ما بقيت الجزائر محتلة⁽¹⁶⁾.

ومن جهة أخرى من الأهداف الخارجية نجد أن ميثاق الصومام قد ركز على النشاط الخارجي بهدف تدويل القضية وجلب العون المادي والمعنوي والروحي وذلك باستعمال دول مؤتمر باندونغ⁽¹⁷⁾ كوسيلة للضغط السياسي والدبلوماسي والاقتصادي بصفة مباشرة على فرنسا بما في ذلك سعيها لدى هيئة الأمم المتحدة وكسب تأييد الدول والشعوب الأوروبية وخاصة البلاد الشمالية وكذلك أمريكا اللاتينية ومما نلاحظه أن هذه الأهداف جاءت أكثر ثراء وشمولية وواقعية مقارنة ببيان أول نوفمبر 1954، فالآليات الممكنة قد وضعت لتدويل القضية عن طريق تكثيف العمل الدبلوماسي ليشمل معظم دول العالم، حيث وسعت جبهة التحرير الوطني نشاطها على الصعيد السياسي، فنجد أن كثيرا من الأقطار الشقيقة والصديقة بدأت تتفهم الثورة وتقدم المساعدات المطلوبة، فالعمل على الصعيد الخارجي وكسب الرأي العام الدولي انطلق بعد المؤتمر، وبذلك أخذت وفود الجبهة لشرح القضية الجزائرية دبلوماسيا وقيامها بعمل كبير في الخارج وفي جميع الأقطار⁽¹⁸⁾.

وقد أصبح للجبهة مكتب دائم في هيئة الأمم المتحدة ووفود في آسيا وكذلك متنقلة بين العواصم من أجل المشاركة في المؤتمرات والتجمعات العالمية كتجمعات الطلبة والنقابات⁽¹⁹⁾ وبهذا أولت طرح هذه الوسائل العديدة على عمق وشمولية النظرة التي أصبح يتمتع بها الفكر الثوري نتيجة التجربة الميدانية المكتسبة والعملية التقييمية التي تدارك بها هذا الفكر نواقص الكفاح المسلح، لذلك نجد أن هذه الوسائل جاءت غنية مقارنة ببيان أول نوفمبر 1954 لمجابهة

المناورات الاستعمارية الخبيثة وتقوية الوحدة الوطنية ولتطوير العمل المسلح داخليا وخارجيا (20).

ثانيا/ التضامن الدبلوماسي للدول الإفريقية في دعم القضية الجزائرية من خلال المؤتمرات واللقاءات

كان من جملة النشاطات المسطرة دبلوماسيا لجهة التحرير الوطني هي المشاركة في المؤتمرات قصد الوصول إلى الهدف الأول وهو تدويل القضية الجزائرية ومن بين التي لقيت صدى لهذه المطالب ما يلي:

1- مؤتمر باندونغ (18-24 أفريل 1955)

جمع هذا المؤتمر جميع الدول المستقلة من آسيا وإفريقيا لتبحث معا وسائل القضاء على الاستغلال والتخلف، وتفكر في وضع أهداف ومبادئ عامة تخدم الحرية، فانعقد المؤتمر بإندونيسيا وحضر المؤتمر تسع وعشرين (29) دولة إفريقية وآسيوية (21)، كما حضرته كثير من الوفود المتمثلة للشعوب المكافحة في طليعتها الشعب الجزائري (22). فبعض الروايات تقول أن الذي مثل الجزائر هو محمد يزيد و آيت أحمد (23)، وبعض الروايات الأخرى تقول إن الشخصية الوحيدة التي دخلت قاعة المؤتمر هو الشاذلي المكي، وذلك ضمن الوفد السوداني، هذا الأخير حمل مذكرة جبهة تحرير الجزائر من القاهرة إلى باندونغ (24).

ترأس وفد المغرب العربي السيد صالح بن يوسف، وقد قدم مذكرة مشتركة مع ملحق يخص القضية الجزائرية، وتضمنت هذه المذكرة مطالبية المؤتمرين بتأييد حق تقرير المصير للشعب الجزائري وكذلك العمل على إدراج القضية الجزائرية ضمن اهتمامات الأمم المتحدة، وقد صادق المؤتمر على لائحة مؤيدة لحق تقرير المصير واستقلال الجزائر (25). وكان من جملة نتائج هذا المؤتمر، مراجعة الكثير من الزعماء الوطنيين، ورؤساء الحكومات في إفريقيا وآسيا

سياستهم القديمة التي كانت تلاين الاستعمار⁽²⁶⁾. إن هذا المؤتمر كان بمثابة الأرضية التي وضعتها الدول العربية لانطلاقة القضية الجزائرية في المحافل الدولية، لذا كان أول مؤتمر حضرته الجزائر والذي انطلق منه لتحقيق الخطوة الثانية⁽²⁷⁾.

2- مؤتمر القاهرة (26 ديسمبر 1957-01 جانفي 1958)

إذا كان مؤتمر باندونغ مؤتمر حكومات دول، فإن مؤتمر القاهرة كان مؤتمر شعوب وحركات وطنية وسياسية ونقابية⁽²⁸⁾، حيث انعقد في الفترة الممتدة بين 26 ديسمبر 1957 و1 جانفي 1958 بحضور أربعة وأربعين دولة أفرو آسيوية، مثل الجزائر السيد الأمين دباغين، وقد ناقش المؤتمر القضية الجزائرية وتدخلت عدة وفود لشرح وجهة نظرها، وبخاصة الوفود العربية⁽²⁹⁾. الذي أستقبل فيه الوفد الجزائري استقبالا حارا، وكان حول التضامن الإفريقي الآسيوي، ودعا المؤتمر إلى قيام مظاهرات شعبية في جميع البلاد المشتركة في نصرته القضية الجزائرية وتعبئة الرأي العام العالمي، لمناهضة السياسة الاستعمارية والاعتراف بتقرير الجزائر لمصيرها⁽³⁰⁾.

حيث تم فيه ترسيخ المبادئ الكبرى لمؤتمر باندونغ، وتشكيل العديد من اللجان العربية لكل بلد، التي تكون مسؤولة عن التعبئة المحلية والرسمية، وتولت مصر تولية مسؤولية الاتصال بالتنظيمات السياسية المختلفة لحضور هذا المؤتمر وأصبحت بذلك: العاصمة السياسية لحركات الاستقلال والقاعدة الأساسية لتحرير إفريقيا، ولهذا اختيرت لانعقاد المؤتمر ومقر السكرتارية الدائمة لمؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية⁽³¹⁾. وأثناء استقبال الوفد الجزائري قامت كل الوفود بالوقوف طويلا تصفق وتهتف في حماس عظيم لكفاح الشعب الجزائري وثورته وصموده وعزمه على الكفاح بكل وسيلة وبأي ثمن لتحقيق الحرية والاستقلال⁽³²⁾. فقد قال رئيس الوفد التونسي علال بلهوان عن القضية

الجزائرية خلال تدخله مبينا بالخصوص الترابط المتين بين القضية الجزائرية وقضايا إفريقيا: "لو شبهنا قضية الجزائر في إفريقيا لشبهناها بقضية الهند بأسيا، فلما استقلت الهند استقلت شعوب أسيا كلها تقريبا، إندونيسيا، سيلان، بورما، الباكستان، الفيتنام، فاستقلال الجزائر سيكون الضربة القاضية للاستعمار في إفريقيا كلها..."⁽³³⁾ وقد أعلن المؤتمر تأييد مصر ومسايعها نحو استقلال الجزائر وحريتها وأصدر قرارات منها الدعوة لإجراء المفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني والإفراج على المعتقلين الجزائريين. كما طالب من شعوب العالم تنظيم المظاهرات والحملات الصحفية لتبعية الرأي العام لاستتكار السياسة الفرنسية وبأن تتولي تلك الشعوب الدفاع عن قضية الجزائر في المنظمات الدولية⁽³⁴⁾.

3- مؤتمر أкра بغانا (15-22 أبريل 1958)

شهدت مدينة أкра (غانا) مؤتمر للدول الإفريقية المستقلة، حيث شارك وفد رسمي عن جبهة التحرير الوطني ممثل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في أشغال مؤتمر الشعوب الإفريقية، فشرح تطور القضية الجزائرية على المستوى المحلي والجهوي والقاري والدولي، وقد وجد تجاوبا وتضامنا وتأزرا من المشاركين في المؤتمر وأبدوا استعدادهم لتقديم كل أنواع المساعدة والتأييد للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وللشعب الجزائري حتى ينال حريته واستقلاله ويسترجع سيادته الوطنية، وشكلت الثورة الجزائرية النقطة الأساسية في هذا المؤتمر بهدف إحياء الذكرى الأولى لاستقلال غانا الذي حضرته ثمان حكومات إفريقية مستقلة⁽³⁵⁾. بالإضافة إلى تعيين وفود للقيام بجولة إلى أوروبا وآسيا وأمريكا للدعوة إلى مناصرة القضية عند عرضها على هيئة الأمم المتحدة كما طالب البيان الختامي من فرنسا سحب قواتها من الجزائر⁽³⁶⁾.

وأكد المؤتمر عرضه على بذل الجهود لمساعدة الشعب الجزائري على نيل استقلاله، ودعا الدول الصديقة لفرنسا برفض تقديم المساعدات لفرنسا لمواصلة حرب الإبادة، وأوصى توصية صريحة لحل المشكلة الجزائرية وذلك بإجراءات فعالة، بأن تصدر حكومات الدول الإفريقية المستقلة تعليماتها إلى ممثليها في هيئة الأمم المتحدة بمساعدة القضية والتعريف بعذالتها، ويحي روح الشجاعة والتضامن الإفريقي المناهض للاستعمار⁽³⁷⁾. وكانت الأهداف الأساسية لهذا المؤتمر هي تحرير الأقطار الإفريقية من الهيمنة الاستعمارية ودعم كفاحها بالوسائل المادية والسياسية وعلى رأسها الجزائر التي تخوض حربا ضارية ضد المحتل الفرنسي بقيادة جبهة التحرير الوطني. بالإضافة إلى إنشاء منظمة قارية تتمتع بصلاحيات دبلوماسية ممثلو الجبهة بصفة رسمية أو غير رسمية ومن أولويات أهدافها الدفاع عن الأقطار العربية، وفي مقدمتها الجزائر، بالإضافة إلى معالجة قضايا التعاون الاقتصادي والثقافي.

كما تم الإقرار فيه على الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير مصيره، وإنشاء هيئة دائمة لمتابعة الكفاح مكونة من الأفارقة لدى الأمم المتحدة والتتديد بخطورة اتساع العمليات الحربية وإراقة الدماء الناجمة عن استمرار الحرب في الجزائر⁽³⁸⁾. وقد طالب من فرنسا أن تعترف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير، وأن تنهي القتال وتسحب قواتها من الجزائر. وأن تدخل في الحال في مفاوضات سلمية مع جبهة التحرير الوطني للوصول إلى تسوية نهائية عادلة. وألح على مواصلة الدعم الدبلوماسي لنصرة القضية الجزائرية على مستوى المحور الدولي ومنحها المساعدات⁽³⁹⁾.

وفي انتظار هيئة إفريقية مركزية تضم الدول المستقلة وممثلي الحركات التحررية وافق المؤتمر بالجماع على مقترحات الرئيس جمال عبد الناصر بإنشاء "لجنة تحرير شعوب إفريقيا"، لأن المؤتمر جاء كحلقة مكملة وأساسية لمؤتمر

باندونغ التاريخي من حيث التنظيم السياسي القاري وتوجيه الصراع السياسي نحو أهداف تحررية وتوفير أجواء الدعم والتضامن والتكامل بين الدول الإفريقية (40). ولقد كتبت جريدة Le Combat بتاريخ 18 أبريل 1958 معلقة على مؤتمر أكرا: "إن الأفطار الإفريقية قد تطورت منذ سنة 1955 تاريخ انعقاد مؤتمر باندونغ إلى غاية مؤتمر أكرا والتي قد مرت بالقاهرة" (41). ونظرا لما قامت به فرنسا من عدم سماعها للنداءات وبقائها تمارس الخداع والمراوغة وفرضها لسياستها الاستعمارية بكل الطرق، وباعتبار استنفاد الجزائر لجميع الوسائل السلمية لتحرير البلاد وإضافة إلى التوصيات التي اتخذتها الدول في مؤتمر أكرا فإنها تؤكد ما خرج به المؤتمر من قرارات (42).

4-مؤتمر طنجة بالمغرب (27-30 أبريل 1958)

هو مؤتمر شمال إفريقيا، الذي حضرته الأحزاب السياسية الثلاث الفاعلة في البلدان المغاربية (43)، جاء بعد شهرين من قصف ساقية سيدي يوسف التونسية (44). وضم كل من جبهة التحرير الوطني وحزب الاستقلال المغربي والحزب الدستور التونسي (45)، باستثناء ليبيا التي لم توجه لها الدعوة لحضور المؤتمر وكانت تعتقد بأنها من بلاد المغرب العربي (46). ولقد أبدت استياءها رغم أنها إحدى القواعد الخلفية لجبهة التحرير الوطني، وكذا الدعم الذي قدمه الملك إدريس السنوسي للقضية الجزائرية، وقد انعقد بمبادرة من حزب الاستقلال من أجل توحيد المغرب العربي، وتسطير الخطوط العريضة بغرض إنشاء تجمع جهوي (47). ويعتبر موضوع حرب الجزائر وتصفية مخلفات الاستعمار بتونس والمغرب، أهم ما ناقشه المؤتمر وصدر عنه البيان الختامي الذي تضمن توصية بإنشاء اتحاد المغرب العربي وإقامة مكتب دائم (48).

إن التقرير الذي رفعه وليام بورتير (وزير شمال إفريقيا في الخارجية الأمريكية) أثناء زيارته للرباط قبل انعقاد المؤتمر قال: "إن من مصلحة الو.م.أ

الرئيسية أن يشعر أعضاء المؤتمر بمدى العطف الذي يتحمله إزاء جهودهم الساعية إلى إنشاء شخصية شمال إفريقيا تعالج بها القضايا العالمية وخاصة قضايا العالم الحر"⁽⁴⁹⁾. كما كتبت جريدة واشنطن بوست مقالا تحليليا للمؤتمر قالت: "بالنسبة لنا نحن الأمريكيين يكتسي مؤتمر طنجة أهمية يزيد في عظمتها، وأنه يجمع العناصر التي ستقود مصير شمال إفريقيا وتوجهه في صالح الأجيال القادمة، إن إفريقيا الشمالية تسير إلى الأمام أحبّت فرنسا أم كرهت ورضا ساستها أم لا، إنه يتعين علينا نحن الأمريكيين أن يكون ذلك السير في اتجاه التعاون والصداقة مع الو.م.أ، ولابد أن ينتهي إلى إنشاء قوة سياسية موحدة، لا يكون لها الشأن والتأثير على الساسة الأمريكان فحسب، بل وعلى الساسة الفرنسيين أيضا"⁽⁵⁰⁾. وقالت جريدة لومانيتي L'humanité الفرنسية: "إن توصية مؤتمر طنجة بإنشاء حكومة جزائرية يعطي لجبهة التحرير الوطني مكانة دولية أكثر من أي وقت مضى، لهذا فإنه ليس من المبالغة أن نقول: أن مؤتمر طنجة يمكن أن يعتبر نوعا من هزيمة ديان بيان فو في الميدان السياسي والدبلوماسي"⁽⁵¹⁾. وقد أوصى بضرورة اختيار الرجال المناسبين والمعروفين على المستوى الدولي في طاقم الحكومة المزمع تشكيلها واختيار المقر والوقت المناسبين للإعلان عنها⁽⁵²⁾.

كما فتحت الجهود الدبلوماسية للوفد الخارجي في مؤتمر طنجة أفقا سياسية، وعرفت القضية الجزائرية خلال سنة 1958 نجاحا دوليا باهرا وهذا على جميع الأصعدة سواء الإفريقية أو العربية والأسبوية وكان يمس الجانب المادي والسياسي والإعلامي، وذلك في إطار استمرار الجبهة والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الحضور في الندوات والمؤتمرات لصالح القضية من خلال: التعريف بتطور كفاح الشعب الجزائري وحشد التأييد له، وتطوير السياسة الاستعمارية الفرنسية وفضح أساليبها الخبيثة في المحافل الدولية⁽⁵³⁾.

ولقد تجاوب المؤتمر مع الطروحات الجزائرية وأعلنوا في توصياتهم إقرار حق الشعب الجزائري في تقرير المصير ومطالبة فرنسا في فتح باب المفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والاعتراف باستقلال الجزائر⁽⁵⁴⁾. ورسم العلاقات بدول المغرب والدول العربية وهيئة الأمم المتحدة وهي المواقف التي أكدها بيان أول نوفمبر وشرحها في ميثاق الصومام⁽⁵⁵⁾. ولقد تجاوزت الأحداث سياسة ديغول بتأكيدا أن الجزائريين ليسوا فرنسيين، من خلال مضاعفتها للتفسيرات والتدخلات لدى الحكومات العربية على وجه الخصوص في الرباط وتونس والقاهرة⁽⁵⁶⁾.

وكان المؤتمر جبهة دفاع مشترك ضد السيطرة الاستعمارية، ومشروع عملي وسياسي موحد ينسجم مع أشكال الحرب، مراعيًا لخطط الاحتلال وأساليب الاستعمار الجديد التي تنوي فرنسا تطبيقها في شمال إفريقيا، وإن التمثيل الذي سيلتئم في صورة مجلس استشاري سيسمح للنظم الديمقراطية الحقيقية أن تكون هي أساس الحياة⁽⁵⁷⁾. بالإضافة إلى أن الثورة ساهمت في مبدأ الانحياز كأساس لسياسة أقطار المغرب العربي ووضع ميثاق القارة الإفريقية على أساس حرية إفريقيا ووحدتها وحيادها⁽⁵⁸⁾. وتقرر في الملتقى المراكشي أن يلتقوا ممثلو المغرب وتونس والجزائر في المهديّة، فيما بين 17 إلى 20 جوان 1958، وذلك لتنفيذ قرارات المؤتمر ولتنويع الوحدة المغاربية عن طريق تبني الحكومات لقرارات مؤتمر طنجة⁽⁵⁹⁾.

5- مؤتمر منورفيا بليبيريا (14 أوت 1959)

اجتمع وزراء خارجية الدول الإفريقية المستقلة مصر والمغرب وليبيا وغينيا والسودان والحبشة إلى جانب حكومة الجزائر في منورفيا عاصمة ليبيريا في 14 أوت 1959 لدراسة مشاكل الدول الإفريقية خاصة الجزائر⁽⁶⁰⁾، وعند افتتاح جلسات المؤتمر القى "حسين ذو الفقار صبري" خطابا مهما ندد فيه

بالفضائح التي ترتكبها فرنسا ضد الشعب الجزائري، كما ندد بقرار فرنسا القاضي بإجراء فرنسا لتجاربها النووية بالصحراء الكبرى، وتحدث عن القضية الجزائرية ونقل صورا حية لألوان الدمار التي لحقت الجزائر منذ اندلاع الثورة، حيث ذكر أن الاستعمار الفرنسي يعيش حالة فزع من تكرار موقعة " ديان بيان فو "، وأوضح أن ديغول لم يعرض شيئا جوهريا لحل القضية الجزائرية⁽⁶¹⁾.

وقد أوصى المؤتمر في قراراته بالاعتراف بالحكومة المؤقتة الجزائرية وحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وطالب فرنسا بسحب جيوشها والدخول في مفاوضات مع الحكومة المؤقتة⁽⁶²⁾، وندد بما تقدمه أعضاء الحلف الأطلسي من إعانات لفرنسا في حربها ضد الجزائر، كما استنكر المؤتمر لاستخدام الجنود الإفريقيين لقتل إخوانهم الجزائريين، والحث على الدول المستقلة على مواصلة العمل الدبلوماسي لنصرة القضية الجزائرية في المحافل الدولية ومنح الجزائر المساعدات المادية⁽⁶³⁾. واستجابة لندائه اعترفت كل من غانا وغينيا بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وكان اعترافهما دليل على قوة التضامن بين الشعوب والحكومات الإفريقية وهذا يعد مكسبا جديدا للثورة تحرزه إفريقيا، وقدمت بذلك ضربة قاسية للدعاية الاستعمارية المضللة التي تحاول أن تفرق بين إفريقيا البيضاء وإفريقيا السوداء⁽⁶⁴⁾.

6- مؤتمر كوناكري (15-11 أفريل 1960)

كان المؤتمر بمثابة مرحلة متقدمة في هذا التضامن وتأييد النضال التحرري، ومما ساعد على ذلك هو إحراز شعوب إفريقيا وآسيا على عدة انتصارات، فقد تحررت معظم دول آسيا ونالت عدة دول إفريقية استقلالها مما جعلها تضيف قوة جديدة لحركة التضامن الأفرو آسيوي⁽⁶⁵⁾. واتخذ المؤتمر قرارات تتعلق ب 22 بلد في إفريقيا وآسيا منها الجزائر، وتضمن ذلك استنكارا قويا للسياسة الفرنسية الاستعمارية للجزائر وللدول التي تقف وراء هذه السياسة

كما قرر المؤتمر تأليف جيش أسويي - إفريقي للاشتراك في تحرير الجزائر وتقديم الدعم لأمة إفريقية - أسيوية تناضل من أجل التحرر⁽⁶⁶⁾.

7- مؤتمر أديس بابا بأثيوبيا (14- 24 جوان 1960)

حيث جمع الدول الإفريقية المستقلة من 14 إلى 24 جوان 1960، وقد التقى فيه وفود من 13 دولة إفريقية عالجت من خلاله المشاكل التي تعاني منها شعوب القارة الإفريقية، كما طرحت القضية الجزائرية كمسألة أساسية من أجل فتح باب الاستفتاء من أجل تحقيق الاستقلال⁽⁶⁷⁾. كما دعا المؤتمرين الدول الإفريقية التي لم تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية للاعتراف بها⁽⁶⁸⁾، ومن أهم قرارات المؤتمر مؤازرة كفاح الشعب الجزائري في كل الميادين ووضع أسس مبنية لتعاون الدول الإفريقية المستقلة في جميع الميادين ومساندة الأقطار المكافحة من أجل الاستقلال، بالإضافة إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها والتتديد بسياسة فرنسا الخاصة بالتجارب النووية في الصحراء الجزائرية⁽⁶⁹⁾.

8- مؤتمر الدار البيضاء بالمغرب الأقصى (7-4 جانفي 1961)

دعا إليه الملك محمد الخامس وشارك فيه الرئيس كوامينا كروما⁽⁷⁰⁾ رئيس جمهورية غانا، وأحمد سيكوتوري⁽⁷¹⁾ رئيس غينيا وموديبو كايتا⁽⁷²⁾ رئيس جمهورية مالي وفرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة وكان فرصة أخرى لجبهة التحرير الوطني لكسب المزيد من التأييد والمساندة والدعم من البلدان الإفريقية فجاءت قراراته معبرة عن هذا الدعم حيث نجد في لائحته أن القضية الجزائرية احتلت الصدارة⁽⁷³⁾ ومن أهمها لإعلان عن عزم الدول مساعدة الشعب الجزائري والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بكل الوسائل في الكفاح من أجل الاستقلال، كما طلب من كل البلدان المساندة للجزائريين في كفاحهم أن تضاعف مساندتها السياسية والدبلوماسية والمادية.

بالإضافة إلى الإشهار بالمساعدة التي يقدمها الحلف الأطلسي لفرنسا. ودعوة الدول الغربية لمنع استخدام أراضيها في العمليات الموجهة ضد الشعب الجزائري (74). والمطالبة بسحب القوات الإفريقية العاملة تحت القيادة الفرنسية بالجزائر، كما دعا كل الحكومات التي لم تعترف بعد بالحكومة المؤقتة إلى الاعتراف بها. وندد بأن استمرار الحرب بالجزائر من شأنه أن يؤدي بالمشاركين في الندوة إلى إعادة النظر في علاقاتهم مع فرنسا. كما طالب بمعارضة تقسيم الجزائر (75).

9- مؤتمر شعوب إفريقيا بالقاهرة (13 مارس 1961)

وقد لعبت مصر دورا بارزا في المؤتمر من أجل دعم القضية الجزائرية، حيث عبر أن القضية الجزائرية تمثل ذروة النضال الإفريقي من أجل الحرية والاستقلال (76)، وكانت هي أولى القضايا التي ناقشها ممثلو شعوب إفريقيا (77)، وكانت علاقاتنا تتعزز وتدعم باستمرار مع الأقطار الإفريقية الآسيوية، وكانت الروابط التاريخية بالبلدان الإفريقية والآسيوية تجعل من الثورة جزء لا يتجزأ من الكتلة الإفريقية والآسيوية (78). ولقد أكد المؤتمر على أن القضية هي قضية الكتلة ككل وأعلن عن بعض القرارات منها، أن تقرير مصير الشعب الجزائري هو الوسيلة الوحيدة لحل النزاع القائم بين فرنسا والجزائر. وأكد على أن محاولات فرنسا لاقتطاع الصحراء الجزائرية فيه تهديد لاستقلال الجزائر والوحدة الإفريقية. وقد أيد قرار الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الداعي للدخول في المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، لوضع تقرير المصير موضع التنفيذ. كما طالب المؤتمر الدول الإفريقية بزيادة المساعدات المادية والدبلوماسية للثورة الجزائرية، لتحقيق الجزائر استقلالها ويعتبر المؤتمر أراضى الصحراء من الأراضي القومية الجزائرية (79).

وقد شكلت قضية الصحراء محور مناقشات مؤتمر الشعوب الإفريقية، وتم تدعيم موقف الحكومة المؤقتة المتعلق بالصحراء بأنها قضية وحدة التراب

وهي كجزء مكمل للوطنية الجزائرية⁽⁸⁰⁾، ومن ثم الضغط على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وفي يوم 05 سبتمبر 1961 اعترف ديغول بالسيادة الجزائرية على الصحراء وبذلك قد زالت إحدى العقبات الكبرى التي أفشلت المفاوضات⁽⁸¹⁾.

ثالثا/ دور الثورة الجزائرية في دعم حركات التحرر بإفريقيا

تعتبر ثورة أول نوفمبر منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر والبلدان الإفريقية المستعمرة فقدة كان لها صدى في مساندة قضايا التحرر وتصفية الاستعمار من القارة وحق الشعوب المضطهدة في تقرير مصيرها وذلك من خلال النشاط الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني.

1- توعية الشعوب الإفريقية بضرورة الكفاح المسلح

كان للثورة الجزائرية أثر ملموس على تحرير بقية الدول الإفريقية التي اهتزت لدوي هذه الثورة وصدى صوتها المدوي في كل أنحاء العالم، واتخذتها قوة ومثالا، وكم هم الزعماء والرؤساء الذين أشادوا بفضل الثورة الجزائرية وسجلوا انطباعاتهم حول تأثيرها المباشر وبدورها على نشاطهم السياسي فيما بعد⁽⁸²⁾. حيث يقول الثائر الإفريقي اميلكار كابراي "إذا كانت مكة قبلة المسلمين والفاتيكان قبلة المسيحيين، فإن الجزائر تبقى قبلة الثوار"⁽⁸³⁾، لأن شعار الثورة منذ البداية كان "أيها الأفارقة إلى السلاح الموت للاستعمار الفرنسي"، فقد لعب الشعب الجزائري دورا لا يستهان به في توعية القارة برمتها⁽⁸⁴⁾. فالجزائر اتخذت مبادى محاربة الاستعمار مبادى ضروريا لتحقيق الاستقلال ووحدة المغرب والوطن العربي والقارة السمراء خصوصا وهذا عبارة عن انعكاس لرغبة الجماهير في التحرر والتخلص من السيطرة الاستعمارية حيث وضعت الجزائر على عاتقها مهمة تحقيق الوحدة في القارة الإفريقية وهذا من خلال جبهة التحرير الوطني عن طريق تعبئة الحركات والمنظمات الجماهيرية⁽⁸⁵⁾. لذلك ربطت نضالها

بالشعوب الإفريقية، ووطدت العلاقات مع حركات التحرر الإفريقية، ونتج عن ذلك احتضان الأفارقة لهذه القضية ودفاعهم عنها واستماتتهم من أجلها⁽⁸⁶⁾.

حيث دعا برنامج طرابلس إلى تصفية الاستعمار والإمبريالية وأكد على ضرورة تمتع الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، وبالتالي فقد برز الدعم الجزائري لحركات التحرر في إفريقيا، وهذا لتحقيق مسعى الاستقلال والتحرر من السيطرة الأجنبية، إضافة إلى الحد من العراقيل التي تهدف لبقاء الاستعمار، وأكد على ضرورة التضامن المطلق لحركات التحرر كونها الامتداد الطبيعي للثورة الجزائرية، وتقديم المساعدة للشعوب المضطهدة مثل شعب جنوب إفريقيا وأنغولا، كما دعا البرنامج إلى دعم الروابط مع الشعوب الإفريقية على أساس المساواة والاحترام⁽⁸⁷⁾. كما أن الثورة التحريرية لم تتميز بالطابع المحلي الضيق والمحدود بل كانت محورا أساسيا في محو الاستعمار العالمي لأنها تعتبر من البلدان التي ابتليت به وكان لها نوع من الاتصال المقدس بالشعوب الإفريقية المستعمرة، والتي أصبحت تعتبر ثورتنا المجيدة نموذجا للمقاومة والكفاح⁽⁸⁸⁾. فالحرب التي كانت في الجزائر هزت الأفارقة، حيث برز ذلك في مختلف أقطار القارة التي تعاني من الاحتلال من خلال تزايد عدد الأحزاب التي تدعو إلى الاستقلال والتأكيد على ضرورة الاعتماد على الكفاح المسلح⁽⁸⁹⁾. وقد أكد الزعيم الكونغولي باتريس لمومبا⁽⁹⁰⁾ على دور كفاح الشعب الجزائري في إيقاظ وعي الشعوب الإفريقية المستعمرة بقوله: " لقد أدركت من خلال كفاح الشعب الجزائري الذي يتواصل ببطولة إلى المنطق الوحيد الذي يفهمه الاستعمار والإمبريالية هو منطق القوة والإيمان والثقة بالنفس وأنا أيضا بدأت اعد شعبي للكفاح المسلح"، وهذا ما يؤكد مدى تأثير الشعوب الإفريقية بثورتنا وضرورة العمل المسلح وانتصارات هذه الثورة كانت حافزا للإصرار على ذلك⁽⁹¹⁾. كما أضاف فرانز فانون⁽⁹²⁾ انه "... أصبح من البديهي اليوم التسليم بأن الدول التي

تتمتع باستقلالها منذ عام 1959 لم تكن لتحصل على الاستقلال لو أن الاستعمار الفرنسي لم يتلقى الضربات العديدة التي وجهها له الشعب الجزائري" فكانت بذلك الثورة الأولى الأكثر جذرية فقد أنهكت الاستعمار الفرنسي في مجمل القارة وازدادت الشعوب الإفريقية وعيا وأعطتها دفعا جديدا فقد أصبحت فرنسا عاجزة ماديا واقتصاديا وعسكريا على خوض حرب أخرى في إفريقيا⁽⁹³⁾. لأنه كان لثورة التحرير دور هام في تثوير القارة الإفريقية، وذلك بفضل نشرها لقناعة العنف من أجل التحرر بين أوساط المناضلين الإفريقيين، والذين كانوا لا يزالون يؤمنون بالنضال السياسي⁽⁹⁴⁾.

2-تأثر المستعمرات الإفريقية الفرنسية بالثورة الجزائرية

لقد عرف النصف الأول من القرن العشرين التأثير على الأفكار التحررية في العالم والمناهضة للاستعمار والإمبريالية حيث كانت لشخصيات ثورية عالمية (سلفستر وليامس، مارك أوريل، جون بريس مارس...)، دورا نشطا في حركة الشعوب الإفريقية (الأفريقانية)⁽⁹⁵⁾، فقد كان التاريخ يعيد نفسه ونقصد بذلك شعار "إفريقيا للأفارقة" الذي رفعه ماسينيوس في وجه الرومان قبل ألفي عام، وها هي الثورة الجزائرية بفلسفتها التحررية توقظ الأفريقانية في الأفارقة، لأن ثورة التحرير كانت لها عدة أبعاد ولعل أكثرها بروزا هو البعد الإفريقي وهذا لوجود عامل مشترك وهو الاستعمار، كما أن المسيرة الثورية الشاقة التي خاضها الشعب الجزائري جعلها معادية للاستعمار ومساندة لحركات التحرر الثورية في القارة الإفريقية، وتعد ثورة أول نوفمبر من الأحداث البارزة التي لم يقتصر تأثيرها على شمال إفريقيا فحسب بل أثر على كامل الدول الخاضعة للهيمنة الاستعمارية لتتحدى بذلك حدود الجزائر وتمتد إلى العالم العربي ودول إفريقيا جنوب الصحراء⁽⁹⁶⁾. فقد تخطى كفاح الشعب الجزائري حدود الوطن ممتدا إلى القارة الإفريقية برمتها، وهذا بفضل قوة الثورة العسكرية الإعلامية والسياسية، وشرح عدالة

قضيتها، وتحريض الأفارقة على الثورة ضد الاستعمار، فكانت السبب المباشر في إدخال الاضطرابات على النظام الاستعماري بأقطار إفريقيا⁽⁹⁷⁾. وبذلك يكون الشعب الجزائري قد سار على مسار صعب محفوف بالمخاطر والتضحيات والصمود في وجه الاستعمار الفرنسي حتى أصبح المثال الحي والقوة للشعوب الإفريقية لتحذو حذوها وتتبع مجرياتها حيث يقول فرانز فانون "... إن الشعب الجزائري يعرف أن إفريقيا تتبع بكل عطف وحماسة كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي، والشعب الجزائري لا يجهل أن كل ضربة يوجهها إلى الاضطهاد الفرنسي في الجزائر تصيب القوى الاستعمارية في مجموعها وأن كل كمين يصيب مراكز العدو وكل طائرة تسقط تزرع الهلع في الجهاز الاستعماري الفرنسي وتعزز الضمير الوطني الإفريقي"⁽⁹⁸⁾. فتورتنا أصبحت لفرنسا بمثابة الهاجس حيث يقول فرانز فانون: " أن ما يخشاه الاستعمار هو أن يواجه في أن واحد حركتي تحرير، لذلك يعتمد كل ما قامت حرب تحرير في جهة ما إلى إرخاء قبضته في البلدان الأخرى منعا لحركة التحرير أن تمتد إليها، وقد أصبحت حرب الجزائر الذي يسكن المستعمرات الفرنسية"⁽⁹⁹⁾.

حقيقة إن الثورة الجزائرية أربكت الاستعمار وخلطت حساباته، وإن ثمرة كفاح الجزائريين سوف لن يقطفوها لوحدهم بل يشاركون فيها إخوانهم الأفارقة الذين يرددون هتافا واحدا مع الجزائر وهو "تريد الاستقلال"، إن هذا الكفاح لم يبقى حبيس الشمال الإفريقي، بل تعداه إلى النطاق الإفريقي، فبعث في إفريقيا السوداء روح اليقظة والصحوه للتحرك نحو الاستقلال⁽¹⁰⁰⁾. فبمجرد اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر والتي حملت فرنسا على التفريط في جل مستعمراتها وتجنيد ما تبقى من القدرات المتاحة للاحتفاظ بجوهرة مستعمراتها الجزائر، حتى غدت أيقونة التحرر في إفريقيا، وفي هذا الشأن يؤكد الدبلوماسي المصري محمد فائق " أن الثورة الجزائرية بالنسبة للأفارقة جميعا هي ثورة على الأوضاع التي

تعيشها إفريقيا جميعا ثم ثورة على الاستعمار الاستيطاني، وثورة على الفكر امتداد الدولة الاستعمارية إلى ما وراء البحار" (101).

كما أن الثورة الجزائرية أحدثت تصدعا في الجدار الاستعماري الفرنسي، بحيث أصبح متاحا لكل مستعمرة فرنسية أن تقضي عليه بسهولة، والشعب الجزائري يعلم جيدا أن الشعوب الإفريقية تتابع عن كثب كفاحه بعطف وحماس، فالثورة المجيدة تخطت الحدود الجغرافية باعتبارها تجربة رائدة في مسار الكفاح المسلح التحرري، والمواقف الصلبة والثابتة لها اتجاه القضايا العالمية العادلة، إن الدماء التي سالت في الجزائر من 1954 إلى 1962 روت الأرض الإفريقية في مستعمرات فرنسا بالحرية والاستقلال (102). فمسيرة النضال التي يخوضها الشعب الجزائري، كانت بمثابة اللغم الذي نسف الوجود الفرنسي بإفريقيا، وأصبح طريق الحرية مفتوحا أمام المستعمرات، وهذا من شأنه أن يدفع بديغول مكرها إلى الاعتراف بوجود دول مستقلة بإفريقيا السوداء (103). لان الشعوب الإفريقية قبل اندلاع ثورة أول نوفمبر كانت غائبة عن الصدى لكن مع قيام هذه الثورة استيقظت هذه الشعوب من سبات الغفلة الذي كانت فيه، حيث كان لها أثر بارز على هذه الشعوب في إيقاظ وعي الكفاح والمقاومة واستعادة السيادة (104).

3-إفشال قانون الإطار لغاستون دوفري

لقد دفعت الحرب بالجزائر بغاستون دوفري إلى اقتناعه بضرورة تقادي نكبة مثيلة لها في إفريقيا السوداء، هذا بتطبيق سياسة واضحة روحا لا نصا، تؤكد منح أقاليم ما وراء البحار حقها في تقرير مصيرها، أصبح ضرورة ملحة يمكن من خلالها تقادي تبعات حرب تضر بالمصالح الفرنسية في إفريقيا السوداء (105). فبالنسبة لباقي المستعمرات الفرنسية في إفريقيا يقول بشأنها رئيس الوزراء الفرنسي ادغار فور في أواخر سنة 1955، " علينا أن نكسب التسابق مع الساعة، ذلك أن مشاكل إفريقيا السوداء ستطرح وتفرض نفسها علينا تماما

مثل شمال إفريقيا" ويقصد بها ثورة الجزائر⁽¹⁰⁶⁾. لذلك ترجم دوفري خلاصة أفكاره وتجاربه في قانون عرف باسم "القانون الإطار" حيث عرضه على الجمعية الوطنية الفرنسية لدراسته والموافقة عليه في 23-06-1956، بين فيه أسباب اقتراح هذا المشروع والذي جاءت بالطبع بناء على تطور المسألة الجزائرية وعجز الحكومة الفرنسية على التصدي لها مما تطلب إدخال إصلاحات على النظم المسيرة لأقاليم ما وراء البحار تفاديا لانتقال عدوى النموذج الجزائري إلى هذه الأقاليم⁽¹⁰⁷⁾.

لذلك اعتبرت جبهة التحرير الوطني على لسانناطقها الرسمي "المجاهد"⁽¹⁰⁸⁾ قانون الإطار وسيلة ملتوية تمكن من إدامة الهيمنة الفرنسية في إفريقيا، وأكدت أن الاستقلالية الإدارية المنصوص عليها في هذا القانون ليست إلا أمرا شكليا، بحكم أن إدارة الإقليم موجهة دوما من قبل حاكم يتلقى أوامره من باريس، وهذا ما يحرم بطبيعة الحال السلطات التنفيذية من حق المبادرة، وتبقى مجرد لجان استشارية تمارس وظائفها من الحاكم العام الذي لديه الكلمة الأخيرة⁽¹⁰⁹⁾. كما وجهت جبهة التحرير رسالة إلى الشبيبة الإفريقية، عن طريق جريدة المجاهد، وأوضحت مخاطر قانون الاطار، ودعت الأفارقة إلى معارضته، حيث قالت: "... يا شباب الأوطان المضطهدة يجب أن تعلموا أن مستقبل وجودكم الوطني، وقضية حريتكم، واستقلالكم مهددة الآن في الجزائر ... إن بعض نوابكم في المجالس الفرنسية يزعمون انه يكفي أن تستغل حرب الجزائر، وما تضعه من مصاعب أمام الحكومة الفرنسية في نطاق النظام البرلماني للإسراع بزوال الأساليب الاستعمارية لكن ذلك غير صحيح، نعم لقد تسبب القانون الاطار الذي وافقت عليه فرنسا تحت ضغط الحرب الجزائرية، يمثل بداية لارتقاء الضغط على بلدان إفريقيا، لكننا نرى انه من الخطأ الفادح اني امل إخواننا في تطور حقيقي في فرنسا يتجاوز العبث الذي يتمثل في قانون

الإطار، إن الشعوب المستعمرة لا تريد كلمة طيبة يدلي بها السيد ... يا شباب إفريقيا يجب أن نعمل جميعا على حفر القبر الذي سيوضع فيه الاستعمار للابد" (110).

وقد تم تكرار هذا النقد من طرف الفدراليين المجتمعين حول "ليو بولد سيدار سنغور" (111) الذي أنشأ في مؤتمر داکار "المؤتمر الإفريقي"، حيث هاجم سنغور قانون الإطار واتهمه بأنه يريد بلقنة إفريقيا كما مزقت البلقان في الوقت الذي تسعى فيه أوروبا للاتحاد، وصرح في مؤتمر حزب التجمع الديمقراطي المنعقد في كوتونو يوم 28 جويلية 1958 " نريد المجموعة الإفريقية قبل المجموعة الفرنسية" (112). وصادق المؤتمر على لائحة تطالب بالاستقلال فورا، وتشمل اللائحة أيضا إنشاء مجلس تأسيسي إفريقي يقرر الوضع الفدرالي الاستقلالي بين دول إفريقيا السوداء وفرنسا وإنشاء مجموعة واسعة للأمم المتحدة الإفريقية تدخل فيها جميع الأقطار الإفريقية المستعمرة (113). إن هذه القرارات تشكل بحق مرحلة حاسمة في تاريخ إفريقيا السوداء، استحسنتها جبهة التحرير الوطني وحاولت الترويج لمؤتمر " كوتونو" على أنه يمثل نقطة البداية نحو التحرير، وبهذه المناسبة كتبت جريدة المجاهد مقالا مطولا جاء فيه "... إن كوتونو تمهيد لحرب كبيرة يحصل من خلالها أكثر من 30 مليون إفريقي على الاستقلال ... إن المطلب الوطني للشعوب الإفريقية مستلهم بقدر كبير من ثورتنا" (114).

4- إفشال قانون المجموعة لديغول

أعلن ديغول عن سياسة جديدة تطبق في إفريقيا السوداء وضح فيها أن الاتحاد الفرنسي السابق أصبح متأخرا، معلنا عن فكرة جديدة تحدد العلاقة بين فرنسا وأقاليم ما وراء البحار هي "الجماعة" وأبرز هذا في خطابه في سبتمبر 1958 " أن فرنسا تطلب حقيقة إلى ذوي العلاقات القديمة أن يؤسسوا أممهم

للحصول على حريتهم ⁽¹¹⁵⁾. وقد جسد ديغول فلسفة أفكاره السابقة في دستور 05 أكتوبر 1958 الذي وضع فيه العلاقة الجديدة التي تربط فرنسا بأقاليم ما وراء الصحراء، وهي إلى حد ما تختلف اختلافاً بشكل جذري عن قانون الإطار، تراعي التغيرات التي حدثت في الساحة الإفريقية، وتستجيب لمتطلبات الوضع الراهن الذي تتحكم فيه الثورة الجزائرية بشكل أساسي. ووفقاً لتقاليد الديمقراطية الفرنسية طرح الدستور للاستفتاء، منح فيه ديغول للأقاليم الإفريقية إمكانياتين على شكل مأزق، الاستقلال الذي سماه الانفصال أو البقاء في المجموعة مع كل الامتيازات لاتحاد مثمر ⁽¹¹⁶⁾. وقد حاولت جبهة التحرير القيام بحملة دعائية مضادة للاستفتاء، حيث أطلقت عن طريق جريدة المجاهد نداءاً للفارقة أكدت فيه أن المساهمة في هذا الاستفتاء معناه الاعتراف الضمني بالانتماء بعائلة واحدة في حين أن الواقع خلاف لذلك لأن كل إفريقي يصوت بمناسبة هذا الاستفتاء سيساعد على شد وثاق شعبه وبلده بأحابيل الاستعمار الفرنسي. وهذا النداء وجد له صدى على الساحة السياسية الإفريقية والمنظمات النقابية، إلا أنه في النهاية تم قبول الدستور بأغلبية 95%، لكن مع تطور الأحداث أثبتت هشاشة نظام الجماعة وفشله خاصة بعد التصويت السلبي لغينيا التي حصلت حينئذ على الاستقلال، وتماشياً مع سياسة التأثير على المستعمرات الفرنسية في إفريقيا استساعت جبهة التحرير الوطني المبادرة الغينية وروجت لها على أنها النموذج والمثل الذي يجب أن يقتدى به ⁽¹¹⁷⁾. فكتبت جريدة المجاهد مقال بعنوان "تحية لغينيا" وجاء فيه "...إن جمهورية غينيا حية كل الحياة، وارتقاؤها للاستقلال يعتبر منحى هام نحو وحدة واستقلال إفريقي..." ⁽¹¹⁸⁾.

بالإضافة إلى الانشقاق الغيني وأثاره على دول المجموعة فإن خطة ديغول الخاصة بخلق محور فرانكفوني يكون حليف الاستعمار في إفريقيا، إذ ظهر خلاف بين دول المجموعة أي بين انصار الفدرالية والاتحاد الفرنسي،

فادى إلى تحول عام اتجه تدريجيا إلى المطالبة بالاستقلال، أن هذا الإخفاق دفع ديغول إلى إدخال تعديلات على الدستور بالشكل الذي يستجيب لمطالب الاستقلالية الوطنية الإفريقية الراهنة، وصدر هذا التعديل في 14 جوان 1960 ومس المادة 86 من الدستور لتتص على "...يجوز أيضا للدولة العضو في الجماعة أن تصبح مستقلة بطريق الاتفاق..."⁽¹¹⁹⁾. فقد قال الجنرال شال ديغول سنة 1959 و 1960 "تحولت مستعمراتنا السابقة في القارة السوداء ومدغشقر إلى جمهوريات بمساعدتنا لأنني قدرت كم من ثورة قد تقوم في ممتلكاتنا السابقة إذا ما رفضنا لها ما هو عدل وإنصاف من جهة لا مفر منه، بل سيكون واقعا من جهة، في تيار الحقائق النفسية والسياسية" ويقصد الحرب المتواصلة في الجزائر. ويضيف "أننا نواصل صراعا خياليا إلى ما لا نهاية ونعرض روح جيشنا ذاته، ومن خلال وحدتنا الوطنية نفسها أيضا إلى الخطر"⁽¹²⁰⁾. وبموجب صدور هذا التعديل اعترفت فرنسا باستقلال اثني عشر دولة من غرب إفريقيا ووسطها بعد الاعتراف باستقلال موريتانيا في نفس العام⁽¹²¹⁾. فقد اختار الأفارقة نموذج الثورة الجزائرية في رفض الحلول الجزئية، كما دعم توجهاتهم استقلال غانا وغينيا وهو الأمر الذي أزر فيما بعد جهود الدبلوماسية الجزائرية في المحافل الدولية للتضييق على مناورات فرنسا وأطروحاتها، خاصة بعد إعلان عن قيام الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958 حيث يقول أول رئيس لها: "وراءنا إفريقيا حرة"، وفي قمة أكرا تلك القمة التي رفعت سقف التضامن الإفريقي عاليا صرح رئيس غينيا أحمد سيكوتوري في وجه ديغول قائلاً: "نحن نفضل الفقر مع الحرية على الثراء مع العبودية"⁽¹²²⁾. كما أكدت جبهة التحرير أن هذا الانتقال السريع نحو الاستقلال إنما تم بفضل الكفاح الذي يخوضه الشعب الجزائري⁽¹²³⁾. وحتى بعد استقلال لم تتغير فلسفة الثورة ولم تتراجع دبلوماسيتها بل اعتبرت السيادة غير مكتملة ما لم تتحرر الدول الإفريقية

التي ما تزال تناضل لأجل استقلالها كانغولا وموزنبيق وغينيا بيساو والراس الأخضر وساو تومي وبرنسيب وزمبابوي وناميبيا وجنوب إفريقيا والصحراء الغربية. لمواصلة الجهود ضد القوى الإمبريالية التي ما تزال تهتمين على بعض الأقطار الإفريقية فلم تكتفي الجزائر بممارسة النضال بل تبنته في مواثيقها الثورية الرسمية كبيان أول نوفمبر وميثاق الصومام وطرابلس، وفي مواثيقها بعد الاستقلال الدستور والميثاق الوطني لسنة 1976. التي نصت على تبني الجزائر لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها والسيادة على مواردها الطبيعية. وهو مبدأ من مبادئ منظمة الأمم متحدة وميثاق منظمة الوحدة الإفريقية (124).

خاتمة:

وفي الأخير خلصنا للتأكيد على نقاط رئيسية كاستنتاج بعض النتائج للإجابة عن التساؤلات المطروحة:

إن بيان أول نوفمبر 1954 ووثيقة مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 كان لهما الأثر العميق على العمل الدبلوماسي من خلال تحديدهما للسياسة الخارجية للثورة، وفق تحقيق وحدة إفريقيا في الإطار الطبيعي وهو ما جعل الجبهة تركز نظرها على البلدان الإفريقية المستعمرة فرنسا من أجل تدعيم ثورتها، لأنه كان للظروف الاستعمارية التي عاشتها الدول الإفريقية والمشاركة عاملا مهما في تدعيم الثورة الجزائرية دبلوماسيا وماديا، وقد حققت الدبلوماسية الجزائرية نجاحا باهرا في استقطاب الدول الإفريقية لصالح القضية الجزائرية، حيث ظهر الاهتمام بها من خلال مؤتمراتها وتأييدها لحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره واستقلاله، بالإضافة إلى أن التطورات التي طرأت على الثورة الجزائرية في الهيئة إنما هي بفضل جهود جبهة التحرير الوطني من خلال نشاط الوفد الخارجي الذي انطلق من القاهرة ودوره في تكريس الاستراتيجية الخارجية للثورة، وكذلك دعم البلدان الإفريقية التي أخذت على عاتقها تحمل كامل

مسؤولياتها نحو قضيتها في الهيئات الدولية، حيث شكلت المؤتمرات الدولية منعرجا حاسما أخذت بعده القضية الجزائرية طريقها نحو العالمية وقد استثمرت في هذا المؤتمر وفي أول مشاركة دولية أحسن استثمار من خلال شرحها للظروف التي يعيشها الجزائريين وانعكاسات السياسة القمعية الفرنسية اتجاهه في مختلف المجالات. كما جاء تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بإصرار ودعم الوفود الإفريقية ليعطي دافعا قويا وتأطير أكبر على المستوى الدولي أدت بالعديد من دول العالم للاعتراف بها، وأصبحت السياسة الخارجية للثورة الجزائرية تحت إشراف وزارة الشؤون الخارجية. وقد كانت ثورة التحرير قبلة الثوار الأفارقة وهذا راجع للمصير المشترك الذي يربط شعوب القارة الإفريقية الهادفة إلى الاستقلال والتحرر. كما كان لها أثر على الدول الاستعمارية والمستعمرة على حد سواء، فقد هزت الحكومات الاستعمارية وجعلتها تعيد ترتيب حساباتها لان الثورة كانت نموذجا لحركات التحرر.

بالإضافة إلى أنها تمكنت من تحقيق التكامل بين العمل المسلح في الداخل والعمل الدبلوماسي في الخارج وهو ما أثمر في نهاية المطاف استرجاع السيادة الوطنية بعد نضال وكفاح دبلوماسي على مستوى المؤتمرات والهيئات الدولية، قامت به جبهة التحرير الوطني وبعدها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وبعد مفاوضات طويلة وعسيرة مع الحكومة الفرنسية انتهت بإعلان وقف إطلاق النار وإجراء الشعب الجزائري للاستفتاء تقرير المصير الذي اختار الاستقلال وتم الإعلان عن ذلك في 05 جويلية 1962.

الهوامش:

(1) الدبلوماسية: يعود أصل اشتقاقها إلى اللغة اليونانية من اسم "Diploma" الذي تشتق منه كلمة "Diplome" ومعناها يطوي. حيث جرت العادة عند اليونانيين القدماء تزويد السفراء الذين تنتدبهم بلادهم لإقامة علاقات مع بلد آخر بورقة مطوية يذكر فيها غرض من هذا الانتداب. وتحمل كلمة الدبلوماسية عدة معاني مختلفة، فهي يمكن أن تستخدم كمرادف للمفاوضة، أو كمرادف للسياسة الخارجية، أو يمكن أن

تعني مباشرة مهنة رجل السياسة. ويقول جينيه Genet: "تعني اللياقة والبراعة في الحياة. كما يمكن أن تفهم بمعنى مجازي نقول إن هذا الشخص هو دبلوماسي أي يتصرف بدبلوماسية، أي أن تصرفاته مليئة بنوع من الرياء، ومطبوعة بالخداع والغموض. وذلك ليشير عادة إلى استخدام وسائله الخفية وإلى حيل حتى يصل إلى أهدافه ويحقق طموحاته". ويلاحظ على صعيد اللغة العربية أنه لا توجد ترجمة حرفية لكلمة الدبلوماسية؛ لذلك تستخدم هذه الكلمة في اللغة العربية كمفهوم يشير من قريب أو بعيد إلى علم الأصول وإدارة العلاقات الخارجية بين الأمم والدول. ينظر: علي حسين الشامي: **الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية**، ط3، عمان-الأردن: دار الثقافة، 2007، ص ص27، 28؛ شفيق عبد الرزاق السامرائي: **الدبلوماسية**، ط1، بنغازي-ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2002، ص ص21، 22؛ علي يوسف الشكري: **الدبلوماسية في العالم المتغير**، ط1، القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع، 2004، ص7.

(2) **الأفرو-آسيوي**: هو تجمع يضم دول مستقلة حديثا بعد الحرب العالمية الثانية من إفريقيا وآسيا، وهي التي كونت حركة عدم الانحياز. ينظر: سامر خير أحمد: **العرب ومستقبل الصين النموذج التنموي والمصاحبة الحضارية**، ط2، عمان-الأردن: دار البيروني، 2012، ص140.

(3) أحمد حمدي: **الثورة الجزائرية والإعلام دراسة في الإعلام الثوري**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت، ص 175.

(4) وزارة المجاهدين: **النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954**، الجزائر: منشورات NAED، 2008، ص 12.

(5) عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962**، ط1، بيروت -لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1997، ص 380.

(6) وزارة المجاهدين: **بيان أول نوفمبر النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954**، الجزائر: منشورات NAED، 2008، ص ص 9-11.

(7) عامر رخيلة: **"الحركة الوطنية وتأسيس الدبلوماسية الجزائرية"**، ملتقى الدبلوماسية الجزائرية (1830-1962)، دراسات وبحوث حول تطور الدبلوماسية الجزائرية، منشورات م.و.د.ب.ح.و.ث أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 102.

(8) وزارة المجاهدين: **بيان أول نوفمبر...المصدر السابق**، ص12.

(9) عمر بوضرية: **"تطور النشاط الخارجي للثورة الجزائرية 1954-1960"**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي البابس، سيدي بلعباس، 2011، ص45.

(10) فتح الدين بن أزواو: **"إيديولوجية جبهة التحرير الوطني من خلال بيان أول نوفمبر ومؤتمر الصومام"**، **مجلة النائب**، يصدرها المجلس الشعبي الوطني، 2004، ص36.

(11) المرجع نفسه، ص 39.

(12) لزهرة بديدة: "التطور الدبلوماسي للثورة الجزائرية"، مجلة النائب، يصدرها المجلس الشعبي الوطني، 2004، ص 188.

(13) الجنيدى خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، ج1، الجزائر: موفم للنشر، 2009، ص 313.

(14) محمد لحسن ازغدي: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير (1962-1956)، الجزائر: دار هومه، 2009، ص 139.

(15) محمد عبد العزيز إسحاق: "المؤتمرات الأفريقية الصغرى"، مجلة نهضة إفريقية، ع/25، السنة الثالثة، (مصر)، ديسمبر 1959، ص ص3 وما بعدها.

(16) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 401.

(17) مؤتمر باندونغ: كانت خطوة الأساسية في انعقاد هذا مؤتمر ظهور الفلسفة السياسية للعالم الثالث، والذي دعت إليه الدول الآسيوية الخمس التي نادى بالحياد الإيجابي، وهي الهند وإندونيسيا وباكستان وسيلان وبورما. ويعتبر هذا المؤتمر في الأساس مؤتمر أسيوي- إفريقي وليس مؤتمرا لدول لعدم الانحياز، حيث أن أغلبية الدول المشاركة في هذا المؤتمر دول منحازة ومرتبطة أساسا بالمعسكر الغربي. ولم يكن من هذه الدول إلا ست فقط كانت ملتزمة بسياسة عدم الانحياز وهي الهند وإندونيسيا وبورما وأفغانستان ومصر وسوريا. وقد أنهى المؤتمر مباحثه بإعلان قرارات باندونغ هي تعبير نقطة تحول تاريخية في بلورة فكرة الحياد الإيجابي والتحول بتجمع الدول الآسيوية-الأفريقية من تعبير جغرافي إلى تعبير سياسي له قوته وثقله الدولي في الجمعية العامة للأمم المتحدة. ينظر: نجدة فتحي صفوة: هذا اليوم في التاريخ، ط1، ج4، بيروت: دار ساقى، 2017، 158؛ فهد حجازي: لبنان من دويلات فينيقيا إلى فدرالية طوائف، ط1، بيروت-لبنان: دار الفارابي، 2013، ص ص84-88.

(18) فتح الدين بن أزواو: المرجع السابق، ص 48.

(19) جنيدى الخليفة: المرجع السابق، ص 351.

(20) محمد لحسن ازغدي: المرجع السابق، ص 151.

(21) دول المشاركة في مؤتمر باندونغ: شاركت فيه 29 دولة من قارتي إفريقيا وآسيا لا تنتمي إلا أي معسكرين الغربي أو الشرقي بهدف تنسيق المواقف وتعزيز الجهود ودراسة الأهداف المشتركة لهذه الدول والدول التي شاركت في المؤتمر هي: بورما (مينمار اليوم) وسيلان (سري لانكة اليوم) والهند وإندونيسية والباكستان وأفغانستان والمملكة العربية السعودية وكمبودية والصين وغانا ومصر وإثيوبيا والعراق وإيران واليابان ولاوس والأردن ولبنان والفلبين وتايلند والسودان وسوريا وتركيا وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية واليمن وليبيا وليبيرية ونيبال.

(22) جريدة المجاهد: "من باندونغ إلى كوناكري"، ع/ 66، صدر في: 18 أبريل 1960، ص 6.

(23) محمد العربي الزبيدي: الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 58-62.

- (24) محمد الأمين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، ط1، الجزائر-لبنان: دار البلاغ - دار ابن كثير، 2001، ص 10.
- (25) أحمد بن فليس: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، 1958-1962، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1986، ص 201.
- (26) جريدة المجاهد: "تاريخ الثورة في سطور"، عدد خاص، صدر في: 01 نوفمبر 1959، ص 2.
- (27) مريم صغير: المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، الجزائر: دار الحكمة، 2009، ص 162.
- (28) جريدة المجاهد: "مؤتمر التضامن الأفريقي الآسيوي في القاهرة"، ع/66، صدر في: 18 أبريل 1960، ص 8.
- (29) عبد القادر خليفي: "المؤتمرات الأفروآسيوية والقضية الجزائرية"، مجلة المصادر، ع/8، (الجزائر) 2003، ص ص 225، 226.
- (30) صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ت، ص 455.
- (31) عبد الكامل جويبة: الثورة الجزائرية والجمهورية الفرنسية الرابعة 1954-1958، ط1، الجزائر: دار الواحة للكتاب، 2012، ص 299.
- (32) صالح لميش: مصر وثورة التحرير (1954-1962)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988، ص 137.
- (33) بشير سعدوني: "القضية الجزائرية في مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي بالقاهرة 1957-12-26/01-01-1958"، مجلة الدراسات الإفريقية، ع/1، السنة الأولى، (الجزائر)، ماي 2014، ص 86.
- (34) صالح لميش: المرجع السابق، ص 137.
- (35) جريدة المجاهد: "ملتقى الدول الإفريقية في أكرا"، ع/21، صدر في: 01 أبريل 1958، ص 6.
- (36) بسام العسلي: الثورة الجزائرية، ط1، بيروت، لبنان: دار الشورى، 1982، ص 315.
- (37) محمد عبد العزيز إسحاق: "من تونس إلى كوناكري"، مجلة نهضة إفريقية، ع/28، السنة الثالثة، (مصر)، مارس 1960، ص 4؛ عبد المالك مرتاض: المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1954-1962، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 96.
- (38) عبد الخالق الشهاوي: "أكرا ومستقبل التطور في إفريقيا"، مجلة نهضة إفريقية، ع/08، السنة الأولى، (مصر)، يونيو 1958، ص ص 30، 31؛ غربي الغالي: فرنسا والثورة الجزائرية، الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع، 2009، ص 491.
- (39) عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص 96.

- (40) أحمد بشيري: الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط2 منشورات تالة، الجزائر، 2009، ص ص 128-129.
- (41) المرجع نفسه، ص126.
- (42) المرجع نفسه، ص130.
- (43) عليتابلت: فرحات عباس رجل دولة، ط2، الجزائر: منشورات تالة، 2009، ص6.
- (44) محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ط1، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1983، ص 177.
- (45) زهير إحدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، الجزائر: مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، 2007، ص54.
- (46) مريم صغير: المرجع السابق، ص62.
- (47) محمد العربي ولد خليفة وآخرون: الدبلوماسية الجزائرية من 1830-1962، الجزائر، 1998، ص92.
- (48) بسام العسلي: المرجع السابق، ص 315.
- (49) أحمد بشيري: المرجع السابق، ص115.
- (50) المرجع نفسه، ص ص 115، 116.
- (51) المرجع نفسه، ص ص 115، 116.
- (52) معمر العايب: مؤتمر طنجة المغربي (دراسة تحليلية تقييمية)، الجزائر: دار الحكمة 2010، ص 147.
- (53) عبد النور خير: "تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954-1962"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والجامعية، جامعة الجزائر، 2006، ص183.
- (54) أحمد بشيري: المرجع السابق، ص 126.
- (55) زهير إحدادن: المرجع السابق، ص48.
- (56) سعد دحلب: المهمة المنجزة من أجل استقلال الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2008، ص83.
- (57) جريدة المجاهد: "افتتاحية مؤتمر طنجة - مرحلة حاسمة-"، ع/23، صدر في: 07 ماي 1958، ص1.
- (58) جريدة المجاهد: "الحياد سياستنا الثابتة"، ع/93، صدر في: 10 أفريل 1961، ص6.
- (59) محمد حربي: المصدر السابق، ص 177.
- (60) محمد عبد العزيز إسحاق: "من أكرأ إلى مونروفيا"، مجلة نهضة إفريقية، ع/22، السنة الثانية، (مصر)، سبتمبر 1959، ص3 وما بعدها.
- (61) صالح لميش: المرجع السابق، ص140.

- (62) عيسى لتيتم: "الكتلة الافرو- آسيوية وقضايا التحرر القضية الجزائرية نموذجاً"، رسالة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006، ص 83.
- (63) كولين ليجيم: الجامعة الإفريقية (دليل سياسي)، ترجمة: احمد محمود سليمان، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص ص 257، 258.
- (64) عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص 227.
- (65) المرجع نفسه، ص 227.
- (66) شوقي الجمل: التضامن الآسيوي الإفريقي وأثره في القضايا العربية، مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964، ص ص 157-158.
- (67) عبد القادر خليفي: محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص ص 109، 110.
- (68) سليم العايب: "الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي"، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2011، ص 64.
- (69) وزارة المجاهدين: الذكرى الخمسون لتأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 19 سبتمبر 1958- 19 سبتمبر 2008، الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.ت، ص 22.
- (70) كوامينا كروما: يعتبر من المناضلين الأفارقة الأوائل ضد الاستعمار، وكان أول رئيس لغانا المستقلة، وأبرز دعاة الوحدة الإفريقية وأحد مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية، ولد في غانا 18/09/1909، نشأ في أسرة بسيطة، تخرج في دار المعلمين باكرا عام 1930، واشتغل بالتعليم في مدرسة أولية في عام 1934 ثم سافر إلى أمريكا وحصل على درجة الماجستير والدكتوراه، بدأ أول نشاط سياسي له في الولايات المتحدة الأمريكية بتكوين "اتحاد للطلبة الأفارقة بأمريكا وكندا" وانتخب رئيساً لمنظمة الطلاب الأفارقة في أمريكا، وفي 1947 دعاه حزب مؤتمر ساحل الذهب المتحد UBCC لكي يتولى أمانة العامة وبالفعل عاد إلى غانا بعد غربة دامت 12 عاماً، وفي 07/09/1962 انتخب نكروما كأول رئيس للجمهورية الجديدة كما وافق البرلمان على أن يكون رئيساً للبلاد مدى الحياة، كما عمل على دعم حركات التحرر والعمل على تحقيق التضامن الإفريقي فدعا إلى عقد مؤتمر للدول المستقلة في العاصمة أكرا 1958 كان يهدف لوضع سياسة مشتركة، وفي 29/04/1961 كونت غانا وغينيا ومالي (اتحاد الدول الإفريقية)، توفي في 27/03/1972 برومانيا حيث كان مصاباً بالسرطان فدفن في غينيا ثم أعيد دفنه في غانا. ينظر: عبد العزيز اسحق: "من أفكار نكرومه"، مجلة نهضة إفريقية، ع/8، السنة أولى، (مصر)، يونيو 1958، ص 3 وما بعده. محمد فضل محمد عبد الخالق وآخرون: الموسوعة العربية العالمية، ط2، ج25، الرياض-المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999م، ص 505.
- (71) أحمد سيكوتوري: ولد في غينيا سنة 1922/01/09 من سلالة محاربة وهو حفيد ساموري توري، درس سيكوتوري في المدارس القرآنية ثم انتقل إلى المدارس الفرنسية، وفي سنة 1940 عمل كاتباً في إحدى

شركات النيجر الفرنسية، وبرز نشاطه من خلال التجمعات العمالية والشعبية، أسس سيكوتوري "حزب غينيا الديمقراطية"، وقف ضد مشروع ديغول بتأسيس (جماعة الأفروالفرنسية) وفي 28/09/1958 اجري استفتاء على قبول دستور ديغول من عدمه وصوت 97 % من الناخبين ضد الدستور، توفي في 26 مارس 1984. ينظر: عبده بدوي: "سيكوتوري"، مجلة نهضة إفريقية، ع/12-13، السنة الثانية، (مصر)، أكتوبر-نوفمبر 1958، ص ص 19 وما بعدها؛ محمد عبد المنعم يونس: "غينيا دولة إفريقية جديدة"، مجلة نهضة إفريقية، ع/27، السنة الثالثة، (مصر)، فبراير 1960، ص ص 12 وما بعدها؛ توماس باتريك ميلادي: شخصيات زعماء غرب إفريقيا، القاهرة: دار القومية للطباعة ونشر، د.ت، ص ص 34 وما بعدها.

(72) موديبو كيتا: ولد في مدينة باماكو عام 1915، عين في مجال التدريس، ثم أصبح مفتشاً تربوياً في عام 1937، أسس جمعية ثقافية للشبيبة "الفنون والعمل" وفي سنة 1948 صار أميناً عاماً لحزب الاتحاد السوداني، وبوصول ديغول إلى سدة الرئاسة في فرنسا عام 1958 دعا لإقامة اتحاد غرب إفريقيا. في 1960 نال السودان الفرنسي استقلاله الرسمي، وأصبح موديبو كيتا أول رئيس للجمهورية، وكان أول ما أقدم عليه هو الإعلان في أول خطاب له عن تغيير الاسم الرسمي للدولة إلى جمهورية مالي. وفي عام 1964، أعيد انتخابه للمرة الثانية رئيساً لجمهورية مالي، وفي عام 1968 أعلن الثورة الثقافية في بلاده، وأجرى المزيد من التصحيحات لإصلاح ظروف وأوضاع مواطنيه، لكنه لم يكتب له أن يقطع فيها أشواطاً طويلة، حيث أطيح به في نوفمبر 1968 في انقلاب عسكري قاده موسى تروري، وأودع موديبو كيتا السجن لمدة تسع سنوات تقريباً، ثم أطلق سراحه في فبراير عام 1977، ولكنه لم يلبث بعد ذلك على قيد الحياة سوى بضعة أشهر، وتوفي في نفس العام عن عمر ناهز اثنين وستين عاماً. ينظر: عبد الحميد عبد النبي: القادة الإفريقيون -مذاهب وشخصيات- القاهرة: دار القومية للطباعة ونشر، د.ت، ص ص 121-124.

(73) عبد القادر خليف: المؤتمرات الأفروأسيوية... المرجع السابق، ص 227.

(74) جريدة المجاهد: "الدار البيضاء قوة التضامن الإفريقي"، ع/87، صدر في: 16 جانفي 1961، ص ص 10-11.

(75) المصدر نفسه: ص ص 10-11.

(76) صالح لميش: المرجع السابق، ص 143.

(77) جريدة المجاهد: "تصف الشهر السياسي"، ع/93، صدر في: 01 أفريل 1961، ص 1.

(78) جريدة المجاهد: "الحياد سياستنا الثابتة"، ج 3، ع/93، صدر في: 01 أفريل 1961، ص ص 6-7.

(79) صالح لميش: المرجع السابق، ص 143.

(80) إبراهيم صقر: "مشروع الصحراء الكبرى الفرنسي"، مجلة نهضة إفريقية، ع/14، السنة الثانية،

(مصر)، يناير 1959، ص 35؛ جريدة المجاهد: الحياد سياستنا الثابتة... المصدر السابق، ص ص 6-7.

(81) Achour Cheurfi: Dictionnaire de la révolution algérienne (1954-1962), Algerie: Edition casbah, 2004, P 150.

(82) عبد المجيد قدور: "دور ثورة أول نوفمبر 1954 في تحرير دول المغرب وإفريقيا"، مجلة المعيار،

ع/04، المجلد 2، 2003، ص 284.

(83) أحمد بن نعمان: **جهاد الجزائر حقائق التاريخ ومغالطات الأيديولوجيا**، الجزائر: دار الأمة، 1982، ص 23.

(84) محمد الطاهر بنادي: **الحركات الاستقلالية في إفريقيا خلال القرن 21 دراسة حالي كينيا وغينيا**، رسالة ماجستير، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2010، ص 101.

(85) عمر بوضرية: **النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 58-1959 من خلال محفوظات الثورة الجزائرية بالمركز الوطني للأرشيف -بئر خادم-**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002، ص 103.

(86) عبد الله مقلاتي: **الثورة الجزائرية وإفريقيا**، الجزائر: شمس الزيبان للنشر والتوزيع، 2012، ص 99.

(87) منصف بكاي: **دور الجزائر في تحرير إفريقيا ومقومات دبلوماسيتها الإفريقية**، ط 1، الجزائر: دار الأمة للنشر، 2017، ص 36.

(88) جريدة المجاهد: **"ارفعوا أيديكم عن إفريقيا"**، ع/33، صدر في: 10 نوفمبر 1955، ص 16.

(89) فرانز فانون: **من أجل إفريقيا**، ط 2، ترجمة: محمد الميلي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1990، ص 152.

(90) باتريس لموموبا: ولد عام 1925 في ستانليفيل (كيسانغاني) بمقاطعة الكونغو الشرقية، وهو من أبناء النخبة الكونغولية التي حظيت بالتعليم في فترة الاستعمار. وفي 1955 أصبح رئيساً "للاتحادات العمالية"، كما التحق بالحزب الليبرالي البلجيكي في الكونغو، وفي أكتوبر 1958 بادر بتأسيس "الحركة الوطنية الكونغولية" وأصبح هدفه الحصول على الاستقلال وتدعيم الوحدة الوطنية، خاصة أنه كان يتأثر تحرير جريدة "الاستقلال" الصادرة بالفرنسية. وفي عام 1959 تم اعتقاله وفي أثناء وجوده في السجن عقدت السلطات الانتخابات العامة وكانت المفاجئة فوز حزبه بأعلى نسبة أصوات، وفي 21 يونيو 1960 تم تعيينه أول رئيس وزراء وطني للكونغو أثناء الاحتلال البلجيكي لبلاده كما تم انتخاب "كازافوبو" رئيساً للجمهورية، وفي يونيو 1960 جاء ملك بلجيكا إلى الكونغو وذلك لإعلان استقلال الكونغو، وفي 17/01/1961 يختفي لموموبا فجأة وتظهر جثته مع بعض اخلص رفاقه في فيفري في إقليم كاتنكا. ينظر: عبده بدوي: "لوموموبا"، مجلة نهضة إفريقية، ع/40، السنة الرابعة، (مصر)، فبراير 1961، ص 11 وما بعدها؛ الحسيني الحسيني معدى: **موسوعة أشهر الثوار في العالم**، ط 1، دار النهار للنشر، 2012، ص 35.

(91) كريم مقتوش: **"تصفية الاستعمار وأثر الثورة الجزائرية في المد التحرري"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع/28، (الجزائر)، 2014، ص ص 82-83.

(92) فرانز فانون: ولد في 23 جولية 1925 بجزيرة المارتينيك، وهي تابعة للسيادة الفرنسية. من أسرة زنجية، درس في مدرسة سيزار ثم واصل الدراسات العليا في الجامعات الفرنسية. وفي سنة 1943 سافر سرا إلى الدومنيك ليلتحق هناك بالقوى الفرنسية الحرة، وقد أرسل بعد تطوعه إلى شمال إفريقيا ومكث في بجاية، وقد سرح من الجيش ثم عاد إلى المارتينيك وأستأنف دراسته وحصل على شهادة البكالوريا. وفي 1947 سافر إلى فرنسا بعد حصوله على منحة دراسية. وفي عام 1951 أنهى أطروحته في الطب النفسي. وفي

عام 1953 نجح في المسابقة والتحق بمستشفى الأمراض العقلية بمدينة البليدة. حيث تعرف على أعضاء جبهة التحرير الوطني وقدم لهم مساعدات عديدة منها العلاج والدواء. وفي نهاية 1956 التحق بصوف جبهة التحرير الوطني. وفي ديسمبر 1958 اختير قانون عضوا في الوفد الجزائري إلى مؤتمر اتحاد الشعوب الإفريقية بأكرا. وفي مارس 1959 في المؤتمر الثاني للكتاب والفنانين السود في روما. وفي جانفي 1960 كان ضمن الوفد الجزائري في المؤتمر الثاني لشعوب إفريقيا في تونس. وفي مارس 1960 عين ممثلا دائما للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في أكرا. وتوفي في 06 ديسمبر 1961 بواشنطن وعمره لم يتجاوز 36 عاما بمرض السرطان. وتولت قيادة جبهة التحرير نقل جثمانه للجزائر كما أوصى بنفسه، حيث اجتازت الكتيبة العسكرية الجزائرية خط موريس وادخلوه خفية، وأقيمت له جنازة عسكرية ودفن بالطارف. ينظر: ماضي مسعودة: **فرانز فانون والثورة في إفريقيا (1925-1961)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعو أدرار، 2009، ص ص4 وما بعدها.

(93) كريم مقتوش: المرجع السابق، 153.

(94) عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص15.

(95) منصف بكاي : **أضواء على تاريخ إفريقيا، الجزائر** : دار السبيل للنشر والتوزيع، 2009، ص16.

(96) محمد مجاود: **الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية**، ط1، الجزائر: دار العرب للنشر، ص194.

(97) عبد الكريم بوصفصاف: **"الثورة الجزائرية ودورها في إزالة الاستعمار من القارة الإفريقية"** مجلة سيرتنا، ع/06-07، (قسنطينة-الجزائر)، جويلية 1982، ص44.

(98) محمد مجاود: المرجع السابق، ص124.

(99) محمد الميلي: **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2007، ص ص190-195.

(100) محمد الطاهر بنادي: المرجع السابق، ص100.

(101) عبد الله مقلاتي: **دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية**، ج2، الجزائر: دار السبيل، 2009، ص229.

(102) المرجع نفسه، ص101.

(103) المرجع نفسه، ص101.

(104) الهادي عامر: **"مواقف الدول الإفريقية من الثورة الجزائرية 1954-1962"**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2016، ص ص61-62.

(105) عيسى لتيم: المرجع السابق، ص 521-522.

(106) مولود قاسم نايت بلقاسم: **"دور فاتح نوفمبر في استرجاع ليبيا فرانها والمغرب وتونس استقلالها بل وإفريقيا كلها حريتها"**، مجلة الثقافة، ع/83، (الجزائر)، 1984، ص65.

(107) عيسى لتيم: المرجع السابق، 523.

(108) **جريدة المجاهد**: كان ميلادها تلبية لحاجة ملحة من أجل إيجاد منبر إعلامي يعبر عن الثورة وأهدافها، وقد فصل مؤتمر الصومام في مسألة تمثيل "المجاهد" لتكون هي الناطق الرسمي باسم الثورة بعدما كانت تقاسمها في ذلك صحيفة المقاومة الجزائرية. وقد مرت جريدة المجاهد بعدة ظروف تميز من بينها ثلاث مراحل أساسية هي: المرحلة الأولى: عرف بالحقبة الجزائرية أي الفترة التي كانت تصدر خلالها في مدينة الجزائر، وتمتد هذه الفترة من أول يوم صدرت فيه في جوان 1956 إلى 25 جانفي 1957 حيث اكتشف مقرها في حي القصبة أثناء معركة الجزائر. المرحلة الثانية: وتعرف بالفترة المغربية، انتقال صدور الجريدة إلى المغرب حيث نزلت ضيفة على جريدة "المقاومة الجزائرية"، بمدينة تطوان من 5 أوت 1957 إلى الفاتح نوفمبر من نفس السنة. ثم قررت لجنة التنسيق والتنفيذ نقلها إلى تونس لتكون قريبة من قيادة جبهة التحرير. المرحلة الثالثة: وتعرف بالفترة التونسية وتمتد من 01 نوفمبر إلى 1957 إلى حصول الجزائر على استقلالها. لقد ضمت جريدة المجاهد في إعدادها 120 الصادرة إبان الثورة 462 مادة إعلامية. وهذا العدد الهائل يجعل العمل الدبلوماسي تحتل المرتبة الأولى في اهتمامات الجريدة، وهو ما يدل على الأهمية الكبرى التي أولتها الجبهة لتدويل القضية الجزائرية. وساهمت جريدة المجاهد على تأكيد البعد الإفريقي للثورة الجزائرية وذلك ظهوره في كتاباتها. ويكفي أن نعرف عدد المقالات والدراسات والتعليق التي خصصت في المجاهد لإفريقيا والعلاقة بين إفريقيا السوداء والثورة الجزائرية بلغ خلال الثورة 36 مقالا ودراسة، ويضاف إليها نحو 20 مقالا ودراسة خصصت للعالم الثالث والحياد، وكل ذلك يكشف عن امتلاك الثورة الجزائرية لنظرة شمولية. ينظر: أحمد حمدي: **الثورة الجزائرية والإعلام**، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1995، صص 121-125؛ محمد الميلي: المرجع السابق، صص 194، 195.

(109) عيسى لتيتم: المرجع السابق، صص 524-525.

(110) جريدة المجاهد: "رسالة مفتوحة إلى شباب الأوطان المضطهدة"، ع/25، صدر في: 14-06-1958.

(111) **ليوبولد سنغور**: ولد من عائلة أرستقراطية سنة 1906 بدأ دراسته في إحدى المدارس الداخلية في السنغال وعشق الفرنسية وأجاد اللاتينية واليونانية وظهر تميزه في شعر عندما كان طالبا وأكمل دراسته الجامعية في باريس وكون صدقات عديدة لعل من أبرزها مع "جورج بومبيدو" والذي أصبح فيما بعد رئيسا لفرنسا لاحقا والشاعر "إيميه سيزير" الذي كان له دور كبير في إبراز شخصية سنغور، وأسس معه مجلة ثورية احتجاجية باسم "الطالب الأسود" عام 1934 وعلى صفحات المجلة استعمل مصطلح الزنوجية، واكتسب سنغور شهرته العالمية من كتابته للشعر باللغة الفرنسية حيث سخر قلمه لفضح كل الممارسات العنصرية، أسس عام 1974 مجلة ثقافة اسمها "الأميرة الإفريقية"، وقد حصل على دكتوراه فخرية من 30 جامعة، كما حصل على جائزة نوبل للسلام عام 1968، وتولى رئاسة السنغال في سبتمبر 1960 وفي سنة 1980 قرر أن يستقيل تاركا أمور لعبد ضيوف، وقد نجح سنغور مع رفيقه مامادو دايبا في تأسيس حزب جديد هو حزب "الكتلة الديمقراطية"، توفي في 25/12/2001. ينظر: شوقي عطا الله الجمل وعبد

- الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2012، ص ص 141 وما بعدها؛ محمد فضل محمد عبد الخالق وآخرون: المرجع السابق، ج 13، ص 159.
- (112) عيسى لتيم: المرجع السابق، ص 526.
- (113) جوزيف كي زيربو: تاريخ إفريقيا السوداء، ج 2، ترجمة: يوسف سلب الشام، سورية، 1994، ص 911-912.
- (114) جريدة المجاهد: "دروس من كوتونو"، ع/22، صدر في: 82-08-1958.
- (115) عيسى لتيم: المرجع السابق، ص 528.
- (116) المرجع نفسه، ص 528.
- (117) المرجع نفسه، ص ص 530-532.
- (118) جريدة المجاهد: "تحية لغينيا"، ع/30، صدر في: 10 أكتوبر 1958.
- (119) عيسى لتيم: المرجع السابق، ص 533.
- (120) مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص 65.
- (121) يحيى بوعزيز: "مكانة الثورة الجزائرية بين الثورات العالمية، ودورها في تحرير إفريقيا"، الملتقى الدولي الجزائري حول الثورة وصداها في العالم، الجزائر: المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1984، ص 97.
- (122) فرانس قانون: من أجل إفريقيا، ترجمة: محمد الميلي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 232.
- (123) عيسى لتيم: المرجع السابق، ص 534.
- (124) منصف بكاي: "دور الجزائر ما بعد الاستقلال في تحرير إفريقيا ومقومات دبلوماسيتها الإفريقية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع/1، (الجزائر)، 2012، ص 317.

المحور الخامس

أعلام دبلوماسية الثورة الجزائرية

رواد الدبلوماسية الجزائرية خلال الثورة الجزائرية-أحمد توفيق المدني أنموذجا

✍ د/ محمد بوطيبي

بجامعة المديّة

الملخص:

لقد اعتمدت الثورة الجزائرية أولية للجانب السياسي عن الجانب العسكري، والذي تجسد فعليا عشية انعقاد مؤتمر الصومام في أوت 1956، باعتبار أن العمليات الحربية لا تكف وحدها، بل يجب اعتماد الدبلوماسية للتعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية. وذلك بتأسيس مؤسسات سياسية لتمثيل الثورة الجزائرية وقيادتها على المستويين المحلي والخارجي. وتكوين مكاتب سياسية إعلامية لتمثيل الثورة لدى الدول الصديقة والشقيقة.

لقد جندت للمهمة السياسية الثورية رجالا، استطاعوا بفضل الإيمان بالوطن والجهاد أن يقوموا بواجبهم الوطني مع مر الزمن، ومن هؤلاء الدبلوماسيين أحمد توفيق المدني، الذي كسب خبرة سياسية في الحركة الوطنية السياسية التونسية قبل نفيه للجزائر عام 1925، وبعد ذلك في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. مما جعل قادة الثورة يستعينون به في العمل السياسي والدبلوماسي للعمل في القاهرة عام 1956، فكان رجل المهام السياسية في العديد من العواصم العربية والإسلامية لكسب الدعم والتأييد الدولي للقضية الجزائرية. * فمن يكون أحمد توفيق المدني، وما هي العوامل التي ساعدته في نشاطه السياسي والدبلوماسي خلال الثورة الجزائرية؟

* ما هو نضاله السياسي في الحركة الوطنية التونسية خلال المرحلة التونسية 1915-1925؟ خاصة وأنه صاحب مشروع الثورة في تونس المساند لليبيا عام 1912، بعد احتلالها من طرف إيطاليا عام 1911.

* ما هو دوره الإصلاحي والسياسي خلال المرحلة الجزائرية، بعد نفيه إلى الجزائر منذ منتصف العشرينات إلى غاية اندلاع الثورة الجزائرية خلال القرن العشرين؟ وما هو نشاطه السياسي والدبلوماسي خلال الثورة الجزائرية؟

أولا - نبذة عن حياة أحمد توفيق المدني:

يعد أحمد توفيق المدني واحد من المناضلين السياسيين في الحركة الوطنية التونسية والحركة الإصلاحية الجزائرية، والذين خدموا الثورة الجزائرية سياسيا ودبلوماسيا، حيث ولد هذا الأخير في الفاتح نوفمبر 1889م الموافق لـ 24 جمادي الثانية 1317هـ، في مدينة تونس، من أسرة جزائرية مهاجرة من صلب محمد بن أحمد بن محمد المدني القبي، الغرناطي الأصل من السادة الأشراف. وتلقى علومه بالجامع الكبير، أما جده فقد شغل منصب أمين الأمناء (شيخ بلدية الجزائر العاصمة)، نتيجة السياسة الفرنسية المطبقة ضد الأهالي الجزائريين قررت الأسرة السفر اتجاه تونس، حيث استقرت الأسرة في بجاية، لكن ثورة المقراني التي اندلعت عام 1870م حالت دون ذلك، مما ألزم الأسرة الهجرة نحو البلاد التونسية.

- ومن باب الصدف أن التقت عائلته بأسرة الشيخ عمر بويزاز الجد بالأم لأحمد توفيق المدني، وانتقلت كلا العائلتين إلى تونس⁽¹⁾. أما أمه فهي عائشة بنت

1 أحمد، توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات). في تونس 1905-1925. ج 1، (الجزائر: ش.و.ن.ت،

عمر بويراز وكريمة من عائلة ابن هشام التونسية الأصل، حيث تزوجت وعمرها 16 سنة مع أبيه محمد، وهو في سن يزيد عن الأربعين سنة (1).

- تربى الابن في جو العائلة المحافظة على الشرف والدين، وفي الخامسة من عمره بدأ حفظ القرآن في الكتاتيب التونسية، أين تميز بقوة الحفظ والفراسة، حتى إذا بلغ السنة التاسعة أصبح يقرأ الجرائد، ويتبع أمور وأحداث السياسة التي بدأت تتخمر في ذهنه بفعل تتبع وتطلع العائلة وأخواله على القضايا السياسية السائدة في البلاد، حيث اضطلع على مجلة العروة الوثقى والمؤيد واللواء (2).

وعند بلوغه سن العاشرة انتقل الطالب من الكتاب إلى المدرسة القرآنية الأهلية وتتلذذ على يد محمد صفر، ووضع في الصف الرابع مبكرا، وفي عام 1915م حكم على الشاب اليافع بالسجن مدة أربع سنوات، بعدها عاد على الجزائر ليناضل في صفوف جمعية العلماء المسلمين، وكان له الفضل في إنشاء الإتحاد والترقي مع العلامة عبد الحميد بن باديس، كما انضم في صفوف الثورة الجزائرية عام 1956م، أما بعد الاستقلال فتقلد عدة مناصب منها سفيرا في تركيا، إيران، العراق (3) وترك العديد من المؤلفات منها:

- تقويم المنصور جمهورية الجزائر سياسيا اقتصاديا وطبيعيا.
- حياة كفاح مذكرات في تونس 19015-1925م. الجزء الأول
- حياة كفاح مذكرات في الجزائر، 1925-1954م-الجزء الثاني.
- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م.
- مذكرات أحمد الشريف الزهار 1754-1830م.

1 - نفسه، ص 16.

2- نفسه، ص 20-22.

3- عمر، بن قفصة، أضواء على الصحافة التونسية، 1860-1970. (ط 1، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972)، ص 129.

- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا.
- محمد عثمان باشا داي الجزائر وخلاصة تاريخ الجزائر العثمانية.
- قرطاجنة في أربعة عصور: تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام.
- جغرافية القطر الجزائري⁽¹⁾.

ثانيا: نشاط السياسي لأحمد توفيق المدني في تونس:

2-1 أحمد توفيق المدني في مشروع ثورة فاشل:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، ظهرت فكرة إعلان الثورة في تونس، بإيعاز من طرف أحمد توفيق المدني والصادق الرزقي⁽²⁾ في ديسمبر 1914م بالاشتراك مع أحمد نجاح، محمد النيفر، محمد السعيد الخلصي والهادي مزاح، تلك الجماعة التي كانت تدرس الخطط والمنهاج العملية في الاجتماعات السرية التي انتهت إلى تفجير ثورة اعتمدت على الأسس التالية: (3)

1. بث دعاية واسعة لدى الجيش والشعب التونسي ضد تجنيد فرنسا للأهالي كقطعان في الحرب العالمية الأولى.

2. مواجهة فكرة الخمول واليأس التي أصابت المجتمع التونسي منذ حوادث الزلازل.

3. الاتصال بقبائل بني زيد في الجنوب التونسي، لمواجهة الحامية المتواجدة في تلك الجهات، وفتح جبهات متعددة للجيش الفرنسي.

4. بمجرد خروج الحامية الفرنسية من قفصة، يتم مهاجمة الثكنات التي يوجد فيها الأسرى الألمان حتى يكونون ضباطا للمقاتلين التونسيين والزحف على مدينة قابس واحتلالها.

1 - أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 351.

2 نفسه، ص 85.

3- نفسه، ص 87، 88.

5. الاعتماد على الطلبة الزيتونيين الجزائريين من جهات تبسة، عين البيضاء وقسنطينة لبث الدعاية الحربية.

6. عندما تتجح العملية يستطيع المواطنون التونسيون خوض العمل.

7. تنشأ شفرة موحدة للاتصال (1).

لقد تكليف أحمد توفيق المدني بالاتصال مع الجهات الجنوبية، وعلى رأسهم علي فارس قصد الاتصال بالقبائل، وتحضير الأسلحة تحت التستر وراء تجارة التمر بعد أن انقطع عن الدراسة، لكن هذا المشروع لم ينجح بسبب وشاية أحد الأطراف الذين انظموا إلى الجماعة السرية، وتم إبلاغ الأمر إلى الأمن الفرنسي، الذي انتهى بإلقاء القبض عليه يوم 14 فيفري 1915م، وبذلك فشل مشروع الثورة في المهد (9)، خلال الحرب العالمية الأولى، تلك الحرب التي جندت خلالها السلطات الفرنسية حوالي 56000 مقاتل، و 45000 عامل من الشباب التونسي خدمة للحرب، وفقدت تونس 45000 ضحية من فلذات أكبائها (2). وبعد خروج أحمد توفيق المدني من السجن، وتشبعه السياسي والفكري من خلال الجرائد والصحف السرية التي كانت تصله سرىا من بعض المتعاطفين معه، فقد انفتحت نفسيته على ممارسة النشاط السياسي بالاتصال مع بعض السياسيين وعقد الاجتماعات السرية (3).

2-2 النضال السري لأحمد توفيق المدني:

لقد سبق تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي لقاءات سرية بين المناضلين المؤسسين للحزب، وكان أول اجتماع سري سياسي لأحمد توفيق في

1 - نفسه، ص ص 97-99.

2 - أحمد، العباسي، الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودفاعه عن القضية التونسية، ما أهمله التاريخ. (ط 1، تونس: 1987)، ص 23.

3- أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 154.

بداية 1919م في مطبعة محمد التليلي⁽¹⁾، حيث حضر هذا الاجتماع خمسة أعضاء: الصادق المعروف، محمد بن عمار، الشيخ محمد الرياحي، الشيخ أحمد المنستيري، أحمد توفيق المدني، إذ تم خلال ذلك اللقاء مناقشة الوضع الدولي، خاصة وأن الفترة هي فترة نهاية الحرب العالمية الأولى وأهم انعكاساتها على الشعوب المستعمرة، أهمها: بنود ولسون الأربعة عشر التي كانت تحمل في طياتها: تقرير مصير الشعوب، كما ناقش الاجتماع قضية طرح القضية التونسية في مؤتمر الصلح⁽²⁾، ومن خلال هذا الاجتماع تم تعرف أحمد توفيق على الشيخ عبد العزيز الثعالبي، الذي كان قد سافر إلى باريس من أجل تولي مهمة الدفاع عن القضية التونسية. كما تم التوصل إلى ضرورة مشاركة الوفد التونسي في مؤتمر الصلح والتنسيق والتشاور مع وفود البلدان العربية الحاضرة، رغم انعدام الثقة في الدول الكبرى⁽³⁾. ظلت الاجتماعات السياسية متواصلة بين هذا الرعيل وزملائه حول القضايا الهامة في العالم الإسلامي⁴، حيث عرفت إحدى المدارس المذكورة لقاء آخر بحضور السادة: الشاذلي المورالي، الشيخ صالح بن يحيى، الشيخ إبراهيم الطفيش، الشيخ أبو اليقظان، أحمد توفيق المدني وإبراهيم بن عيسى وغيره من الشخصيات الأخرى. وفي هذا الاجتماع تعرف أحمد توفيق على الشيخ علي كاهية والشاذلي خزندار⁽⁵⁾.

1 - محمد التليلي: ولد عام 1880 درس في الصادقية وتحصل على شهادة المدرسة المهنية، اشتغل في

الطباعة والنشر وتحصل على امتياز جريدة الزهرة. أنظر - محمد حمدان، أعلام الإعلام في تونس

1860-1956. (ط1، تونس: مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، 1991)، ص 179.

2 - أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 154.

3- نفسه، ص 155، 156.

4 - نفسه، ص 173.

5- أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 173.

3 - نشاط أحمد توفيق المدني في الحزب الحر الدستوري التونسي:

لعل من أهم دواعي تأسيس الحزب الحر الدستوري هو فشل عبد العزيز الثعالبي في مسعاه عشية انعقاد مؤتمر الصلح، حيث يذكر أحمد توفيق: أنه في شهر فيفري وصلت رسالة من الشيخ الثعالبي، قرأتها بنفسه من بعد عند الشيخ حمودة المنستيري يقول فيها ما من مصلحة: أن حركة ولسون قد أخفقت، وأن الآمال المبنية قد انهارت وعلمت الشعوب العربية كلها أنها لا تتال حقها إلا بجهادها، ولهذا لزم الأمر الاستعداد لكفاح طويل ومرير ربما ولجت رحابه الأجيال.⁽¹⁾ إنه لم يعد الآن المطالبة بإلغاء نظام الحماية، فذلك قول لا يسمع له أحد اليوم، إنما يجب أن نطالب بإعلان الدستور التونسي، وأخذ زمام الأمور بأيدينا. يجب أن يتطور الحزب وينظم ويجب أن يدع: الحزب الحر الدستوري التونسي، ويشمل كل الطبقات التونسية... ومن خلال هذه المقطعات من رسالة عبد العزيز الثعالبي يتبين أن الدعوة لإنشاء الحزب الحر الدستوري التونسي في 14 مارس 1920م من طرف مجموعة من الأعضاء، حيث يقول أحمد توفيق المدني: >> وهكذا فإن جماعة... أعلنوا تأسيس الحزب الحر الدستوري... وعزموا على إرسال الوفد إلى باريس بأسرع وقت ممكن... ويضيف قائلا: >> وكنت والحمد لله من بين ذلك الرعيل الأول الذي أدى القسم وأوفى بما عاهد الله عليه... <<⁽²⁾.

-وبذلك بدأ أحمد توفيق نشاطه السياسي ضمن الحزب الحر الدستوري، وربط علاقاته مع الأعضاء البارزين في الحزب بداية من شهر ماي، وأصبح عضوا ضمن اللجنة العليا للحزب. وهكذا أصبح أحمد توفيق ظاهريا محاسبا في مكتب الطاهر بن حمودة المنستيري يقوم بضبط الحسابات الزراعية، لكن في الخفاء

1- نفسه، ص 173

2- نفسه، ص 173.

كان كاتباً للحزب الحر الدستوري وحافظاً لأسراره. ⁽¹⁾ وتشير التقارير الأمنية أن انه كان يتقاضى من الحزب مبلغاً شهرياً قدره 600 فرنك، وهو خمس ما كان يتقاضاه رئيس الحزب ⁽²⁾.

- يبدو أنه كان صاحب علاقات واسعة مع رجال الصحافة، مما جعل الحزب يبعثه وسيطاً إلى الشاذلي المورالي صاحب جريد المنير يترجاه كي يعدل عن الأقوال التي نشرها ضد الشيوعيين الذين كانت تربطهم علاقات طيبة مع الحزب، إذ اتهم هذا الأخير الأمين العام للحزب الشيوعي ببعض التهم، التي كادت أن تعصف بالعلاقات التي تربط الحزب الحر الدستوري بالحزب الشيوعي ⁽³⁾.

3-1- أحمد توفيق المدني مع وفد الأربعين ومقابلة الملك الناصر باي (18 جوان 1920م):

من غير المعقول أن يرفع الحزب الحر الدستوري مطالبه إلى السلطات الفرنسية، من دون اطلاع الملك الناصر باي ⁽⁴⁾ على انشغال الحزب، لذلك خطت اللجنة التنفيذية للحزب وجهزت وفداً سياسياً يتكون من 40 عضواً*

1- نفسه، ص 175.

2- ANT, On me communique les renseignements - Commissariat spécial, n 865. le 31/05/1922, SMNT- D:2- C:21- DN:1.

3- ANT, - Rapport - Commissaire General. 07/02/1922. SMNT - C :21 -DOS: 2 -DN :47.

4 - محمد الناصر باي بن محمود بن حسين بن علي باي: ولد في 14 جويلية 1855 بالمرسى وتأدب بالعربية ثم بالفرنسية وسمي والياً للعهد عام 1902 ليولي الحكم في 11 ماي 1906، واستمر في الحكم 16 عاماً، حيث أصدر مجلة العقود والالتزامات وأدخل لأول مرة نواب تونسيين في مجلس الشورى، عرفت تونس عدة أحداث في عهده منها حوادث الزلازل، توفي في 16 جويلية 1922. حول الموضوع أنظر - محمد، بوذينة، مشاهير التونسيين. (تونس: م.و، 1992)، ص 437، 438.

* بينما ذكر محمد صالح لجري 30 عضواً، وكان اللقاء يوم ثاني عيد الفطر، أنظر

- Mohamed Salah Lejri, Evolution du Mouvement National (des origines à la deuxième guerre mondiale). (1ere Ed, Tunis: Maison Tunisienne de l'Édition, 1974)

,p. 191.

من مختلف الفئات التونسية من عمال، تجار، فلاحين، مدرسين وعلى رأسهم الشيخ محمد الصادق النيفر⁽¹⁾، وبهدف تشكيل وفد لمقابلة الملك، تشكلت لجنة سياسية مكونة من عشرة أعضاء، منهم أحمد توفيق المدني في بيت الشيخ حمودة المنستيري، قصد التخطيط للعملية وزيارة الملك الناصر باي في قصره ببلدة المرسى، وعرض الانشغالات والمطالب السياسية التونسية عليه، تلك المقابلة التي واجهتها صعوبات في البداية، وصدت أبواب القصر في وجه الوفد من طرف الوزير الأكبر الطيب الجلولي، وكاد الوضع أن يتحول إلى مأزق خطير بسبب تعنت هذا الأخير، بعدم مقدرة الملك على مقابلة الوفد، لأنه كان طريحا على فراش المرض، لكن تدخل الابن الأكبر المنصف باي⁽²⁾ حسم الأمر بإدخال الوفد إلى القصر، وتمت مقابلة الملك وهو فعلا على فراش المرض، حيث عرضوا عليه مسألة تأسيس الحزب الحر الدستوري، وأخبار الوفد التونسي المتوج نحو فرنسا لطرح القضية الوطنية في مؤتمر باريس، وجملة مطالبه السياسية، وفي هذا اللقاء كان ينتقل أحمد توفيق المدني بين الصفوف، ويتأكد من الأعضاء الحاضرين والغائبين من الحزب.⁽³⁾ هذه المقابلة التي تمخضت عنها بعض النتائج، منها:

1- أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 180.

2- المنصف باي بن محمد بن حسين: ولد في 4 مارس 1881 تعلم في المدرسة الصادقية، رجل متعاطف مع الحركة الوطنية التونسية كمحادث عام 1920، حاول إقناع والده التنازل عن العرش بعدم تلبية السلطات الفرنسية للمطالب الوطنية في 5 أبريل 1920، ولي الحكم في 6 جويلية 1942 وألغى عادة تقبيل اليد، في 4 سبتمبر 1942 أقسم بالمصحف على خدمة الشعب 18 أوت 1642 وجه رسالة إلى رئيس الدولة الفرنسية المارشال بيتان فيها مطالب منها تأسيس مجلس تشريعي تونسي وتمكين التونسيين المساهمة في المجالس البلدية والمساواة في المرتبات بين الموظفين، وإجبار التعليم وإثاء الحرب العالمية الثانية اتخذ موقفا محايدا، خلع من السلطة في 14 ماي 1943 وتم نفيه خارج البلاد، توفي في 1 سبتمبر 1948. حول الموضوع أنظر - محمد، بوذينة، مرجع سابق، ص 435-438.

3- أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 181.

- اتساع العلاقة بين الأهالي والحزب وانضمامهم للوفد حتى أصبح عدد المساندين يقدرون بالمئات.

- حدوث تجاوز بين الملك الناصر والوفد وقبوله مبدئيا المطالب التي كانت تتماشى ومصالح الشعب التونسي⁽¹⁾.

4- مع الوفد التونسي الثاني:

بعد عودة الوفد الأول من باريس، ونجاحه في إخماد الأصوات التي كانت تطالب بالاستحواذ على الأوقاف التونسية الخاصة، على عكس المطالب السياسية التي لم تجد لها أذنا صاغية، خاصة مطلبية: المجلس التشريعي والحكومة المسؤولة أمام المجلس التشريعي. لأجل ذلك اجتمع الدستوريون لتحوير هذين المطالبين، وذلك بتعويض المطلب الأول بمجلس تفاوضي على قاعدة التساوي المطلق بين التونسيين والفرنسيين، أما مطلب الحكومة المسؤولة فتم استثناء منه ممثل فرنسا قائد الجيش، وأميرال البحرية.

- إن المطالب السياسية التي حملها الوفد الثاني مرة أخرى إلى باريس بقيادة الطاهر بن عمار في 22 ديسمبر 1920، قصد محو الصورة الخطرة على الكيان الاستعماري التي رسمتها الأحزاب اليمينية الفرنسية على الوطنيين الدستوريين⁽²⁾ والتي عارضها بعض الدستوريين، ومنهم أحمد توفيق المدني، وبذلك أصبحت المطالب على النحو التالي:

1. مجلس تفاوضي مشترك بين التونسيين والفرنسيين يملك حق وضع منهاج أعماله.

1 - يوسف، مناصرة، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937. (ط 1، سوسة،

تونس: دار الطباعة للنشر، 2002)، ص 152.

2 - أ حمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 183.

2. حكومة مسئولة أمام هذا المجلس باستثناء المقيم العام الفرنسي والجنرال قائد الجيش والأميرال قائد البحرية الفصل بين السلطات الثلاث.
3. قبول التونسيين في جميع الوظائف العامة إذا استوت الكفاءة.
4. التساوي في المرتبات بين التونسيين والفرنسيين.
5. الانتخابات الحرة للمجالس البلدية
6. حرية الصحافة والاجتماع والمؤسسات⁽¹⁾.
7. التعليم الإجباري العام.

8. مشاركة التونسيين في ابتياع الأراضي المخصصة للمستعمرين⁽²⁾.

4- مواقف أحمد توفيق المدني من المطالب الدستورية الجديدة:

- اعتبر أحمد توفيق المدني أن تحوير المطالبين المذكورين سابقا هو وأد للثورة وإعدام للاستقلال، وأن الأحرار بطشوا بالحرية بدعوى الاعتدال والحصول على الحقوق البسيطة، إذ يقول: >> ثرت يومئذ ثورة عارمة، تحدث الناس عنها كثيرا، وقابلت الجماعة وخاصة الصافي، حمودة المنستيري، محمد بن عمار أحمد التليلي، صالح بن يحي...إنكم قد خنتم الوطن...أعطيتم الفرنسيين طوعا واختيارا حق التشريع ببلادكم...أهذه هي بداية الاستقلال...أصبحتم أذل وأقرب من مصطفى بن إسماعيل والصادق باي عندما قبل الحماية...<< (3).

5- تأسيس اللجنة الثانية للحزب الحر الدستوري وأمانة أحمد توفيق للقلم: قصد تأطير الحزب وتنظيمه وهيكلته، اجتمع بعض الأعضاء البارزين يوم 29 ماي 1921م في منزل حمودة المنستيري ببلدية المرسى بحضور 51 عضوا *، منهم

1- نفسه، ص 169، 168.

2- نفسه، ص 169، 168.

3 - نفسه، ص 186، 185.

المناضل أحمد توفيق المدني. وفي هذا الاجتماع استهل عبد العزيز الثعالبي بتقييم نشاط اللجنة التنفيذية الأولى وأعمالها بإرسال الوفدين المفاوضين، تمهيدا لعرضها على سمو الباي، فطلب وجوب انتخاب أحمد توفيق المدني أمينا عاما مساعدا يتولى القلم العربي باللجنة التنفيذية، ثم انتخبت اللجنة التنفيذية الثانية للحزب الحر الدستوري التونسي على النحو التالي:

أحمد الصافي: أمين عام*¹ للحزب، أحمد توفيق المدني: أمينا عاما مساعدا للـقلم العربي، الطيب الجميل أمينا مساعدا.

حمودة المنستيري: أمينا للمال، المحامي ألبير: أمينا بالنيابة (يهودي)، المنوبي درغوث: مستشار، الطيب رضوان كمستشار، عبد العزيز الثعالبي: عضو لكنه الرئيس الفعلي، إضافة إلى تسعة عشر عضوا آخرين بمثابة أعضاء داخل اللجنة التنفيذية المتكونة من 27 عضوا، كما تم إقرار لجنة تشريعية للحزب⁽²⁾.

6- سفره مع الوفد الدستوري الثالث في باريس:

بفعل تأجج المعارضة الشعبية في تونس بضرورة إدخال إصلاحات جديدة، وكثرة عيوب المجلس الكبير التونسي وحدث انتخابات في شهر جوان 1924م، التي فازت فيها كتلة اليسار، التي يتزعمها الرئيس إدوارد هيريو رئيس

1* - أمين عام قد تكون كاتب عام لأن أحمد توفيق المدني يستعمل مصطلح الأمين العام عوض الكاتب العام، مبررا ذلك بأن أهل الشرق يستعملون مصطلح الأمين العام في مكان الكاتب العام. وقد ذكر هذا المبرر لتبرير موقفه من خصومه الجزائريين بأنه لم يتقلد منصب الأمانة العامة في إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومنهم صديقه محمد خير الدين الذي وصفه بأنه انتحل منصب الأمين العام في جمعية العلماء. أنظر: أحمد توفيق المدني رد أديب على حملة سفة وأكاذيب، دط، ص 226. وكذلك نفسه، ص 185.

2- Toufik EL MADANI, *Mémoire de Combat*, (traduit par Malika Merabet). (Alger: ENAP ,1989) , p.204.

الحزب الراديكالي الذي كان يجمع أحزاب يسارية تتميز بأفكارها الحرة.⁽¹⁾ فخلال مؤتمر الأحرار المنعقد في 16 سبتمبر 1924م تقرر إيفاد وفد تونسي آخر إلى باريس لبسط المسألة التونسية على الحكومة الفرنسية الجديدة والرأي العام الفرنسي، وإقناع أصحاب الأفكار الحرة التي تبوأ مقاعد الحكم إثر انتخابات 11م أي بأحقية المطالب وحسن النوايا⁽²⁾، لذلك رأى أعضاء الحزب الحر الدستوري ضرورة طرح المسألة على الحكومة الجديدة، مثل تحويل المجلس الكبير إلى مجلس تفاوض، لأجل ذلك الغرض تم تشكيل الوفد المتكون من السادة: أحمد الصافي: رئيسا، أحمد توفيق المدني: كاتب عضو اللجنة التنفيذية، صالح فرحات: عضوا، الطيب الجميل: عضو محامي⁽³⁾.

-لقد سافر الوفد الدستوري الثالث يوم 29 نوفمبر، باستثناء أحمد الصافي الذي سافر من قبلهم لأسباب أمنية، وسط توديع حار من الأهالي والمؤيدين للحزب، وصولا إلى مدينة مرسيليا يوم 01 ديسمبر 1924م⁽⁴⁾، حيث كان الوفد يحمل عريضة تحمل آلاف التوقيعات للأهالي التونسيين المتعاطفين مع الحزب قصد لفت القضية الوطنية إلى ممثلي الأمة والحكومة الفرنسية، لمحو فكرة الحزب الدستوري البعيد عن التوجهات الاشتراكية، بينما المطالب بقيت نفسها منذ 1920م الهادفة إلى المساواة بين الجزائريين والتونسيين والمساهمة في تسيير شؤون بلادهم⁽⁵⁾.

1 - Ibid., pp.207,208.

2 - أحمد، الصافي، صالح، فرحات، الطيب، الجميل، أحمد، توفيق المدني، >> بيان من الوفد إلى الأمة<<، جريدة إفريقيا، تونس، العدد 29، بتاريخ (14/01/1925)، ص 1.

3 - Ali, Mahjoubi, Les Origines du Mouvement National en Tunisie 1904-1934. (1ere Ed, Tunis: La presse de la Société Tunisienne des arts graphique, 1982), p367.

4 -أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 298، 299.

5 -Ali, Mahjoubi ,op.cit. ,p .369.

6-1- نشاط وأعمال الوفد في باريس:

قصد التشاور بين أعضاء الوفد حول المسائل الهامة ومنها ضرورة تحرير بيان للشعب التونسي وتوضيح مواقف الوفد مقابلة أحمد الصافي النائب الاشتراكي ماريوس موتي.

- الاتصال بالنائب السنغالي الأصل لكنه رفض المقابلة التي قد تحدث لاحقا.
- مقابلة النائب الشيوعي برتون قصد التوسط لمقابلة رئيس الحكومة الفرنسية بواسطة مدير ديوانه ميسو إسرائيل، لكنه بحجة أن الوفد أصبح محل إزعاج من طرف الباي التونسي الذي احتج على هذه الزيارة⁽¹⁾.

- مقابلة هنري دي شامبون صديق الحزب الذي ينتمي إلى عصبة اليسار، قصد السعي لمقابلة إدوارد هيريو الذي رفض المقابلة في 3 ديسمبر 1924م أثناء مقابله لبيرتون.

- زيارة جريدة الكوتيديان اليسارية التي تفهمت الوضع، لكن تأسفت بحجة التمويل ومصلحة الجريدة.

- وفي نفس التاريخ السابق التقى أعضاء الوفد بالسيد حاج علي رئيس جمعية نجم شمال إفريقيا، والسيد مصالي الحاج.

- عرض مطالب الوفد على ماريوس موتي عضو مجلس الأمة والأوضاع التي آلت إليها البلاد⁽²⁾.

- مقابلة أعضاء جمعية حقوق الإنسان الفرنسية، وأمينها العام ميسو فيرنوت، الذين وعدوهم بطرح القضية باسم الوفد خلال المؤتمر الذي سيعقد بمرسيليا يوم 27 ديسمبر 1924م.

1 - أ حمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 300.

2 - أ حمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 302.

- 13 نوفمبر 1924م تم مقابلة وزير المستعمرات أدوار دلاديه الذي رد عليهم بعدم التدخل في أمور بلاد الحماية، واكتفى بتقديم بعض النصائح لأعضاء الوفد وتقديم يد المساعدة⁽¹⁾.

- وظل الوفد التونسي يواصل جهده بين الصحافة الصباح (لومتان) اليومية، (الكوتيديان) وباريس الفتاة (البتي بارزيان) وغيرها من الجرائد الأخرى، الجمعيات الحقوقية وناب الأمة والبرلمان والشخصيات الهامة وخاصة اليساريين، لكن دون جدوى، وبالتالي فهم أعضاء الوفد الدرس متأخرين⁽²⁾.

6-2- نتائج زيارة الوفد التونسي الثالث:

من خلال تفحص يوميات الوفد الثالث التي دونها أحمد توفيق المدني طيلة رحلة الوفد من 29 نوفمبر 1924م إلى غاية 22

ديسمبر من نفس السنة، تم الوصول لبعض النتائج التالية:

- تلاحم الأهالي مع الحزب الحر الدستوري.
- ظهور خلاف بين الباي والحزب.
- معرفة أعضاء الوفد مدى التلاعب السياسي لمختلف الهيئات والتيارات السياسية.
- مواجهة المشاكل والتهم الملفقة من طرف الوالي العام في تونس والعودة بخفي حنين⁽³⁾.

1- نفسه، ص 311.

2 - نفسه، ص 312، 313.

3 - نفسه، ص 300-313.

8- دور أحمد توفيق المدني في التجمعات السياسية وتكوين الشعب الدستورية:

بعد تشكيل الحزب الدستوري وتأليف اللجنة التنفيذية للحزب قررت هذه الأخيرة يوم 6 سبتمبر 1921م الخروج بالحزب من دائرة الانكماش داخل العاصمة إلى دور إشراك الشعب⁽¹⁾. في المسؤوليات، وذلك بتكوين الشعب في المدن والقرى التونسية، حتى تكون وسيطا بين القمة والقاعدة، ويقول أحد توفيق المدني: ومن أجل تحقيق تلك الغاية العملية النبيلة شرفنتي الهيئة بأن انتدبتني للقيام بهذه المهمة وعينت معي محمد الجعايبي صاحب جريدة الصواب⁽²⁾.

وبالفعل فقد غادر العاصمة يوم 23 سبتمبر 1921م إلى بلاد الساحل، حيث زار سوسة التي عقد فيها أول اجتماع وخطب فيهم كما زار قرى الساحل منها: أكودة، جمال، القصيبة، المسعدين، مساكن، قصر هلال ومدينة صفاقس والقيروان، فكان في كل منطقة يحط رحاله فيها إلا وخطب في الناس ويؤسس الشعب الدستورية ويعامل ويقابل مقابلة الأسياد من الأهالي.

- كما زار بنزرت التي مهد له فيها الجو حمودة بن ميهوب الزواوي الجزائري وبنزرت البحرية وماطر، حيث مكن هذا المناضل من تأسيس أكثر من 130 شعبة دستورية في هذه المناطق قبل نفيه للجزائر⁽³⁾.

9- نضال أحمد توفيق المدني في الحركة النقابية الوطنية التونسية:

لأول مرة في تاريخ البلاد التونسية التقف العمال حول قيادة قومية مخلصه لهم بعد أن كانوا أشتاتا، فخرجوا من عزلتهم وأرسلوا نوابهم إلى العاصمة

1 - أحمد، خالد، أضواء من البيئة التونسية - الطاهر حداد ونضال جيل. (ط 3، تونس: الدار التونسية للنشر (1985)، ص184.

2 - أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص22.

3 - نفسه، ص230-233-234-240.

للتشاور مع محمد علي الحامي، واستمر نشاط العمال رغم معارضة الاشتراكيين والسلطات الفرنسية ضد مشروع المؤسسة النقابية التي ظهرت يوم الفاتح نوفمبر 1924م، حيث اجتمع محمد علي الحامي ورفاقه في قاعة بنهج الجزيرة مع العمال لينظروا في تأسيس جامعتهم النقابية، وانتخبوا لرئاسة هذه الجلسة هيئة تضم محمد علي، الطاهر حداد وأحمد توفيق المدني والمختار العياشي، لكن هذا المشروع فشل في تأسيس الحركة النقابية التي انبثقت يوم 3 ديسمبر 1924م تحت جامعة عموم العملة التونسيين⁽¹⁾. وبذلك نلاحظ دور أحمد المدني في تأسيس نقابة عمال تونسية وجمع شتات العمال، وإنقاذهم من الخطر الداهم بطريقة ذكية والقيام بالواجب للمطالبة بحقوق الحركة العمالية مع بعض الأصدقاء القلائل من الحزب الحر التونسي، أمثال الطاهر صفر والطاهر الحداد وأحمد الدرعي ومساندة محمد علي الحامي⁽²⁾، كما عمل على تقريب الحركة العمالية من الحزب الدستوري وذلك بجمع الأموال للحركة، ومنه مبلغ 5000 فرنك من صندوق الحزب على حد قوله: >> «ومد الشيخ المنستيري يده إلى محفظة أوراقه ودفع خمسة آلاف فرنك، فتناولتها شاكرا، وخرجت مسرعا أمتطي الرتل الحديدي إلى باب السويقة، ودخلت مكان الاجتماع وكان مكتظا بجموع طائفة من مختلف طبقات العمال، فدفعت أمامهم للأخ محمد علي الخمسة آلاف وتع إلى هتاف القوم للحزب الدستوري»⁽³⁾، وأصبح عضوا فاعلا في جامعة عموم العمال التونسيين، يتردد باستمرار على اجتماعاتهم ويخطب فيهم. ولذلك اتهمت اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري بمساندتها للحركة النقابية من طرف إدارة

1 - أحمد، خالد، مرجع سابق، ص 187.

2 - محمد، علي الحامي، محمد علي وحوادث الأيام. (ط1، تونس: مطبعة الإتحاد العام للشغل التونسي، 1985)، ص 73.

3 - (51) - أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 286، 287.

الحماية الفرنسية، التي أمرت يوم 5 جانفي 1925م بتفتيش منزل أحمد توفيق المدني، ومقر ومسكن محمد علي الحامي⁽¹⁾.

11- موقف السلطات الفرنسية من أحمد توفيق المدني ونفيه إلى الجزائر:

بفعل النشاط السياسي الذي كان يقوم به أحمد توفيق المدني، فإن السلطات الفرنسية ألقت القبض على أحمد توفيق المدني في سن السابعة عشر من عمره صحبة حسين الجزائري، والحجة في ذلك ثابتة والمتمثلة في المواقف المعادية لفرنسا والتحريض ضدها بواسطة وثائق وجدت بحوزته وتتمثل تلك الوثائق فيما يلي:

1- تنظيم قصيدة في شكل حوار بين فرنسا، إنجلترا، روسيا وتونس والسلطان العثماني تتضمن لهجة شديدة ضد فرنسا.

2- العثور بحوزته على نظم لحسين الجزائري، مقال أحمد توفيق المدني ينتقد فيه السلطة الاستعمارية.

3- صورة غليوم الثاني ملك ألمانيا وعدو فرنسا، مقال بعنوان: اضطهاد المسلمين بتونس ينتقد ويبين سياسة فرنسا اتجاه اللغة العربية، مدح الجيش التركي الذي كان في منظوره أنه سيحرر تونس، كما حررها من الإسبان في القرن السادس عشر⁽²⁾. غير أن السجن كان مدرسة لأحمد توفيق المدني وتجربة سياسية وفكرية، وأضفى وزنا سياسيا على حياته المستقبلية التي لا يحيط بها أدنى شك أو ظن، هذا السجن الذي جعل منه شاعرا، فيلسوفا ناثرا وأديبا، فكتب ما يلي في جانفي 1918م داخل الغرفة رقم 12: >> فإذا كنت قد دخلته واكتفيت

1 - أحمد، خالد، مرجع سابق، ص 193.

2- مختار، العياشي، البيئة الزيتونية 1910-1945، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية.

تعريب. حماد الساحلي، (تونس: م.و، 1990)، ص147.

بالأرض فراشا وبالعرء لباسا وقنعت بالجوع طعاما وبالوحشة أسبابا وتوالت عليك الأيام ومرت الشهور وانقضت الأعوام وأنت على تلك ثم خرجت من جديد إلى عالم الحياة.⁽¹⁾ ويفتح العالم صحايف أسرارهِ و تسقط أمامك حجب اللانهاية فتبصر الخيال مجسما، وترى المعنويات محسوسة وتتحول أيها السجن السامي الدري أيها المكان العلي أمنحك... فأنت أستاذي في الدنيا وأنت مكوني فيها، إنني سأغادرك أيها الأستاذ وكيف أصطبر على فراقك وكيف أستطيع؟ لكن قضى الله بأن نفترق بعد أن صفا بيننا العيش ثلاثة أعوام مستمتة فسيرى الذين ظلموا أنهم إذا دخلوا السجن... يستعدوا لخوض الحياة السياسية فقد أخرجوا بعد أعوام ثلاثة رجلا يستعد للجهاد في سبيل الحرية لقومه والاستقلال لبلاده⁽²⁾ كما قامت الجهات الأمنية الفرنسية بتفتيش بيته يوم أن كان عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب الحر التونسي، متهمة إياه بالعداء للإدارة الفرنسية، وفي ذلك قال فيه الشاذلي خزندار:

بفضلك أيها الوطني تراض جوامع الزمن

فأنت التونسي وإن دعوك بأحمد المدني

-كما داهمت السلطات أعضاء اللجنة التنفيذية، متهمة أعضاءها بمساندة وبتأييد محمد علي الحامي وصورت خطر الهيجان في البلاد أنه من فعل الوطنيين والشيوعيين، لذلك أمرت يوم 15 جانفي 1925م بتفتيش منزل أحمد توفيق المدني، غير أن استمراره في النشاط السياسي، جعل السلطات الفرنسية تقوم بنفيه إلى الجزائر يوم السبت 6 جوان 1925م بحجة أنه جزائري الأصل،

1- مجهول، << المطلوبون وجناية السيد أحمد المدني >>، دورية الجناة، دون رقم عدد، بتاريخ

(1926/06/06)، ص45.

2- نفسه، ص55، 56.

وبذلك أبعدته عن وطنه الذي ولد فيه وترعرع فيه وهو تونس⁽¹⁾، لكن لسوء حظ الفرنسيين لم يجدوا شيئا من الوثائق التي تم تحصينها في مكان لا تستطيع فرقة التفتيش الوصول إليها.⁽²⁾ واستمرت أعين الفرنسيين في مراقبة الثائر أحمد توفيق المدني، لتجد له في هذه المرة طريقة الإبعاد بالنفي نحو الجزائر بسبب مقال نشره في جريدة إفريقيا حول حرب الريف والمجاهد عبد الكريم الخطابي حيث مجد هذا الرجل البطولي، وفضح الأساليب الفرنسية مع ذمه للطبقات العميلة التي سايرت فرنسا وخدمتها بجوارحها، مما جعل السلطات الفرنسية تبعده نحو الجزائر بعد تحقيق مع السيد كامبانا في 25 جوان 1925م، وتم تسليمه إلى مفتش أمن عنابة⁽³⁾.

-وبذلك انتهى عهد أحمد توفيق المدني في النضال المباشر، وبنهاية دوره في النشاط التونسي قال فيه الشاذلي خزندار اعترافا ببطولته ومواقفه الباهرة ما يلي:

هذا الأبي التونسي هذا هو الوطني المجد

هذا هو المنصور بل هذا هو المدني أحمد⁽⁴⁾

ثالثا: نشاطه السياسي خلال المرحلة الجزائرية:

3-1 دوره في الحركة الإصلاحية الجزائرية:

لم يستسلم أحمد توفيق المدني للسلطات الفرنسية، ويبدو أنه كان يكن لها الحقد الدفين في أعماقه، حيث واصل نشاطه السياسي في الجزائر، رغم أن أحمد توفيق المدني لم يخصص في خطابه ونضاله وقتا للقضية الجزائرية

1- أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 336، 337.

2- الجناة، مرجع سابق، ص 22.

3- أحمد، توفيق المدني، مصدر سابق، ص 334-336.

4 - نفسه، ص 159، 160.

خلال المرحلة التونسية، بل كان همه الأكبر هو القضية التونسية، كأنه ليس جزائريا، والوثائق الأمنية الفرنسية التي اطلعنا عليها بالأرشيف التونسي شاهدة على ذلك. فالمعروف أن احمد توفيق المدني كان واحد من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين عام 1931. بحيث يذكر أحمد توفيق المدني بأنه من كتب الدعوات لتأسيس جمعية العلماء المسلمين المائة والعشرين تحت إمضاء السيد عمر إسماعيل لحضور الاجتماع التأسيسي، والذي حضره 72 عضوا فقط ممن تم استدعاؤهم لتحضير القانون الأساسي للجمعية.¹ وهو الذي حرر ذلك القانون الأساسي وبعثه لأعضاء الجمعية للمصادقة عليه.² فيذكر أحمد توفيق المدني عن دوره في تأسيس الجمعية بقوله:

" أولا: أنني كنت ضمن اللجنة التحضيرية (ويدعوها الإبراهيمي الكبير اللجنة التأسيسية...)

ثانيا: أنني الذي أرسلت رسائل الدعوة لحضور الاجتماع التأسيسي العام.
ثالثا: أنني الذي حررت قانونها الأساسي الأول وأرسلت به مع رسائل الدعوة، ثم أقره المجلس بالاجتماع. وترجمه إلى اللغة الفرنسية المناضل الكبير الأمين العمودي، الذي عين أمينا عاما للجمعية."³

وكان عضوا محررا في الشأن السياسي لجريدة الشهاب في عام 1927⁴ أي سنتين بعد نفيه من تونس إلى الجزائر كما معروف. وخلال السنة نفسها اشترك احمد توفيق المدني مع ثلة من المصلحين الجزائريين في تأسيس نادي الترقى بالعاصمة مع الحاج ممد المنصالي، محمد بن ونيس، عمر الموهوب،

1 احمد توفيق المدني، رد أديب، ص 11.

2 نفسه، ص 12.

3 نفسه، ص 16.

4 نفسه ص 17.

وآخرون ممن كان لهم دور في تأسيس نادي الترقى عام 1927.¹ والحقيقة أن أحمد توفيق المدني يذكر بأنه اندمج في المجتمع الجزائري بسرعة كبيرة بعد نفيه للجزائر، ويعتبر نفسه بأنه اندمج في المجتمع دون والحركة الإصلاحية بنفسه دون مساعدة غيره أمثال الشيخ الطيب العقبي، وأنه أصبح يقوم بالخطابات في حفلات الشبيبة الإسلامية عام 1926.² كما ساهم أحمد توفيق المدني جريدة الإصلاح بعد خلافه مع جمعية العلماء المسلمين.³ عشية اندلاع الثورة، مستدلاً بأن الثورة الجزائرية كانت فئة قليلة على علم بها وهي الفئة التي نفذت الهجمات الأولية ليلة الفاتح من نوفمبر، وأن الثورة الجزائرية لم تكن ثورة خيالة أو ثورة خارقة، انفجرت هكذا، باعتبار أن المجندين الذين هبوا للقيام بتلك العمليات في مختلف المناطق كالإعصار، لم يوحى إليهم فجأة، بل كانت فئة قليلة على علم بيومها الموعد، عكس ما يدعيه الآخرون بأن الثورة كانت سرية جداً، مكذبين توفيق المدني بمعرفته لتاريخ اندلاع الثورة. الجزائرية يذكر أحمد توفيق المدني بأنه كان على علم باندلاع الثورة في الفاتح نوفمبر 1954، وهو واحد من القلائل الذين كانوا يعلمون بهذا الموعد⁴، لقد انضم أحمد توفيق المدني مبكر للثورة الجزائرية. فلما استقر رأيه على الانضمام للثورة بإيعاز من ولده وزوجته اللذين لم يترددا في تشجيعه على الانضمام للثورة ونيل الشهادة. بعد أن وصلته دعوة من جبهة التحرير الوطني⁵، بحيث عينته قيادة الثورة الجزائرية المتمثلة في عبان رمضان والشيخ خير الدين ويوسف بن خده ثلاثة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين للمساهمة في نشاط جبهة التحرير الوطني بالخارج، وهم أحمد

1 نفسه، ص 17.

2 نفسه، ص 235.

3 نفسه، ص 139.

4 نفسه، ص 232، 233.

5 أحمد، توفيق المدني، حياة كفاح جمع ركب الثورة، ج 3، (الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982)، ص 105.

توفيق المدني، العباس بن الشيخ الحسين، إلى جانب الشيخ الإبراهيمي بالخارج في أواخر صيف 1955.¹ بحيث يذكر فتحي الديب بأنه خلال نهاية أبريل 1956، وبعد الاتفاق الذي حدث بين أحمد بن بله وقادة الثورة بالداخل بأن يتم الاستعانة بمجموعة من الأعضاء الذين كانوا ينتمون لأحزاب وجمعيات انخرطوا في جبهة التحرير الوطني، فبدأ الوفد الثوري يصل إلى القاهرة والمتمثل في فرحات عباس، وأحمد فرانسيس، أحمد توفيق المدني (أمين عام) والعباس بن الشيخ المنتمين لجمعية العلماء، وعبد الرحمان كيوان والمحامي ساطور وبومنجل.² فقد سافر المدني مع العباس بن الشيخ إلى مصر عبر فرنسا وسويسرا، وصولاً إلى مصر.³

3-2 النشاط السياسي والدبلوماسي لأحمد توفيق المدني بالقاهرة:

لما استقر أحمد توفيق المدني بالقاهرة، تم تعيينه على رئاسة مكتب القاهرة، حيث تولى مهام تمثيل الثورة في مصر، بحيث أنيطت له مهام كثيرة مع العالم الخارجي، بحيث انه يذكر بأنه ألاف الجو أكثر من البر نظرا للزيارات والمهام الدبلوماسية التي يقوم أنها فاقت دائرة الأرض 5 مرات كاملة، وأصبح يلقب بسندباد الجو. ورغم المبالغة في هذا الوصف والقياس الفلكي، فإنه ساهم في النشاطات الخارجية للثورة داخل مصر وخارجها.⁴

لقد سارع الوفد المتكون من فرحات عباس وأعضاء جمعية العلماء المسلمين لعقد مؤتمر صحفي بتاريخ 25 أبريل 1956 في فندق سيميراميس لإعلان حل حزب البيان والجمعية وانضمامهما لجبهة التحرير الوطني، ليكون

1 أحمد توفيق، رد أديب، نفسه، ص 229.

2 فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط 1، دار المستقبل العربي، القاهرة: 1984، ص 200.

3 أحمد، توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، ص ص 107-112.

4 أحمد توفيق المدني، "من سجل الجهاد الجزائري في الخارج"، مجلة الأصالة، ع 22، ص 26.

بمثابة صفقة للسياسية الفرنسية في الجزائر اتجاه الثورة الجزائرية.¹ ونظرا لولائه للثورة ونضاله وفي إطار ديمقراطية الثورة الجزائرية من طرف قادة جبهة التحرير الوطني فقد تم تعيين احمد توفيق المدني وزير للشؤون الثقافية عشية تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة برئاسة فرحات عباس بتاريخ 19 سبتمبر 1958، إلى غاية 16 ديسمبر 1959.² بينما يذكر فتحي الديب أن توفيق المدني ريس مكتب القاهرة السابق كلف بوزارة التربية والتعليم.³

لقد عزز احمد توفيق المدني علاقاته ومشاوراته مع المخابرات المصرية طيلة إقامته بالقاهرة خلال فترة الثورة الجزائرية، ومن هؤلاء المخبين فتحي الديب وعزت سليمان اللذين كان يلقبان: les max مالي ماكس قدما مساعدة كبيرة للثورة الجزائرية، ومدها بالسلاح تحت رعاية الرئيس جمال عبد الناصر.⁴ فبمناسبة تأميم مصر لقناة السويس 1956 تعمد الوفد الجزائري مقابلة الثورة الجزائرية مقابلة جمال عبد الناصر ليهنئه نيابة عن ممثلي الثورة الجزائرية بالنصر الكبير، في اللقاء الذي كان بشارع عبد الخلق ثروت، واستغلوا الفرصة لمطالبة القيادة المصرية لدعم الثورة الجزائرية، باعتبار أن انتصار العرب يجب أن يكون نقرونا باستقلال الجزائر الثائرة وقت ذلك. مما جعل جمال عبد النصر يعد على جناح السرعة بتخصيص مبلغ ثلاثة ملايين جنيه مصري لدعم الكفاح المسلح في الجزائر.⁵ ومنها الأسلحة التي نقلت إلى المزرعة الليبية

1 فتحي الديب، المصدر السابق، نفسه، ص 221.

2، بن يوسف بن خدة، اتفاقيات ايفيان، نهاية حرب التحرير في الجزائر، تعريب لحسن زغدار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1987، ص 51، 52.

3 فتحي الديب، مصدر سابق، ص 289.

4 احمد توفيق المدني، رد أديب، مصدر سابق، ص 215.

5 توفيق المدني، مقال سابق، مجلة الأصالة، ع 22، ص 26.

بطرابلس في شهر رمضان الكريم على متن سيارات محمد بن علي السنوسي، والتي كانت بحضور الأممي عزت سليمان وأحمد توفيق المدني¹.

كما قام أحمد توفيق المدني بتسوية مسألة تمرير عبر البر الليبي والتي كانت تأتي من الديار المصرية، عقب الأزمة السياسية التي حدثت بين دولتي مصر وليبيا بعد تأميم قناة السويس المصرية، بحيث أصدرت المملكة الليبية قرارا بمنع مرور الأسلحة القادمة من مصر، بل يجب أن تنتقل الأسلحة عبر ميناء الإسكندرية إلى الميناء طرابلس، خوفا من تسرب الأسلحة للمعارضة الليبية. هذا ما جعل أحمد توفيق المدني يسافر إلى مدينة طبرق الليبية لمقابلة الملك إدريس لفظ مسألة السلاح التي كانت الثورة الجزائرية بأمس الحاجة إليها. وبالفعل فقد أفلح في فك الأزمة حيث أعطى الملك أوامره الفورية للسماح بمرور الأسلحة التي جمعتها الثورة الجزائرية عبر الحدود البرية الليبية.² وظلت ليبيا وملكها في خدمة الثورة الجزائرية إلى غاية تحقيق الاستقلال. واعترافا لمجهوده ونشاطه السياسي تم تعيينه في الحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1958. والتي كان على رأسها فرحات عباس. رغم ذلك فقد سافر ضمن وفد الحكومة المؤقتة إل بغداد العرقية، بعد نجاح الثورة العراقية في 14 جويلية 1958، والقضاء على حكم نوري السعيد ووصول عبد الكريم قاسم إلى الحكم. فاستطاعت الحكومة الجزائرية أن دعم العراق للثورة الجزائرية بالسلاح والمال رغم الضائقة المالية التي كانت تمر بها العراق عقب ثورة 1958، علما بأن الحكومة العراقية أحجمت في عام 1957 عن تقديم السلاح للجزائر بسبب ولائها للغرب (بريطانيا وفرنسا). وكانت العراق تخدم الحلف الأطلسي والغرب، حيث كانت ضمن حلف بغداد، لكن بعد ثورة 1958 انفصلت عن الحلف الذي أصبح يعرف بالحلف

1 مقال سابق، مجلة الأصالة، ع 22، ص26، 27.

2 نفسه، مجلة الأصالة، ع 22، ص ص27، 30.

المركزي. وخلال هذه الفترة أرسل أحمد توفيق المدني رسالة إلى أعضاء الحلف طالبا المد والمساعدة للثورة الجزائرية، والكف عن الدعم الفرنسي، وأهم ما جاء في الرسالة: "...إن الحرب الدامية في الجزائر دخلت سنتها الرابعة، ولكن الشعب الجزائري قد لاحظ بمزيد من الأسف أن هذه الدول الكبرى على عكس مما كان منتظرا منها، إلى تقديم شتى المساعدات المالية والعسكرية لفرنسا..."¹ وبالفعل ظلت العراق تمد الثورة بالسلح، بواسطة الجو التي كانت تحط في المطارات الليبية بفعل التنسيق السياسي الأمني بين العراق وليبيا الذي قام به أحمد توفيق المدني وفائق السمراني السفير العراقي في الجمهورية المصرية عام 1958.² وعن دعم العراق للجزائر قال عبد الكريم قاسم: "كفاح الجزائر أمر أساسي، ولبن ينجح العرب أصلا في مستقبل أيامهم، ما لم تقز الجزائر باستقلالها، كلنا للجزائر، أما السلح فنعطيك، ومن أجود الأنواع، وأما المال فهو الآن قليل بين أيدينا، ولكننا لا نبخل عليكم بشيء".³ كما لعب احمد توفيق المدني إلى جانب الحكومة والشعب البين دورا كبيرا في تغيير الموقف التركي من الثورة الجزائرية، بحيث أن تركيا التي استفادت الكثير من خيرات الجزائر في العهد العثماني، كانت أعلنت ولاءها وعلاقاتها مع دول الحلف الأطلسي بعد الحرب العالمية الثانية وانخرطت في الحلف نفسه. وأيدت تركيا المواقف الفرنسية على حساب القضية الجزائري. لكن زيارة رئيس حكومتها للبيا الذي قوبل بعزوف الشعب الليبي ومقاطعته لمقابلة الوزير التركي بسبب الموقف التركي المعادي للثورة الجزائرية، جعلت رئيس الحكومة التركية يركن لمطلب الثورة الجزائرية، ومحاولة تعديل موقف تركيا من الثورة الجزائرية، من خلال مطالب الثورة الجزائرية التي

1 توفيق المدني، حياة كفاح ج 3، مصدر سابق، ص 366.

2 نفسه، مجلة الأصالة، ع 22، ص ص31-34.

3 نفسه، مجلة الأصالة، ع 22، ص 31، 32.

بينها له أحمد توفيق المدني الذي توجه خصيصا إلى ليبيا عشية زيارة رئيس الحكومة التركية إلى المملكة الليبية. وبالفعل فقد استجابت تركيا في عهد الرئيس جلال بابار للمطالب الجزائرية، وغيّرت موقفها المضاد للجزائر، وأصبحت تمد الثورة بالأسلحة عبر التراب الليبي.¹ والحقيقة أن نشاط أحمد توفيق المدني لم يتوقف عند هذا الحد، بل كانت له علاقات جيدة مع الكويت والسودان وغيرها، انعكست إيجابا على الثورة الجزائرية، بفعل الحنكة السياسية للدبلوماسية الجزائرية، التي تطورت خلال المسار التاريخي للثورة، وأحمد توفيق المدني إلا أنموذج من رجال الدبلوماسية الجزائرية خلال الثورة الجزائرية.

الخاتمة:

-كان أحمد توفيق المدني واحدا من الجزائريين الذين ساهموا في بناء الحركة الوطنية التونسية في مطلع القرن العشرين، وبالأذات في الحزب الدستوري الحر التونسي إلى جانب ابن عبد العزيز الثعالبي.

-لقد كان أحمد توفيق مدافعا على القضايا التونسية في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية، فهو المفكر والنقابي والسياسي والصحفي.

-يعتبر أحمد توفيق المدني من الرجال المناضلين الأحرار المحافظين القلائل الذين دافعوا عن القضية التونسية في البداية خلال الفترة الواقعة قبل عام 1925 في حزب الحر الدستوري التونسي، والقضية الجزائرية معا بعد نفيه من طرف السلطات الفرنسية فيما بعد من بلاده بالولادة إلى بلده بالنسب. فكان أحد المناضلين البارزين في جمعية العلماء المسلمين.

- لقد اعتمد أحمد توفيق المدني على النضال السياسي والفكري، وذلك بانضمامه في الأحزاب السياسية، الجمعيات، والتجمعات التوعوية معتمد الخطاب السياسي

والديني في نضاله ومحاربة السياسة الاستعمارية. وحتى النضال النقابي باعتباره أحد مؤسسي جامعة عموم العملة التونسيين، وهي الدراسة المغيبة في هذا البحث نظرا لخصوصية البحث ذاته. وكان صاحب قلم استغله في إسهاماته في الدوريات التونسية والجزائرية.

- لقد توج نضال احمد توفيق المدني في الحركة الوطنية التونسية والحركة الإصلاحية بانضمامه المبكر للثورة الجزائرية، حيث ساهم في النضال السياسي والدبلوماسي للثورة. هذا النضال الذي كان ختامه النشاط الدبلوماسي بعد نيل الاستقلال عام 1962، ليعين سفيراً للجزائر في بعض الدول الإسلامية لتمثيل الدولة الجزائرية المستقلة.

- رغم أن الرجل ناضل من أجل استرجاع السيادة في كل من تونس والجزائر، فقد اتهم من طرف خصومه بالعمالة والكذب والتعالي واحتقاره للمناضلين الذين شاركهم في نضاله في جمعية العلماء المسلمين. واتهموه بالخيانة خلال مساره السياسي والتخابر مع المكتب الفرنسي الثاني، مما جعله ينهض للرد على خصومه الذين ألفوا في شأنه كتاب التحريف والتزييف. فألف مذكرته الشهيرة المعروفة برد أديب على حملة سفه وأكاذيب.

-يعتبر أحمد توفيق المدني واحد من رجال الدبلوماسية الجزائرية، التي استطاعت بالمزاوجة مع العمل المسلح أن تفتك السيادة الوطنية من الاستعمار الفرنسي.

عبد الحميد مهري ودوره في النشاط الدبلوماسي للثورة في سوريا

✍ د/ بوكسية محمود

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

مع اندلاع الثورة 1954 طالت الاعتقادات مناضلي ح إ ح د من مصاليين ومركزيين في ديسمبر 1954، وقد اعتقل عبد الحميد مهري بسجن سركاكي في 22 ديسمبر 1954 ولم يطلق سراحه إلا في أواخر ماي 1955 بحرية مؤقتة¹، ونظرا لعلاقة عبان رمضان² بعبد الحميد مهري اتصل به من أجل الالتحاق بالثورة، وقد وافق مهري على مبدأ الانخراط الفردي الذي سطرته الثورة والتحق بالقاهرة ثم بسوريا³. وفي هذه المداخلة نحاول التعريف بالنشاط الدبلوماسي لمهري في سوريا من خلال إبراز ظروف اختيار عبد الحميد مهري للتمثيل الدبلوماسي بسوريا والإشادة بجهود عبد الحميد مهري في تمثيل الثورة في سوريا.

1- ينظر: عمار بن تومي: الدفاع عن الوطنيين، ترجمة مراد وزناجي، منشورات م، و، ح، و، ت، 1954/11/1، الجزائر 2010، ص 113-115

2- عبان رمضان (1920 - 1985) أحد مهندسي الثورة الجزائرية ولد قرب الأربعاء ناث إيراثن من عائلة فقيرة أرسلته للدراسة إلى مدرسة البلدية حيث حصل سنة 1941 على شهادة البكالوريا، انخرط في الحزب سنة 1943 ليتفرغ للعمل السياسي، التحق بالجيش الفرنسي برتبة ضابط وبعد العرب عين كاتباً ببلدية الرمان المختلطة القي عليه القبض في قضية المنظمة الخاصة وحكم عليه بالسجن لمدة ستة سنوات مع الحرمان من الحقوق السياسية وغرامة مالية بعد خروجه من السجن انظم إلى الثورة وتمت تصفيته سنة 1957م، ينظر معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و 20، مجموعة من الأساتذة، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة سنة 2004، ص 213-214.

3- عبد الله مقلاتي: عبد الحميد مهري حكيم الثورة الجزائرية، دار العلوم للمعرفة، 2013، ص 54

ظروف اختيار عبد الحميد مهري للتمثيل الدبلوماسي بسوريا والتعريف بالقضية الجزائرية:

1- اندلاع الثورة الجزائرية وأبعادها القومية:

اندلعت الثورة الجزائرية في فاتح نوفمبر 1954 وفق التنظيم الذي خطط له القادة الستة مفجرو الثورة، موضحين في بيانها الأول أبعادها وأهدافها، وقد حمل البيان روح الثورة في خطوط عريضة لبرنامج سياسي وإيديولوجي واضح المعالم، أساسه إقامة دولة جزائرية ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية، وهذا عنوان كبير يحتوي في مضمونه على خصائص ومبادئ متميزة حول النظرة المستقبلية للدولة الجزائرية بعد تجسيد الهدف الأول وهو تحقيق الاستقلال الوطني واسترجاع السيادة الوطنية¹.

لقد امتاز البيان بخصائص عبر عنها في فقرات واضحة، وبلغه تؤكد إدراك آفاق العمل السياسي وإدراكه أن عملية التحرير مهمة شعب كامل²، وقد فتح بيان أول نوفمبر إستراتيجية العمل ودعا الجزائريين ليباركوا الوثيقة³، كما أكدت الثورة في بيانها اعتمادها على الإسلام⁴، وقد تأكد ذلك من خلال خطابات القادة وكتابات زعماءها ومراسلاتهم⁵، حيث ارتكزت الثورة في بيانها على الإسلام دين الشعب ومرجعيته، ومن خلال تتبعنا لأرشيف الثورة الجزائرية بمركز أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس وجدنا أن ج ت وأعطت الأولوية للإسلام من

1- زيدان ربيعة المحامي: جبهة التحرير الوطني وجذور الأزمة، دار الهدى الجزائر 2009، ص 95
- بيان أول نوفمبر 1945، ملفات وثائقية رقم 24، نصوص أساسية لـ ح ت و (1954-1962) وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976 ص 72.

3- محمد لحسن زغيدي: مؤتمر الصومام، وتطور ثورة التحرير الوطني 1956 - 1962 م وك، الجزائر، 1989 ص 68.

4 - c.a.d. Le FLN et L'Islam, NaTICE d'information, Paris BN°27 P1-35

- Ibid5.

خلال بيانها أو سياستها في القيادة أو في الإعلام أو في تصريحات القادة أو في مراسلاتهم أو في تنظيم الحياة الاجتماعية، وأكدت ذلك عبر الإذاعات العربية في القاهرة أو بغداد وتطورت بعد ذلك¹ مؤكدة كلها على إسلام الثورة الجزائرية وعلى الإرث الكبير للحضارة العربية الإسلامية، ومعلنة أن فرنسا غزت الجزائر لتتصير أهلها²، كما اهتمت الثورة وأعلنت ذلك بتنظيم الحياة اليومية كالزواج وغيره وفق الشريعة الإسلامية، وتقربت من الطرق الصوفية إيماناً منها بوزنهم الحقيقي في توسيع مجال الثورة³.

2- ظروف سوريا وموقفها من الثورة الجزائرية:

أكدت ج ت ووحدة النضال الجزائري وربطته بالنضال العربي الإسلامي⁴، حيث برز إحساس متنامي وشعور بالقومية العربية بين الأفراد والهيئات والشعوب، ونمت حركة التضامن العربي بفعل ما افرضه الواقع العربي آنذاك، فنكسة العرب عام 1948م وهزيمة الجيوش العربية وبروز التيار الناصري الوحدوي الذي تزعمه جمال عبد الناصر بعد ثورة 23 جويلية 1952م في مصر، كلها عوامل مؤثرة، فالفكسة قد ولدت شعوراً لدى الأمة العربية بالهزيمة وثورة 23 جويلية كانت محفزاً ودافعاً لتأطير الشعور العربي نحو الوحدة والانتصار⁵.

وقد وجدت هذه الأفكار والتوجهات بعدها في الثورة الجزائرية التي كانت كذلك رد فعل عربي جماهيري على الاستعمار، لذلك كان اندلاع الثورة الجزائرية

1 - Ibid - P03.

2 - Ibid - p07.

3-Ibid - p16.

4- دبش إسماعيل: السياسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2000م، ص80.

5- صالح لميش: الدعم السوري لثورة التحرير الجزائرية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر 2010م، ص168.

بمثابة عامل تحدي قوى ضد مخططات الدول الاستعمارية وشعورا صادقا لأمال وطموحات الشعوب العربية، فكان من الطبيعي أن تقف الدول العربية إلى جانب هذه الثورة وتؤيدها¹، كما لاقت عوامل أخرى زكت ذلك الشعور العربي القومي، وهي الأحداث التي عاشتها الثورة الجزائرية وشعبها في سنتها الأولى والثانية. لقد كانت هجومات المجاهدين شاملة، وقابلتها فرنسا بوحشية مستعملة كل أنواع الأسلحة ومستعينة بتدخل الحلف الأطلسي الكاسح، وكان شعب سوريا وأحزابها وأعلامها وقيادتها تتابع ذلك كما تابعتها الجالية الجزائرية والطلبة بألم شديد وحماس فياض، حيث تابعوا التطورات التي عرفتها الثورة الجزائرية بكل تفاعل.

لقد كانت سنة 1956م مليئة بالأحداث والتطورات في الجزائر كلجوء غي مولي guy mollet إلى فتح المفاوضات مع الثوار الجزائريين بشروطه الثلاث، وهي وضع حد للقتال والانتخابات والمفاوضات على الاستقلال الداخلي الذاتي ولكن غير شامل وقوبل عرضه بالرفض، كما استقبل بمظاهرات منوئة من قبل الفرنسيين في الجزائر ورموه بالحجارة والطماطم في فبراير 1956م، كما شهدت نفس السنة انعقاد مؤتمر الصومام 1956م، كما شهدت نفس الفترة لقاء القبض على قادة الثورة، (بن بلة، ايت أحمد وخيضر وبوضياف وزج بهم في السجن)، وأثبتت الثورة الجزائرية باستمرارها أنها ثورة شعبية يقودها الشعب².

وقد تميزت هذه الفترة بكل الأحداث التي زادت في الوعي العربي خصوصا بعد تأميم قناة السويس وهجوم كل من التحالف الفرنسي الإنجليزي والإسرائيلي

1- نفسه، ص168.

2- منور صم: مذكرات منور صم- المركز و، د، ب، ج ن و ثورة 11/1/ 1954 مطبوعة بوعروج- وزارة المجاهدين، د ت، ص153.

على مصر، بغرض تحطيم الثورة المصرية وضربة استباقية للجيش المصري للكف عن تدخلاته في القضية الفلسطينية والتوقف عن تمويل الثورة الجزائرية¹ كل ذلك الزخم الذي عاشته الدول العربية والثورة الجزائرية تجعلنا نعرف ببداية موقف سوريا من الثورة، وهي المحطة التي تولي فيها مترجمنا الدور الدبلوماسي بعد خروجه من السجن ليلتحق بسوريا وينهض رفقة أحمد الغسيري² بنشاط فاعل.

لقد عمدت فرنسا منذ احتلالها للجزائر إلى السعي لقطع الصلة بين الجزائر والوطن العربي الإسلامي كجزء من سياستها الاستعمارية الهادفة إلى قطع الجذور الحضارية لهذا القطر، والاحتفاظ به والقضاء على مقوماته الشعبية والدينية والفكرية والحضارية والتاريخية غير أن سياستها أدت إلى نتائج عكسية، ذلك أن الشعب كان يدرك حقيقة انتمائه وانتسابه إلى الوطن العربي الإسلامي³، ورغم الحواجز التي وضعها الاستعمار الفرنسي إلا أن الجزائريين استطاعوا أن

1- نفسه: ص154.

2- انه محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري، ولد في قرية عسيرة قرب أريس بالأوراس الاسم ينتمي إلى أسرة متواضعة وقد امتاز منذ صغره بالذكاء، واصل تعليمه في زوايا المنطقة ثم رحل ولازم عبد الحميد بن باديس وأخذ عنه العلم وقد كلفة وفوضه لينوب عنه لإلقاء دروسه في مسجد سيدي بومعزة بقسنطينة وبعد أربع سنوات تخرج وأرسله شيخه لما أدرك كفاءته العلمية إلى بائنة لفتح مدرسة بها سنة 1937م إلى 1943م نولى إدارة مدارس ج ع م س 1943م- 1955م إلى أن تولى مهمة التفتيش العام كما كان له نشاطا كشفيا كبيرا، شارك في الحياة السياسية وتعرض إثر أحداث 8 ماي الثورة إلى السجن وعرف المعتقلات في الجنوب والإقامة الجبرية، وبعد اعتقال ضابط الشرطة بقسنطينة سنة 1956م أصبح مطلوبا فالتحق بفرنسا ثم سويسرا فالقاهرة ابن أسندت له ج ت و مهمة تمثيلها في دمشق 1956م، وبعد الاستقلال عين سفيرا في عدة دول غربية حتى توفي في 1974/07/24م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: معجم مشاهير المغاربة منشورات جامعة الجزائر، 1955م، ص413.

3- سهيل الخالدي: الجزائر وبلاد الشام، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013، ص189.

يجعلوا لنضالهم مكانا بارزا بين القضايا العربية في المشرق العربي وبالأخص سوريا¹، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل:

. إن الارتباط بن الشعبين السوري والجزائري ليس ناتجا عن الإحساس بالانتماء القومي فحسب، بل كان ناتجا عن تواجد الجالية الجزائرية في سوريا، والتي بدأت هجرتها مع الغزو الفرنسي للجزائر وامتزجت بالشعب السوري ولعبت دورا كبيرا بجانب السوريين سياسيا وحضاريا من أجل التعبئة لنصرة القضية الجزائرية، وكان لهذا كله الأثر الإيجابي في إبراز النضال الجزائري وربطه بالنضال العربي الإسلامي².

. خصوصية سوريا من موقع جغرافي ومؤثرات حضارية ومادية وبشرية ورصيد تاريخي وثقافي، فرضت عليها تحديد مجال انطلاق عملها الخارجي تجاه أي عمل عربي، ولذلك وفور اندلاع الثورة الجزائرية سارعت سوريا لوضع هذه العوامل في منزلتها القومية الصحيحة، وقادت نضالا رسميا وشعبيا واسعا في مختلف المجالات وبكل الأساليب.

فمنذ الأيام الأولى للثورة عملت سوريا على متابعة ما يجري في الجزائر ومباركتها وقد تجلّى ذلك في تصريحات المسؤولين السوريين والسعي لكسب التأييد لهذه الثورة كمسارعة سوريا للاتصال بالأمين العام لجامعة الدول العربية " عبد الخالق حسونة " داعيا إياه إلى دعوة الدول العربية لعقد اجتماع عاجل للنظر في أحداث الجزائر والموافقة على خطة عربية موحدة لمواجهة ما تعانيه الجزائر وشعبها³.

1- صالح لميش: المرجع السابق ص 167.

2- دبش إسماعيل: المرجع السابق ص 80.

3- جريدة المنار: الأربعاء 4 مارس 1956 ع 1254، ص 7، ص 1.

نفس المواقف اتخذتها الصحافة السورية التي اعتمدت أسلوب المواجهة¹، ولم تكثف سوريا بذلك بل اتخذت عقوبات اقتصادية ضد فرنسا، ونفس المواقف الجريئة اتخذها البرلمان السوري والأحزاب وكل تلك المواقف حركت منابر الدبلوماسية ودهاليز السياسة وأتعبت فرنسا وحلفاءها كثيرا، وأسمعت صوت الثورة وعرفت بقضيتها².

3- أسباب اختيار عبد الحميد مهري لتمثيل ج ت ودبلوماسية في سوريا: لقد أشرت في سابق الحديث أن عبان رمضان اتصل بعبد الحميد مهري وهذا الأخير يكون قد اطلع على التطورات التي شهدتها الثورة عندما كان في السجن وفي رواية مهري فإن ابن بلة شخصا ونظرا للمعطيات السابقة ولدرايته بقدرات مهري اللغوية وماضيه السياسي وخبرته الدبلوماسية في تونس، قد طلب مهري ودماغ العتروس صراحة لدعم نشاط الوفد الخارجي في القاهرة وبذلك تم تهريب مهري لتلك المهمة كما رواها بيار شولي وأخبر خيضر عبان بوصول مهري إلى القاهرة - بداية أكتوبر 1955 كما أخبره أيضا بانهم كلفوه لتمثيل الثورة في سوريا كما أخبره بأنهم استبقوه في القاهرة لمساعدة الوفد الخارجي أولا وللتدرب على المهام الكبيرة التي تنتظره في سوريا، كما أخبره أنه لن يسرح حتى يأتي دماغ العتروس وأن مهري يمر بمرحلة ترويض ضرورية قبل الاستقرار في سوريا³، ونظرا للمعطيات السابقة التاريخية والبشرية والقومية والجيوسراتيجية والمواقف السورية والأبعاد الحضارية تم فتح مكتب ج ت و بدمشق وتم اختيار عبد الحميد مهري لتمثيل الثورة دبلوماسيا فلقد أدركت قيادة ج ت وما لمهري

1- جريدة المنار: الثلاثاء 30 أوت 1955، ع 1076، ص 6، ص 1.

2- حسب علمي أن هناك من توسيع في الدعم السوري للقضية الجزائرية مثلما توسع فيه الباحث صالح لميش في أطروحته الموسومة سوريا والثورة الجزائرية 1954 - 1962 تحت إشراف الدكتور بوعلام قاسمي سنة 2004 - 2005 - قسم التاريخ جامعة الجزائر.

3- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 53.

من حس قومي تجاه سوريا. كما أدركت تجربته النضالية في تونس مع الجالية الجزائرية والطلبة وبالتالي فالنجاح بفضلها سيكون حليف ج ت وإذا وظف تجربته، هذا فضلا على إتقانه لتحريك دواليب السياسيين بلسان عربي سليم ووطنية صادقة وتخفي هادف واعتدال مع كل الأطراف، ناهيك على أن العمل الدبلوماسي يعني ببساطة توظيف السياسة لمصلحة البلد وعلى هذا الأساس تم اختيار عبد الحميد مهري لتمثيل ج ت وفي سوريا في ذلك الظرف العصيب للتعريف بالقضية الجزائرية. ويقوم بالعمل الدبلوماسي لتكون آثاره على العلاقات بين البلدين وإدارة الشؤون السياسية والعسكرية ودعم الثورة وتمثيلها وكسب الطلبة والجالية الجزائرية بسوريا وحسن توظيف كل تلك الطاقات لخدمة القضية الجزائرية والتعريف بها. وعبد الحميد مهري وما عرف عنه من تكوين وطني وكفاءات سياسية وتجربته النضالية في صفوف الجالية والطلبة والسياسيين بتونس فضلا عن تفكيره القومي كان الرجل المناسب لتلك المرحلة وكذلك الإطار المكاني بالذات¹.

1. جهود عبد الحميد مهري للتعريف بالقضية الجزائرية

وللتعريف بالقضية الجزائرية بسوريا والمشرق وكسب الدعم العربي المادي والمعنوي للثورة وإنجاحها عمل على الارتكاز وفق تجربته في تونس على عدة أسس أهمها على الإطلاق:

- 1- النشاط الدبلوماسي.
- 2- النشاط السياسي والعسكري.
- 3- النشاط مع الطلبة.
- 4- النشاط مع الجالية الجزائرية.

1- عبد الله مقلاتي: المرجع نفسه.

1- نشاط عبد الحميد مهري الدبلوماسي بسوريا

أعتمد الوفد الخارجي على مكاتب ج ت وفي عواصم الدول الصديقة والشقيقة لإدارة الشؤون السياسية والعسكرية في الخارج وقد كلف مهري بإدارة مكتب ج ت و في دمشق وهو من المكاتب الإستراتيجية للتعريف بالثورة ودعمها وقد كان دوره يتمثل بالدرجة الأولى بالتعريف بالقضية الجزائرية وتمثيل الثورة والإشراف على الجالية الجزائرية وشؤون الثورة عامة مع المهام الخاصة بتسهيل مهمة تحصيل السلاح ونقله بالتنسيق مع ابن بلة فضلا عن المهام الدبلوماسية التي تعتبر من أولويات عمله¹، ولما جاء عبد الحميد مهري إلى دمشق لفتح مكتب ج ت والذي يعتبر الانطلاقة الحقيقية للعمل الدبلوماسي استعان بالطلبة الجزائريين المتواجدين بدمشق واللاذقية²، ومع فتح مكتب ج ت ب و بدمشق أصبح هذا المكتب يعج بالزائرين وطالبي الأخبار عن الثورة الجزائرية، لأنها فاجأت العرب كلهم والعالم بأسره نظرا للتكتم الإعلامي الفرنسي عن نقل حقائق ووقائع الثورة وبدأ الشعب السوري يتفاعل خيرا بمستقبل الأمة الجزائرية وأصبح هذا المكتب مزارا للصحفيين والمفكرين والسياسيين وكان عبد الحميد مهري يستقبلهم رفقة الطلاب الذين كانوا ينشطون بالمكتب للطباعة أو الترجمة وكتابة المقالات لشرح أبعاد الثورة وبدأ بذلك الرأي السوري يتعرف عن كثب عما يجري في الجزائر. ولئن كان الشعب السوري في البداية يساند الثورة عاطفيا ووجدانيا فبعد مجيء عبد الحميد مهري ومشاركة الطلاب وفتح المكتب أصبح للموقف بعدا آخر أكثر فعالية³.

1- ينظر عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 57.

2- ينظر: منور صم: مصدر سابق: ص 175.

3- نفسه: ص 176، 177.

لقد ربط عبد الحميد مهري علاقات وطيدة مع المسؤولين السوريين منهم رئيس الجمهورية شكري القوتلي ونائبه أكرم الحوراني ومدير الاستخبارات عبد الحميد السراج كما اجتهد في كسب رؤساء الأحزاب السورية والمتقنين السوريين وجماعة الإخوان المسلمين رابطا علاقاته بزعيمها يوسف السباعي الذي اقترح عليه تأسيس مجلة الحضارة العربية فلبى رغبته وخصص العدد الأول للحديث عن القضية الجزائرية وكان بذلك رجل سياسة ودبلوماسية بكل جدارة واستحقاق.¹

كما لعب دورا كبيرا في ترشيد مكتب المغرب العربي بسوريا الذي كان يرأسه يوسف الرويسي. وبذل جهدا كبيرا لدعم القضية الجزائرية والتعريف بها في الأوساط السورية خاصة لدى رابطة طلاب المغرب العربي، بحيث كان مهري يحضر اجتماعاتها واحتفالاتها بجامعة دمشق المخصص للقضية الجزائرية أين كان يخطب أساتذة مثل محمد المبارك والطالب في الحقوق محمد مهري.² وأمام تلك الجدية والدبلوماسية من عبد الحميد مهري وأخيه الشيخ الغسيري أصبح المئات بل الآلاف من المواطنين السوريين يؤمّون مكتب ج ت و للتعرف على أكثر معلومات عن الثورة وعن المجاهدين وعن الأحداث الجارية في الجزائر خاصة الطلاب والأساتذة والصحافيين والمفكرين عموما.³

كما عمل عبد الحميد مهري على تدويل القضية الجزائرية فمن خلال حضوره المؤتمرات العربية كالمؤتمر الخاص بالعدوان الثلاثي على مصر، كما كان يوجه خطاباته إلى الدول العربية وكلها تدعو إلى تدويل القضية الجزائرية وتدعيمها كما وجه مذكرة إلى جامعة الدول العربية التي يشرح من خلالها الوضع

1- أنظر: شهادة رابح مشحود (تأبينية مهري، مجلة البلاد 2 جانفي 2013)

2- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 58.

3-منور الصم: المصدر السابق ص 151.

الداخلي للجزائر وحث من خلالها في 22 مارس 1956 الدول العربية على دعمها¹.

ودائما في إطار دوره الدبلوماسي لفك الحصار عن الجزائر والتعريف بالقضية الجزائرية كلفه محمد الأمين دباغين في رسالة مؤرخة في 4 جويلية 1956 بالتحضير لتمثيل الجزائر في المؤتمر العالمي بطوكيو ضد قنابل "A" و "H" خلال الفترة بين 15 و 20 أوت 1956²، وبفضل كل تلك الأعمال الدبلوماسية استطاع عبد الحميد مهري أن يكسب المزيد من التأييد والدعم العربيين والضغط على المنظمات الدولية لتتخذ إجراءات حاسمة ضد فرنسا.

2- نشاط عبد الحميد مهري السياسي والعسكري:

تزامنا مع عمله الدبلوماسي كان عبد الحميد مهري يستقبل وفودا من الوفد الخارجي في بعض المناسبات كالزيارة التي قادت أحمد توفيق المدني إلى مكتب ج ت و رفقة محمد الأمين دباغين وسجل اندهاشه من نشاط المكتب³، فضلا عن ذلك فقد كان يستقبل في مكتبه بدمشق وبصفة دورية الإخوة المسؤولين عن ج ت و مثل استقباله لعبان رمضان وإبراهيم مزهودي وكريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف وأحمد فرانسيس والعقيد أوعمران وعمارة بوقلار وعدد من السياسيين مثل عبد الرحمان كبوات والأخضر الإبراهيمي وعبد المالك بن حبيلس وكلهم يأتون إلى دمشق لأنها كانت قريبة من بيروت وبوصوف كثير النشاط في هذا الميدان⁴.

1- احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج 3، ط1، م وك، الجزائر 1982، ص 207.

2- Abderrahmane Kiouane: les debuts d'une diplomatie de Guerre 1956-1962 journal d'un delègué à 'exterreured ,dahlab p 41 .

3- أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 207.

4- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 59.

ولأداء مهامه العسكرية، استطاع مهري أن يفعل دور الطلبة بحيث لم يتوقف دورهم على التوعية أو الإعلام بل ساعدوه في الدور العسكري كثيرا ويروي الطالب منور صم¹ الذي كان طالبا في اللاذقية آنذاك أنه استقبل عددا من مسؤولي جيش التحرير الوطني سرّيا للبحث عن خطط وأماكن سرّية لتخزين سلاح للمجاهدين والثوار عن طريق الصفقات التي تبرمها الشركات الدولية مع ضباط جيش التحرير الوطني في المشرق العربي بالإضافة إلى الكميات الخفيفة التي كانت تتبرع بها الحكومات العربية في المشرق فيتم تخزينها هناك ثم تنقل سرّيا عبر الحدود التونسية الجزائرية أو المغربية الجزائرية عبر مصر وليبيا كل هذا قبل العدوان الثلاثي على مصر أما بعد ذلك فقد بدأ جيش التحرير والجهة في التفكير في مصادر أسلحة أخرى وأماكن أخرى للتخزين².

ونفس المتحدث الطالب منور صم مثلا كان مكلفا في اللاذقية بمهام خاصة بالسلاح في منطقة الشام وجاء القرار حول تخزين السلاح وكان شمال سوريا هو المكان الذي اختاره مسئولو جيش وجهة التحرير كقاعدة لاستقبال

1- هو منور صم ابن عبد القادر الذي عاصر ثورة بني شقران وهاجر بعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الأولى إلى تركيا ثم إلى بلاد الشام وهناك بدأ يلمس الفكر السياسي والوعي الوطني ، وقد ولد الابن منور بالمحمدية سنة 1935 درس في مدينة معسكر الفرنسية صباحا وفي مدرسة جمعية العلماء المسلمين مساء وكان عمره آنذاك 10 سنوات ،ساعد والده في الفلاحة وتأثر بالأمير عبد القادر والعلامة عبد الحميد بن باديس حيث أكمل دراسته وفي سنة 1952 غادر الثانوية والتحق بمعهد عبد الحميد بن باديس حيث أكمل دراسته ،سفره الأستاذ رضا حوحو إلى تونس ثم إلى القاهرة أين وجهه الشيخ البشير الإبراهيمي للدراسة باللاذقية ومن هناك انخرط في طلب العلم والعمل النضالي والسياسي وقد عرف بذكائه وطموحه ووطنيته أشهر مؤلفاته مذكرات المجاهد منور صم للمزيد ينظر مؤلفه - مذكرات المجاهد منور الصم منشورات م و ح و ت ث 54/11/1 - الجزائر من ص 13 إلى ص 128.

2- منور صم: المصدر السابق ص 155.

الأسلحة الأوربية ثم وقع اختيارهم على ليبيا والمغرب وعلى مناطق اعتبروها عملية لأنها قريبة من الجزائر مع بقاء مخازن شمال سوريا للسلاح¹.

لقد تولى بعض الطلبة مساعدة مندوب ج ت و مباشرة في دمشق فأصبحوا يتعاملون ببسر مع الأجانب الذين يبيعون ويبعثون لنا السلاح هذا فضلا عن تعاملهم من الصحافيين الأوربيين الذين كانوا دائما يبحثون عن مستجدات الثورة والثوار²، إضافة إلى اجتماع الطلبة بإخوانهم القادمين من العراق وباقي الدول الشقيقة كانوا يجتمعون بالطلبة العسكريين الذين أوفدتهم الجبهة للتكوين أو التدريب في الكليات العسكرية ومنهم من يستأنف طريقه نحو العراق، حيث كان يصطحبهم الأخ نوار بتوجيه من عبد الحفيظ بوصوف³، وبذلك لم يتم التعرف على القضية الجزائرية فحسب بل زاد الدعم لها ماديا ومعنويا.

3- دور عبد الحميد مهري في النشاط الطلابي بسوريا:

مع اندلاع الثورة التحريرية رحب الطلاب الجزائريون المتواجدون بسوريا باندلاع الثورة وهللوا لها وكانوا يريدون الانضمام إليها إلى جانب إخوانهم بصفوف جيش التحرير غير أن المسافة التي كانت تبعدهم عن وطنهم وعدم وجود اتصال مباشر بقيادة جيش التحرير في تلك الفترة حالت دون مشاريعهم الثورية، ولكن مع فتح مكتب ج ت و، فتح عبد الحميد مهري عهدا جديدا وأفاقا جديدة للطلبة لخدمة الثورة بعدما ربطهم ب ج ت و واستفاد من تجربته بتونس بين 1947-1952 فأصبح للطلبة دورا عسكريا كما سبق أن أشرت ودورا توعويا ودورا إعلاميا فعلى صعيد الطلبة كان لعبد الحميد دورا كبيرا في إدارتهم وتوجيههم وربطهم ب ج ت و بتنفيذ تعليمات الوفد الخارجي وتعميم الإضراب

1- نفسه: ص 155.

2- نفسه: ص 157.

3- نفسه: ص 158.

الطلابي في الجامعات العربية وكل ذلك بفضل تجربته في تونس حيث كانت له اتصالات مع ممثل الطلبة في سوريا ولبنان ومع التنظيمات الطلابية السورية واللبنانية¹.

لقد أصبح الطلبة على اتصال دائم بـ ج ت وعن طريق مكتبها الكائن في دمشق الذي كان يترأسه عبد الحميد مهري والذي كان يزودهم بالمنشورات والمعلومات التي تساعدهم على تعبئة الجماهير السورية والعربية. أو أخذ وثائق أو معلومات أو رسائل شفوية لتنتقل إلى القادة المناضلين بالأقاليم الأخرى كاللاذقية²، ونشأ نشاط طلابي في جامعة دمشق، يؤمه الشباب السوري من مختلف الأحزاب السياسية ساندوا الطلبة الجزائريين ووقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية وبشعاراتهم زكوا الثورة والثوار، حتى إنهم عندما سمعوا نبأ تصدير القمح السوري إلى فرنسا، وقفوا أمام وزارة التجارة منددين غاضبين مطالبين الحكومة السورية بتوقيف كل علاقاتها مع فرنسا³.

مع فتح مكتب ج ت وتوليّه عبد الحميد مهري ثم الشيخ الغسيري أصبح نشاط ج ت وفي سوريا نابضا بالنشاط والحيوية، ففي معرض دمشق الدولي وفي الجناح المخصص للجزائر بعلمها وسيادتها كوسيلة للتعريف بالقضية الجزائرية واعتراف الدول المشاركة بها القائمون على رأس جناح الجزائر يقومون بالتعريف بالجزائر وتاريخها وعلمائها وثوارها ومجاهديها وبالمعارك الكبرى التي كان تهندس لها ويقودها المجاهدون⁴.

1- عبد الله مقلاتي: عبد الحميد مهري، المرجع السابق، ص 57.

2- منور صم: المرجع السابق، ص 150.

3- نفسه: ص 160.

4- منور صم: المرجع السابق، ص 159.

وفي أسبوع الجزائر الذي كانت تنظمه الحكومة السورية في كل المدن والقرى السورية للتعريف بالقضية الجزائرية كان يضم صورا بطولية أضاف إلى ما يتخلله من التظاهرات العامة والتجمعات للتعبئة وبحضور الكشافة السورية التي تجمع التبرعات من المدارس والثانويات والأماكن العامة لمساعدة الشعب الجزائري في ثورته¹.

أصبح الطلبة الجزائريون يشاركون في كل التظاهرات التي تنظمها الأحزاب السورية والمجتمع السوري، كما ساهموا في كتابة المقالات في الصحف السورية، والتحسيس بالقضية الجزائرية وإنشاء المنظمات والنادي الطلابية².

كما كانت نتيجة ربط عبد الحميد مهري الطلبة بالجبهة حتى أصبحوا يقومون بحملات تحسيسية ويقدمون الخطب وكان الطلبة السوريون يؤيدونها ويناصرون القضية الجزائرية بل وصل الأمر ببعض منهم أن طلبوا الالتحاق بالثورة التحريرية في الميدان³، كما لم يكتفي عبد الحميد مهري بتوجيه الطلبة نحو الجوانب التنظيمية بل وجههم إلى الدور الإعلامي الذي لا بد أن يلعبوه لفك الحصار عن الثورة الجزائرية إعلاميا، حيث أصبح الطلبة يشاركون في عدة جرائد بمقالاتهم وطرح الطلاب القضية الجزائرية أمام الأحزاب السورية بعيدا عن كل حساسية وعن كل حزبية وإنما طرحوا القضية الجزائرية وعبروا بكل أمانة وصدق عن الثورة الجزائرية بعدها الإنساني والحضاري والفكري والاجتماعي لتحرير الإنسان وتقدمه، وإضافة إلى ذلك كان للطلبة نشاط بالتنسيق مع قيادة

1- نفسه: ص 159.

2- عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 57.

3- منور صم: المرجع نفسه: ص 129.

الجهة للاهتمام بالإذاعة التي كانت من إذاعة دمشق بالاتفاق بين الحكومة السورية و ج ت و¹.

4- نشاط عبد الحميد مهري في تأطير الجالية الجزائرية.

للجالية الجزائرية تواجد كبير بسوريا منذ الغزو الفرنسي للجزائر، ولم يشعر الجزائريون في يوم من الأيام بالغربة في هذه الديار بل امتزجوا بالشعب السوري وكان لهم دورا حضاريا كبيرا والكثير منهم كان تولى مناصب حساسة أثناء اندلاع الثورة الجزائرية كما أنهم لم ينسوا في يوم من الأيام جذورهم ومواطن أجدادهم ولم يقطعوا صلتهم بالوطن الأم وظلوا يتابعون أخباره بكل شغف دائم وألم.

فما إن اندلعت الثورة الجزائرية حتى كان الجزائريون بسوريا جاهزين للقيام بالواجب، ولو أخذنا على سبيل المثال تصريحات الأمير سعيد الجزائري لبعض الصحف أنه كان على ارتباط ببعض رجال الثورة²، حيث أنه حسب هذه التصريحات أبرق إلى الرئيس الجمهورية الفرنسية وهذا ما وجدناه في جريدة الأيام الدمشقية وطالبة باستقلال الجزائر³، وقد جمع وفد من الجزائريين في دمشق خلال شهر فيفري 1955 وقرروا تأسيس جمعية دار الجزائر، وكان أبرز أعضائها ممدوح المبارك رئيسا لها ومحمد المبارك⁴، وعدنان المبارك، وعبد

1- نفسه: ص 179.

2- سهيل الخالدي: الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 196.

3- جريدة الأيام الدمشقية: الأمير سعيد الجزائري - فراسة مؤمن بتاريخ 05 نوفمبر 1954.

4- العلامة محمد مبارك: ينحدر من أرومة جزائرية أصيلة، فجدّه الشيخ المبارك أصيل دلس هاجر إلى الشام ككل الجزائريين الذين فروا بدينهم من الاضطهاد الفرنسي، وقد هاجر صحبة جده لأمه مقدم الطريقة الرحمانية الشيخ المهدي السكلاوي. أما الابن الدكتور محمد المبارك فقد ولد بدمشق سنة 1912 وتعلم فيها ومنها نال شهادة الليسانس. تأثر في دراسته بالأمير شكيب أرسلان ومؤلفاته وما كان ينشره في الدعوة والوحدة الإسلامية والتحرر من الاستعمار، التحق بالسوريون أين احتك بالأمير شكيب أرسلان. وبوجوده في باريس احتك =

العزیز الجزائري، والأمير حيدر الجزائري، وعبد السلام حبيب، هاني المبارك، عبد الرزاق فرحات، عبد الله فرحات وسهيل الفضيل. لقد تأسست جمعية دار الجزائر ورغم نشر بيانها الذي تضمن أسباب وأهداف هذه المؤسسة لتكون مبعث قومي واجتماعي وثقافي وإسماح أبناء المشرق صوت أبناء المغرب وما يتوجب عليهم تجاه القضية الجزائرية¹، إلا أنها تمكنت بمجيء عبد الحميد مهري من أن تلعب دورا سياسيا وكان لها قدرة كبيرة على تحريك الشارع السوري ودورا عسكريا تمثل في إفشال عدة مؤامرات استخباراتية فرنسية ضد لثورة الجزائرية²، كما تعاونت من ضباط الجيش السوري ومنهم ضباط من أصول جزائرية مثل عبد الرحمن بن أحمد خليفاي الذي سيصبح رئيسا لوزراء سوريا فيما بعد، كما تمكنت من إيصال الأسلحة السورية والعراقية عبر موانئ سورية وأوربية إلى الجزائر.

وبتعليمات من ممثل لـ ج ت و في سوريا عبد الحميد مهري قامت بدور ما لصالح الثورة الجزائرية حيث عند حاجة الثورة إلى العملة الصعبة اضطرت هذه المؤسسة لاختراق ما اتفقت عليه الدول العربية في بداية الثورة لتتقدم التبرعات إلى مصر التي تسلمها إلى الثورة الجزائرية وقد يؤدي ذلك الخزينة المصرية، فأخذت جمعية دار الجزائر على عاتقها لتحل الموضوع بدون إزعاج وقامت سنة

= كثيرا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان يتردد على نواديهم وتعاون معهم في الدعوة والمحاضرات الداعية إلى التحرر، بعودته إلى سوريا سنة 1938 اشتغل في سلك التعليم ثم التقنيش وتولى التدريس والمناصب السامية في عدة جامعات عربية ونقل عدة وزارات في الحكومة السورية. ظل مرتبطا بوطنه الأم ومع اندلاع الثورة الجزائرية أسس جمعية دار الجزائر ثم دار الجزائر وكان له دورا كبيرا في التعريف بالقضية الجزائرية.

ينظر مولود عويمر: العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق العربي في القرن 20، دار الهدى، 2016، ص 65-71.

1- سهيل الخالدي: المصدر السابق، ص 99

2- أحمد توفيق: المصدر السابق

1956 بتنظيم أسبوع لتسليح الجزائر جمعت فيه من الشعب السوري مباشرة مبلغ مليوني ليرة سورية تسلمها ممثل لـ ج ت ومباشرة بالعملة الصعبة بصك من يد رئيس الجمهورية شكري القوتلي¹.

ولو أخذنا محمد المبارك (عضو البرلمان السوري عدة مرات وعضو جمعية دار الجزائر)، لوجدناه يقوم بدور واسع في التعريف بالثورة الجزائرية، ومن خلال الرسائل الموجهة من عبد الحميد مهري إلى ممدوح المبارك رئيس الجمعية شقيق محمد المبارك، يطلب فيها السعي لعقد جلسة في البرلمان السوري لمقاطعة فرنسا².

وعليه فخلاصة القول إن ج ت وأدركت دور الجالية الجزائرية ودورها في كل مناحي الحياة السورية، وأدرك عبد الحميد مهري وزن الجالية الجزائرية في دعم الثورة والتعريف بقضيتها وانطلاق من دوره وتجربته في تونس، مسك بأقطاب الجالية الجزائرية وعمل على تحريكها وفق إرادته لمصلحة الثورة والتعريف بها فأصبحت من أذرعتها، وعليه فبفعل مهارته وتجربته وصدقه تمكن عبد الحميد مهري من الاعتماد على تلك الأساسيات وربطها بـ ج ت و، وأصبحت من أذرعتها وتم تكسير ذلك الحاجز الفرنسي المضروب على الثورة في المشرق وكانت نتيجة ذلك تلك الانطلاقة الإعلامية والقومية والعسكرية والمالية والدولية التي عرفت الجزائر انطلاقا من سوريا بفضل ما قام به عبد الحميد مهري هناك.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لنشاط مهري في سوريا يتبين لنا أن مهري ينهض بمسؤوليات ثورية كبيرة، وإن كان أقل ظهورا في بعض المناسبات إلا أنه كان

1- نفسه.

2 سهيل الخالدي: المصدر السابق.

محركا للنشاط الدبلوماسي هناك، وذلك بما أوتي من حكمة واعتدال وثقة لدى كل الأطراف السورية والجزائرية المتواجدة بسوريا، وبذلك استطاع تفعيلها لخدمة القضية الجزائرية ونجح بجدارة واقتدار في تحمل المسؤولية الثورية. ويظهر دور مهري الدبلوماسي في التمسك بالعلاقات السياسية وتطويرها، وتوسيع العمل الدبلوماسي في سوريا، وكسب الدعم المادي والتأييد لصالح الثورة الجزائرية.

الدور الدبلوماسي لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

خلال الثورة التحريرية

✍ د/هلالي اسعد

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02

مقدمة:

تتناول هذه الورقة العلمية موضوعا مهما يتعلق بالدور الدبلوماسي لرجال جمعية العلماء خلال الثورة التحريرية، والحقيقة أن الدبلوماسية الجزائرية برزت على الساحة الدولية بشكل لافت نظرا لإصرار قيادة الثورة على التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم الدولي لها، واستطاعت مجابهة الدبلوماسية الفرنسية وحلفائها وذلك راجع إلى عدالة القضية الجزائرية وأهدافها النبيلة. والواقع أن نشاط رجال جمعية العلماء كان واضحا من خلال بيانات مشايخها وتنقلاتهم بين البلدان العربية، وإرسال برقيات إلى زعماء العرب وبرز كل من: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورثياني وأحمد توفيق المدني والشيخ محمد خير الدين وغيرهم، حيث كان دورهم بارزا في تطور الثورة خارجيا وعليه؛ كيف كان نشاط رجال جمعية العلماء؟، وما هي الإضافة التي قدموها لصالح الثورة الجزائرية؟

أولا- الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورثياني مع الثورة منذ انطلاقتهما:

لقد سافر رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق وكان ذلك سنة 1952 ليهيئ شعوبه وحكوماته ودوله لمساعدة الجزائر وقد نجح الإمام في هذه المهمة والدليل هو تجاوز الدول العربية شعوبا وحكومات مع قضية الشعب الجزائري وإعانتته ماديا وعسكريا ودبلوماسيا⁽¹⁾.

(1) الإبراهيمي محمد البشير: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ط1، ج5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان:

وقد سبقه إلى المشرق وبالضبط مصر الشيخ الفضيل الورثيلاني وذلك منذ 1940 وأسس في 1949 مكتب بالقاهرة يحمل اسم " مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " الذي كان ممثلا له وقد قام بعدة اتصالات مع كثير من الدول العربية الشقيقة كخدمة الطلبة ⁽²⁾. كما طالب بغلق المدارس الفرنسية في مصر وسوريا ونادى بمقاطعة المنتجات الفرنسية ⁽¹⁾، وبعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 كان كل نشاطه لخدمة الثورة الجزائرية، وقد انضم فيما بعد أعضاء آخرون ناضلوا في مختلف البلاد العربية ملتحقين برجال الثورة ⁽²⁾.

لقد كان النشاط الدبلوماسي لجمعية العلماء خارج الجزائر مكثفا وفعالا، والبدائية كانت بالبيانات المتتالية من الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني، فنداء 03 نوفمبر 1954، ثم بيان 15 نوفمبر 1954، يعتبران بحق تأييد مباشرة للثورة والعمل الجهادي ضد الاحتلال الفرنسي وحسب رأينا هو نشاط دبلوماسي في إطار الدعاية الإعلامية، حيث بدأ الترويج للثورة الجزائرية دون تكليف من أي جهة وتلك البيانات فيها دعوة للجهاد ودعوة للشعوب العربية والإسلامية لنصرة القضية الجزائرية خاصة وأن مصر كانت مقرا لجامعة الدول العربية .

كما أنها لعبت دورا فعالا في تشجيع الثورة الجزائرية لأنها كانت تدرك عمق الصلات والروابط بين الشعبين المصري والجزائري لذلك كان عطاؤها سخيا،

(2) الفضيل الورثيلاني: المصدر السابق: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر: 2007 ص 31.

(1) Rapport adressée du Roger wybot, directeur de la surveillance du territoire à monsieur le prefet, directeur des services de l'Algerie et des départements d'outre mer intitulé " activité de la représentation de l'ouléma au caire ", le 14 decembre 1953, CAOM 81 F 767 .

(2) إحسان حقي: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط1، أبريل 1961، ص 233.

ومساندتها فعالة انطلاقاً من مبدأ مناصرة حركات التحرر العربية والإسلامية ومساعدة الشعوب المستعمرة بصفة عامة على التخلص من السيطرة الأجنبية⁽³⁾. وأهم نشاط قام به الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني هو المشاركة رفقة بعض السياسيين الجزائريين في تأسيس جبهة تحرير الجزائر، وكان الاجتماع الأول يوم 12 جانفي 1955 وحضر الاجتماع فتحي الذيب وعبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية وعبد المنعم مصطفى وتم الاتفاق بتأييد من الرئيس جمال عبد الناصر على دعم الكفاح المسلح بشمال إفريقيا وتقرر⁽⁴⁾:

- الاستمرار في بذل الجهد لتكوين اللجنة الممثلة لجبهة التحرير الجزائرية لتضم كافة الأحزاب والهيئات على أن يمارسوا من جانبهم الضغط عن طريق الحد من المعونة المالية والإيمان بضرورة التفاهم لتوحيد الجهود.

- اعتماد مبلغ من المال من اشتراكات الدول الأعضاء وتخصيصه لدعم الكفاح بشمال إفريقيا.

- رفع وصاية الشيخ البشير الإبراهيمي عن الطلبة الجزائريين والتنسيق مع الطرف المصري في مجال الصرف على الطلبة الجزائريين للحد من ضغوط الشيخ البشير الإبراهيمي ومساعدته الفضيل الورثيلاني على الطلبة. وقد كان الاجتماع الثاني يوم 19 جانفي 1955 بمنزل فتحي الذيب وحضره الشيخ البشير الإبراهيمي، أحمد بيبوض ممثل حزب البيان، ومحمد خيضر وأحمد مزغنة وحسين الأحول ممثلو اللجنة المركزية وحضر المقابلة عزت سليمان، وكان الهدف من الاجتماع هو توحيد الهيئات الجزائرية وتشكيل لجنة عامة تمثل جبهة التحرير الوطني، لكن

(3) صالح لميش: مصر وثورة الجزائر 1954-1962، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر: 1988، ص 233.

(4) فتحي الذيب: المصدر السابق، ص ص 73 - 75.

حسب فتحي الذيب النقاش كان حادا لإصرار الشيخ البشير الإبراهيمي على حضور مساعده الفضيل الورثيلاني⁽¹⁾، والشاذلي المكي ممثل مصالي السابق.

وتوالى الاجتماعات لتقريب وجهات النظر إلى غاية 17 فيفري 1955⁽²⁾

حيث تم عقد الاجتماع الموسع مع حضور ممثلي الهيئات والأحزاب الجزائرية⁽³⁾ وتم الاتفاق على توقيع ميثاق جبهة تحرير الجزائر، وتم وضع لائحة داخلية أقرها الجميع مساء يوم 18 فيفري 1955 احتوت على⁽⁴⁾:

- اعتبار الشعب الجزائري على اختلاف أفرادهِ وهيئاتهِ كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية.

- تسمى الهيئة المنطوي تحت لوائها أبناء الجزائر المسؤولون المقيمون في القاهرة "جبهة تحرير الجزائر".

- تعمل الجبهة لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، ومن كل سيطرة أجنبية مستعملة كل الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها.

- الجزائر عربية الجنس مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام والعروبة كانت وعلى الإسلام والعروبة.

(1) ذكر فتحي الذيب أن الشيخ البشير الإبراهيمي هو الذي أصر على حضور الفضيل الورثيلاني لأنه - فتحي الذيب - لا يثق فيه، وربما يعود السبب إلى علاقة الفضيل الورثيلاني بالإخوان المسلمين. انظر: مراد وزناجي: المرجع السابق، ص 85.

(2) فتحي الذيب: المصدر السابق، ص ص 75 - 77.

(3) الممثلون هم: الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني (عن العلماء)، أحمد مزغنة، الشاذلي المكي (عن المصاليين)، أحمد بيبوض (عن حزب البيان) حسين الأحول ومحمد يزيد (عن اللجنة المركزية)، وأحمد بن بلة، محمد خيضر، حسين آيت أحمد (جبهة التحرير الوطني). أنظر: فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 76. أنظر كذلك: عبد الرحمان شيبان: **جمعية العلماء وثورة التحرير المباركة**، مجلة بونة، عدد 2 نوفمبر 2004، ص 95 - ص 96.

(4) الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: **في قلب المعركة 1954 - 1964**، مصدر سابق، ص ص 38 -

- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي ويجب التعاون بين الجميع وتوحيد الكفاح.

- تحية لكل المكافحين في الجزائر سواء من كان حاملا للسلاح أو من كان وراء الميدان وإلى المساجين والمعتقلين السياسيين والترحم على كل الشهداء.

- تهيب جبهة تحرير الجزائر في القاهرة بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي وبأحرار العالم لمناصرة الجزائريين في كفاحهم من أجل الحرية.

وحسب أبو القاسم سعد الله فإنّ الشيخ البشير الإبراهيمي قد لعب دورا أساسيا في تكوين جبهة تحرير الجزائر وفي جمع الأطراف التي كانت مشتتة وقد أصدر مكتب جمعية العلماء بالقاهرة في 21 مارس 1955 بيانا صحفيا بعنوان " بيان جبهة تحرير الجزائر " شرح فيه الأوضاع السياسية والعسكرية في الجزائر موضحا ضرورة الاتحاد لمساندة الشعب الجزائري نظرا للأساليب الوحشية التي ترتكبها القوات الفرنسية في حق الجزائريين، وبالتالي العمل من أجل التحرير والاستقلال وتوسيع الاتحاد إلى كافة الحركات في تونس والمغرب (5).

ويتبين جليا جهود الشيخ البشير الإبراهيمي في توحيد جهود المسؤولين الجزائريين لمساندة الثورة وجيش التحرير الوطني، فهي كما جاء في مبادئها تعمل لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي باستعمال كل الوسائل لتحقيق أهدافها واعتبار الشعب الجزائري على اختلاف أفرادهِ وهيئاتهِ كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية.

والمتمعن في صياغة ميثاق الجبهة يجد أسلوب الإبراهيمي مجسدا في تحرير الميثاق باللغة العربية كما أنّ الميثاق أكد أنّ الجزائر عربية ومسلمة، وهو تأكيد على ما جاء في بيان أول نوفمبر 1954. وحسب أبو القاسم سعد الله فإنّ رأي

الشيخ الإبراهيمي عندئذ لم يكن مجرد رأي سياسي يعبر عن قبول كذا أو رفضه مثل بقية الزعماء سواء تعلق الأمر بممثلي جبهة التحرير الوطني أو بالسلطات المصرية، لكنه كان عبارة عن فتوى تدعو الجزائريين للجهاد ضد السلطة الفرنسية الكافرة⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن أحمد مهساس صرح أن تأسيس جبهة تحرير الجزائر في القاهرة كان الهدف منه خلق جبهة مضادة لجبهة التحرير الوطني وتقديم بدائل لجبهة وجيش التحرير الوطني⁽²⁾ لكن بعض التقارير الفرنسية ذكرت أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد قاد وفدا من جبهة تحرير الجزائر للقاء الأمير فيصل بالقاهرة في 7 أبريل 1955، وقد وعدهم بدعم القضية الجزائرية في مؤتمر الافروآسيوي في باندونغ وأيضا في الأمم المتحدة⁽³⁾.

أما محمد حربي فيرى أن ما حدث بالقاهرة في فيفري 1955 عبارة عن مناورة سياسية من طرف جبهة التحرير الوطني، وأن محاولة الوحدة فشلت مباشرة بعد تصريح بوضياف حين قال: «إن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري» وبعد هذا التصريح تدخل مصالي وأنكر إمضاء مزغنة، ففشلت الجبهة الجديدة⁽⁴⁾. واستمر نشاط الإبراهيمي للتعريف بالقضية الجزائرية يتنقل بين البلدان العربية ليحث مسؤوليها من أصحاب العرش وأولياء العهد وكذا رؤساء الوزراء ووزراء الخارجية على تقديم المساعدات ويدعوهم إلى الضغط على

(1) الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة 1954 - 1964 المصدر السابق، ص 8.

(2) محمد بغالي: "بن بلة والإبراهيمي ومزغنة يوقعون وثيقة جبهة موحدة"، جريدة الخبر، عدد 1426،

يوم 2 نوفمبر 2005، ص 15

(3) Rapport intitulé " les oulamas reformistes au moyen - orient ", 7 avril 1955, CAOM 81 F 767

(4) محمد بغالي: المرجع السابق، ص 15.

فرنسا وكانت جهوده موجهة أيضا إلى رجال الفكر القومي والصحافة وعلماء الدين لأنه يعرف أنهم من ذوي التأثير المعنوي والكلمة المسموعة لدى سلطات بلدانهم (5).

وقد اشترك مع الشيخ البشير الإبراهيمي الشيخ الفضيل الورثيلاني في النشاط الدبلوماسي وذلك في جبهة تحرير الجزائر إلا أن نشاط الشيخ الورثيلاني في مصر لم يدم طويلا رغم أنه بدأه منذ 1940 حيث قام بأعمال جلية وأسس بعض الهيئات والمنظمات السياسية كاللجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي تأسست سنة 1942 وجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا سنة 1944 (1) وغيرها.

لكن نظرا للخطر الذي كان يلاحقه بسبب علاقته مع الإخوان المسلمين بمصر نصحه الشيخ البشير الإبراهيمي بمغادرة مصر والتحق بلبنان وكان قد اتهم في عملية الإطاحة بالأمير اليمني وكانت له علاقات بالجمعية الدينية " شباب محمد " بمصر، وجمعية " عباد الرحمان " بلبنان (2).

والحق أن الشيخ الفضيل الورثيلاني كانت له علاقات مع حركة الإخوان المسلمين فهو يرى أنه لا يهتم بقطر واحد لأن مجاله هو العالم الإسلامي كله (3) وهذا ما سيؤدي إلى الحد من نشاطه بمصر واختار لبنان ليستقر بها وواصل نشاطه في سبيل القضية الجزائرية (4). وتجدر الإشارة إلى أن السلطات المصرية لم تكن ناقمة من شخص الورثيلاني بل من علاقاته مع الإخوان المسلمين التي

(5) آثار الإمام الإبراهيمي، ج5، ص ص 24 - 25.

(1) الفضيل الورثيلاني: المصدر السابق، ص 33.

(2) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، رجع سابق، ص ص 66-68.

(3) محي الدين عيمور: التجربة والجنود: عبد العالي زراقي وآخرون، دار الأمة للطباعة والرحمة والنشر والتوزيع، الجزائر 1993، ص 48.

(4) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 1995، ص 207.

كانت معادية للنظام الحاكم، والدليل هو أنه بعث رفقة الشيخ البشير الإبراهيمي بركيتين إلى الرئيس جمال عبد الناصر والوزير أنور السادات وشكر القائدين العظميين نظرا لوفائهما الدائم لإخوانهم المكافحين في المغرب العربي خاصة دعم الثورة الجزائرية (5).

ولما انتقل إلى لبنان استغل علاقته بجماعة " عباد الرحمان " في بيروت التي كانت تكن له المحبة والصدق والإخلاص، وطلب المساندة والدعم للقضية الجزائرية وكانت مجالسه مع رئيس الجمهورية أو مع الوزراء أو الصحفيين تركز على الحديث عن وطنه الجزائر والمغرب العربي والدعوة إلى نصرتهم (6) .

كما تنقل في 10 جانفي 1957 إلى بلغراد وكان قد جاء من سويسرا بعد أن اتصل مع سفير مصر، والنقى عددا من الشخصيات من وزارة الشؤون الخارجية ليوغسلافيا وشكرهم على موقف بلادهم من القضية الجزائرية (1)، ثم انتقل إلى أنقرة بجواز سفر ليبي استخرج من بنغازي باسم " محمد حسنين " في 18 فيفري 1958 (2).

لقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي يحيي ذكرى الثورة كلما أتحت له الفرصة، كما حدث ذلك في الذكرى الأولى لاندلاع الثورة في أول نوفمبر 1955، وفي

(5) للاطلاع على فحوى البرقيتين. أنظر: محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج5، مصدر سابق، ص ص 49 - 50. وأيضا: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، مصدر سابق، ص ص 35 - 36.

(6) علي مرحوم: "مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورثيلاني"، مجلة الثقافة، العدد 34، الجزائر: أوت - سبتمبر: 1976، ص ص 60 - 63.

(1) Rapport adressée du presidence conseil au ministère de l'intérieur Intitule " déplacement dun oulema algerien", le 24 janvier 1957, CAOM 81 F 767.

Intitulé au ministère de l'interieur Rapport adressée du presidence conseil

" Activites de l'algerien foudil ouartilani, le 1 septembre 1958, CAOM 81 F (2)

الذكرى الرابعة سنة 1958 وفي هذه المناسبة ألقى كلمة ذكر فيها بالثورة وبمسيرتها وبواجب المشاركة تأييد إخوانهم في الجزائر⁽³⁾.

واستغل الشيخ البشير الإبراهيمي ذهاب الوفد العراقي إلى الأمم المتحدة ليذكرهم بواجبهم في الدفاع عن الجزائر، ومحفظا الحكومة العراقية ورجال الفكر القومي والصحافة وعلماء الدين للاستمرار في دعمهم القضية الجزائرية⁽⁴⁾ التي لم تعرض في الأمم المتحدة في دورتها عام 1953 أو 1954 ودخلت جدول أعمالها بعد اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954⁽⁵⁾ وقد لعب " فاضل الجمالي " دورا فعالا في إدراج قضية الجزائر في أعمال الأمم المتحدة رغم محاولات فرنسا لجعل القضية الجزائرية قضية فرنسية داخلية، وكانت في كل مرة تحتج على كل من يحاول التدخل في القضية الجزائرية وفي كل مرة يكون رد فعل الوفد الفرنسي المغادرة⁽⁶⁾.

لقد ركز الشيخ البشير الإبراهيمي كل تفكيره على القضية الجزائرية فأثناء اجتماع وزراء خارجية الدول العربية في مقر الجامعة العربية بالقاهرة في نوفمبر 1954، طالب الدول العربية بنصرة الثورة الجزائرية عن طريق⁽⁷⁾:

- اعتبار قضية المغرب العربي قضية واحدة لها حل واحد.
- حق تقرير مصير الشعب الجزائري تطبيقا لما جاء به ميثاق هيئة الأمم المتحدة وما نصت عليه مبادئ حقوق الإنسان.

(3) العمري مرزوق: " الوطنية في فكر الإبراهيمي "، مجلة المعيار، العدد 6، جوان 2003، ص 186.

(4) محمد فاضل الجمالي: " الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته "، مجلة الثقافة، العدد 87، الجزائر ماي-جوان 1985، ص ص 124 - 125.

(5) مسعود خرنان: العراق والثورة الجزائرية (1954 - 1962)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة بغداد: 1983، ص 99.

(6) محمد فاضل الجمالي: المرجع السابق، ص ص 124 - 125.

(7) مسعود خرنان: المرجع السابق، ص 73 - 75.

- السعي لدى الحكومة الفرنسية لوقف أعمال الإبادة التي تشنها الطائرات الفرنسية ضد الجزائريين وإطلاق صراح المعتقلين.

- وهذا ما أدى إلى تكليف الاجتماع لممثل المملكة العربية السعودية لرفع القضية الجزائرية للأمم المتحدة في دورتها التاسعة رغم رفض وزير خارجية لبنان مما جعل جريدة " لوموند " le monde " الفرنسية تعلق على الرفض على أساس أنّ الوفود العربية غير مستعدة لذلك ⁽¹⁾، إلا أنّ عاهل المملكة طرح القضية في الأمم المتحدة في شهر ديسمبر 1954 وبعد مداولات مع الأعضاء الآسيويين والإفريقيين عن النداء الذي وجهه وفد المملكة العربية السعودية في مجلس الأمن طالبا فيه مناقشة الموقف في الجزائر بصفته تهديدا للسلم والأمن الدوليين.

ويبدو أنّ الحكومة السعودية تبنت رفع قضية الجزائر إلى مجلس الأمن هي مشاركة للاتجاه العربي والإسلامي الذي تبنته الثورة والدليل هو اعترافها بأول حكومة جزائرية مؤقتة في اليوم الثاني لإعلانها في 20 سبتمبر 1958 ⁽²⁾.

وقد نوه الإبراهيمي بدور المملكة السعودية فأرسل برقية إلى الملك سعود بتاريخ 9 جانفي 1955 ومما جاء فيها ⁽³⁾: «ما زلنا نعتقد ذلك وندين الله به فصدق الله ذلك بخطوتكم الجريئة في توصية مندوبكم في مجلس الجامعة العربية بإثارة القضية الثقافية العربية الإسلامية بالجزائر، ثم بأمركم الكريم له بعرض قضية الجزائر السياسية على مجلس الجامعة، أيضا ليقرر عرضها على جمعية الأمم المتحدة، باسم حكومة جلالتم ... نتبعنا هذه الأطوار باهتمام ... إلى أنّ قرأنا أنّ سفيركم بواشنطن تكلم باسم جلالتم في قضايا الجزائر الدينية والثقافية والسياسية كلاما رسميا قويا واضحا جريئا ...».

(1) مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص 203.

(2) نبيل أحمد بلاسي: المرجع السابق، ص 191.

(3) آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج5، مصدر سابق، ص 51.

وكان قبل ذلك قد بعث الإبراهيمي رفقة الفضيل الورثيلاني برقيتين إلى الرئيس جمال عبد الناصر والوزير أنور السادات وذلك في نوفمبر 1954 وشكرا القائدين العظميين لوفائهما الدائم لإخوانهم المكافحين في المغرب العربي خاصة دعم الثورة الجزائرية (4).

لقد استمر فاضل الجمالي في حرصه على القضية الجزائرية في طرحها في الاجتماعات والمحافل الدولية خاصة مؤتمر باندونغ المنعقد في 1955 بإندونيسيا، والذي أظهر تضامن البلدان الأفروآسيوية، وقد استغل الشيخ البشير الإبراهيمي الحدث ووجه رسالة صوتية إلى الدول الإسلامية المشاركة فيه وعددها أربع عشرة دولة (5).

وفي الدورة العاشرة للأمم المتحدة في شهر أكتوبر 1955 تم عرض القضية الجزائرية بهدف تسجيلها على جدول الأعمال فازت على الأغلبية 28 صوتا مقابل 27 صوتا وامتناع 5 أعضاء عن التصويت (1).

ويبدو أنّ الجمالي كان له دور في خدمة القضية الجزائرية في العراق وعلى المستوى الدولي ويقول أحمد الشقيري، الأمين العام المساعد للجامعة العربية: «إنّي لن أذكر ما نعمل وما لا نعمل وليست الدول العربية هنا في قفص الاتهام

(4) للاطلاع على فحوى البرقيتين أنظر: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج5، مصدر السابق، ص ص 49

50. وأيضا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، مصدر سابق، ص ص 35 - 36.

(5) آثار الإمام الإبراهيمي، ج5، مصدر سابق، ص 25.

(1) الدول التي وافقت على التصويت هي: مصر، العراق، المملكة العربية السعودية، سوريا، اليمن، باكستان، إيران، أفغانستان، أندونيسيا، الفلبين، تايلاند، الهند، بورما، روسيا البيضاء، الاتحاد السوفياتي، اليونان، تشكسلوفاكيا، يوغسلافيا، بولندا، أوكرانيا، كوستاريكا، غواتيمالا، ليبيريا، المكسيك، بوليفيا، أوروغواي، الأرجنتين. أما الدول التي عارضت التصويت فهي: أستراليا، بلجيكا، البرازيل، كندا، الشيلي، كولومبيا، الدانمارك، جمهورية الدومينيكان، إكوادور، فرنسا، هايتي، هندوراس، كوبا، لكسمبورغ، هولندا، نيوزلندا، نيكاراغوا، النرويج، بنما، بيرو، جنوب إفريقيا، السويد، تركيا، بريطانيا، الولايات المتحدة، فنزويلا. أنظر: مسعود خرنان، المرجع السابق، ص ص 101 - 102.

نحن مسؤولون أمام شعوبنا، وأمام شعوبنا فقط، وما تتلقاه الجزائر من عون إنّما هو واجب قومي وإنساني وإنّه واجبنا المقدس أن ندعم كفاح الشعب الجزائري، إنّ الجزائريين هم إخواننا والجزائر جزء لا يتجزأ من وطننا العربي الكبير»⁽²⁾.

وقد حفز هذا النشاط بعض الملوك العرب لمساندة القضية الجزائرية كما فعل السلطان محمد الخامس بإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة سنة 1957 أدى إلى تغيير رأي العديد من الدول الأعضاء في هذه المنظمة الأممية بخصوص مشكلة الجزائر، حيث أنّ الجمعية العامة صوتت بشبه إجماع على ملتص يوصي بالتفاوض لحل قضية الجزائر طبقا لميثاق المنظمة⁽³⁾.

لقد استغلت جبهة التحرير انعقاد اجتماع حلف بغداد يوم 27 جانفي 1958 بتركيا بإرسال وفدها من القاهرة برسالة إلى وزراء خارجية العراق، تركيا، إيران، وباكستان مطالبا استعمال كل نفوذهم لدى الدول المجتمعة في أنقرة لإلزام فرنسا بإيجاد حل عادل للقضية الجزائرية⁽⁴⁾ وهذا ما أزعج سكرتير خارجية بريطانيا ودافع عن فرنسا باعتبار أنّ الجزائر جزء من فرنسا وقد رد عليه فاضل الجمالي على أساس أنّ الجزائر لم تكن في يوم من الأيام جزء من فرنسا وأنّ الشعب الجزائري ليس فرنسيا ودعا بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية للتوسط لدى فرنسا للاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره⁽⁵⁾.

والحق أنّ فاضل الجمالي قد أثنى كثيرا على الشيخ البشير الإبراهيمي ففي مقال نشره سنة 1972 بمجلة "جوهرة الإسلام" في عددها السادس قائلا⁽¹⁾: «كان العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الجزائريين من كبار

(3) علال الفاسي: "كي لا ننسى بلوك نوط صحراء المغرب" سلسلة الجهاد الأكبر، د-ت، ص 165.

(4) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 365.

(5) مسعود خرنان: المرجع السابق، ص ص 81 - 82.

(1) عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام.. قضايا... ومواقف...)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر: 1993، ص 239.

المجاهدين الذين عملوا على حماية العربية والإسلام في الجزائر، وكان له الفضل في تعريف المشرق العربي بكفاح الجزائر من أجل الحرية والاستقلال».

ولقد سار على نهجه بعض من أعضاء الجمعية الذين عينتهم جبهة التحرير للالتحاق بالوفد الخارجي ومن بينهم أحمد توفيق المدني والشيخ العباس بن الشيخ الحسين والشيخ محمد خير الدين وغيرهم فقد التحق أحمد توفيق المدني والشيخ العباس بن الحسين بالقاهرة في أبريل 1956⁽²⁾ ومعروف أنّ القاهرة كانت مركزا مهما للنشاط السياسي خاصة ما تعلق باجتماع المجلس الوطني للثورة أو نشاط الحكومة الجزائرية المؤقتة.

ثانيا- أحمد توفيق المدني ودوره الدبلوماسي:

بعد وصول أحمد توفيق المدني إلى القاهرة حضر رفقة الشيخ العباس بن الحسين أول اجتماع له مساء يوم 21 أبريل 1956 إلى جانب كل من بن بلة، محمد خيضر، أحمد بودرع، عباس فرحات، الدكتور فرنسيس، بوجملين، بيوض (وهما من رجال حزب البيان)، الدكتور محمد الأمين، وقد تكلم توفيق المدني مبلغا تحية رجال الثورة الجزائرية ودعا إلى الاستمرار في الاجتماعات والتركيز على جعل العلاقة بين القاهرة وإدارة الثورة بالجزائر منظمة ومتواصلة وسريعة، وضرورة تنظيم الاجتماعات الدورية المتواصلة⁽³⁾.

وقد تم تعيين توفيق المدني رسميا ليتولى شؤون الجبهة في القاهرة وبتفويض من بن بلة، بعد اختطاف الطائرة المقلّة للزعماء الجزائريين في أكتوبر 1956

(2) أبو القاسم سعد الله: مسار قلم (يوميات)، ج 1 1956-1957، ج 2 1958-1960، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 2005، ص 65.

(3) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 128 - 129. أنظر: أيضا: جريدة الصباح، العدد 1334، تونس: يوم 24 أبريل 1956، ص 1.

(4)، ويقول في هذا: «لقد ترك لي الإخوان بن بلة وخيضر تركة مثقلة، قالوا للسلطة المصرية أنّ توفير هو الذي يمثلنا خلال مغيبنا... فاعتبرتني السلطة المصرية مسؤولاً وحيداً عن الوفد وعن الثورة وعن السلاح...»، وقام المدني بإصدار قرارات مهمة قرأها على التيجيني هدام والشيخ عمر دردور ثم عرضها على فتحي الذيب. وأهمّ ما جاء من هذه القرارات:

- إرسال برقيات احتجاج لكل ملوك ورؤساء الجمهورية وكل رؤساء الوزارات العربية وملوك ورؤساء الدول الصديقة.

- إلقاء خطاب مؤثر على أمواج صوت العرب موجه إلى الشعب الجزائري والمجاهدين ودعوتهم إلى عدم التأثر باختطاف الزعماء، ومؤكّد أنّ السلاح سيدخل الجزائر.

- الطلب بواسطة وفود العرب المجتمعين بالقاهرة من كل البلاد العربية أنّ تعلن إضراباً جماعياً عاماً احتجاجاً على الاختطاف وتأييد الكفاح الجزائري.

- توالي عقد الندوات الشعبية في القاهرة ومدن الجمهورية وبقية البلاد العربية لاستثمار الموقف والرد على مزاعم فرنسا التي تقول أنّ رأس الثورة قطع وأنّ الثوار سيضعون السلاح.

ويذكر توفير المدني أنّ فتحي الذيب وهدام صادقاً على القرارات ومن ثم بدأ تحرير مائة برقية وإرسالها إلى الملوك والرؤساء والحكومات ومن بينها تلك التي أرسلت إلى صاحب الجلالة محمد الأمين الأول بتونس جاء فيها (1): « اختطف الفرنسيون في حادث قرصنة جوية لم يسبق لها مثيل خمسة من أعضاء جبهة التحرير وجيش التحرير الوطن، وهم في ضيافة سلطان مراكش وملك تونس، فجبهة التحرير وجيش التحرير الوطني الجزائري يستلّفان نظركم لخطورة هذه

(4) أحمد توفير المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 263.

(1) المصدر نفسه، ص 217.

الحالة ويستجيران بملوك ورؤساء العرب وحكوماتهم ومجالسهم النيابية، لكي يقوموا سرياً بالعمل الحزم الذي توجبه العروبة ويقتضيه الشرف لإنقاذ زعماء الجزائر من أيدي جلادكم والشعب الجزائري المجاهد ينتظر نتيجة عملكم السريع فالحالة خطيرة جداً».

لقد وظف أحمد توفيق المدني خبرته الإدارية التي نرى أنها كانت نتيجة لنشاطه في جمعية العلماء بالجزائر، وانعكس نشاطه في القاهرة إيجاباً ولصالح القضية الوطنية واستطاع تجنيد الدول العربية التي تحركت في أكثر من مرة حيث ناشدت الدول العربية لإطلاق سراح المسجونين السياسيين، وقد أجابه الكثير ومنهم أمير الشارقة " صالح الحارثي " ومما قاله له (2): « السيد أحمد توفيق المدني... كان لبرقيتكم أكبر الأثر في نفسي... ونستكر... اختطاف فرنسا الغاشمة لإخواننا الزعماء الأبطال الجزائريين... ونعتبر هذا الصنيع الإجرامي من أسوأ أعمال الاستعمار... كما نعهده استخفافاً بحقوق العرب في المغرب والمشرق... وهتكاً صريحاً لميثاق الأمم المتحدة وخرقاً للقانون الدولي... فنحن العرب لا يزيدنا مثل هذا العمل من المستعمرين إلاّ إيماناً بعروبتنا وتوحيداً لصفوفنا وقوة في كفاحنا...».

وأما هذا التأييد العربي بعث توفيق المدني بمذكرة عاجلة إلى الرئيس جمال عبد الناصر بشأن قضية الاختطاف وتداعياتها، كما طالب المدني مجلس الجامعة العربية لمناشدة السلطان محمد الخامس وبورقيبة التدخل السريع واستخدام نفوذهما لدى فرنسا للإفراج عن الزعماء الجزائريين باعتبارهم كانوا في حماية وضيافة السلطان (1).

(2) نفسه، ص 218.

(1) فتحي الذيب: المصدر السابق، ص ص 268 - 270.

كما عقد مجلس الجامعة في يوم 24 أكتوبر 1956 جلسة خاصة تداول فيها الرأي واتفق مندوبو الدول الأعضاء على خطة موحدة في الأمر وكان مما قرره المجلس الإبراق إلى جلالتي ملكي مراكش وتونس لاتخاذ التدابير العاجلة للمحافظة على حياة المعتقلين وإطلاق سراحهم وإلى السكرتير العام للأمم المتحدة لا بلاغه اهتمام المجلس بالقضية⁽²⁾.

أما في جلسة الجامعة العربية ليوم 3 نوفمبر 1957 حضر أحمد توفيق المدني الجلسة رفقة بن خدة بن يوسف وسعد دحلب، وألقى المدني كلمة أمام لجنة الشؤون السياسية حيث تكلم عن ضعف دور الجامعة تجاه القضية الجزائرية وركز على ضرورة إعانة الثورة الجزائرية إعانة سريعة وفعالة، وأيضا تقرير ميزانية سنوية للجزائر تقررها حكومات الدول العربية أعضاء الجامعة، ثم وجه رسالة إلى الملك سعود بن عبد العزيز وطلب فيها مساعدة وإمداد الثورة مذكرا بأن هيئة الأمم ستدرس القضية الجزائرية يوم 17 نوفمبر وأنّ الضغط الملكي السعودي يمكن أن يغير وجه القضية لدى الأمم المتحدة بنيل استقلالها⁽³⁾.

وقد حاول وفد جبهة التحرير أثناء اجتماع مجلس الوفد يوم أول ماي 1958 لاستطلاع رأي الحكومات الإسلامية لعقد مؤتمر إسلامي عام ينعقد بمكة لدراسة موقف العالم الإسلامي من قضية الجزائر وتم تكليف أحمد توفيق المدني الذي راسل السفراء واجتمع بهم وأرجعت أغلب الدول بالموافقة، لكن موقف السعودية لم يتضح نظرا لاقتراب موعد الحج فتراجع الوفد عن الفكرة⁽⁴⁾.

(2) عبد الحكيم حمدي عباس الطوبجي: جامعة الدول العربية في مجال العمل السياسي في الفترة من 1945 - 1958، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور سيد نوفل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1970، ص 266

(3) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 327 - 330.

(4) للاطلاع على الدول ومواقفها. أنظر: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر نفسه، ص 383 - 384.

واستمر المدني في نشاطه الدبلوماسي فقد ألقى كلمة يوم 20 ماي 1958 أمام مجلس جامعة الدول العربية، وكان رفقة بن يوسف بن خدة، وشرح فيها أهمية لجنة الجزائر وأكد على المساعدة العربية للجزائر ماليا لأنها بحاجة للسلاح والمال وبالتالي إعادة النظر في الميزانية المخصصة للجزائر، كما عرج على قضية تشكيل حكومة جزائرية كان مؤتمر طنجة أفريل 1958 قد أقرها وأكد المدني أن هذا الأمر يهم كل الدول العربية وليس تونس والمغرب فقط ⁽¹⁾.

ولم يقتصر نشاط المدني على القاهرة فقط بل كان يتصل بين البلدان العربية كلما سمحت الفرصة وبأمر من جبهة التحرير الوطني، سافر إلى المملكة العربية السعودية مستغلا موسم الحج وكان معه عضوين آخرين من العلماء هما الشيخ العباس بن الحسين، وعمر دردور، وقد نزلوا بدمشق أولا، وفي 16 جويلية 1957، التقوا مع الشيخ البشير الإبراهيمي وعبد الحميد مهري والشيخ محمد الغسيري، هذا الأخير من جمعية العلماء الذي عينته جبهة التحرير لكي يكون ممثلا لمكتبها بسوريا ⁽²⁾ نائبا لعبد الحميد مهري ثم صار الغسيري هو مدير المكتب بها ⁽¹⁾ وقد التحق به سنة 1958 احمد الطيب معاش ⁽³⁾، وحرر رسالة مركزة عن الجزائر وطبعت بدمشق ولما سافروا إلى جدة في 30 جويلية تم توزيع حوالي 25 ألف نسخة في الحجاز وعلى كل الهيئات والوفود الإسلامية المختلفة ⁽⁴⁾.

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، المصدر السابق، ص ص 385 - 390.

(2) لقد طلب محمد خيضر رئيس الوفد الجزائري في لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة من القنصل العام للجمهورية السورية بالقاهرة منح الشيخ محمد الغسيري تأشيرة دخول الأراضي السورية لمهمة وطنية تتعلق بالقضية الجزائرية. أنظر: رصيد الحكومة المؤقتة الجزائرية بتاريخ 12 جوان 1956، العلبه رقم 02، الأرشيف الوطني بالجزائر العاصمة.

(3) عبد المجيد بن عدة: المرجع السابق، ص 114.

(4) عاشور شرفي: المرجع السابق، ص ص 335 - 336.

(5) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 309.

أمّا في العراق - كما ذكرنا- كان دور الشيخ الإبراهيمي كبيرا في خدمة القضية الوطنية، وقد زارها أحمد توفيق المدني أكثر فعالية ففي 27 جانفي 1958 ومع اقتراب اجتماع حلف بغداد، أراد المدني أن يستغل الفرصة لكسب أعضائه خاصة وزراء الخارجية: العراق، إيران، تركيا، باكستان فحرر إليهم رسالة إمضاءها رئيس الوفد وطلب فيها المساعدة وتأييد القضية الوطنية بحكم العلاقة الدينية والثقافية المشتركة على أساس الضغط على فرنسا، وفي 29 أوت 1961 كلف بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة بالذهاب إلى العراق وقد وعده رئيس الوزراء العراقي بنصرة القضية الوطنية وكان الهدف من الزيارة هو إقناع رئيس الوزراء العراقي بالحضور شخصيا إلى مؤتمر الدول غير المنحازة الذي سيعقد بمدينة بلغراد، وقد طلب الرئيس تيتو من الجزائريين التدخل لدى رئيس وزراء العراق ليحضر المؤتمر لكنه تأسّف وأرسل من يمثله وعلى حد تعبير المدني خجل لرفضه الاضطراري والمسبق طلب الجزائر⁽⁶⁾.

كما تنتقل المدني إلى الكويت والتقى بالأمير عبد الله السالم الصباح الذي وعده بالمساعدة، والتقى مع مجموعة من الأمراء للتعريف بالقضية الجزائرية واستغل الفرصة للاطلاع على شؤون الطلبة⁽¹⁾.

وسافر المدني إلى السودان بعد الجلسة التي انعقدت في 31 جويلية 1956 رفقة الشيخ العباس بن الحسين، وإسماعيل بورغيدة ووصل الوفد الخرطوم في 18 أوت وحضر مجلس السيادة وحدثهم عن الهدف من وراء زيارته فاكدوا أنّ السودان⁽²⁾ مع كفاح الجزائر لكنهم اعتذروا عن الدعم المادي من مال وسلاح لأنّهم شعب

(6) مسعود خرنان، المرجع السابق، ص 149.

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 358 - 359.
(2) لقد زارها المدني مرة ثانية في أكتوبر 1961، حيث طلبت وزارة الشؤون الخارجية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالقاهرة من سفارة جمهورية السودان منح أحمد توفيق المدني ومحمد القصورى تأشيرة=

فقير، لكن رئيس الوزراء عبد الله خليل أكد أنه بإمكان السودان الدفاع عن القضية الجزائرية في هيئة الأمم، كما زار المدني الأردن رفقة رئيس الحكومة فرحات عباس والوفد المرافق له في أواخر شهر ماي 1956، وقد لقي ترحابا كبيرا من أمين العاصمة ومحافظها ضيف الله الحمود، وأقام مأدبة عشاء حضرها رئيس الوزراء الأردني، وعدد كبير من الأعيان والنواب وكبار المسؤولين والعديد من الأوساط الشعبية وتم خلالها استعراض تطورات القضية الجزائرية وتم الحديث عن تشكيل لجنة رسمية وأخرى شعبية لجمع التبرعات للقطر الجزائري وقد رد أحمد توفيق المدني بكلمة شكر لضيف الله الحمود الذي ترأس اللجنة الشعبية لنصرة الجزائر وأكد له العزم على مواصلة النضال حتى تتحقق الحرية والاستقلال⁽³⁾.

وقد زار المدني العديد من الدول للتعريف بالقضية الوطنية فكانت مهامها عسكرية أو إعلامية أو ثقافية نستعرضها لاحقا، وكان يرافقه في بعض الأحيان الشيخ العباس بن الشيخ الحسين الذي كان من بين الذين في الجزائر للسفر إلى القاهرة ليمثل جبهة التحرير الوطني.

ثالثا- الشيخ محمد خير الدين ممثلا للثورة في المغرب:

يعتبر الشيخ محمد خير الدين واحدا من رجال جمعية العلماء الذين برزوا خلال ثورة التحرير حيث كلف بتمثيل جبهة التحرير بالمغرب الأقصى بعد لقائه مع عبان رمضان الذي عرف قيمة الشيخ عند الملك المغربي والتي تعود إلى ذلك التضامن الذي أبدته جمعية العلماء أثناء نفي الملك محمد الخامس في شهر أوت

=دخول الأراضي السودانية. أنظر: رصيد الحكومة المؤقتة الجزائرية بتاريخ 9 أكتوبر 1961، العلبة رقم: 09، الأرشيف الوطني بالجزائر العاصمة.

(3) عمر صالح علي العمري: موقف الأردن من الثورة الجزائرية في الصحافة الأردنية (1954 - 1962)، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف الأستاذ الدكتور علي محافظة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية 1997، ص 59.

1953 وقد نشرت بيانا في البصائر⁽¹⁾ أيدت فيه الملك كانت بإمضاء الشيخ خير الدين ، وقد تركت انطبعا حسنا لدى الشعب المغربي والقصر الملكي ولما عاد الملك إلى بلاده بعثت الجمعية وفدا تكون من الشيخ العربي التبسي، الشيخ محمد خير الدين، أحمد توفيق المدني، عبد اللطيف سلطاني وذلك لتهنئة الملك على عودته السعيدة وتضامنا مع الشعب المغربي⁽²⁾.

وقد ذكر الشيخ محمد الصالح رمضان أنّ الشيخ خير الدين قد حظي بمكانة هامة لدى الملك محمد الخامس لآته بعد زيارة الوفد لتهنئة الملك رجع الوفد وبقي الشيخ خير الدين أياما أخرى في المغرب لذلك أصبحت له مكانة لدى الملك وكان يسمح له بالدخول في أي وقت شاء إلى القصر وكان يسميه " الفقيه".

وقد عين الشيخ خير الدين ممثلا لجبهة التحرير الوطني في المغرب منذ ربيع 1956 حيث قال⁽³⁾: «ومن هناك شرعت في العمل على تأسيس مكتب لجبهة التحرير الوطني واكتريت مكانا مناسباً وطلبت من السلطات المغربية أن تعيرني الأستاذ عبد القادر بوسلهاب، وهو جزائري يعمل أستاذا بإحدى المدارس المغربية وذلك ليعينني في عملي ويقوم بعمل الكاتب بمركز الجبهة فوافقت السلطة المغربية على طلبي ...». وفيما يخص نشاطه الدبلوماسي في المغرب فكان بالدرجة الأولى الاتصال بالقصر الملكي لطلب الدعم والتأييد وتسهيل بعض القضايا التي كانت تعترض الثورة مع الاستمرار في الاتصالات السياسية مع السلطة المغربية أو السفارات العربية والإسلامية بالمغرب⁽⁴⁾.

(1) البصائر : العدد 239، يوم 4 سبتمبر 1953، ص 1.

(2) علي مرحوم: " حول العودة السلطانية السعيدة "، البصائر، العدد 343، يوم 2 ديسمبر 1955، ص 1.

(4) المصدر نفسه، ص 127.

ويبدو أنّ هذا النشاط الذي قام به الشيخ خير الدين وبقية المناضلين قد ساهم في المحافظة على التضامن الشعبي واستطاعت تنظيم نشاطها السياسي وتأطير الجالية الجزائرية والاستفادة من القواعد الخلفية رغم المضايقات التي تسببها القوات الفرنسية المتواجدة بالمغرب على ضرورة توفير وسائل مواصلة الحرب والحفاظ على علاقات الصداقة مع السلطات المغربية للاستفادة من تسهيلاتهما، ومساعداتها المادية والمعنوية والتصرف بحرية في القواعد الخلفية⁽⁵⁾.

لكن العلاقات بين المغرب وجبهة التحرير قد عرفت عدة خلافات فيذكر توفيق المدني أنه في شهر فيفري 1957، وردت أنباء مفادها أن ممثلي جبهة التحرير الوطني يلقون القبض على الخصوم وينقلون الأسلحة دون علم السلطات المغربية لذلك قام وفد عن جبهة التحرير الوطني ممثلاً في الدكتور الأمين دباغين، وتوفيق المدني وسارا إلى المغرب في 18 فيفري من نفس السنة واجتمعا بالإخوان المبروك وخير الدين الثعالبي، وأنهم تفاوضوا في تفاصيل الوضعية المستجدة واتصلوا بحكومة (البكاي والغزوي) وجماعة حزب الاستقلال وجيش التحرير وسرعان ما زال سوء التفاهم كما تمت مقابلة الملك لاطلاعه على الاتفاق وكذلك فعلوا مع الزعيم علال الفاسي بطنجة⁽¹⁾.

كما أنّ ملك المغرب طلب التفاوض مع وفد رسمي تمثله جبهة التحرير الوطني لمناقشة حلول عرضها الأمريكيون فمثل جبهة التحرير: الأمين دباغين، عباس فرحات، توفيق المدني، وانضم إليهم في إسبانيا المبروك وعمران، والشيخ خير الدين والثعالبي، وقابلوا في تطوان ولي العهد المغربي بتاريخ 23 أفريل 1957 لإعلامه بأنّ الأمريكيين مستعدون للتدخل بواسطة الملك على أن يكون

(5) عبد الله مقلاتي: دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية (1954 - 1962)، مذكرة لنيل ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة: 2002، ص 67.

(1) أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية، ج3، مصدر سابق، ص 336 - 337.

العمل باتفاق مع جبهة التحرير فطلب ولي العهد برنامج الجبهة لوضع حد للقتال وإرجاع السلام لكن ولي العهد رأى بأن الوفد غير مستعد للتنازل لذلك فشل اللقاء (2).

كما نشطت الدبلوماسية المغربية وساهمت في التعريف بقضية الجزائر والدفاع عنها لدى مختلف المحافل الدولية حيث ساهمت في الاقتراح الذي تقدمت به المجموعة الإفريقية الآسيوية إلى اللجنة السياسية للجمعية العامة للأمم المتحدة والذي يدعو حلفاء فرنسا إلى الضغط على الحكومة الفرنسية بهدف تحقيق الإرادة المشروعة للشعب الجزائري في الاستقلال وتم تكليف سفير المغرب بالاتصال بوفود أمريكا اللاتينية وإسبانيا وباقي الدول الأوروبية، أما ممثل المغرب بالأمم المتحدة فقد أوضح في خطاب له بتاريخ 4 فيفري 1957 مواقف المغرب الراسخة في مسألة استقلال الجزائر⁽³⁾، وتجدر الإشارة إلى أن مطالبة المغرب بإقرار سيادته على المناطق الجنوبية الغربية التي يدعي مغربيتها أدّى إلى عقد عدة اجتماعات لحل المشكل لأنّ الثورة ليست بحاجة إلى مثل هذه التصرفات والمشاكل بقدر ماهي في حاجة إلى المدد والتنظيم لذلك ساهم الشيخ خير الدين في إيجاد تسوية، ففي 8 أبريل 1958 عقد اجتماع بالرباط بين الشيخ خير الدين وعبد القادر معاشو حسن قادري، مع ابن بركة ومحمد البصري عن الجانب المغربي لكنه فشل مما جعل الموقف المغربي يتحفظ في دعم الثورة الجزائرية⁽⁴⁾.

وفي نفس شهر أبريل انعقد مؤتمر طنجة الذي دام من 27 إلى 30 أبريل 1958، وقد شارك فيه الشيخ خير الدين وعباس فرحات، عبد الحفيظ بوصوف،

(2) المصدر نفسه، ص 340.

(3) محمد النبال: العلاقات المغربية الجزائرية 1956 - 2003، رسالة ماجستير في العلاقات الدولية، إشراف الأستاذ الدكتور هدى مينكيس، قسم الدراسات السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2005، ص 53.

(4) عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 79.

عبد الحميد مهري، أحمد فرنسيس أحمد بومنجل، ورشيد قايد، وقد حضر حزب الاستقلال المغربي، الحزب الدستوري الحر، وقد أكد المؤتمر على مخاطر السياسة الاستعمارية وضرورة التنسيق المشترك ووحدة أقطار المغرب العربي والإلحاح على مساعدة الجزائر وتخليصها من الاستعمار الفرنسي.

ومن خلال قرارات مؤتمر طنجة⁽¹⁾ يتبين أن القضية الجزائرية نالت اهتمامات المناقشين فضلا عن تجسيد فكرة وحدة المغرب العربي⁽²⁾ واستمر نشاط الشيخ خير الدين في خدمة الثورة الجزائرية حيث كان يحضر اجتماعات المجلس الوطني للثورة بطرابلس بليبيا، وقد شارك في الاجتماع الذي عقد من 10 ديسمبر إلى 20 جانفي 1960 وذلك من أجل دراسة الوضعية الداخلية للمجلس والحكومة⁽³⁾، كما أنه استدعى اجتماع المجلس الوطني ليوم 28 فيفري 1961 ثم في 9 إلى 27 أوت 1961 بطرابلس واجتماع المجلس من 22 إلى 27 فيفري 1962⁽⁴⁾ بتونس، وكلها كانت لدراسة أوضاع الثورة وآخر التطورات المحلية والدولية وأهم الحلول المقترحة لتحقيق الاستقلال، وحضور الشيخ خير الدين كان له أهمية بالنظر إلى تكوينه ودهائه السياسي، وتجلى في الدور الذي لعبه في المغرب.

(1) للاطلاع على قرارات مؤتمر طنجة. أنظر: محمد خير الدين: مذكرات، ج2، مصدر سابق، ص 152.

(2) عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص ص 71-72.

(3) جمعية أول نوفمبر وحماية مآثر الثورة في الأوراس: المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس 1962 إلى سبتمبر 1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1995، ص ص 332-333.

(4) في هذا الاجتماع تم التصويت على لائحة وقف إطلاق النار وكان الشيخ خير الدين واحدا من الذين صوتوا على اللائحة. أنظر: بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص 57.

خاتمة:

من خلال دراستنا وتحليلنا للدور الدبلوماسي لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة يمكن القول أنّ رجال جمعية العلماء قد لعبوا دورا مهما إلى جانب إخوانهم المناضلين من أجل القضية الوطنية، والملاحظ أن الثورة استفادت منهم في علاقاتهم مع رجال الدين والمفكرين الكبار في العالم العربي والإسلامي وخاصة الدول العربية.

ويتضح أن العلاقات التي أنشأتها الجمعية في الفترة التي سبقت الثورة والمتعلقة بتكوين طلبة جمعية العلماء في الدول العربية كان له الأثر الواضح والفعال في كسب الثقة أكثر وتدعيم الثورة فالشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء كان معروفا في كل الدول العربية، ونحن نرى بأنهم أناروا وسهلوا الطريق أمام جبهة التحرير الوطني لأنّ عناصر حزب الشعب التي فجرت الثورة لم تكن معروفة حتى في الجزائر فما بالك بالدول العربية وهذا من المنطق، ولكن التوحد والبحث عن الهدف المشترك الذي هو الاستقلال أذاب كل ماله علاقة بالأحزاب وبإفساد روح النضال وخاصة أن العمل الدبلوماسي يحتاج إلى الحنكة والدهاء والفتنة، كما أن اتجاه الثورة العربي الإسلامي فتح كل قلوب الدول العربية خاصة في المشرق العربي لدعم وتأييد الثورة الجزائرية.

والملاحظ أنّ الدور الدبلوماسي لرجال جمعية العلماء مغيب في الدراسات التاريخية، ولكن الوثائق والشهادات التاريخية أكدت مشاركة العلماء في النشاط الدبلوماسي خلال الثورة التحريرية، عكس ما ذهب إليه بعض الفاعلين في مرحلة الثورة بحكم أن حزب الشعب الذي ولدت منه جبهة التحرير وحدها من قامت بالثورة والكفاح الداخلي، والخارجي وينكرون على رجال جمعية العلماء مساهمتهم ليس في الجانب الدبلوماسي فحسب بل في أغلب ميادين الكفاح رغم أن الوثائق والشهادات كما ذكرنا سابقا ذكرت العكس.

لقد شارك رجال جمعية العلماء في النشاط الخارجي لجبهة التحرير وخاصة البعثات الدبلوماسية التي ذكرناه في دراستنا سابقا، بالدعوة لمساندة القضية الجزائرية فلما تسمع اسم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورثيلاني وأحمد توفيق المدني والشيخ خير الدين وغيرهم كثير تدرك أن لمستهم في تاريخ الثورة الجزائرية واضحة رغم ما قيل وكتب عن العلماء، لكن على الباحثين البحث عن الوثائق المتعلقة بهذا الجانب سواء في داخل الجزائر أو خارجها، لأن الشعار الذي رفعه العلماء هو "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا" لا يمكن أن ينتج إلا مفهوما واحدا وهو "الاستقلال".

أعلام دبلوماسية الثورة الجزائرية التعريف بمسارهم وإنجازاتهم

عبد الرحمن كيوان أنموذجا 1925-2013

✍ د/جمال قندل

جامعة الشلف

الملخص

تعالج هذه الدراسة دور و نشاط علم من أعلام العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية، ووجه بارز في النخبة الوطنية المناضلة إبّان الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، ممثلة في المحامي و المناضل عبد الرحمن كيوان، من خلال تتبع مساره النضالي في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، مرافعا و مدافعا بصفته محام عن المناضلين الذين ما انفكوا يتعرضون لتعسف و ظلم إدارة الاحتلال الفرنسي عبر امتداد مناطق الجزائر، وخاصة بعد اكتشاف المنظمة الخاصة كما تدرس التحاقه بالثورة الجزائرية، بعد إطلاق سراحه، رفقة أعضاء اللجنة المركزية، وانتقاله إلى القاهرة وعمله و نشاطه في مكتب القاهرة ابتداء، فنشاطه في أمريكا اللاتينية وآسيا وسعيه الدؤوب، من أجل التعريف بالقضية الجزائرية، وحشد الدعم السياسي، الدبلوماسي و الإعلامي وتوسيع نطاق التأييد لتحسين تموقع القضية الجزائرية في المجتمع الدولي والمرافعة عبر مختلف المنابر لدحض ادعاءات إدارة الاحتلال الفرنسي، فضلا عن تتبع مساره بعد استعادة الاستقلال الوطني .

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية، العمل الدبلوماسي، مكاتب جبهة التحرير الوطني.

Summary

This study deals with the role and activity of a flag of the diplomatic work of the Algerian revolution. A prominent figure in the national elite fighting during the national movement, represented by lawyer and fighter Abderrahmane Kiouane, in following his struggle in the movement of victory for democratic freedoms, pleaded A lawyer for the

militants who have been exposed to the abuse and injustice of the French occupation administration across the regions of Algeria, especially after the discovery of the special organization .

It is also studying the Algerian revolution, after his release, along with members of the Central Committee, his transfer to Cairo, his work and his activities in the Cairo office starting with his work in Latin America and Asia and his relentless efforts to promote the Algerian cause and mobilize political, diplomatic and media support. To improve the position of the Algerian cause in the international community and to plead across various platforms to refute the claims of the French occupation administration, as well as track its course after the restoration of national independence.

Key words: The national movement, the national struggle, the diplomatic work, the offices of the FLN.

مقدمة

شكّل العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية مجالا حيويا للتعريف بالقضية على نحو سليم، عميق ومؤثر على مستوى مختلف المحاور، العربية والإفريقية والآسيوية بل حتى على مستوى الدول الغربية، رغبة في الخروج من الطوق الذي ضربه الاحتلال الفرنسي على الجزائر، من خلال تزوير الحقائق التاريخية والجغرافية، بالقول إن "الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا". كما أن الفعل الدبلوماسي الثوري جاء متناغما مع مقتضيات بيان أول نوفمبر الذي ألحّ على مسألة التدويل. ولإنجاح العملية وظفت الثورة فريقا دبلوماسيا أخذ على عاتقه المهمة وبذل في سبيل إنجاحها ما أمكنه، وقد كان عبد الرحمن كيوان من بين أولئك الذين تولوا مهمة العمل الدبلوماسي واجتهدوا في سياق التعريف بالقضية الجزائرية وحشد الدعم السياسي والإعلامي والدبلوماسي، من خلال جملة من الوسائط والمنابر. فما مظاهر نشاطه الدبلوماسي الثوري؟ وإلى أي مدى نجح في أداء مهمته الدبلوماسية؟

1- الميلاد والنشأة

ولد عبد الرحمن كيوان سنة في 25 فيفري 1925 بشارع عرباجي بحي القصبة، بالجزائر،¹ من عائلة تنحدر من المدينة²، زاول تعليمه الثانوي بالجزائر، حيث التحق بثانوية بيجو "Bujoud" (الأمير عبد القادر حاليا)،³ عرف بحيويته ونشاطه، خلال هذه المرحلة، الأمر الذي دفعه إلى تأسيس "جمعية التلاميذ المسلمين للثانويات و المعاهد"⁴ بتشجيع من الحزب، حيث عقدت الجمعية التأسيسية بنادي الترقين وانتخب رئيسا لها والتي اضطلعت بمهمة رئيسة توخت نشر الوعي وسط التلاميذ وخاصة وسط الثانويين باعتبارهم مؤهلين لاستيعاب الأفكار الوطنية، ما دفع الكثير من التلاميذ إلى الانضمام للحزب⁵.

انخرط في سن مبكرة في صفوف حزب الشعب سنة 1939، وواصل تعليمه، حيث التحق بجامعة الجزائر ودرس القانون⁶، ما جعله يختار المحاماة للتمرس في الدفاع المؤسس على القرائن المادية وغير المادية عن القضية الوطنية، خاصة فترة الثلاثينيات من القرن العشرين التي شهدت حراكا سياسيا كبيرا وفاعلا، لحزب الشعب الجزائري فضلا عن التيارات الأخرى السياسية وغير السياسية، ولعل الحدث الأبرز خلال هذه الفترة، هو المؤتمر الإسلامي سنة 1936. عندما وقفت قيادة الحزب على حماسه ونضجه وفعاليته أسندت إليه مسؤولية "فرع الطلبة" في حزب الشعب، وواصل عمله ونشاطه، في الوسط

1 محمد عباس، رواد الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، دار هومة للنشر، الجزائر، 2004، ص 133.

2 Benjamin Stora : **Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens** ENA, PPA, MTL (1926-1954), Editions l'Harmattan, Paris, 1985, 289.

3 Achour Cheurfi : **Dictionnaire de la révolution Algérienne (1954-1962)**, éditions Casbah, Alger, 2004, p 206.

4 Ibid.

5 محمد عباس، المصدر السابق، ص 136.

6 SHAT : **La guerre d'Algérie par les documents les portes de la guerre 1946-1954**, tome 2, service historique de l'armée de terre, Vincenne, Paris ,1998, p 942.

الطلابي باعتباره المجال الحيوي لنشر الأفكار الثورية وتعبئة الشباب واستقطابهم لتبني أفكار ومبادئ حزب الشعب الجزائري، والنضال في صفوفه، ولعلّ ما يؤشر على عمق نضاله ومستوى القبول الذي كان يحظى به، هو رئاسته للأمانة العامة "الجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا" من 1946 إلى 1948¹.

ولم يقتصر نشاطه على المستوى الطلابي بحسب، بل حيويته وحركيته وثقافته أهلته لتبوء مناصب مهمة في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية منها عضوية اللجنة المركزية للحزب، ما جعله قريبا جدا مما يجري داخل الحزب، كما عين سنة 1951 مسؤولا عن "اللجنة المركزية للدعاية والإعلام" حي تولى تحرير الجرائد التابعة للحزب منها "L'Algérie libre" باللغة الفرنسية و"المنار" باللغة العربية،² كما غدا ابتداء من سنة 1952 محاميا للحزب³ حيث انتصب مدافعا ومرافعا عن المناضلين الذين طالهم التعسف والاعتقال دون وجه حق من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، وخاصة بعد اكتشاف المنظمة الخاصة.

وحول مهمة الدفاع عن المناضلين، ذكر كيوان ما نصّه: "كنت أول محام أرسل من قبل الحزب، لمساعدة المناضلين إثر اكتشاف المنظمة الخاصة... وقد لاحظت يومئذ آثار التعذيب الذي سلطته الشرطة الاستعمارية عليهم، وشاركت في عملية التنديد على الصعيدين السياسي والقضائي. وكنت

1 يرجع تأسيس "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" إلى سنة 1927، ببافيس، وقد حددت جملة من الأهداف، عملت من أجل تحقيقها، منها: تكوين قطب من الطلبة، تمتين العلاقات والروابط بين الطلبة، الاهتمام بالأعياد الدينية، التكافل الاجتماعي بين الطلبة. للاستزادة حول تاريخ الطلبة ودورهم خلال فترتي الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، يراجع:

السعيد عقيب، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1955-1962، دار سنجاق الدين للنشر، الجزائر، 2009.

2 محمد عباس، المصدر السابق، ص 136.

بالطبع أقوم بمهمة الاتصال بالمناضلين عبر أهمّ المعتقلات، خاصة في قسنطينة، عنابة، تيزي وزو، البليدة، الجزائر والأصنام- الشلف - ووهران وكذا نقل تعليمات الحزب التي كانت تطبق بحذافيرها ¹.

وفي تطور لافت في مسار كيوان، شارك سنة 1953 في الانتخابات البلدية باسم الحزب وحقق نجاحا نوعيا مكنه من أن يكون النائب الثاني لرئيس بلدية الجزائر جاك شوفليي² Jacques Chevallier رغبة منه في نقل مطالب وانشغالات الجزائريين، من خلال اعتماد سياسة الإنجازات الميدانية في حدود الإمكان³. وعلى غرار ذلك، فقد عاش كيوان، أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، عن كثب ومن موقع المسؤول، وتألّم كثيرا للوضعية التي انتهت إليها الحركة بعد الأزمة التي عرفتتها سنة 1953، خاصة وأن المناضلين غدوا يتعاركون على مرأى ومسمع من إدارة الاحتلال الفرنسي. حيث علّق بالقول على مظاهر تلك الأزمة بالقول: "...انفجرت الأزمة، وعملت اللجنة ما في وسعها حفاظا على تماسك الحزب وخشية الانقسام ليبقى المناضلون في القاعدة بمنأى عن الأزمة وانعكاساتها وبعثت أو شجعت وفود المصالحة التي كانت تتألف من أعضاء اللجنة المركزية ومناضلين قدامى بالجزائر أو من اتحادية الحزب بفرنسا، لكن مصالي نقل الأزمة إلى ساحة المناضلين داعيا إياهم لتكوين "لجان إنقاذ"⁴.

1 محمد عباس، المصدر السابق، ص 138.

2 Benjamin Stora : op.cit.

3 محمد عباس، المصدر السابق، ص 144.

4 نفسه، ص 141.

2- الالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية

شكلت بداية الثلاثي الثاني من سنة 1956 منحى إيجابيا في حياة كيوان من جهة، وفي مسار وحركة الثورة الجزائرية من جهة أخرى، بالنظر لما أحدثته التحاقه بصفوف الثورة، بعد إطلاق سراحه في مارس 1955¹ من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي رفقة مناضلين آخرين، ومسؤولين بارزين في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية.² التي حُلّت في 5 نوفمبر 1954³.

التقى كيوان، رمضان عبان، بعد خروجه من السجن وطرح عليه فكرة انضمام أعضاء اللجنة المركزية كمجموعة للثورة، بيد أن فكرته لم تلق القبول من قبل عبان، الذي ألح على وجوب الانضمام الفردي⁴ وتحادثا حول الإضافة التي يمكن أن يقدمها كيوان، سافر إلى القاهرة، عبر سويسرا ليلتحق بوفد الثورة هناك، ليدعم ويقوي حركة ونشاط الأعضاء الذين أوكلت لهم مهمة العمل الدبلوماسي، من خلال تشكيل فريق شاب، منسجم ومتكامل، حيث كان سنه عندما شرع في العمل الدبلوماسي واحدا وثلاثين سنة شارك سنة 1956 رفقة محمد خيضر وامحمد يزيد في اللقاءات السريّة التي جمعتهم مع مبعوثي رئيس

1Abderrahmane Kiouane : **Les débuts d'une diplomatie de guerre (1956-1962)** journal d'un délégué à l'extérieur, éditions Dahlab, Alger, 2000, p 1.

2 من بين الذين أطلق سراحهم: عبد الحميد مهري، بن يوسف بن خدة، سعد دحلب، ومحمد لمين دباغين وآخرون. للاستزادة حول الإجراءات الرديعية والقمعية التي طالت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بعد تفجير الثورة والحجج القانونية غير المؤسسة التي استندت عليها الحكومة الفرنسية في تبرير عملها القمعي. يراجع:

جمال قندل، إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية 1954-1956، ج2، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص ص 246-248.

3Gabriel Conesa "Faujour frappe fort ", in Historia magazine n°195 du 20.09.1971, p 46.

4Benjamin Stora : op.cit, p 289.

الحكومة الفرنسية قيمولي Guy Mollet في كل من بلغراد بيوغسلافيا و روما بإيطاليا، في جويلية، أوت و سبتمبر 1956¹.

3-نشاطه في مكتب القاهرة

وصل كيوان إلى القاهرة، حيث استقبل من قبل محمد خيضر، الذي لم يلتقه منذ واقعة بريد وهران، كما التقى شخصيات سياسية كبيرة، منها: عبد الكريم الخطابي، وأخوه امحمد ومستشاره السياسي علال الفاسي وكذا مسؤولي حزب الدستور الجديد التونسي، ومن المصريين فؤاد جلال وأحمد سعيد، كما التقى رجلي المخابرات المصرية عزت سليمان وفتحي الذيب، وأجرى لقاء مع الرئيس جمال عبد الناصر².

اتسم نشاطه في القاهرة بالتنوع والفاعلية، حيث كان يقدم حصة في إذاعة صوت العرب باللغة الفرنسية، في " ركن المغرب" يشرح من خلاله أهداف ومبادئ وحقيقة الثورة الجزائرية، والتعريف بالكفاح الذي يخوضه الشعب الجزائري تحت قيادة جبهة التحرير الوطني³ لتعميق الالتفاف حولها وتقوية التضامن معها. كما أجرى حوارا صحفيا بمقر جمعية العلماء المسلمين في القاهرة، بحضور كل من محمد خيضر، محمد لمين دباغين، أحمد فرنسيس، فرحات عباس، ومحمد بودة، حيث كان اللقاء بدعوة من طرف رئيس مجلة Time الأمريكية. وقد كان لذلك اللقاء الأثر الكبير في تعميق الوعي بحقيقة الثورة الجزائرية وهو ما لمسّه كيوان عندما زار أمريكا اللاتينية⁴.

وقد عرف مكتب جبهة التحرير الوطني في القاهرة، تغيرا مسّ التركيبة البشرية المكونة له، وبخاصة بعد العدوان الذي طال الطائرة المقلّة لوفد الثورة

1Ibid .

2 Abderrahmane Kiouane,op. cit,p 6.

3Ibidem,p 7.

4Ibidem,p 8.

الجزائرية، وما نتج عنه من اعتقال لأعضاء الوفد. وبالتوازي مع تطور حركة الثورة، على أكثر من مستوى، كان لزاما على قيادة الثورة أن تواكب المعطيات الجديدة على الساحة بكثير من الحنكة والرصانة لإعطاء دفع قوي للعمل الثوري وبخاصة في شقيه الإعلامي والسياسي، لتحريك الشعوب العربية، والحفاظ على درجة تهيئها، والدفع بالحكومات في الآن ذاته، إلى التعاطي على نحو إيجابي مع الثورة الجزائرية، كفيل بتعزيز الالتفاف العربي والإسلامي بل والأفرو آسيوي. ورغبة في تحقيق ذلك، انتخب أعضاء جدد لمكتب القاهرة، كانوا على التوالي: رئيس المكتب: أحمد توفيق المدني.

كاتب التنسيق: أحمد فرنسيس.

الأعضاء: العباس بن الشيخ الحسين، حامد روابحية، وعبد الرحمان كيوان¹.

وسعيا لإنجاح المهمة الملقاة على عاتق المكتب، فقد حددت المهمة الرئيسة لها فضلا عن طرائق عمله، تجنبنا للتداخل ودرءا لأي لبس أو غموض بخصوص أي فعل ذي صلة بشأن الثورة، يمكن أن يُفسر على غير وجهه الصحيح، ما ينجر عنه مشكلات قد تضر بحركة وسير الثورة. ولهذا فقد ضبطت مهام المكتب وفق الآتي:

يكلف المكتب بتنفيذ المهمات التي قررت لجنة التنسيق والتنفيذ قيامه بها، وتتلخص في النقاط التالية:

أ- العلاقات مع الحكومة المصرية حسب لجنة التنسيق والتنفيذ.

ب- العلاقات مع الجامعة العربية.

ت- الاتصالات مع السلك الدبلوماسي بمصر.

1- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات مع ركب الثورة، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

- ث- الاتصال مع الشخصيات والمنظمات المصرية والعربية.
- ج- مراقبة الصحف والإذاعة وكل ما ينشر وبذاع عن القضية الجزائرية، وإصدار المعلومات والتصحيحات التي يستوجبها ذلك.
- ح- الدعاية وذلك بإصدار نشرة رسمية، أسبوعية أو نصف شهرية، تعطي أخبار الجزائر وتبين وجهة نظر الوفد الخارجي في كل الوسائل التي تهمنا.
- خ- إذاعة حديث يومي باللغة العربية في "صوت العرب"، وحديث آخر باللغة الفرنسية عن القضية الجزائرية.
- د- نشر المقالات التي ترد عليه من المكتب المركزي للنشر في الصحف المحلية.
- ذ- القيام بالأعمال الإدارية والإجراءات اللازمة لأعضاء الوفد من إقامة، وسكنى وتأشيرات...
- ر- يكون بالمكتب ملحق ثقافي، مهمته الاهتمام بالطلبة الجزائريين الموجودين بمصر.
- ز- يوضع تحت تصرف المكتب معاونون الآتية أسماؤهم: الأستاذ ابن أحمد، الحاج البوسعادي، السعدي عثمان⁽¹⁾.
- واصل كيوان حركته ونشاطه باتجاه دول عربية كثيرة، رفقة فرحات عباس وتوفيق المدني، حيث زار لبنان والأردن وسوريا والعراق ويذكر السيد عبد الرحمان كيوان، في سياق الحديث عن الدور السوري في دعم القضية الجزائرية، على مستوى هيئة الأمم المتحدة، أن ممثل جبهة التحرير الوطني كان يدرج اسمه ضمن قائمة الوفد السوري باعتباره مستشارا، وبذلك الطريقة تمكن وفد الثورة من المشاركة في الدورة العاشرة للأمم المتحدة التي شهدتها العام 1955².

1- المصدر نفسه، ص ص 286-287.

(2)-Abderrahmane Kiouane :op. cit,p 8.

4-جولته إلى أفغانستان

شكلت أفغانستان محطة رئيسة في المهمة الدبلوماسية التي قادها عبد الرحمن كيوان رفقة أحمد فرنسيس، رغبة في توسيع نطاق التأييد للقضية الجزائرية، سياسيا، إعلاميا، دبلوماسيا وإغاثيا، وبذلا في سبيل ذلك جهودا كبيرة، جعلت أفغانستان هي الأخرى، ضمن مسار دعم ومساندة القضية الجزائرية، إلى جانب الدول الأخرى، انطلاقا من قراءة موضوعية للوضع غير الإنساني الذي أضحت تعيشه الجزائر، في ظل استمرار الاحتلال الفرنسي وتشبته بالعمل على إبقاء الجزائر فرنسية، باعتماد كافة المقاربات، وعلى رأسها المقاربة الأمنية التي أهلكت الحرث والنسل وأشاعت في الجزائر الفساد، على امتداد كافة مناطقها .

وضمن هذا السياق، انبرى الأفغان، شعبا وقيادة سياسية، على مستوى الداخل والخارج، يدعون إلى ضرورة الوقوف على نحو إيجابي مع القضية الجزائرية، ودعمها ودفعها باتجاه الموقع الحسن الذي يجعلها تشكل ضغطا مستمرا على إدارة الاحتلال الفرنسي. والمتتبع لمسار موقفها يدرك ذلك جليا.

ذلك أنها شاركت ووقّعت هي الأخرى على الرسالة التي أرسلت إلى الأمين العام للأمم المتحدة بغرض عرض القضية الجزائرية ودراستها من كافة الجوانب⁽¹⁾ بصورة تجعل الرأي العام الدولي يقف على زيف طروحات فرنسا الاستعمارية وبطلان حججها التي تؤسس عليها موقفها في الدعوة إلى عدم إدراج القضية الجزائرية، على اعتبار أنها قضية داخلية.

لقد شكل ثبات موقف أفغانستان، خطوة إيجابية للثورة في سعيها ونضالها الدبلوماسي والإعلامي، عملت على استثماره على نحو إيجابي لدفع الداخل إلى مزيد من العمليات العسكرية على امتداد مناطق الثورة. في شكل متناغم بين

1- محمد علوان، مصدر سابق، ص 38. وانظر كذلك:

-المجاهد، عدد 1، بتاريخ 5 سبتمبر 1957، ص 9.

الجهتين العسكرية والدبلوماسية. والواضح أن أفغانستان لم تقصر دعمها للثورة على التأييد السياسي والدبلوماسي، من خلال استغلالها للمنابر والهيآت الجهوية والدولية، بل أدركت مدى حاجة الثورة إلى الإعانة المالية والعينية، خاصة وأن الجبهة الاجتماعية شكلت تحديا كبيرا للثورة، حيث اتسعت حاجات وضرورات اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب.

وفي تطور نوعي ولافت للموقف الأفغاني، من القضية الجزائرية، هو طلبها من فرنسا، سحب القائم بالأعمال في العاصمة كابول وطرده نهائيا منها، بعد أن قام بتمزيق الألواح واللافتات في الشارع والتي كانت تشير إلى عرض شريط وثائقي عن المجاهدة جميلة بوحيرد⁽¹⁾، يظهر مدى جور وجرم الاستعمار وفضاعته في التعامل مع الشعب الجزائري، فلم يتمالك نفسه من شدة ما رأى، لا شيء إلا لأن ذلك من شأنه أن يزيد من عزلة فرنسا دوليا.

وقد كانت أفغانستان مجالا لجولات كثير من مسؤولي الثورة، رغبة في تعزيز العلاقات وتمتينها بصورة تبقى أفغانستان حاضرة باستمرار في كافة المناسبات على اختلاف طبيعتها، خدمة للثورة الجزائرية. وفي هذا المقام، ذكر عبد الرحمن كيوان، أنه بعد إنهاء الزيارة التي قادته رفقة الدكتور أحمد فرنسيس إلى إيران ابتداء من السابع والعشرين ماي 1957، والتي غادراها يوم الواحد والثلاثين من السنة ذاتها، توجهها إلى العاصمة كابول، وحظيا باستقبال رفيع من طرف شخصيات سياسية كثيرة في الدولة، منها وزير الشؤون الخارجية، رئيس المجلس، ورئيس دائرة الإعلام، وأتيحت لهما الفرصة لعقد ندوة صحفية، للإجابة على مختلف المسائل ذات الصلة بالقضية الجزائرية، راهنا ومستقبلا، داخليا وخارجيا. وقد شكل ذلك سانحة على قدر كبير من الأهمية لتبليغ صوت وصورة

الثورة الجزائرية، في الشرق الأقصى، حتى تكون شعوبها ونخبها على بينة مما يحصل في الجزائر.

وقد ذهب عبد الرحمان كيوان إلى القول، بعد تلك الجولة المثمرة في أفغانستان، أن الوسط الإعلامي الأفغاني يولي القضية الجزائرية أهمية كبيرة، من حيث المتابعة المستمرة. وعلى غرار ذلك، فقد تقرر إنجاز أسبوع إعلامي وثقافي خاص بالجزائر⁽¹⁾، يتوخى ربط الشعب الأفغاني بالثورة الجزائرية وجعله يتفاعل معها، بصور إيجابية من خلال تحفيزه على تقديم كافة أشكال الدعم.

5-جولته إلى إيران

ساندت إيران الثورة الجزائرية مثل الدول المنضوية ضمن الكتلة الأفروآسيوية، ولم تدخر جهدا سياسيا أو إعلاميا، بل وحتى دينيا في حشد الدعم اللازم، على مستوى الداخل والخارج، على نحو يكفل للقضية الجزائرية ولوج الهيآت والمنظمات الدولية، من موقع قوة.

وحرصا من قيادة الثورة على تحسين تموقع الثورة، وتعميق التعريف بها على طريق حشد كافة أشكال الدعم، ورغبة في دفع الموقف السياسي والإعلامي والدبلوماسي الإيراني، فضلا عن الموقف الشعبي المساند، زار ممثلو الثورة الجزائرية إيران، في الثاني والعشرين ماي 1957، وقد ضمّ الوفد كلا من عبد الرحمن كيوان وأحمد فرنسيس، اللذين استقبلا من طرف نائب كاتب الدولة للشؤون الخارجية، على اعتبار أن وزير الخارجية كان غائبا.

وفي السابع والعشرين، استقبلا من طرف الوزير الأول، الدكتور إقبال، بحضور سفير السعودية. كما استقبلا من طرف مفتي الجمهورية الدكتور سيد حسن إمامي، ورئيس البرلمان، فضلا عن مجلس الأمة، إل جانب جنرالات وشخصيات سامية في الدولة. ولم يكتف الإيرانيون بذلك، بل وفروا لهما وسائل

1Abderrahmane Kiouane, *op.cit*, pp 29-30.

الإعلام اللازمة للتغطية والتسويق، ومكنوهما من عقد ندوة صحفية، حضرتها أسبوعيات كثيرة، وكبرى اليوميات¹.

لقد شكل وجود وفد الثورة في إيران، حدثا سياسيا وإعلاميا على جانب كبير من الأهمية، عكس عمق الشعور الإيراني بضرورة التفاعل الإيجابي مع معطى الثورة الجزائرية، باعتبارها ثورة عربية إسلامية، استطاعت أن تدك أركان إدارة الاحتلال الفرنسي دكا وتجعلها عرضة للسخرية في جميع أصقاع العالم. وقد استغل وفد الثورة، الفرصة السانحة التي وفرت له من طرف السلطات الإيرانية، التي عملت على إنجاح الزيارة، التي دامت تسعة أيام، ابتداء من الثاني والعشرين ماي إلى غاية الواحد والثلاثين من الشهر ذاته. حيث قدم تصريحين إعلاميين لوسائل الإعلام، التي راحت ترقب عن كثب حركتهما حيثما حلّا. وإلى جانب ذلك، فقد حظي الوفد باستقبال من طرف سفراء كل من مصر، الأردن وأفغانستان، وتباحثوا معهم واقع الثورة في الداخل، من حيث الإمكانيات والمعوقات، واللاجئين في تونس والمغرب، مع الوقوف على امتداد الثورة في الخارج، والسعي لتقوية الحضور على مستوى مختلف الهيئات والمنظمات الجهوية والدولية لتعزيز موقع الثورة.

وقبل مغادرة إيران، أرسل وفد الثورة بلاغا إلى الصحافة، جاء فيه على الخصوص: "قبل أن نغادر إيران، فإن مندوبية جبهة التحرير الوطني، تعلم الشعب الإيراني وقياديه فضلا عن وسائل إعلامه، بتأثرها البالغ بالحفاوة التي أحيطت بها والاستقبال الأخوي الذي خصّت به.... وخلال محادثاتنا مع مختلف المسؤولين في الدولة وفي جميع المواقع، أظهروا جميعهم تعاطفهم وطمأنونا على استمرار تضامنهم الفعال، الذي يعتبرونه أمرا مبدئيا. كما أبدوا إعجابهم بالتضحيات المبذولة من طرف الشعب الجزائري، وجيشه، جيش التحرير

الوطني. وفي ضوء ذلك، فإننا باسم الشعب الجزائري، وجبهة التحرير الوطني، نعبر عن عميق تشكراتنا للشعب الإيراني ولقيادته. لقد أمكننا خلال هذه الجولة القصيرة، الخروج بانطباع حسن حول مدى التضامن بين الشعوب، وبخاصة بين الشعوب المسلمة، إنها حقيقة حيّة، كفيلة بتعزيز الحرية والسلام على امتداد العالم¹.

6-جولته إلى تركيا:

اختلف الموقف التركي تماما عن الموقف الذي اتخذته الدول الإسلامية، تجاه القضية الجزائرية التي شكلت مدار اهتمام، بحث ومساندة غير مشروطة. وعلى غرار ذلك، فقد عرف الموقف التركي تأخرا كبيرا، حيث لم نلمس تجاوبا إيجابيا، لا في مؤتمر باندونغ ولا أثناء عرض القضية الجزائرية، لأول مرة على الجمعية العامة للأمم المتحدة. وظلت على سلبيتها، رغبة في الحفاظ على علاقتها الوطيدة مع فرنسا، إلى غاية سنة 1958 والتي شكلت منعطفا حاسما في مسار موقفها من الثورة.

إن التغير الإيجابي الذي شهه الموقف التركي، لم يكن وليد الصدفة أو الارتجال، ولكن نرجح أنه يعزى إلى الدور الكبير الذي لعبه مبعوثا الثورة، السيدان عبد الرحمن كيوان وأحمد فرنسيس، اللذان قاما بزيارة إلى العاصمة أنقرة يوم الثامن جوان 1957، بهدف وضع المسؤولين الأتراك أمام حقيقة الوضع في الجزائر، كما هو، لا كما تسوقه سلطات الاحتلال الفرنسي، ودوائرها السياسية والإعلامية. وقد شكلت الزيارة، سانحة ثمينة للوفد الذي أمكنه لقاء مسؤولين سامين أترك، قُدمت لهم مذكرة، كما التقوا مسؤول الهلال الأحمر التركي الذي وعدهم بتقديم مساعدات للاجئين الجزائريين².

1Ibid ,pp28-29.

2Ibid,p 30.

وغني عن البيان، أن زيارة وفد الثورة، لم تكن بمنأى عن وسائل الإعلام التي استغلت الحدث، متابعة وتغطية لنشاطه، وهو ما جعل الزيارة تأخذ صدى كبيرا على المستوى الإعلامي، وهي خطوة من شأنها أن تخدم الثورة، على اعتبار أن ذلك يشكل دافعا نحو طرح ومناقشة القضية إعلاميا.

لقد أثمرت تلك الجهود التي بُذلت، حيث غدت تركيا مساندة للقضية الجزائرية، وأبانت عن ذلك، من خلال انضمامها إلى الدول التي رفعت شكوى إلى الأمين العام للجمعية العامة للأمم المتحدة⁽¹⁾ ضد فرنسا، إلى جانب انضمامها إلى الدول الأربعة والعشرين التي طالبت بتسجيل القضية الجزائرية، في جدول أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة في السادس عشر جويلية 1958.²

7- جولته إلى أمريكا الجنوبية:

كانت هي الأخرى حاسمة جدا بالنسبة لجهة التحرير الوطني، التي انتظرتها بمعية الدول الأفروآسيوية، لتدخلها أكثر عزما من قبل وأشدّ تنظيما وتنسيقا، خاصة وأنها رأت خلال الدورة العاشرة، رأي العين مدى حرص فرنسا والدول الغربية المساندة لها إلى جانب بعض دول أمريكا اللاتينية وقد تتادت إلى ضرورة الوقوف صفا واحدا في وجه تكتل المجموعة الأفروآسيوية.

وقد علّق السيد فرحات عباس، على الحراك السياسي والدبلوماسي الذي اضطلع به بمعية عبد الرحمن كيوان في دول أمريكا الجنوبية، حيث استعانا في تلك

1أوردت جريدة المجاهد، النقاط المتضمنة في الشكوى التي رفعت إلى الأمين العام للجمعية العامة للأمم المتحدة، محددة وفق الآتي:

1-تعرب الجمعية العامة عن قلقها من الحالة في الجزائر. 2-تسجيل القضية عبر الوساطة التونسية المغربية. 3-تعرب عن رغبتها في أن تفتح محادثات وتستعمل وسائل أخرى، للوصول إلى حل يتلاءم مع أهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة. أنظر: المجاهد، عدد 42، مصدر سابق، ص 20.

2مريم الصغير، مرجع سابق، ص 246.

المهمة بالتونسي حسين التريكي الذي يجيد اللغة الإسبانية، حتى يسهل لهما أداء مهمتها على نحو أحسن. وقد مكثا في أمريكا اللاتينية من 10 سبتمبر إلى غاية 15 نوفمبر 1956، وزارا خلالها كلا من الأرجنتين، الأوروغواي، البراغواي، الشيلي، البيرو وبوليفيا،¹ بهدف وضع تلك الدول في الصورة الحقيقية للوضع في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي منذ العام 1830، ورصد مختلف المحطات البارزة في مسار تاريخ الجزائر، وصولاً إلى تقجير الثورة في الفاتح نوفمبر 1954، والتطورات التي شهدتها في مختلف المجالات، رغم سياسات القمع المتعدد الأشكال، التي اتبعت من طرف كافة الحكومات الفرنسية. وقد توخى موفدا الثورة كسب تأييد ومساندة تلك الدول وحملها على دعم ودفع الثورة جهوياً، إقليمياً ودولياً، خاصة وأن الثورة كانت مع موعد هام ومفصلي في مسارها، من خلال الدورة الحادية عشر، التي رغبت في كسب جولتها لصالحها.

إن حراك وفدي الثورة، لم يكن بمنأى عن متابعة مخابرات الاحتلال التي كانت ترقب حركتهم وترصد نشاطهم، وقد أدركت أهمية جولتهم وخطورتها على الموقف المتخذ على مستوى الهيئة الأممية، من حيث تداعياته السلبية على فرنسا، حاضراً ومستقبلاً. ولهذا بات من منظور الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية في بعدها الدولي، ضرورة القيام بحراك مضاد لإفشال مسعى الثورة.

8-تمثيل الثورة الجزائرية في طوكيو وبكين

لم يتوقف نشاط كيوان في العمل لصالح الثورة الجزائرية، فقد واصل جهوده تعريفاً وحشداً للدعم لفائدة القضية الجزائرية على الصعيد الدبلوماسي في شرق آسيا، بالنظر لأهمية وثقل المنطقة في دفع وتطوير العمل الدبلوماسي الثوري، حيث عينته لجنة التنسيق والتنفيذ على رأس مندوبية جبهة التحرير في

1-Ferhat Abbas: Autopsie d'une guerre, Editions, Garnier frères, Paris 1980,p181.

طوكيو، وقد ظل يؤدي مهمته هناك بهمة عالية بمساعدة عبد المالك بن حبيلس إلى غاية 1961، خلفا لعبد القادر شندرلي، حين قررت الحكومة المؤقتة تعيينه على رأس بعثتها في الصين، والفيتنام وكوريا الديمقراطية وكذا منغوليا، بموجب مرسوم صادر في 2 أفريل 1961.¹ ولعلّ الحدث الأبرز الذي ساهم بشكل رئيس في دفع القضية الجزائرية و التعريف بها أكثر من ذي قبل، هو مشاركة كيوان في مؤتمر طوكيو الدولي ضد الأسلحة الذرية، حيث كان كيوان ضمن رئاسة المؤتمر والذي انتهى إلى المطالبة باستقلال الجزائر.²

وكان للجنة اليابانية للتضامن الإفريقي الآسيوي دور بارز، خاصة وأنها ركزت جهودها على الأوساط الفاعلة في المجتمع المدني، كما نشط كيوان في 30 مارس 1958 يوما للتضامن مع الجزائر في طوكيو،³ ووسّع وكثّف نشاطه على نحو فاعل مع مختلف الوسائط الإعلامية والنخب السياسية فضلا عن مسؤولين وزارة الشؤون الخارجية، كما استغل كيوان فرصة عقد المؤتمر الدولي الرابع في طوكيو ضد الأسلحة الذرية، وقد أسفرت الجهود على إنشاء "لجنة مساندة الجزائر".⁴

وقد كانت رئاسته للبعثة حافلة بالنشاط، حيث التقى المسؤولين الصينيين في وزارة الشؤون الخارجية وأطلعهم على حقيقة الوضع في الجزائر. كما تحدث عن المفاوضات والشروط الفرنسية التعجيزية، كما كانت له لقاءات أخرى مع "جمعية الصداقة الصينية الإفريقية" وكذا "جمعية الإسلامية الصينية" التي نظمت

1 Abderrahmane Kiouane :op.cit,p 152.

2 La rédaction » : « Le Japon n et la lutte pour l'indépendance de l'Algérie», in « Mémoire » <https://memoria.dz/mai-2017/contribution/le-japon-la-lutte-pour-l-independance-l-algerie>

Le 05.10.2018.à 21h.

3Ibid .

4 Abderrahmane Kiouane :op.cit,p 152..

لقاء على شرف رئيس البعثة وممثلي الدول الإسلامية بمناسبة عيد الأضحى في 28 ماي 1961¹.

وفي سياق حراكه الدبلوماسي التقى رئيس البرلمان الصيني والوزير الأول، شاو أون لاي Chaou En Lai الذي سأله عما إذا كانت الأسلحة التي أرسلتها الصين إلى الجزائر عن طريق تونس قد دخلت الجزائر أم لا؟ فضلا عن سؤاله حول إمكانية إرسال تقنيين صينيين إلى الجزائر. وذهب الوزير الأول الصيني إلى القول بخصوص اتفاقيات إيفيان والمناورات الفرنسية للإبقاء على مصالحها الإستراتيجية: "إن الكفاح المسلح وحده الذي يمكن من تحقيق الأهداف...إن سياسة دوغول ترمي إلى البحث عن طرق جديدة لتمكين فرنسا من الحفاظ على مصالحها. إن الصحراء والقواعد العسكرية، هذه السياسة تمنعكم من أن تكونوا مستقلين استقلالاً كاملاً، لا شيء إلا لأن الحكومة الفرنسية وجدت صعوبات كثيرة حالت دون استمرارها في الحرب، ودفعتها للدخول في مفاوضات. يجب أن تواصلوا الكفاح أثناء المفاوضات والوضعية في تطور لصالحكم..."².

كان كيوان كثير الاجتهاد في استغلال الذكريات والمناسبات ذات الصلة بالثورة الجزائرية في تعميق التعريف بها وتوسيع نطاق الدعم الشعبي والرسمي على حد سواء، على اختلاف صوره و أشكاله، ولم يفوت ذكرى الفاتح نوفمبر 1961، حيث نظم في العاصمة بكين اجتماعا ضمّ نائب رئيس الوزراء الصيني ومسؤولين سامين في الحكومة إلى جانب الكثير من المنظمات الوطنية وممثلي السلك الدبلوماسي، حيث ألقى كيوان بهذه المناسبة خطابا، كما نظم على هامش هذا اللقاء معرض للصور خصص لأحداث ووقائع الثورة الجزائرية، وعلى غرار

1Ibid ,p171.

2Ibid ,p175.

ذلك، فقد عرضت الأفلام الآتية: "جزائرنّا"، "ياسمينّة" و"صوت الشعب". ولم يقتصر الاحتفال فقط على نشاط كيوان، بل أقدمت الحكومة الصينية والمنظمات الوطنية على استغلال هذه المناسبة لإبراز مدى عمق العلاقات الصينية الجزائرية وحرصها على دعم الثورة الجزائرية. وقد تمثلت تلك النشاطات في الآتي:

- 1- تنظيم تجمع من قبل المنظمات الوطنية الصينية يوم الفاتح نوفمبر 1961، وقد حضر التجمع كلا من نائب رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الشعبي الوطني، ورئيس جمعية الصداقة الصينية الإفريقية وسفراء الدول الإفريقية والعراق ورئيس الفدرالية الوطنية للنقابات الصينية. وقد أعطيت الكلمة لكيوان الذي استغل المناسبة وألقى خطابا.
- 2- أرسل رئيس الوزراء الصيني برقية إلى الرئيس بن يوسف بن خدة.
- 3- أرسلت الفدرالية الوطنية للنقابات الصينية والمنظمات الوطنية الصينية للشباب والطلبة والنساء، رسائل تضامن إلى نظيراتها في الجزائر.
- 4- حيّت جريدة لو كوتيديان دي بابل "Le Quotidien du peuple" في افتتاحيتها ذكرى الثورة الجزائرية، كما نشرت مقالات أخرى حول المناسبة.
- 5- خصصت الإذاعة الصينية ساعات من برامجها الوطنية لذكرى أول نوفمبر وللجزائر.
- 6- عرض التلفزيون الصيني بالمناسبة فيلما ثوريا بعنوان "جزائرنّا"¹. والشيء ذاته، بالنسبة لكوريا وفيتنام والاتحاد السوفيتي، حيث نحت منحى التذكير بالقضية الجزائرية والدعوة والحرص على توفير الدعم².

1Ibid,pp199-200.

2Ibid .

9- مسار كيوان بعد الاستقلال

عاد كيوان إلى الجزائر التي استعادت استقلالها، بعد عمل دبلوماسي مضمّن قاده إلى مختلف دول العالم، كما عاد بتجربة دبلوماسية ثرية اكتسبها من خلال الاحتكاك المباشر بمختلف الشخصيات السياسية والإعلامية والدبلوماسية، وقد علّق على عودته إلى الجزائر، غداة الاستقلال بالقول: "...لم أكن أتصور حضور هذا اليوم، وعندما نزلت بمطار عنابة عائدا من تونس ورأيت العلم الوطني يرفرف فوقه، تأثرت إلى حد أنه كان من الصعب أن أصدق بأن ما أراه حقيقة"¹.

أحبّ كيوان المحاماة كثيرا، وأحسّ بوجوب العودة إلى ممارستها وأن مهمته انتهت ببلوغ هدف الاستقلال² لذلك لم يطمع ولم يطمح إلى بلوغ المناصب العليا في الدولة الجزائرية التي كانت بحاجة ماسة إلى الطاقات والكفاءات على اختلاف طبيعتها، خلافا لما كان عليه الأمر مع الكثير الثوار في الداخل والخارج على حد سواء.

استطاع كيوان أن يفرض قوة شخصيته، ما حمل وزير الخارجية محمد خميستي³ أن يعرض عليه اختيار سفارة من السفارات لتمثيل الجزائر في الخارج،

¹ محمد عباس، المصدر السابق، ص 151.

² نفسه.

³ ولد محمد خميستي يوم 11 أوت 1930 بمغنية، ولاية تلمسان، كان أبوه فلاحا، وهو من عائلة مكونة من ابنين وثلاثة ذكور، زاول تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى وهران لمواصلة تعليمه الثانوي، حصل على شهادة البكالوريا تخصص رياضيات، ثم انتقل إلى مونبولي بفرنسا لدراسة الطب، غير أنه سرعان ما غير الاختصاص من الطب إلى القانون بطلب من جبهة التحرير الوطني. بعد تفجير الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، ناضل في صفوف الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وبعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 أوقفته الشرطة الفرنسية في مونبولي وأودع السجن ثم نقل إلى سجن سركاجي بالجزائر. أطلق سراحه في نوفمبر 1959، ثم واصل دراسته في كلية الطب بفرنسا، عين مندوبا للشؤون الاقتصادية في الهيئة المؤقتة من قبل جبهة التحرير الوطني، ثم مسؤولا بديوان الجهاز التنفيذي المؤقت برئاسة=

خاصة وأنه نسج علاقات كثيرة ومتنوعة في مختلف دول العالم، بيد أنه رفض العرض وتشبث بالبقاء في الجزائر، ومع إلحاح الذين قاسموه النضال من القدامى بوجوب عدم التخلف عن خدمة البلاد، ما دفعه إلى الاشتغال في الوظيفة العمومية إلى غاية مارس 1976.

معلنا الرغبة في التقاعد، في سن مبكرة، وبرأيي أن تعاطي النظام الجزائري مع بعض رفقاءه القدامى في النضال والعمل الثوري على اختلاف صوره، كحسين لحول وبن يوسف بن خدة وفرحات عباس والشيخ محمد خير الدين، بقسوة وشدة وتكريس الأحادية وتغييب الديمقراطية، كل هذه مجتمعة كانت سببا رئيسا في تحريك حسه الثوري وغيرته على المآل الذي انتهت إليه البلاد بعد استعادة الاستقلال. حيث اجتمعت الشخصيات الأربعة وحررت نداء توجهت به إلى الشعب الجزائري في مارس 1976، ومما جاء فيه: "للمرة الثانية في أقل من أربعة عشر عاما، الجزائر في صدام حقيقي مع الشعب المغربي الشقيق، فبين جنودنا وأبنائنا منهم قتلى وجرحى وأسرى، وذلك دون أن يأخذ شعبنا أية مسؤولية في هذا، إن أمواتنا وأموات المغاربة، والمعاملة غير الشريفة التي عومل بها إخواننا المغاربة الذين طردوا من الجزائر... والأحقاد التي سنتولد عنه ستعرض وحدة المغرب العربي الإسلامي للخطر... في انقلاب 19 جوان 1965 كان عليه أن يرد لشعبنا سيادته الكاملة لأن الذين قاموا به

= عبد الرحمن فارس، في 27 سبتمبر 1962 عين وزيرا للشؤون الخارجية في أول حكومة بعد الاستقلال. توفي 11 أبريل 1963 إثر تعرضه لعملية اغتيال، وهو يهيم بالخروج من مقر المجلس الوطني على الساعة الواحدة زوالا. يراجع:

Achour Cheurfi :op.cit,pp 204—205.

"محمد خميسبي شهيدي الدبلوماسية" في <https://www.algeriediplomatique.com/?p=4358> في 4 أكتوبر 2018 على الساعة 15.40.

كانوا حكموا بدون غموض على الحكم الفردي... ولكن للأسف الشديد هذا الانقلاب لم يغير شيئا، فعبادة الشخصية لازالت في أوجها والحكم الفردي لا يزال يمارس بدون رقابة وحظوظ وطننا موضوعة بين يديه¹.

كما طالب موقعو النداء من الشعب الجزائري العمل من أجل تكريس

الآتي:

- 1- انتخاب جمعية وطنية تشريعية ذات سيادة بواسطة استشارة شعبية حرّة.
 - 2- جعل حد لهذا النظام الفردي وإقامة حواجز شرعية ضد الانحراف من هذا النوع.
 - 3- إقامة حرية التعبير والفكر للذين طالما كافح الشعب الجزائري من أجلهما.
 - 4- فتح السبيل إلى إقامة مغرب عربي إسلامي يسوده الاتحاد والأخوة².
- بعد دخول الجزائر مرحلة التعددية السياسية بموجب دستور الجزائر الصادر في 29 فيفري 1989، وخاصة المادة الثامنة منه والتي قضت بالحق في تأسيس الجمعيات غير السياسية، بادر كيوان رفقة رفيق دربه في النضال الرئيس بن يوسف بن خدة، لتأسيس حزب سياسي سمي بـ "حزب الأمة" رغبة منه في إحداث التغيير الضروري والكفيل بإخراج الجزائر من المأزق مثلما شاركها في تحريرها وتمكينها من استعادة استقلالها.

¹ إسعد لهلالي، " الشيخ خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993"، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2005/2006، ص 156.

² المرجع نفسه.

10-وفاته وآثاره

توفي عبد الرحمن كيوان يوم السبت الفاتح فيفري 2013 عن عمر ناهز 89 سنة بعد أن أقعده المرض، نتيجة إصابته بجلطة دماغية سنة 2005¹ وقد ووري الثرى بمقبرة سيدي يحي، بحيدرة. وقد ترك آثارا تمثلت في ثلاثة كتب منشورة، تؤرخ لفترةتي الحركة الوطنية والثورة الجزائرية وهي أسفار ومصادر ثمينة للباحثين، خاصة وأن صاحبها كان صانعا وشاهدا في الآن ذاته للكثير من الوقائع التاريخية. وقد تمثلت الكتب الثلاثة في الآتي:

- 1- Aux sources immédiates du ,1^{er} Novembre, Editions Dahlab, Alger 1987(164pages).
- 2- Moments du mouvement national textes et positions, Editions Dahlab , Alger 1999. (349 pages).
- 3- Les débuts d'une diplomatie de guerre (1956-1962), journal d'un délégué à l'extérieur, Editions Dahlab, Alger 2000(257 pages).

¹Abderrahmane Sifaoui : " Abderrahmane Kiouane : L'heure De La Récompense Éternelle Est Venue "in le Jeune Musulman, n°14, du 26.03.2014.

محمد العربي دماغ العتروس مجاهدا ودبلوماسيا 1924.2017

✍ د/محمد قويسم

جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

ملخص:

سي محمد العربي دماغ العتروس رجل من الريف الجزائري عرف الفقر المدقع الذي سببه الإستعمار الفرنسي للجزائر منذ 1830، فكان من المناضلين في حزب الشعب الجزائري سنة 1941، ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وكان هو من جند مراد ديدوش ويوسف زيغود في الحركة الوطنية، أنخرط في الثورة الجزائرية سنة 1954 موظفا براحته في الكتابة والفكر بعدة لغات أجنبية لخدمة الثورة الجزائرية بإعداد التقارير وإلقاء الخطب والمحاضرات نال إعجاب الأدباء والمفكرين.

Summary:

si muhammad al arabi Dmaghalatrus a man from Algerian countryside, lived in heavy povrity because of french colonization to Algeria since 1830, therefore became a militant in Algerian Nationalism since 1941 in AlHarroush and Semendo village.

than a Mojahid in Great Algerian Liberation Revolution since 1954, exactly in Diplomatic field, inside Algeria and outside Algria in Eygpt, China, Vietnam, Soviet Union, Brasil, this paper research explain all those emements .

مقدمة:

عرفت الدبلوماسية الجزائرية خلال ثورة التحرير الجزائرية الكبرى (1954-1962) ظهور عدة شخصيات دبلوماسية منهم سي محمد العربي دماغ العتروس، متى ولد؟ وما هو نسبه؟، ما هو دوره النضالي والسياسي خلال الحركة الوطنية؟، ما هو دوره النضالي الدبلوماسي خلال ثورة التحرير الجزائرية

الكبرى؟، وكيف وظف نضاله الثوري في معركة التنمية بعد استرجاع السيادة الوطنية؟

1- مولده ونسبه:

هو محمد العربي دماغ العتروس¹ بن الساحلي بن علي و يمينه بنت أحمد دماغ العتروس ولد يوم 24 أكتوبر سنة 1924 بالقلعة (بالجيم المضخمة) بأولاد أحبابه التابعة لدائرة الحروش ولاية سكيكدة (ينظر الملحق رقم 01)²، من

1 كثير من الدراسات حول دبلوماسية الثورة أهملت الكثير من الشخصيات الدبلوماسية مثل سي العربي دماغ العتروس، محمد الصديق بن يحي، مسعود يوقادوم.... وهذه الدراسات هي:
- محمد خيشان: مهام الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني بالقاهرة 1947-1957، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، أشرف شاوشي حباسي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2001-2002؟
- مريم سيد علي مبارك: متفقون خلال الثورة، دار المعرفة، الجزائر 2012؟
- الملتقى الدولي المثقف والثورة (الواقع والرهانات) يومي 28-29 أبريل 2013، مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية جامعة 08 ماي 1945 قالمة، لم يذكر في أي سطر من المحاضرات التي أقيمت؟
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان 1982؟

- Abderrahmene Kiouane, les Débuts d'une diplomatie de guerre (1956-1962) journal d'un délégué à l'extérieure, Dahlab, Alger 2000
- Matthew connelly, a Diplomatic Révolution Algeria 's Fight for Independence and the origins of the post-cold war Era, Oxford university, new york 2002
2 شهادة ميلاد رقم 86 بلدية أولاد أحبابه، دائرة الحروش ولاية سكيكدة بحكم صادر يوم 20 جوان 1935، بشيشي الأمين: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، إشراف الأستاذ أمين بشيشي، إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات الجيب مارس الجزائر 2009، ص 08، بسمه بوتبان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد 3485، الخميس 25 أكتوبر 2018، ص 11، وهي صاحبة مذكرة ماستر بعنوان: دور أعلام سكيكدة في النضال الوطني، إشراف توفيق صالح، قسم العلوم الإنسانية جامعة سكيكدة 2013-2014 خصصت المبحث الثاني من الفصل الرابع لسي محمد العربي دماغ العتروس، عبد الله مقلاتي: موسوعة تاريخ الثورة التحريرية، ج 5، أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، دار شمس الزيبان للنشر والتوزيع الجزائر 2013، ص 150

Achour Cheurfi, Dictionnaire de la révolution Algerienne 1954-1962, Dictionnaire biographique, casbah editions, Alger 2004, p126

أسرة وطنية مجاهدة¹، من عرش أولاد أعطية الدريدي الاثنجي الهلالي فهو من فصيل البراددة أبا وأما وأصلهم من مشنة حلم بأولاد أعطية بالقل ثم توزعوا في بوقرينة وبئر الطاهر بالحروش وخندق عسلة بزرذازة وأولاد أحبابه، ويتكون فصيل البرادة من 19 لقب هو: بردودي، دماغ العتروس، بوشيوخ، حنديس، مجراب، مملوط، عرقوب، كنوشة، قرقوط(كركوط)، بزاز، زعلاني، زعيمش، بومزراق، قنبوعة، بوبريق، سياري، بومليطة، بولبنان، قطيط².

1 أسرة دماغ العتروس: منها 11 شهيد منهم حسين بن حملاوي دماغ العتروس ولد 1932 عضو جبهة التحرير الوطني استشهد سنة 1958، حسين بن محمد دماغ العتروس ولد 1925 عضو جيش التحرير الوطني استشهد سنة 1957، السعيد بن الساحلي دماغ العتروس (أخ سي محمد العربي) ولد سنة 1900 عضو جيش التحرير الوطني استشهد سنة 1959، حواس بن صالح دماغ العتروس ولد 15 ماي 1911 عضو جيش التحرير الوطني استشهد سنة 1956، و الطاهر بن السعيد (شهيد ابن أخ سي محمد العربي) وبن مريم بلقحري الذي ولد سنة 1933 بأولاد أحبابه، تعلم الوطنية من والده السعيد المناضل في حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، حيث شارك في مظاهرات ماي 1945 بمدينة قالمة المجاورة لأولاد أحبابه عبر واد زناتي، انخرط في الثورة الجزائرية منذ الفاتح نوفمبر 1954 تحت قيادة يوسف ندنن وشارك في عدة معارك وهجومات واشتباكات وكماثن هي: كمين السبت نوفمبر 1956 حيث قتل كل أفراد فرقة العدو لكن تدخل الطيران حال دون استيلاء المجاهدين على الأسلحة، ثم قصف العدو المنطقة واستشهد جزائريان من المدنيين ومشطت المنطقة حتى دوار بوطيب وغزالة، كمين سيدي نصر جانفي 1959، كمين بوصنيب أولاد أحبابه 1959، كمين الدريدات دوار غزالة خريف 1960، معركة الأيام الثمانية: أو الدواوير الثلاثة مليلة وأم النحل ولقرار ديسمبر 1959، معركة كاف الشعايرية دوار لقرار بالركنية قالمة، الهجوم على محتشد عين كحلة بأولاد أحبابه، معركة كاف ونار أبريل 1961، ترقى في المسؤوليات من قائد فوج، ثم قائد فرقة، ثم مسؤول عسكري بالقسم لأنه كان يجيد الخطط العسكرية استشهد بدوار لقرار ديسمبر 1961 ينظر: الأحداث العسكرية للولاية الثانية فترة 1956-1958، المنظمة الوطنية للمجاهدين، حزب جبهة التحرير الوطني (د ن) (د ت)، ص 43 شهداء الجزائر في ولاية سكيكدة 1954-1962 مديرية المجاهدين، دار الفجر للطباعة والنشر (د ت)، ص 109، 102.

2 حسني قيطوني: بلاد القبائل الحضرة عبر التاريخ، موطن كتامة والحرب الاستعمارية، ترجمة عز الدين بوكحيل، دار القصب للنشر، الجزائر 2015، ص 87، 83، الحاج صدوق: قانون فرنسا في ألقاب العائلات الجزائرية، جريمة نكراء في حق الهوية الوطنية، أعمال الملتقى الوطني الأول الموسوم الاحتلال الفرنسي =

رفض تغيير لقبه رغم ما فيه من تشويه (العتروس-التيس) حسب قانون الألقاب المشينة، ورأيه يبقى اسمه حتى تعرف الأجيال مدى جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ألقاب قبيحة ودون ذكر اسم الوالد والجد أو النسبة إلى قبيلة أو مدينة كأننا لقطاع عكس كل شعوب العالم¹.

هذا بالنسبة للقب أما المكان أولاد أحبابه هو عرش من أعراش المنطقة واسم مكان جغرافي مرتفع صيفه منعش وهوائه صحي لذلك ناسها غلاظ شداد آباء كلمات عينت السلطات الاستدمارية قايد من الحروش أو عزابة يدخلها للمرة الأولى فقط وإن غامر وعاد قتل لأنهم يملكون البنادق والتبغ².

2-نشأته:

نشأ في أسرة من ثلاثة إخوة (السعيد³، محمد، أحمد) وعدة أخوات، درس في أولاد أحبابه ثم الحروش بالمدرسة الأهلية الفرنسية (1931-1929) ثم انتقل إلى تلمسان حيث أكمل دراسته ثم رجع إلى عزابة سنة 1935 حيث نال الشهادة الابتدائية الفرنسية، كان والده الساحلي حافظ للقرآن كما كان جده من أمه سي أحمد دماغ العتروس، ثم درس بجامع الشرفه وزمورة على يد مشايخ جرجرة مثل الشيخ بلقاسم الحراشي وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية على يد والده

= للجزائر جريمة الألقاب المشينة، الجمعية الثقافية الوفاء سكيكدة 21-22 ديسمبر 2013، المعارف للطباعة
عناية الجزائر 2017، ص 37-48.

1 بشيشي الأمين: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص 08.
2 مشحود رايح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص 12-13.

3 السعيد دماغ العتروس: واحد من إخوة العربي مجاهد وشهيد وابنه الطاهر مجاهد وشهيد، 11 شهيد من هذه الأسرة.

الساحلي وعمه محمد الذي كان قاضي وعلى يد شيخ آل بن عيسى وهم من حفظة القرآن الكريم بآبيودرارن بجرجرة¹.

وكان تعليمه النظامي باللغة الفرنسية في الحروش ثم سكيكدة ثم تلمسان بين سنوات (1937-1939) حيث تنقل مع عمه محمد في إطار عمله قاضي، وفي زمرة الثانية بغليزان سنة 1936². اشتغل مترجم في محكمة الحروش وفي محكمة السمندو، ثم مساعد مترجم في محكمة السمندو وبعد تجنيد مترجمها عين مترجم سنوات 1942-1945 في اللغة الفرنسية والإنجليزية حيث كان الحلفاء الإنجليز والأمريكان في الجزائر وكانت لهم مراكز في الحروش في واد الحجر (ديدوش مراد حاليا) قرب السمندو³.

3-نضاله السياسي:

انخرط في الكشافة الجزائرية، بالحروش سنة 1941 وكان مرشدا، وكان بالحروش والسمندو حوالي 100 كشاف منهم عبد الرحمن كربوش، السعيد كربوش، مسعود بوقادوم، علاوة بوسلامة، ثم قام سي محمد العربي دماغ العتروس في السمندو بإدخال الطبيب الثعالبي المدعو سي علال ويوسف السعيد

1 محمد العربي ولد خليفة: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص06-07، بشيشي الأمين: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص08.

2 محمد العربي ولد خليفة: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص06-07.

3 علاوة عمارة: المسيرة النضالية والثورية للشهيد القائد محمد الصالح ميهوبي المعروف ببلميهوب، مع بعض المحطات الهامة في تاريخ ناحية السمندو (بلديات زيغود يوسف، ديدوش مراد، حامة بوزيان، بني حميدان، بني ولبان، وعين بوزيان حاليا) 1942-1956، طبعة مزيدة ومنقحة، تقديم الدكتور عبد العزيز فيلاي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة أم البواقي الجزائر 2017، ص56، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص15.

زيغود في حزب الشعب بعد القسم على القرآن لخدمة الجزائر سنة 1943 بعد الإعلان عن البيان في 10 فبراير الذي رقنه سي العربي بعد أن تسلمه من مسعود بوقادوم، ثم يوسف بوكبوس والبشير ميهوبي ومحمد الصالح ميهوبي، وكان العربي دماغ العتروس يدرّب المناضلين على الأناشيد الوطنية، وتحول يوسف السعيد زيغود من حداد لا يعرف السياسة إلى مناضل قوي الشكيمة وصاحب ذكاء فطري وشجاع لا يخاف، تحولت أسرته وكل السمندو إلى قلعة للوطنية¹. وانخرط في حزب الشعب الجزائري أيضا في سنة 1941 بفضل مسعود بوقادوم وعمره لم يتجاوز 17 سنة، وساهم في تحرير جريدة الأمة الناطقة باسم حزب الشعب الجزائري التي ورثها عن حزب نجم شمال إفريقيا وكان شعارها آية من القرآن الكريم² (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)³.

1 محمد العربي ولد خليفة: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص06-07، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص15، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الثانية، الثلاثاء 23 جمادى الأولى 1435هـ/ 25 مارس 2014، ص15
حربي محمد: الجزائر 1954-1962، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان 1983، ص110، علاوة عمارة: المسيرة النضالية والثورية للشهيد القائد محمد الصالح ميهوبي المعروف ببلميهوب، ص56-58، بسمّة بوتبان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد 3485، الخميس 25 أكتوبر 2018، ص11.

Harbi Mohamed, Une vie debout, Mémoires politiques, Tome1: 1945-1962, Casbah éditions, Alger 2001, p42

2 محمد العربي ولد خليفة: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، إشراف الأستاذ أمين بشيشي، إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات الجيب مارس الجزائر 2009، ص06، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص15

Chaibout brahim soltane, Zighoud Youcef, que j'ai connu-Temoignage-Alger 2007, p101, Achour Cheurfi, op, cit, p127

ذكر المؤرخ عمار نجار أن محمد العربي دماغ العتروس قدم سنة 1943 رسم لصورة العلم الوطني أنجزه في سكيكدة وقدمه في مقهى لرفاقه مسعود بوقادوم وحسين لحول... فاعتمدته القيادة وعممته¹، ويبقى الإشكال مطروح أن سكوت أسدل على هذا الأمر ونسب إلى زوجة مصالي الحاج التي تعتبر أول من أخاطت العلم الجزائري في باريس وتلمسان²، وحتى المناضل والمجاهد محمد العربي دماغ العتروس لم يفصل في هذا الأمر لأسباب مجهولة مثل عزة النفس في وجه نكران الجميل واستمر في سكوته عن هذا بعناد وأقسم ألا يصرح بأي شيء في هذه النقطة³.

شارك في مظاهرات ماي 1945 مع العربي حمودي المدعو بوبغل الذي كان يحمل العلم في السمندو، وشاهد الجندرية الاستدمارية يحملون الرشاشات في بلدة السمندو وعندما لا يجدون من يقتلون يطلقون النار على الحيوانات لترهيب الناس، واعتقل يوم الأربعاء 16 ماي 1945 على الساعة 09 صباحا وبقي تحت الإقامة الجبرية لمدة أكثر من ثلاثة أشهر، ثم استفاد من العفو نتيجة جهود لمين دباغين ومحمد الصالح بن جلول، وبضربة من بندقية عسكرية في 1945 تركته كالميت وسببت له عاهة في رجله، ورغم أن طبيبا منذ 15 سنة اقترح عليه إجراء عملية جراحية إلا أنه رفض هذه العملية (ينظر الملحق

1 عمار نجار: مصالي الحاج المفترى عليه، دار الحكمة الجزائر 2009، ص51، بسمّة بوتّيان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد3485، الخميس25 أكتوبر2018، ص11،

2 محمد لحسن زغيدي: العلم الوطني الجزائري، دلالات رمزية ومسيرة نضالية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2014، ص75 وما بعدها

3 دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الرابعة والأخيرة، الخميس25 جمادى الاولى1435هـ/ 27 مارس2014، ص15

رقم 02)¹. انتقل إلى الجزائر العاصمة مترجم للمناشير السرية لحزب الشعب الجزائري- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية باقتراح من محمد خيضر ولحول حسين، وأصدر صحيفة الجزائر الحرة ثلاث أعداد رفقة عبد الله فيلاي، بن الشيخ الحسين عبد الكريم وحامد روابحية، ثم جريدة الوطن (La Nation)، ثم مساعد للشيخ محمد السعيد الزاهري² على رأس جريدة المغرب العربي³.

وكان لمحمد العربي دماغ العتروس اليد أو الباع الطولي في نشر اللغة العربية في صفوف المناضلين، حيث كان كل يوم يعرب مصطلحات سياسية مثل: القول اجتماع وليس رينيون (Rénion)، كلمة والي وليس بريفي (Prefet) ورئيس دائرة وليس سوفريفي (Sous Prefet)، ومناضل وليس

1 علاوة عمارة: المسيرة النضالية والثورية للشهيد القائد محمد الصالح ميهوبي المعروف ببليهبوب، ص 67، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص 15

2 محمد السعيد الزاهري: هو غير زهير الزاهري (1908-1999)، محمد السعيد الزاهري بن البشير بن علي بن ناجي ولد سنة 1901 بليانة في بسكرة، درس في جهته ثم في جامع الزيتونة ونال شهادة التطويع بعد دراسة أربع سنوات ثم عاد إلى الجزائر سنة 1925، وانظم إلى حزب نجم شمال إفريقيا، انظم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أنشأ عدة صحف هي جريدة الجزائر التي صدر منها أربع أعداد وأوقفها الاستعمار الفرنسي، ثم جريدة المغرب العربي بمعية سي محمد العربي دماغ العتروس، اغتيل من طرف الاستعمار ونال الشهادة يوم الفاتح يناير 1956 ينظر: محمد العيد تاورتة: أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة البرق، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر 2007

3 دماغ العتروس محمد العربي: عبد العالي رزاق، قصة المواجهة بين العربية والفرنسية، جريدة الأحرار نوفمبر 2004، محمد العربي ولد خليفة: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص 06-07، مهري عبد الحميد: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص 10-11، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص 15، بسمه بوتبان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد 3485، الخميس 25 أكتوبر 2018، ص 11.

مليتان (Militant)، ووضع لذلك قاموس أو معجم كل شهر يتكون من ثلاثين مصطلح يتكون من كثير من المصطلحات التي تم تعريبها ومازالت مستخدمة حتى الآن¹.

في سنة 1947 كانت الانتخابات التشريعية للبرلمان الفرنسي، شارك في الحملة الانتخابية التي قررت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الدخول فيها وكان محمد العربي دماغ العتروس رفقة محمد الأمين دباغين، فقام محمد العربي دماغ العتروس وهو أمين سر جريدة المغرب العربي مع محمد السعيد الزاهري بإصدار ملحق وطبع منه 50 ألف نسخة منه لأنه للمرة الأولى تطرح القضية الجزائرية من قبل جزائريين في البرلمان الفرنسي، وكانت النتيجة انتخاب ستة جزائريين في البرلمان الفرنسي هم: محمد خيضر، مسعود بوقادوم (الحواس)، جمال درور، أحمد مزعنة، محمد الأمين دباغين¹¹، وهي قسمة غير عادلة بل ظالمة نائب لثلاث ملايين جزائري و 11 نائب لثمانماية ألف أوروبي؟!².

في أكتوبر سنة 1948 كان مرشحا عن الحركة الوطنية في الانتخابات البلدية ضمن ستين مرشحا، في ذلك الوقت لم تكن الرؤية واضحة في محيطنا، بدا الحديث عن شخص مرشح يتحدث باللهجة المصرية وباللغة العربية ولغة القرآن حتى وصل الحديث عنه وسط النساء، وانتخب نائبا عن حركة الانتصار

1 ولد خليفة العربي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال...ص07، دماغ العتروس محمد العربي: عبد العالي رزاق، قصة المواجهة بين العربية والفرنسية، جريدة الأحرار نوفمبر 2004.

2 دماغ العتروس محمد العربي: عبد العالي رزاق، قصة المواجهة بين العربية والفرنسية، جريدة الأحرار نوفمبر 2004، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص15، بسمة بوتبان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد 3485، الخميس 25 أكتوبر 2018، ص11، عبد الله مقلاتي: موسوعة تاريخ الثورة التحريرية، ج5، أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، ص150.

للحريات الديمقراطية ممثلاً للدائرة الانتخابية السادسة (الميلية القرارم) باختيار من الحزب مع الشريف بوقادوم الأخ الأصغر لمسعود (الحواس)، وقامت السلطات الاستدمارية بمنع المهرجانات الانتخابية من طرف الجزائريين بل قامت باعتقال كل من يروج لمرشح جزائري بمساعدة القياد بوضبع وبن شنوف والحواس بن حربي¹.

فصادف اليوم يوم جمعة يوم سوق في المليية فكان الخبر يمر من شخص إلى آخر بأن خطابا يلقيه الوطنيون خارج مدينة سكيكدة وهم محمد العربي دماغ العتروس والشريف بوقادوم وعلي بوزيد وموسى بولقرون ومسعود بوقادوم (الحواس)، وحمل الناس رؤوس ماذبح من الماعز ككلمة سر معناها انتخبوا دماغ العتروس، أو وضعوا رؤوس العتاريس في الققف لحث الناس على انتخابه، ولم تتفطن السلطات الاستدمارية للأمر إلا بعد فوات الأوان وحتى محمد العربي دماغ العتروس لم يكن على علم بذلك فهي من عبقرية المناضلين أخبر بها فيما بعد².

وكان مندوب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى الجمعية الجزائرية (البرلمان أو المجلس الجزائري) بين سنوات 1948-1952، حيث كان محمد العربي دماغ العتروس من المترشحين الستين (60) وكان أصغرهم سناً أربعة

1 مشحود رابح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص12-13.

علاوة عمارة: المسيرة النضالية والثورية للشهيد القائد محمد الصالح ميهوبي المعروف ببليميوب، ص56، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص15.

Harbi Mohamed, op, cit, p42.

2 دماغ العتروس محمد العربي: جريدة الشروق اليومي الجزائرية حوار م أسيا شلاي، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 14 مارس 2014، الحلقة الأولى (متابعة)، ص17، محمد عباس: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص17.

وعشرين سنة وهذا ما أهله لرئاسة الجلسة من منصة الرئاسة وافتتاح الجلسات رفقة الأكبر سناً¹.

وذكر المجاهد عبد الحميد مهري اليوم الذي دخل فيه الوطنيون الجزائريون الستة إلى البرلمان الفرنسي سنة 1948 وهم: محمد العربي دماغ العتروس، محمد خيضر مسعود بوقادوم(الحواس)، جمال دردور، أحمد مزعنة، محمد الأمين دباغين، حيث لبسوا لباسا مميزا مثل ارتداء الطرابيش وعند عزف النشيد الفرنسي التزموا مقاعدهم وبعدها رددوا النشيد الوطني فداء الجزائر روجي ومالي، ألا في سبيل الحرية فليحي حزب الشعب الغالي ونجم شمال إفريقيا فانهاالت عليهم الشتائم وأعتقل محمد العربي دماغ العتروس من منصة رئاسة البرلمان في أبريل 1948 من طرف شرطة التحريات العامة (P R G) الاستدمارية رفقة الحاج شرشالي وبوعلام باقي مناضل حركة الانتصار، وبقي محمد الهادي ولمين فروخي دون اعتقال².

وفي سنة 1952 فازت جماعة من المناضلين في مجلس عنابة منهم عمارة منصوري وعبد الرحمن خالدي وكان رئيس بلدية عنابة تبتالوني(Tiptaloni) استضاف وزير داخلية فرنسا مثيران (Francois Mittirant) في مهرجان في إحدى دور السينما في مدينة عنابة حيث رفض

1 حربي محمد: المصدر السابق، ص340.

Achour Cheurfi, op, cit, p127,

2 دماغ العتروس محمد العربي: جريدة الشروق اليومي الجزائرية حوار م آسيا شلاي، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/14 مارس 2014، الحلقة الأولى(متابعة)، ص17، محمد عباس: محمد العربي = دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص17، مهري عبد الحميد: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الأولى، الاثنين 22 جمادى الأولى 1435هـ/ 24 مارس 2014، ص15.

الوطنيون الجزائريون الوقوف للنشيد الفرنسي ووقعت مشادات بينهم ورئيس البلدية، وكان محمد العربي دماغ العتروس حاضرا وألقى خطابا حماسيا مؤثرا انتهى بمظاهرة في شوارع عنابة¹.

وفي سنة 1952 أيضا عندما زار مصالي الحاج سكيكدة والحروش (دار مسعود بوقادوم مقابل المجموعة المدرسية ثانوية زيغود يوسف حاليا) كان سي محمد العربي دماغ العتروس يركب معه في السيارة وهذا لمكانته الثقافية وعضويته في اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الأخيرة ما قبل الثورة². في سنة 1953 كان محمد العربي دماغ العتروس رفقة حسين لحول وآخرين معارضا بشدة الزعيم مصالي الحاج حين طلب تعيينه رئيسا دائم بكل الصلاحيات، لكن دون حقد حيث تولى في نفس السنة نقل جثمان زوجة مصالي الحاج وولديه علي وجنينه من الجزائر العاصمة إلى مرسيليا على متن السفينة القيروان وكان معه حسين لحول ومولاي مرباح³.

وفي سنة 1954 وقف مرة أخرى ضد مصالي الحاج وهاجمه بشدة في تقريره شهر جوان 1954 واتهمه جر المناضلين إلى العصيان وإلى تجميد الأرصدة، مما جعله يتعرض للاعتقال فور رجوعه إلى الجزائر العاصمة من قرية أولاد أحبابة مسقط رأسه قرب الحروش -سكيكدة لحضور وفاة ابن عمه أول نوفمبر وسجن 22 ديسمبر بسجن بربروس بمدينة الجزائر رفقة يوسف بن خدة ثم لحق بهم رابح بيطاط إلى غاية جوان 1955 حيث أطلق سراح دماغ

1 مشحود رابح: خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص12-13

2 مشحود رابح: شهادة حية يوم 29 أكتوبر 2018، قاعة المحاضرات الكبرى جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، Bebyoucef BenKHAEDDA, Les origines du 1er Novembre 1954, éditions dahlab, Alger 1989, p358

Rabah sakhri, el-Harrouch et ses Environs, Le Guide, 1997, p11

3 دماغ العتروس محمد العربي: عبد العالي رزاق، قصة المواجهة بين العربية والفرنسية، جريدة الأحرار

العتروس وأحمد بودة، عبد الرحمن كيوان، سيد علي عبد الحميد، وعبد الحكيم بن الشيخ الحسين¹.

رفض سي محمد العربي قيادة الثورة بطلب من محمد بوضياف بقوله: أضحي بنفسي وبعائلتي ودواري لكن لا أضحي بشعبي فغضب محمد بوضياف وقال اعتبروها عملية انتحارية ونحن مطرطينها بلا جدكم، رفض سي العربي لأنه مركزي حيث كان المركزيون يطالبون بتأخير اندلاع الثورة عدة أشهر لان فرنسا قوية وإمكانات المجاهدين ضعيفة ولا يمكن التعويل على وعود الرئيس جمال عبد الناصر².

4- نضاله في الثورة الجزائرية الكبرى:

في يوم 22 ديسمبر 1954 سجن محمد العربي دماغ العتروس وعبد الحميد مهري في سجن سركاجي، في إطار حملة اعتقالات قام بها الأمن الاستدماري تحت عبارة الليمون المر، وكان معهم أيضا بن يوسف بن خدة، أحمد بودة، عبد الرحمن كيوان، سيد علي عبد الحميد، وعبد الحكيم بن الشيخ الحسين، وأطلق سراحهم في أواخر مايو 1955 بحرية مؤقتة³.

وخلال السجن كانوا يتتبعون القضية الوطنية ولما عقد مؤتمر باندونغ أبريل 1955 ومشاركة جبهة التحرير الوطني فيه من طرف محمد يزيد وحسين آيت أحمد، حيث صاح عبد الحميد مهري فرحا قائلاً: الحمد لله أن السجن الذي

1 دماغ العتروس محمد العربي: عبد العالي رزاق، قصة المواجهة بين العربية والفرنسية، جريدة الأحرار نوفمبر 2004، دماغ العتروس محمد العربي: شهادة حية بجريدة الخبر اليومي الجزائري، يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول 1433هـ/ 14 فيراير 2018، ص18(ثقافة).

2 دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الثانية، الثلاثاء 23 جمادى الاولى 1435هـ/ 25 مارس 2014، ص15.

3 دماغ العتروس محمد العربي: شهادة حية بجريدة الخبر اليومي الجزائري، يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول 1433هـ/ 14 فيراير 2018، ص18(ثقافة).

ضربته فرنسا حول قضية الجزائر قد تم اختراقه عالميا وصار صوت الجزائر مسموعا في المحافل الدولية، ولولا عبد الناصر وسوكرانو وتيتو لفشل آيت أحمد ويزيد في باندونغ لان نهرو كان متعصب كاره للمسلمين¹.

بعد خروجه من السجن علم بقرار السلطات الاستدمارية بتصفيته جسديا لأنه كان يشكل خطر جدي عليها، وباقتراح من مبارك ماضي على الزعيم أحمد بن بلة طلب من القائد زيغود يوسف عن طريق المجاهد رابح مشحود خروج عبد الحميد مهري ومحمد العربي دماغ العتروس لحاجة الثورة لهما في الخارج². بعد هجومات 20-22 أوت 1955 بأسبوعين ذهب إلى فرنسا مع يوسف بن خدة وسعد دحلب وأسسوا لجنة صياغة وثائق للأمم المتحدة مع مصطفى الأشرف وشوقي مصطفى وبلعيد عبد السلام لكن كاتبة القنصل التونسي بلخوجة الفرنسية سلمت الوثيقة للسلطات الفرنسية، ولحسن الحظ أن مندوب باكستان في الأمم المتحدة دافع عن الثورة الجزائرية دفاعا مستميتا، و على ضوء نتائج وصدى الهجومات التي أكدت للعالم شعبية الثورة الجزائرية حيث عرضت لأول مرة في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة العادية في سبتمبر 1955، ولم تناقش بأغلبية صوت واحد لصالح فرنسا الاستدمارية³.

1 دماغ العتروس محمد العربي: شهادة حية بجريدة الخبر اليومي الجزائري، يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول 1433هـ/14 فبراير 2018، ص18(ثقافة)، 1 دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الثانية، الثلاثاء 23 جمادى الأولى 1435هـ/ 25 مارس 2014، ص15.

2 ولد خليفة محمد العربي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال...، ص17، مشحود رابح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص12-13، محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص12-13.

3 ولد خليفة محمد العربي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال...، ص17، مشحود رابح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص12-13، محمد لحسن زغدي: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989، ص100،

بعدها جاب سي محمد العربي دماغ العتروس ثلاثة أرباع التراب الفرنسي يدعو العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا إلى المشاركة في الثورة ودعمها ماديا ومعنويا، وبذلك ساهم مع محمد بوضياف في إفشال المصالية وتقوية جبهة التحرير الوطني في عقر دار العدو¹.

عند استشهاد فرحات حشاد الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل صباح يوم 05 ديسمبر 1952 حيث اغتالته منظمة اليد الحمراء الاستدمارية وهو في طريقه إلى نادي الاتحاد برادس في تونس العاصمة، كلف المناضل محمد العربي دماغ العتروس بتمثيل الحركة الوطنية الجزائرية ونقل التعازي للإخوة التونسيين².

كان موجودا في المؤتمر الثاني 24-28 مارس 1956 للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، بحضور 4 ممثلين من الجزائر وهم محمد الصديق بن يحيى، علاوة بن بعطوش، الأمين محند ومحمد الصالح بن قبي، الذي أعلن فيه الإضراب العام والشامل واللا محدود، مبرزا أن محمد العربي دماغ العتروس كان يعرض نفسه للخطر حتى من أبناء جلدته بمشاركته في نضال الطلبة في الجزائر و تونس وفي باريس، حيث خص مؤتمر الطلبة هذا بمحاضرة قيمة عن

3 دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الثانية، الثلاثاء 23 جمادى الاولى 1435هـ / 25 مارس 2014، ص15.

1 دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الرابعة والأخيرة، الخميس 25 جمادى الاولى 1435هـ / 27 مارس 2014، ص15.

2 ولد خليفة محمد العربي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص17، محمود آيت مدور: الحركة النقابية المغاربية بين 1945-1962، الجزائر وتونس نموذجا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2013، ص238 وما بعدها، بسمة بوتبان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد 3485، الخميس 25 أكتوبر 2018، ص11.

الحركة الوطنية والثورة الجزائرية حيث صال وجال بلغة عربية قوية ولغة فرنسية قوية وصاحب خبرة فذة في الحياة العامة والنضال خاصة¹.

استطاع سي محمد العربي دماغ العتروس تجنيد طالب جامعي وطني معجب بخطب سي محمد العربي هو عمر بن صدوق لقتل الخائن علي شكال المدعي أن الجزائر فرنسية في وسائل الإعلام والمحافل الدولية، ونجحت العملية في ملعب باريس الأولمبي يوم الأحد 26 ماي 1957 بقتل الخائن بوابل رصاص من مسدس وهو قرب رئيس الجمهورية الفرنسية الرابعة روني غوتي (René Coty)، مما وصح للعالم قوة الثورة و نظافتها من الإرهاب والعنف كما تدعي الدولة الفرنسية الاستدمارية².

في شهر نوفمبر سنة 1957 ألقى سي محمد العربي كلمة الوفد الجزائري في غرفة التجارة العربية والتقى برمضان عبان الذي كان عائد من تشيكوسلوفاكيا في مهمة لجلب الأسلحة مارا بسوريا³.

كان عضو البعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني (1957-1960) ،حيث انتقل إلى القاهرة في خريف 1957 وعمل مع رمضان عبان وسعد دحلب، حيث ذكر عبان في رسائله توبيخات خشنة للإخوة في الوفد الخارجي

1 بن قبي محمد الصالح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008 ص 13-14، أحمد مريوش: الحركة الطلابية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2005-2006 الفصل السادس، عبد الله حمادي: الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 (مشارب ثقافية وإيديولوجية)، منشورات الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين الجزائر 1994، ص 76-77، بسمه بوتبان: في ذكرى وفاة المجاهد والدبلوماسي العربي دماغ العتروس، جريدة أخبار اليوم الجزائرية، العدد 3485، الخميس 25 أكتوبر 2018، ص 11.

2 خالد رايح: الوجه الآخر للمرحوم دماغ العتروس، مجلة حوار الشهرية، الجزائر، 12 فيفري 2018

3 خالد رايح: الوجه الآخر للمرحوم دماغ العتروس، مجلة حوار الشهرية، الجزائر، 12 فيفري 2018

بالقاهرة يوم 04 تشرين الثاني نوفمبر 1955 بقوله: « أثير انتباهكم لـ ب و د (أحمد بودة و دماغ العتروس العربي)، لا يجب كشف أسمائهم كثيرا كما تريدون، فما الحيلة إذا كان كل ما يمس من قريب أو بعيد اللجنة المركزية السابقة يتقيؤه الشعب، إن الوضع مصالي نجح في هذا الميدان، حاليا يجب إعادة تأهيل رجال اللجنة المركزية وفقد الثقة في مصالي »¹.

في القاهرة كان سي محمد العربي دماغ العتروس يستغل رصيف ميدان سليمان باشا من أجل شراء الكتب حتى شاع أنه المكان الذي يقيم فيه محمد العربي دماغ العتروس وكان فيه مدبولي النار المصري الكبير فيما بعد، وألقى محاضرات كثيرة في نادي القصة ونادي الشباب المسلمين ونادي الصحفيين للتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط العربية والغربية، فنال إعجاب الشاعر الكبير المعطي الحجازي المحرر في جريدة الجمهورية وصاحب القصيدة المشهورة جميلة، ونال إعجاب مصالح الأمن المصري وخاصة رئيس المخابرات العقيد فتحي الذيب رحمه الله من خلال محاضرة ألقاها محمد العربي دماغ العتروس في مقر رابطة الطلبة المغاربة، حيث أظهر مستوى عالي في الإلقاء ومقدرة على الحوار².

1 ولد خليفة محمد العربي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص07، الأمين بشيشي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص08، الحاج يعلى: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص17، مشحود رابح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص17، بن حسين مبروك: المراسلات بين الجزائر-القاهرة، 1954-1962، مؤتمر الصومام في مسار الثورة التحريرية، منشورات القصة الجزائر 2004 ص114.

Harbi mohammed, Gilbert Meynier, LE F L N? Documents et Histoire 1954-1962, Casbah éditions, Alger 2004, p355

2 ولد خليفة محمد العربي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص07، الأمين بشيشي: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008،

ولما انتدب لتمثيل الجزائر في أمانة التضامن الأفريقي الآسيوي، شارك في مؤتمر المثقفين الافروآسيويين سنة 1958 في طشقند في أوزبكستان بالاتحاد السوفيتي رفقة الحاج يعلى، وحضر المؤتمر كبار الأدباء من آسيا وإفريقيا، أين كانت له تدخلات رائعة مما جعل الأديبة المصرية ذائعة الصيت سهير القلماوي تنثريه وتقول له: أنت العربي اسما ولسانا¹.

وتزامن مؤتمر طشقند مع إعدام أحمد زبانة في سركاجي بمدينة الجزائر، ونظم مفدي زكريا فيه قصيدة شبه زبانا بالمسيح، فسألت الصحافة والإذاعات عن القصيدة التي أحدثت ضجة ونشرتها مجلة أغانيوك(القبس) الشهيرة في موسكو بعد أن ترجمها سي محمد العربي إلى اللغة الروسية مع نبذة عن تاريخ كفاح الجزائر وتضحياتها².

وفي الحكومة المؤقتة كان يعمل في وزارة الخارجية برئاسة محمد الأمين دباغين، وهذا برفقة مسعود بوقادوم المدعو الحواس الذي كان الأمين العام لوزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة الأولى برئاسة فرحات عباس، ولم تظهر صورة سي محمد العربي في الصورة التذكارية لأعضاء الحكومة لأنه كان في مؤتمر طشقند السابق الذكر³. ثم تولى منصب الأمين العام المساعد لمجموعة الدار

ص08، الحاج يعلى: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال...، ص17، مشحود رابح: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص17.

1 الحاج يعلى: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص09-10، محمد العربي ولد خليفة: محمد العربي دماغ العتروس خصال ونضال، ندوة فكرية يوم 20 أكتوبر 2008، ص06-07.

2 دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الثانية، الثلاثاء 23 جمادى الأولى 1435هـ/ 25 مارس 2014، ص15.

3 عمر بوضربة: النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (رسالة ماجستير)، دار الحكمة للنشر الجزائر 2010، ص47، 321، دماغ العتروس العربي: حوار شامل لجريدة الشروق اليومي الجزائر، الحلقة الثانية، الثلاثاء 23 جمادى الأولى 1435هـ/ 25 مارس 2014، ص15.

البيضاء الإفريقية (1958-1960) في الأمانة الدائمة لمكتب الاتحاد ممثلاً للجزائر المكافحة، حيث قام بعدة أعمال هامة هي¹.

مثل سي محمد العربي دماغ العتروس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (ح م ج ج) في المؤتمر العربي للبتروال المنعقد في القاهرة في شهر أبريل 1959، وهذا تأكيداً من الثورة على عروبة أرض الجزائر وما تحويه من ثروات باطنية تسرقها الاستعمار الفرنسي منذ 1956 ومن أجل ذلك راح يعد المبررات أن الصحراء ليست جزائرية وبالتالي فصلها عن الجزائر².

وفي صيف 1960 عين عضو لوفد الذي أرسلته الثورة إلى أمريكا اللاتينية للتعريف بالقضية الجزائرية، كانت له مع المناضل بن يوسف بن خدة عند زيارتهما للبرازيل وكانت عاصمتها ريو دي جانيرو (Rio de Janiouro) من أجل التعريف بالقضية الجزائرية، وكان حينها للسفارة الفرنسية تأثير على حكومتها "فمنعنا من الدخول، وكان مبرر البرازيليين حينها خوفهم علينا، إلا أن سفراء باكستان ومصر ويوغسلافيا الذين كانوا في انتظارنا، اعتصموا في المطار وقالوا للسلطات إذا لم تسمحوا لهم بالدخول سنبقى هنا بالمطار معتصمين، فسمحوا لنا بالدخول"³.

وأضاف الشيخ العربي دماغ العتروس "في البرازيل عقدنا ندوة صحفية وكان من بين من حضرها أحد المعمرين الفرنسيين كان قد هاجر إلى البرازيل بعد أن باع أملاكه في الجزائر، وسألنا في هذه الندوة، إذا كنا نحارب من أجل

1 حربي محمد: المصدر السابق، ص 340 .

Achour Cheurfi, op, cit, p127

2 عمر بوضرية: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1962)، (رسالة دكتوراه)، دار الإرشاد للنشر والتوزيع الجزائر 2013، ص 392-393

3 دماغ العتروس محمد العربي: جمعية مولود قاسم، رجل أمضى حياته في النضال والجهاد والثقافة، بمقر المجلس الإسلامي الأعلى، جريدة المساء 11 فيفري 2013

الحرية والاستقلال بصدق، فلماذا يوجد ربع مليون جزائري يحاربون مع الجيش الفرنسي، فأجابه يوسف بن خدة رحمه الله، حيثما يكون الانكسار يكون العار، وأنتم الفرنسيون حينما دخل الألمان إلى بلادكم طلب 400 مائة ألف فرنسي الجنسية الألمانية¹.

واستطرد الأستاذ محمد العربي دماغ العتروس في حديثه، مؤكداً أن الذي أنقذ فرنسا من الألمان ليس شارل ديغول (Charle de Gaule) كما يزعمون، وإنما الذي أنقذها هو الماريشال بيتان (Petain) الذي تنازل للألمان عن أشياء كثيرة كانوا يطالبون بها، ورأى حسب رأبي أن الألمان والفرنجة إخوة ولا داعي لحرب بينهما لصالح أطراف أخرى في أوروبا أو خارجها².

في أبريل 1960 كان سي محمد العربي دماغ العتروس ضمن وفد الحكومة المؤقتة في جنوب شرق آسيا مع كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوالصوف وبوعلام بسايح وأحمد فرانسيس وعبد المالك بن حبيلس من أجل التعريف بالثورة الجزائرية وكسب الدعم الدبلوماسي والمادي من بلدان هذه المنطقة المناهضة للاستعمار، وزار الوفد بكين عاصمة الصين الشعبية وبيونغ يانغ عاصمة كوريا الشمالية، فيتنام، في هانوي استقبل الوفد من طرف هوشي منه وأمر كريم بلقاسم سي محمد العربي بكتابة خطاب الوفد وإلقائه في ملعب هانوي أمام الجنرال جياب وملايين الفيتناميين³.

1 دماغ العتروس محمد العربي: جمعية مولود قاسم، رجل أمضى حياته في النضال والجهاد والثقافة، بمقر

المجلس الإسلامي الأعلى، جريدة المساء 11 فيفري 2013

2 دماغ العتروس محمد العربي: جمعية مولود قاسم، رجل أمضى حياته في النضال والجهاد والثقافة، بمقر

المجلس الإسلامي الأعلى، جريدة المساء 11 فيفري 2013

3 خالد رابح: الوجه الآخر للمرحوم دماغ العتروس، مجلة حوار الشهرية، الجزائر، 12 فيفري 2018

5- وفاته:

توفي يوم السبت 09 صفر 1439هـ/28 أكتوبر 2017 في مستشفى عين النعجة العسكري عن عمر يناهز 93 عاما، بعد معاناته من عدة أمراض السكري وألم في المفاصل والضغط الدموي وألم في العين، حيث دخل في غيبوبة قبل ثلاث أيام دون فقه للذاكرة، ودفن بعد صلاة الظهر في مقبرة الشراقة في مدينة الجزائر يوم الاحد 10 صفر 1439هـ/29 أكتوبر 2017¹.

خاتمة:

محمد العربي دماغ العتروس مناضل عتيد من مدرسة مسعود بوقادوم(الحواس) ومحمد الأمين دباغين في الحركة الوطنية ومنها كان زيغود يوسف رحمهم الله، ثم مجاهد في ثورة أول نوفمبر الكبرى دبلوماسي وخطيب كبير، سفير ووزير في معركة التنمية واستمرار الثورة، على خط محمد العربي النبي الرسول صلى الله عليه وسلم، صلد ونطاح في الدفاع عن اللغة العربية في وطننا الجزائر قبل استرجاع السيادة الوطنية وبعدها ضد الفرنسية.

التاريخ الجزائري لم يصنعه الملائكة بل البشر، ولم يكتبه ولن يكتبه الملائكة، لذلك ليس مزور كما يقول البعض وإنما ليس دقيقا، فالتاريخ الدقيق (Microhistory) هو الذي يهتم بالتاريخ المفصل دون إغفال أي شيء في التاريخ الوطني أو المحلي، حتى لا يهضم حق أي شخصية مثل سي محمد العربي دماغ العتروس، مسعود بوقادوم المدغو الحواس ... في جهة الحروش بسكيدة وفي غيرها من أرجاء الوطن.

1 جريدة البلاد: المجاهد والوزير الأسبق محمد العربي دماغ العتروس في ذمة الله، مسار طويل في النضال

[illegible]

المصدر: بلدية أولاد أحبابة يوم 2018/10/10 من طرف الباحث

الملحق رقم 02

تقرير شرطة الاستعلامات أو التحريات العامة (PRG) الاستدمارية

عن محمد العربي دماغ العتروس

Influence : Certaine dans les milieux nationalistes de la région d'El-Arouch.- Condé-Smendou.

Attitudes politiques : Nationaliste convaincu.

A été assez longtemps Mouchid de la troupe S.M.A. de Condé-Smendou.

S'est déjà signalé à l'attention des autorités en Mai 1945, époque à laquelle il a été interné.

Candidat aux élections à l'Assemblée Algérienne d'Avril 1948 dans la 6^e Circons. (Commune de P.E. de Graram et C.M. d'El-Milia) a pris la parole à

diverses reprises au cours de la campagne électorale et a tenu des propos très violents contre la France

A été élu, le 4 Avril 1948, avec une majorité écrasante sur tous ses concurrents.

Objet de poursuites judiciaires, pour atteinte à la sûreté de l'Etat, à la suite de la diffusion de la

..



المناضل البارز في حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية العربي دماغ

العتروس⁽³⁾ لعب دورا أساسيا في نشر الأفكار الاستقلالية ببلدة السمندو حيث كان

خصوصا مرشد الكشافة الإسلامية بالبلدة التي تخرجت منها النواة الأساسية للنضال

الوطني بالمنطقة وانتخب نائبا عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية ممثلا للدائرة

الانتخابية السادسة (المبلية-القرارم)

المرجع: علاوة عمارة: المسيرة النضالية والثورية للشهيد القائد محمد الصالح

ميهوبي...ص56.

أضواء على مسيرة الدبلوماسي محمد الصديق بن يحيى

من خلال النصوص التاريخية والصحفية

✍ د/حليم سرحان

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

محمد الصديق بن يحيى عميد الدبلوماسية الجزائرية وشهيدها المغدور به الذي لم يعرف له مثل في كل الأوقات على الصعيدين الداخلي والخارجي، محور هذه المداخلة وصميم موضوعها. يستحق منا دون مواربة الذكر الجميل، والاهتمام اللائق به على الأقل بكتابة جزء يسير من سيرته وتخليد ذكره والتعريف به للأجيال الناشئة على أوسع نطاق، اعترافا لتلك الأعمال الجليلة التي قام بها خدمة للقضية الجزائرية العادلة التي استحوذت على وجدانه وغمرته منذ كان طفلا لم يشب عن الطوق. وقد أنتت هذه المناسبة التي جمعتنا عبر هذا الملتقى المنظم من قبل جامعة المسيلة قصد التأريخ للعمل الدبلوماسي الثوري سانحة علمية وجب اقتناصها وعدم تركها تمر مر الكرام للحديث عن هذه الشخصية التاريخية الفذة التي لم تحظ برعاية المؤرخين، ولم تتل ما تستحق من دراسة الباحثين إلى هذه اللحظة رغم كونه أشهر من نار على علم. وما كتب عنه لا يعدو كونه شذرات متفرقة في الصحافة المكتوبة المنتشرة هنا وهناك لا تخدم متفرقة إلا جانب ضيق من تاريخ المسار الدبلوماسي للثورة التحريرية. وسنحاول هنا جهد المقل ما استطعنا إلى ذلك سبيلا الإحاطة بأهم المحطات التاريخية في حياته من بدايتها إلى آخر رمق لفظ فيه أنفاسه وهو في مهمة دبلوماسية خطيرة للواسطة من أجل فض النزاع المسلح بين المتخاصمين العراق وإيران

الذين أشعلا نيران الحرب في منطقة الشرق الأوسط وطوحا بالمنطقة في أتونها المستعرة. فما هي يا ترى هذه المحطات التي طبعت مسيرته النضالية، وإلى أي مدى أسهم في الدبلوماسية الثورية منذ خطواتها الأولى تحت نير الاحتلال الفرنسي الغاشم، وإلى غاية وفاته؟ هذا ما سوف نجيب عنه، آملين إلقاء الأضواء الكاشفة عليه فيما يلي:

أولا- نبذة عن حياة محمد الصديق بن يحي

ولد الدبلوماسي الشهير محمد الصديق بن يحي يوم 3 جانفي 1932 بمدينة جيجل في أسرة عريقة كريمة المحتد تقطن بمحاذاة الكنيسة بقلب المدينة لأبوين هما فرحات بن يحي، وصفية خلاف ابنة الجاه والمال. وكان أصغر إخوته عبد الرحيم، وبوعلام، وأخت وحيدة أنجبت طبيب القلب البروفيسور نبوش العامل بمستشفى مصطفى باشا بالجزائر¹.

بدأ مشواره التعليمي بالمدرسة الفرنسية _ الفندق لم يعد لها وجود اليوم _ في البلدة شأن جميع أبناء الطبقات الميسورة في ذلك الزمن. وقد أشار لي صديقه المرحوم بوعلام قاور في هذا الصدد خلال حديث خاص جمعتني به ربيع سنة 2001 مفاده أن التلميذ النجيب محمد الصديق كان مجتهدا منذ اللحظات الأولى التي وطئت فيها رجلاه هذه الابتدائية حيث لفت أنظار معلميه الفرنسيين لا سيما السيدة غلادان (Gladin) التي انبهرت بنبوغه المبكر وتقرست فيه حتى أنها تنبأت له بمستقبل زاهر إذا استمر على ما هو عليه في تلك السن الباكرة ووجد الرعاية الكافية، وكان ذلك حسب المتحدث في بداية الحرب العالمية الثانية سنة 1939، والعهد هنا على الراوي حفاظا على الأمانة العلمية. وتقول سوزيت غرانجيه المؤرخة فرنسية بنت الأقدام السوداء أصيلة مدينة جيجل أن

1_ Ali Boudjedir: **Mohamed Seddik Ben Yahia, un nationaliste convaincu**, Numidia livres, Constantine, 2013. , p, 13.

محمد الصديق الذي تجري في عروقه دماء الشجعان كان يبدي عداؤه جهارا نهارا للمعمرين بمعية أحد أبناء عائلة بوربون ولعله الكاتب الكبير مراد. تابع تعليمه الإقامي في ثانوية دومنيك لوتشياني بمدينة سكيكدة في الفترة ما بين 1948-1949 ثم حول إلى ثانوية ألبرتيني بسطيف حيث أمضى سنتين دراسيتين هنالك مع بعض المناضلين الذين كانوا يقاسمونهم الأفكار الوطنية ذاتها ومنهم رشيد كرمان، وظل بمدينة سطيف إلى أن حصل على شهادة البكالوريا¹. والتحق بعدها بكلية الحقوق بجامعة الجزائر إذ بقي فيها فيما بين 1951_1955 يزاول دروسه حتى حصوله على شهادة الليسانس، ودخل منذئذ في سلك المحاماة من الباب الواسع متربصا عند أشهر المحامين اليهود بالمدينة يدعى أوشيش حيث أوكل له هذا الأخير المرافعة في قضية الدفاع عن أحد مفجري الثورة المناضل رابح بيطاط الذي أوقفته سلطات الاحتلال بعد اندلاع الثورة، ومن هنا بدأ نجمه يسطع، وقدره يعلو في سماء السياسة، ومهنة المحاماة، والسلك الدبلوماسي الثوري. كما تجدر الإشارة أنه أقام أثناء هذه الفترة في حي الطلبة الذي يحمل اسم لاروبرتسو (La Robertsau) الواقع بالتليملي بأعالي مدينة الجزائر _ شارع كريم بلقاسم اليوم _.

ثانيا _ نضال محمد الصديق بن يحي في ميدان الدبلوماسية الثورية:

يحسن بنا الإشارة إلى أن محمد الصديق بن يحي المناضل العتيد في حزب مصالي الحاج حركة انتصار الحريات الديمقراطية بدأ يتحرك في فلك هذا التنظيم السياسي قبل أن تنفك عراه بين المصاليين والمركزيين. ثم برز أكثر بصفته رئيسا للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين² (U.G.E.MA) الذي

1_ Ibid., p, 61.

2_ Mahfoud Bennoune, Ali El Kenz : **Le Hasard et L'histoire entretiens avec BelaidAbdesselam**, tome1, E.N.A.G., éditions, Alger, 1990, pp, 38-39.

تأسس على إثر اجتماع جمعية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا في باريس بإذن من جبهة التحرير الوطني ووصايتها ما بين 4_7 أبريل 1955¹. ويقول المؤرخ الفرنسي غي برفيللي بشأن هذا التنظيم الطلابي الجديد بقيادة محمد الصديق بن يحيى، وعلاوة بن بعطوش، ولمين خان وغيرهم من الطلبة المنضوين تحت لواء الحزب الوطني إنه أصبح عبارة عن وحدة قتالية تابعة لجبهة التحرير². وقد استطاعت الثورة أن تنتقي لها نخبة من الدبلوماسيين المحنكين من أمثال هؤلاء السادات العظماء سالف الذكر. وكان إلى ذلك عضوا نشطا في التنظيم الطلابي خلال هذه المرحلة الهامة من بداية الثورة بشهادة مجموعة من عارفه وعلى رأسهم رئيس الحكومة السابق السيد بلعيد عبد السلام رفيق دربه في جامعة الجزائر³.

ويقول صالح بن القبي صديق بن يحيى في جامعة الجزائر أيضا إن: " أول مهمة دبلوماسية ذات شأن اضطلع بها الطلبة باسم الثورة تمثلت في الاتصال الذي كلف بإجرائه مكتب الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين مع حكومة الرئيس غي مولي في فبراير 1956 بمدينة الجزائر يوم محاولته تنصيب الوزير المقيم الجنرال كاترو. وترأس الوفد الجزائري بهذه المناسبة المرحوم محمد الصديق بن يحيى والجانب الفرنسي السيد كومين بصحبة السيد هيريو... ثم سرعان ما صارت الثورة في حاجة إلى طلبة يتفرغون لنشاطها السياسي الخارجي. وأول تعيين من هذا القبيل كان في اعتقادي، قد مس الأخوين الأخضر الإبراهيمي والمرحوم محمد الصديق بن يحيى، وقد تم هذا التكليف إبان مؤتمر

1_ عمار هلال: نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، ط5، دار هومة للطباعة، والنشر،

والتوزيع، الجزائر، 2012، ص، 24.

2_ Guy Pervillé : Les étudiants Algériens de l'université Française 1880-1962, Casbah éditions, Alger, 2004., p, 139.

3_ Bélaid Abdesselam: L'union générale des étudiants Musulmans Algériens (UGEMA), éditions Anep, Alger, 2001., p, 88.

الطلبة المنعقد بباريس في مارس 1956¹. وهذا دليل على المكانة التي كان يحظى بها عند مسؤولي الثورة العسكريين والسياسيين على قدر المساواة. ويضيف الكاتب في موضع آخر من كتابه قائلا: " ومعلوم أن الأخ محمد الصديق بن يحي مات شهيد الواجب... ولم يلبث كطالب أن تخلى عن رئاسة مكتب الجزائر، مباشرة بعد انتهاء المؤتمر العادي الأول للطلبة الذي انعقد بباريس من 24 إلى 30 مارس 1956 لتمثيل الجزائر، بمعية الأخ لخضر الإبراهيمي، في مؤتمر باندونغ للطلبة، وللتفرغ بعدها للنشاط السياسي في الخارج"². وهو الذي ترأس هذه البعثة التي مثل فيها عنصر الطلاب الشباب علاوة على إشرافه المباشر تنظيم إضراب الطلبة الجزائريين وحثهم على الالتحاق بالثورة في الجبال يوم 19 ماي 1956. كما كلف من طرف قيادة الثورة في هذه المرحلة من فتح مكتب جبهة التحرير بمعية الأخضر الإبراهيمي في جاكرتا³. وزيادة على هذا تم اختياره من قبل مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956 في القائمة الإضافية عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A)، ثم بعدها عضوا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، فمديرا للديوان بالرئاسة، وذلك بطبيعة الحال في سنة 1960. فماهي إذا ملامح هذا النشاط، وهذه المسؤولية التي أقيت على عاتقه باسم الثورة الجزائرية المظفرة؟

1_ صالح بن القبي: الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم ومحاضرات أخرى، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، د.ت، ص، 18_19.

_ صالح بن القبي: عهد لا عهد مثله أو الرسالة التائهة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص، 72.

1_ عمر بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1960)، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص، 219.

1_ موفد الحكومة المؤقتة إلى مولان (29-25/1960-06)

استجابة لدعوة شارل ديغول للحكومة الجزائرية المؤقتة في 14 جوان 1960 للجلوس بطريقة مباشرة و رسمية ولأول مرة منذ اندلاع الحرب حول طاولة المباحثات من أجل مناقشة بعض النقاط الحساسة خاصة ما تعلق منها بوقف القتال بين الطرفين المتحاربين، ومعالجة تنقل الأسلحة، ومصير المقاتلين. أما استقلال البلاد فلم يكن وارد من أساسه في أجندة الجنرال. وأن هذا الأمر جاء بعد لقاء سابق في الإليزيه في باريس جرى بين الرئيس الفرنسي وبن رابح محمد زعموم _ سي صالح _ قائد الولاية الرابعة التاريخية الذي تم عزله من قبل الحكومة في جويلية 1960 على خلفية اللقاء الذي أجراه سرا من تلقاء نفسه دون إخطار المسؤولين السياسيين. ولتقادي أي تأويل قد يعصف بقيادة الثورة شرعت الحكومة عقب ذلك اللقاء المشبوه في نظرها إرسال موفدين لها على جناح السرعة هما محمد بن يحي مدير ديوان رئيس الحكومة المؤقتة فرحات عباس، وأحمد بومنجل مدير الشؤون السياسية بوزارة الإعلام للقيام بمفاوضة الجانب الفرنسي بمدينة مولان الفرنسية ثم انضم إلى الركب السيد محمد حقيقي بن عمار من وزارة التسليح والاتصالات العامة بمباركة عبد الحفيظ بوصوف¹. وقد اتصل بهؤلاء المفاوضين المحافظ روجيه موريس السكرتير العام للشؤون الجزائرية في وزارة الخارجية الفرنسية، وبعض الضباط العسكريين من المصالح الخاصة منهم على سبيل الذكر الجنرال دو كاستين، والعقيد ماتون². إلا أن اللقاء باء بالفشل الذريع لتعنت الطرف الفرنسي وتمسكه بالامشروط بأحقيته في امتلاك الصحراء الجزائرية وإخراجها من نطاق المفاوضات الشيء الذي رفضته البعثة الجزائرية شكلا ومضمونا. ويظهر حسب بن يوسف بن خدة رئيس

1_ Rédha Malek: L'Algérie à Evian Histoire des négociations secrètes 1956-1962, éditions Dahlab, Alger, 1995., p p, 62-63.

2_ Mohamed Teguia : L'Algérie en Guerre, O.P.U., Alger, 1988., pp, 363-364.

الحكومة المؤقتة الثالثة أن إخفاق هذه المفاوضات كان واضحا من البداية. كما شرح ديغول باستفاضة موقفه للصحافة يوم 5 سبتمبر 1960 مبينا الأسباب الحقيقية التي أدت إلى فشل هذا اللقاء التاريخي في مولان¹. وكان غرض الفرنسيين من هذا الحراك جس النبض لاستقراء أفكار قيادة الثورة، واستدراج الجزائريين إلى اتفاق أولي بشروط يضعها ديغول². ومن ضمن تلك الأسباب المعلن عنها أن محمد الصديق بن يحيى ورفيقه اعتبرا من طرف فرنسا متمردين وبالتالي لا يمكن الثقة بهما والتحاور معهما النذ للند كدبلوماسيين محترفين، إذ لجأت السلطات الأمنية الفرنسية إلى حجزهما في محافظة مولان الواقعة بالقرب مدينة باريس من 25 إلى 29 جوان، وتضييق الخناق عليهما ومنعهما من الاتصال بالخارج مع أي طرف كان³. ولعلها كانت أول تجربة في معترك العمل الدبلوماسي خاضها محمد بن يحيى رغم النتائج المفضية إليها.

2_ مفاوضات في إفيان الأولى (5-20-1961)

شارك بن يحيى في اللقاء الأول بمدينة إفيان الواقعة على الحدود الفرنسية السويسرية بتاريخ 20 ماي 1961 بصفة مفاوض معين من طرف الحكومة الجزائرية المؤقتة مع كوكبة من الشخصيات الوطنية من طينة الكبار كريم بلقاسم، وسعد دحلب، وأحمد فرنسيس، ورضا مالك، وأحمد بومنجل، والطبيب بولحروف، وقائد أحمد. أما البعثة الفرنسية المفاوض معها فتكونت من السادة لويس جوكس، وكلود شاييه، وبرونو دولوس. وقد تأخر تاريخ تحديد هذا اللقاء لبعض الظروف الطارئة التي لم تكن في الحسبان منها اغتيال عمدة مدينة

1_ Jean Charpentier: « La France et Le G.P.R.A. », in annuaire français de droit international, volume 7, France, 1961., pp, 864-865.

_ محمد بوازديّة: " الجزائر نهاية الحرب " جريدة الخبر الأسبوعي، العدد 316، 25 مارس 2005، ص، 4.

3_ Benyoucef Ben Khedda : **La fin de la guerre d'Algérie Les Accords D'Evian**, 2° édition revue et augmentée, O.P.U. et éditions E.N.A. P, Alger, 1988.Pp, 20-21.

إفيان، ومحاولة الإطاحة بديغول من طرف غلاة الجزائر فرنسية يتقدمهم السفاح صلان. وكل مرة تعنت الطرف الفرنسي بتمسكه بموقف معالجة قضية وقف إطلاق النار لا غير وإهمال القضايا الأخرى، والتركيز على الصحراء، وانتهت المفاوضات يوم 13 جوان كما بدأت برفض الوفد الجزائري المقترحات الفرنسية دفعة واحدة، وتشبث الطرف الفرنسي بشروطه للحفاظ على مكتسبات المعمرين الأوروبيين وتجريد جيش التحرير من أسلحه. كيف لا تتمسك فرنسا بالصحراء بعد اكتشاف أبار البترول الذي كان حديث الساعة يومئذ. ورجع لويس جوكس وصحبه إلى باريس بخفي حنين يجرون أذبال الخيبة وراءهم¹.

3_ المبعوث الدبلوماسي إلى مدينة بال السويسرية (28-29/10-1961، 9-11-1961)

أوفدت الحكومة المؤقتة إلى مدينة بال السويسرية في تاريخ 28 أكتوبر من سنة 1961 الدبلوماسيان المحنكين محمد الصديق بن يحي، ورضا مالك للتفاوض مع مبعوثي الدولة الفرنسية برونو دولوس، وكلود شاييه، بناء على رغبة ديغول خوض غمار اللقاءات المباشرة مع قادة الثورة ربحا للوقت. ودار الحوار هذه المرة على وحدة التراب الوطني دون تجزئة الصحراء التي كان الطرف الآخر يحاول الاستحواذ عليها لما فيها من خيارات طبيعية، وبيت سموم التفرقة وربط محور النقاش بدول الجوار لتأليب الأفارقة على الجزائريين. وكان بن يحي عنيدا في مواقفه جميعا لا يتنازل عن مطالب الحكومة المؤقتة قيد أنملة².

1_ Maurice Flory : « **négociation ou dégagement en Algérie** », in annuaire français dedroit international, volume7, France, 1961., p, 847.

2_ Saad Dahlab : **pour L'indépendance de L'Algérie Mission accomplie**, éditions Dahlab, 1990., pp, 154-155.

4_ بن يحي في إفيان الثانية ووقف القتال (3-18-7-1962)

كان محمد الصديق بن يحي حاضرا بصفة مفاوض رسمي في جل اللقاءات المراتونية بين مبعوثي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والوفد الفرنسي خلال جميع مراحل المشاورات، والمباحثات بشأن فك معضلة الاحتلال الفرنسي الذي جثم على صدور الجزائريين وإلى الأبد، الأمر الذي جعله يطلع عن كثب على أدق تفاصيل المفاوضات من بدايتها إلى نهايتها ويمارس دورا رياديا لا يستهان به إلى غاية المرحلة الأخيرة من وضع حد للقتال ووقف إطلاق النار في 19-3-1962 واسترجاع السيادة الوطنية. واتفق الطرفان في نهاية هذه الجولة على عدة أمور نذكر منها بعض النقاط:

_ إعلان وقف إطلاق النار وإصدار العفو العام.

_ الاعتراف بوحدة الأراضي الجزائرية، وإجراء استفتاء يقرر فيه الشعب الجزائري مصيره في مدة لا تتعدى ستة أشهر. وهكذا انتهت الحرب وكان محمد الصديق بن يحي ضمن الوفد الذي أخذ حرية الشعب الجزائري وحقه السليب مدة 132 سنة في مهمة دبلوماسية عسيرة خلدها التاريخ المعاصر.

ثانيا_ محمد الصديق بن يحي بعد الاستقلال

إن استعداد بن يحي الفطري وشجاعته النادرة، وكفاءته العالية، وذكاءه الخارق هي دون ريب الصفات التي أهلته لتقلد بعض المناصب الحساسة في دواليب السلطة المركزية بالجزائر وبالخارج معا الأمر الذي دفع بالقائمين على رأس الدولة الجزائرية المستقلة يتقدمهم الرئيس أحمد بن بلة إلى تكليفه بمهمة سفير في عدة عواصم أوروبية وعلقت الصحافة الفرنسية في هذا الباب عندما تم تعيينه سفيراً لدى موسكو من شهر فيفري 1963 إلى 1965 قائلة في

1_ Charles Robert Ageron : « **Les accords d'Évian (1962)** », in vingtième siècle, revue d'histoire, n°35, juillet- septembre, France, 1992., pp, 3-15.

افتتاحيتها وبالبنط العريض الثعلب عند الدب الروسي، وهي كناية عن حذق بن يحيى للدبلوماسية. ولما آلت مقاليد السلطة إلى يد العقيد هواري بومدين عينه سفيرا للجزائر في العاصمة البريطانية لندن سنة 1965 ثم استدعاه بعد فترة وجيزة أي سنة 1966 لتقلد وزارة الإعلام والثقافة بدلا من السيد بشير بومعزة الذي أنهيت عهده حيث قام في هذه الفترة بتنظيم المهرجان الإفريقي الأول في الجزائر. وقد علق الصحفي يوسف فرحي عن هذه المرحلة أن الوزير كان مثله كمثل يد من حديد ملفوفة في قفاز من مخمل¹. ثم عين وزيرا للتعليم العالي والبحث العلمي في الفترة الممتدة ما بين 1970-1977 إذ أخذ على عاتقه إصلاح المنظومة التعليمية بها ويشهد له على براعته الجميع. وبعدها عين في منصب وزير المالية بدأ من سنة 1977 إلى حين سنة 1979 انتخابه في المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني وتعيينه في منصب وزير الخارجية خلفا للوزير عبد العزيز بوتفليقة إذ ظل بالمنصب إلى حين وفاته. واتسمت هذه المرحلة برفعه عاليا الراية الوطنية في المحافل الدولية حيث سجل نصرا دبلوماسيا منقطع النظير عندما نجح في قيادة مفاوضات شائكة بين الولايات المتحدة وإيران بخصوص أزمة الرهائن 52 المحتجزين سنة 1980، وتمكن من فك خيوطها دون إراقة قطرة دم واحدة الشيء الذي جعل ورن كرستوفر ممثل أمريكا يثني عليه ثناء لا نظير له.

ثالثا_ نهاية مأساوية لمبعوث السلام

توفي محمد الصديق بن يحيى وزير خارجية الجمهورية الجزائرية عن خمسين سنة، عبر كل الزوابع التي خاضها يوم الإثنين 3 ماي مساء²، في

1_ M.Az : « portrait d'un homme d'état le négociateur à L'indomptable énergie », Le quotidien el watan, n°8105 , Alger, 23 mai 2017.,pp, 6-8.

2_ Jean-Louis Arnaud: « A travers toutes les tempêtes », Le quotidien Français Le matin, Le 05 mai 1982.

حادثة مأساوية تمثلت في سقوط الطائرة غرومان ج2 (Grumman G2) التي كانت تقله والوفد المرافق له المكون من ثمانية من كبار المسؤولين وأربعة من أفراد طاقم الطائرة¹. وكان ذلك على الحدود الإيرانية العراقية بلدة قطور. وانطلقت الطائرة من مطار الجزائر متجهة إلى طهران على الساعة الخامسة وعشر دقائق بعد الظهر وأعلنت السفارة الجزائرية بطهران وزارة الخارجية الجزائرية أن الطائرة لم تصل. وقد تولى وزير الخارجية الإيراني على ولايتي إذاعة نعي بن يحي في صبيحة الثلاثاء 4 ماي مؤكدا على أن أسباب الوفاة راجعة إلى المؤامرة المبيتة عن سيق الإصرار والترصد التي حبك فصولها بدقة متناهية نظام البعث العراقي، وذلك بناء على التحقيقات الأولية التي قام بها رئيس لجنة التحقيق الإيرانية على أرض الواقعة العقيد باهمان فرغاني. إذ إن الطائرة كانت محل ملاحقة من قبل طائرتين قنصتين عراقيتين أطلقت صاروخ صنع روسي أدى إلى تحطيم الطائرة². وهي الزيارة الرسمية الأولى التي قام بها وسيط السلام إلى إيران في إطار المساعي التي اقترحها الرئيس الشاذلي بن جديد للوساطة بين المتحاربين في 7 أبريل أملا في وضع حد نهائي للحرب، وقد قام المبعوث الجزائري بلقاء الرئيس صدام حسين في بغداد بتاريخ 17 أبريل وتباحث معه في ذات الشأن عارضا له موقف السلطة الجزائرية من أجل تحقيق السلام في المنطقة. وسارع الرئيس الجزائري على إثر الفاجعة إلى تشكيل لجنة للتحقيق في أسباب وملابسات تحطم الطائرة أوكل إلى السيد صالح قوجيل وزير النقل مسؤولية ترأسها. ويذكر صحفي جريدة لوموند الفرنسية أن القدر كان قاسيا على بن يحي

1_ Daniel Junka: «après la mort de M. Benyahia Le gouvernement Algérien veut faire toute la lumière sur les circonstances de l'accident », Le quotidien FrançaisLe monde, le 6 mai 1982.

2_ P.B: « ministre des affaires étrangères M. Ben Yahia trouve La mort dans un accident d'avion à La frontière irano-turque », Le quotidien Français Le Monde du 5 Mai 1982.

فقد تعرض في السنة الماضية 30 ماي 1981 لحادث سقوط طائرة مشابه بالقرب من مطار بماكو عاصمة مالي أين حل لبعض الوقت قبل الذهاب إلى فريتاون بجنوب إفريقيا أين سيجتمع حكماة قارة إفريقيا للتشاور بشأن القضية الصحراوية والنزاع في التشاد وتحضير قمة نيروبي وعمل المنقذون ما بوسعهم قرابة 20 ساعة قبل أن يعثروا على حطام الطائرة الذي توصل إليه أحد الرعاة في المنطقة وسط المراعي المتزامية الأطراف. وظن الجميع في الجزائر أن بن يحي قضى نحبه في هذه الحادثة المميتة ونكست الأعلام الوطنية حدادا على رحيله المفجع، وأذيع خبر موته حسبما صرح به المدير العام للطيران المدني سابقا السيد زوبير بررهي¹. وأذاع راديو الجزائر الآيات القرآنية وبدأت المراسيم الجنائزية تحضر بدأ من النعش الذي شاعت الأقدار أن لا يحمل عليه إلى في السنة الموالية من الشهر نفسه فسبحان الله. إلا أن القدر كان بجانبه ونجا وعه ثلاثة ركاب من موت محتوم بعدما تعرض لجروح خطيرة وكسور على مستوى عظام الفخذ ونقل إذ ذاك على جناح السرعة إلى مستشفى كوشان (L'hôpitalCochin) في باريس للعلاج. ثم عاد إلى الجزائر في 29 أوت من السنة ذاتها للنفاضة الأمر الذي تطلب منه عدة شهور لتحصيل العافية قبل الشروع في العمل الدبلوماسي من جديد وكأنه قدر عليه أن يكون مبعوثا دبلوماسيا للجزائر إلى آخر قطرة من دمه. فرغم مثوله للشفاء إلا أنه بقي يعاني من آلام حادة في الظهر. كما أثرت هذه الحادثة على حالته الصحية فزاد نحافة عن ذي قبل².

Zoubir Bererhi : « il ya 30 ans, La mort tragique de seddik benyahia et ses ¹ compagnons », el watan Le 03 mai, Alger, 2012.,p, 21.

² _ p.B : Le monde ... op.cit.

رابعا_ انطباعات أصدقاء محمد الصديق بن يحي:

لا شك أن بن يحي كان معروفا لدى جميع مناضلي الحركة الوطنية بجميع أطيافها¹، ويذكر الدبلوماسي والسفير الشهير محمد يزيد في الشأن ذاته أن بن يحي كان صديقا للشعراء وخاصة لمالك حداد، ومولعا بالطرب والغناء العربي الكلاسيكي الأصيل، لشغفه الكبير بموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، وعميد الأغنية الشعبية الجزائرية الحاج محمد العقنا. وكانت له ميول واضحة لسماع الجاز الأمريكي. زيادة على حبه للثقافة العالمية، وإسهامه في إنشاء المجلات الثقافية التي صدرت بعد الاستقلال ورعايتها ومنها مجلة آمال على سبيل الذكر لا الحصر. كما كان بن يحي من المساهمين في كتابة نص الدستور الجزائري في سنة 1964، ثم في سنة 1976. ومن المعروف أن بن يحي كان محبوب الجماهير العريضة نظرا للسمعة الكبيرة التي يتمتع بها من زمن الحركة الوطنية وحرب التحرير، وتواضعه الجم وتفانيه في خدمة الجزائر، وقيامه بالمهام الدبلوماسية الصعبة، وفي أحلك الظروف فقد قيل أن وزير الخارجية الروسي في ثمانينيات القرن الماضي لم يضحك قط وقد رصدت مجلة تايم الأمريكية ملايين الدولارات لمن يقتنص صورة لهذا الفيل كما كان يطلق عليه في الصحافة الأمريكية، ولم يتم أخذ تلك الصورة إلا عندما تمكن محمد الصديق بن يحي من فك أزمة الرهائن الأمريكان كما مر بنا قبل حين عند ذلك قهقه الوزير الروسي وضحك ملء شذقيه واتخذت له صورة في ذلك الموقف لا شيء إلا أن أكبر دولة في العالم عجزت عن حل تلك المشكلة الصغيرة في نظره ولجأت إلى دبلوماسي من العالم الثالث تترجاه أن يتوسط لها مع إيران. إن محمد الصديق بن يحي من رجال الدولة الجزائرية المعدودين الذين يمتقنون الجهوية، وسوء

1_ Anne- Marie Louanchi : *Salah Louanchi parcours d'un militant Algérien*, éditions Dahlab, Alger, 1999., p, 113.

الخلق، والخيانة، والكذب، والتملق، والتزلف إلى الحكام. وهذا شأن جميع العظماء في مشارق الأرض ومغاربها.

خاتمة:

إن الحديث عن المبعوث الدبلوماسي للثورة التحريرية محمد الصديق بن يحيى لا يقتصر على هذه النقاط المفصلية التي قدمناها في هذه الورقات المعدادات، بل يطول، ويتشعب بحيث لا يسع المجال هنا لعرض جميع محطات سيرة حياته التي اقترنت بحرب التحرير المجيدة في جناحها الدبلوماسي منذ أول بعثة تمثيلية له قام بها في مؤتمر باندونغ الخاص بالطلبة سنة 1956 بتكليف من قادة الثورة. وقد انتهت بوفاته الأليمة في ذلك الحادث المروع الذي ضرب الدبلوماسية الجزائرية في العمق. رحمه الله وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه. آمين



صورة أخذت لزعماء الثورة الموقوفين بفرنسا

من اليمين محمد بوضياف، رابح بيطاط، أحمد بن بلة، محمد الصديق بن يحيى، محمد خيضر، حسين آيت أحمد.



محمد الصديق بن يحي من اليمين برفقة الوفد الجزائري المفاوض في إفيان.

الشهيد مصطفى فروخي من المجلس الجزائري إلى جبهة الدبلوماسية

1960-1922

✍ د/ تونسي عبد الرحمان

جامعة الجليلي بونعامة - خميس مليانة

الملخص:

اكتسبت الدبلوماسية الجزائرية دفعا جديدا بعد سنة 1956 بانضمام طاقات جديدة برهنت عن فاعليتها النضالية والدبلوماسية في إطار الحركة الوطنية بمختلف أطيافها، ناهيك عن مستواها العلمي الذي بلغ الآفاق. ومترجمنا شهيد الدبلوماسية مصطفى فروخي رحمه الله من هذا الجيل العتيد، فمن هو يا ترى وما هي عوامل تفوقه النضالي والدبلوماسي يا ترى.

الكلمات المفتاحية: فروخي - مليانة - الكشافة - المجلس الجزائري -

الدبلوماسية - هوشي منه - الصين.

Sammury

La diplomatie algérienne a pris un nouvel élan après 1956 avec l'apparition de nouvelles énergies qui ont démontré son efficacité dans la lutte et la diplomatie dans le cadre du mouvement national dans tous ses aspects, sans oublier le niveau scientifique qui a atteint les horizons. Et notre interprète Shahid Diplomatie Mustafa Froukhi, que Dieu lui fasse grâce à partir de cette génération, qui est-ce et quels sont les facteurs de son combat et de sa supériorité diplomatique, vous voyez.

تمهيد

لعبت الدبلوماسية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية دورا أساسيا، وذلك استكمالا للكفاح المسلح، في مواجهة دبلوماسية فرنسا وإعلامها المغرض، ولقد بذل

الدبلوماسيون الجزائريون قصارى جهودهم من أجل جلب دعم معنوي ومادي لقضية بلدهم العادلة، وهذا نتبينه من خلال دور الشهيد مصطفى فروخي في الصين والفيتنام.

حياة الشهيد مصطفى فروخي: (1922-1960)

- تعليمه

من مواليد مدينة مليانة في 15 ديسمبر عام 1922 من أسرة متواضعة شعبية عريقة محافظة، تعود أصولها لقبيلة فروخة بالمتيجة، ومن والدين كريمين مستورين، اعتنيا به عناية فائقة في تربيته وتعليمه، ونشأت على حب العلم والفضيلة، فنشأ محبا للعلم، محافظا، إلى أن أكمل دراسته الابتدائية بمليانة، إذ حصل على الشهادة الابتدائية في المدرسة الأوربية بمليانة سنة 1937¹، في حين نجح في نفس السنة صديقه محمد ماروك في المدرسة الأهلية بمليانة، بتقدير جيد، رفقة زواغي بشير.² ثم حصل رفقة محمد ماروك وبشير زواغي على شهادة الدروس التكميلية لأبناء الأهالي صيف 1938، التي تسمح لهم بالانتقال إلى المدرسة الشرعية³.

إذ التحق بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة موسم 1940⁴، وقد كان فيها من الطلبة النجباء المتميزين وممن يهتمون بتطورات الأحداث في البلاد، ويتابعون الشؤون السياسية العامة⁵.

1 - « Miliana, Résultats des examens du certificat d'études primaires, garçons », in: L'Echo d'Alger 24/05/1937/05. p 5

2 - Ibid, p5.

3 - « Bourses de C.C », L'Echo d'Alger du 05/06/1938, p5.

4 - LA MÉDERSA, division normale, in: L'Echo d'Alger du 01/07/44. P 2.

5 - كانت تسمى في أغلب الأحيان بالمدارس الحكومية الثلاث أو المدارس الرسمية بالإضافة إلى تسمية الفقهية بالشرعية كونها تدرس علوم الشرع، الفقه والمواد الدينية الإسلامية. ينظر: أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي ج 3 ص 367.

التحاقه بحزب الشعب

وكان الطلبة بالعاصمة، وخاصة بالمدرسة الثعالبية على علاقة وثيقة بالمناضل، ولعله كان -من خلال اتصالاته الدائمة بهم- مسؤولاً، يشرف على توجيههم السياسي بأمر من الحزب، بما أنه من خريجي المدرسة. تعرف عليه مصطفى، وتعرف على آخرين خاصة ممن يدرسون بالمدرسة نفسها. وجد أن ميوله أقرب إليهم معجبا بالأفكار الراديكالية الاستقلالية يحملوها، فانضم إليهم. ومنذ ذلك العهد اعتبر محبا نشيطا في حزب الشعب الجزائري. وتقديرا لميله المبكر للأفكار الاستقلالية، ولثقة الحزب فيه، كلف -وهو طالب شاب يتابع دراساته في السنة الأولى- بربط الاتصال بين الحزب بالعاصمة وفرعه بمليانة، ونقل الأوامر والتعليمات الشفوية. إلى أن وجد نفسه مناضلا متحمسا في صفوف الحزب. ينشط فيه بعزم وإخلاص. ويضحى من أجله في الكثير من الأوقات بدروسه، لأن ظروف الحزب وحاجاته إلى طليعة مثقفة للتوعية وتحرير المناشير والمقالات تتطلب ذلك، هي الظروف التي اضطرت مصطفى لأن يتفرغ للنضال الحزبي على حساب الدراسة، وأن ينال إعجاب المسؤولين وثقتهم، لما عهد فيه من إخلاص، وثقافة مزدوجة¹.

وكان مصطفى يغتنم فرصة العطل ليوصل النشاط في سرية كاملة، مع رفاقه من مناضلي حزب الشعب: الصادق باطل، محمد مروي، محمد قلعي وإبراهيم بوزار، وهم جميعا من مواليد مليانة².

1 - محمد الطيب العلوي، مصطفى فروخي شهيد الوطن والواجب، مخطوط على الرقاقة، ص 08. ينظر أيضا: محمد الطيب العلوي، من السمنود إلى مليانة، مذكرات الشيخ المدير محمد الطيب العلوي 1928-1956، دار الهدى، 2018.

2 - يلاحظ أن معظم هؤلاء المناضلين كانوا في قسم دراسي واحد مع فروخي فترة الثلاثينيات. ينظر:

L'Echo d'Alger du 05/06/1938, et 19/06/1938.

وقد مر الحزب بمضايقات جمة كما تعرض منتسبيه لقمع وحشي، كما تعرض للضغوطات كل من يشك في انتمائه إليه، إلى أن عاد الحزب إلى نشاطه السياسي باسم جديد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تحسبا للانتخابات التشريعية المقررة في 10 نوفمبر 1946م¹.

مصطفى فروخي ونيابة المجلس الجزائري:

وعندما قررت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية أن تترشح للانتخابات في كل المجالس، ترشحت أولا للمجالس البلدية بقوائم لا تضم إلا مناضلي الحزب. وعلى هذا الأساس وضعت عام 1947 في مليانة قائمة على رأسها محمد مروي، وقد حققت الحركة نجاحا باهرا وقد انتخبت من طرف العديد من الناخبين في المدن والأرياف إذ جمعت أصوات حوالي 110 بلدية بما في ذلك أمهات المدن الجزائرية فيما عدا بعض المدن ذات الأهمية مثل مليانة². وبهذا جسدت الحركة تلاحم الشعب معها وقد استحوذت على مجمل المقاعد في المدن الكبرى وحتى في الأرياف رغم العديد من التجاوزات التي حصلت في هذه انتخابات³.

1- بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية 1898-1974، تر الصادق عماري

- مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر 2002، ص ص 197-198.

2 _ العلوي، مصطفى فروخي، المرجع السابق. ص 10.

3-محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، ج2، ط1، تر أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر 2008، ص 1060.

شجع الحركة على الترشح مرة ثانية ومن جديد للمجلس الجزائري عام 1948¹، ولكن اختيار الشخص كان من بين المشاكل التي واجهت القيادة، فدرست الموضوع دراسة واعية، لاحظت أن الصادق باطل² قد غادر الحزب، وانتقل إلى العاصمة، وهذا ما دفعها لأن ترشح محمد مروت للمجلس البلدي، واستطاع أن يفتك منصب نائب شيخ البلدية في مليانة، وقد صار فيما بعد أحد مسؤولي المنظمة شبه عسكرية OS. كما رشحت في نفس القائمة محمد قلعي للمجلس البلدي، وكان من الناجحين أيضا رفقة مروت، وهو في الوقت نفسه مسؤول ناحية مليانة في المنظمة شبه العسكرية³.

ومعنى ذلك أنه لا يمكن ترشيحهما مرة أخرى للمجلس الجزائري. إذن، بقي الخيار بين اثنين هما: مصطفى فروخي، وإبراهيم بوزار ... إبراهيم بوزار من عائلة حكومية يحتل أكثر أفرادها وظائف في الإدارة الفرنسية، ومن أقاربه قائد المدينة. وليس من المتوقع أن يجلب أصوات عائلته للحزب... وبهذا، لم يبق في ساحة الاختيار إلا مصطفى وهو الشاب الذي تتوفر فيه جميع الشروط المطلوبة للمجلس الجزائري: ثقافة باللغتين، ونضال متين نظيف، وفترة كافية برهن فيها على الإخلاص، والصدق في العمل، وفضلا عن كل هذا فهو من عائلة شعبية، لديها استعداد لأن تنتخب وطنيا، فتكسب الحركة عدادا مرتفعا من

1 - من بين الانتخابات التي لفتت الانتباه أكثر من غيرها انتخابات المجلس الجزائري، في سنة 1948، ذلك لأنها شهدت مشاركة كل الأحزاب الوطنية بما فيها حركة انتصار الحريات الديمقراطية وعرفت كل أنواع التدليس، والتزوير، وأعمال القمع، والاضطهاد في حق المناضلين وبعض المترشحين. ينظر: لحسن جاكرو، "انتخابات المجلس الجزائري في معسكر 11/4 أبريل 1948"، في مجلة المواقف العدد 3، ديسمبر 2008، ص.ص: 113-122.

2- من أصدقاء الطفولة لفروخي، اشتهر في ميدان كرة القدم مع فريق مليانة SC. MILIANA ينظر: L'Echo d'Alger 1939-02-17, p 8.

3 - العلوي، مصطفى فروخي، المرجع السابق. ص 10.

الأصوات.. هذه الاعتبارات لم يهضمها المنافس الآخر بوزار. وأدى به سوء تقديره للموقف إلى انسحاب من الحزب تماما، والانضمام إلى حزب " الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري " الذي أنشئ عام 1946 ويسميه العامة "حزب فرحات عباس" ¹.

نجح مصطفى نجاحا ساحب على مرشحي الأحزاب الأخرى وعلى مرشح الإدارة، وقد تم إلقاء القبض على بعض المترشحين أثناء الحملة الانتخابية، كما فعلت مع أكثرية النواب الوطنيين المرشحين للمجلس الجزائري إذ أوقف ما يزيد عن خمسين مرشحا. ولكن مناورات نايجلان Naegelen ² جوبهت بإصرار المناضلين وحرصهم على مراقبة الصناديق وملازماتها حتى يحولوا دون التزيف بما استطاعوا من قوة، حتى أن أحد المناضلين في ضواحي عين الدفلى لم يجد حلا للصندوق الذي ملأته الإدارة أمام عينيه، إلا أن يخطف الصندوق ويفر به ³.

1 - محمد الطيب العلوي، من السمندو إلى مليانة، مذكرات الشيخ المدير محمد الطيب العلوي 1928-1956، دار الهدى، 2018، ص273.

2 - نايجلان Naegelen : (1892-1978) ، تولى نايجلان - بعد انتهاء الحرب - وزارة التربية، ثم عين واليا عاما على الجزائر، ولكنه لم يلبث فيها طويلا (1948-1951)، وقد ترشح للانتخابات الرئاسية في فرنسا (1953) فخسرها. اقترن اسمه بتزوير الانتخابات التي جرت في الجزائر في سنة 1948 لانتخاب ما سمي "المجلس الجزائري". ينظر: حورية بن فضة، الجزائر في عهد الحاكم العام نايجلان (1948-1951)، مذكرة ماجستير في تاريخ المقاومة، جامعة الجزائر2.

- قام المناضل مولج بلقاسم بجمعة أولاد الشيخ التابعة آنذاك لثنية الحد بالاستحواذ على صندوق الانتخابات وتسليمه للمناضل فروخي مصطفى بمقر الحزب بخميس مليانة، كما قام المناضل بولوحة في منطقة تاغزولت التابعة أيضا لثنية الحد بالاستحواذ على الصندوق وتكسيهه. ينظر: محمد بن سماعلي، من دواعي ونتائج انتفاضة أولاد الشيخ وهرارات سنة 1948م، دار شطايب، الجزائر 2013، ص-ص 143-144. « La SFIO, Guy Mollet et l'Algérie de 1945 à 1955 », Guy Pervillé, 1983. in Guy Mollet, un camarade en République, Presses Universitaires de Lille 1987,

لم يكن نجاح مصطفى في تلك الظروف بالأمر السهل ... وبطبيعة الحال فإن فوزه ضاعف عداوة المنافسين له من مختلف الأحزاب، وحتى من داخل حزبه. أما هو فقد وجه كل نشاطه لخدمة الحزب، والتتديد في خطبه ومقالاته وتدخلاته داخل المجلس بسياسة الاستعمار الفرنسي. وبذلك تحول من طالب عادي، هادئ، مثقف، مسالم في نظر الإدارة الفرنسية، إلى نائب لا يخفي عداوته للسلطة الاستعمارية، ويصطدم أحيانا بالسلطات المحلية، ممن عرضه وأسرته إلى المضايقات والملاحقات اليومية تقريبا¹.

لقد نجح مصطفى في المجلس الجزائري، ضمن عدد محدود حددته الإدارة الاستعمارية، تحدد في سبعة وهذه أسماؤهم: مصطفى فروخي. شوقي مصطفىاوي. محمد الحاج الشرشالي. محمد العربي دماغ العتروس. أحمد بودة. جيلالي مبارك. الأمين بالهادي².

هنا يدخل مصطفى مرحلة جديدة من حياته السياسية النضالية على المستوى الوطني، حيث أصبح نائبا بالمجلس الجزائري، وهو المجلس المرفوض أساسا من الحركة الوطنية عندما نوقشت قضية الجزائر وقانونها بالبرلمان الفرنسي. إلا أن الهدف النبيل في التعريف بالقضية، والعمل على نشر الفكرة الوطنية الاستقلالية بين أكبر عدد من أفراد المجتمع الجزائري هما الهدفان اللذان أقنعا الحزب على الاشتراك في هذه المؤسسة واستغلالا داخليا وخارجيا، مادام نوابها يتمتعون بحصانة برلمانية، ولو أن هذا المجلس يجسد " قانون الجزائر "

et « La gestion radicale de l'Algérie », 1950-1955, in Cahiers d'Histoire (Lyon), tome XXI, 1986, n°3-4.

1 - العلوي، مصطفى فروخي، المرجع السابق.

2 - Jacques Jurquet. LA **REVOLUTION. NATIONALE ALGERIENNE. ET LE PARTI COMMUNISTE. FRANCAIS.** Tome 2. - 2 42 08. Editions du Centenaire ...

الصادر عام 1947، لم يقبله النواب الجزائريون بالبرلمان الفرنسي، وعبروا عن معارضتهم له بانسحابهم -على اختلاف نزعاتهم الحزبية- من قاعة البرلمان أثناء التصويت عليه. وقد بادر نواب الحزب في الجلسة الأولى بلقطة أذهلت الإدارة الفرنسية، ونواب المجلس الفرنسيين، والصحافة الفرنسية ... ذلك أن المجلس برئاسة لأكبير افتتح جلسته بالنشيد الفرنسي الرسمي (لامارسييز)، وعلى الحاضرين أن يقفوا احتراماً له. فهل يقف نواب الحركة الوطنية أم لا؟ وقفوا واستمعوا للنشيد الوطني الفرنسي، وبعد الانتهاء منه جلس الأوروبيون وأعاونهم. ولم يجلس النواب الوطنيون، بل رفعوا عقيرتهم بقراءة النشيد الوطني الجزائري:

فداء الجزائر روعي ومالي ألاف سبيل الحرية

فليحي حزب الشعب الغالي ونجم شمال إفريقية

وليحي جند الاستقلال مثال الفداء والوطنية

ولتحي الجزائر مثل الهلال ولتحي فيها العربية¹.

في نهاية جويلية 1951م، وكرد فعل عن الانتخابات التشريعية المزورة التي جرت في 17 جوان 1951، قام كل من الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الدكتور أحمد فرانسيس والأستاذ قدور ساطور عن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أحمد مزغنة ومصطفى فروخي عن الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، أحمد محمودي وبول كابليرو عن الحزب الشيوعي الجزائري إنشاء لجنة تحضيرية لتكوين جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها بهدف :

1 - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغبة، الجزائر، دون طبعة، 2007،

- إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951 و م التي تولت الإدارة الاستعمارية خلالها تعيين أشخاص لا يمثلون جماهير الشعب الجزائري.
 - احترام حرية التصويت في المجموعة الانتخابية الثانية.
 - احترام حرية الضمير، حرية الفكر، حرية الصحافة وحرية الاجتماع.
 - محاربة القمع بجميع أنواعه والعمل على تحرير المعتقلين السياسيين وإلغاء الإجراءات التعسفية المتخذة ضد الحاج مصالي.
 - إنهاء تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي¹.
- نائب الحزب.. في الميدان:**

حقيقة كان نائب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية يعيش ظروفًا قاسية، ويرأها البعض من بعيد ظروفًا مريحة.. كان الحزب هو الذي يستلم المرتب الشهري الذي يتقاضاه النائب، ويبلغ 160000 ف، ثم يمنح النائب منها أولاً 19000 ف، وبعد أن تبين للقيادة صعوبة الحياة بهذه المنحة الطفيفة التي لا تكفي للحياة العادية، رفعها الحزب إلى 30000 ف، يتقاضى النائب هذه منحة أو هذا المرتب، كأى مسؤول عادي في الحزب. ومصطفى معروف بسخائه وكرم، ينفق كل ما يصل إلى جيبه، وكثيراً ما يتكرم باستضافة أصدقائه على نفقة والده التاجر البسيط الذي كان لا يبخل أبداً في خدمة المناضلين الوطنيين، وتوفير الراحة لهم مدة إقامتها².

"النائب في هذا الحزب يقوم بكل المهام الشاقة الخطيرة، والأعمال الصعبة التي توكل إليه. وبما أن مصطفى قيادي وعضو في اللجنة المركزية،

1- المنار، العدد 6، الصادر بتاريخ 30 جويلية. وأحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977، ص 403. ينظر أيضاً: حمري ليلي، الجمعية الجزائرية وقضايا الجزائريين فيما بين 1948 و1956، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران 1، 2016.

2 - العلوي، مصطفى فروخي، المرجع السابق. ص 11.

فقد أسندت له مسؤوليات تقتضي منه التنقل والسهر والمواظبة. ومن هذه المسؤوليات: "العلاقات مع الشخصيات والتنظيمات السياسية، والثقافية.. العلاقات مع السلطات الإدارية.. القضايا الخارجية"¹ إن إسناد هذه المهام إليه تدل على كفاءته، ولباقته، وروحه الاجتماعية، ودبلوماسيته الفطرية، ومرونته في التعامل والتجاوب مع الغير، مع محافظته على مصالح الحزب. كان يتولى رحمه الله العديد من الأمور زيادة عن مهمته الأصلية، فلا يضج ولا يشكو، بل كان يرى في ذلك متعة رغم ما فيها من مخاطر. من ناحية كان يمثل الحزب في الاجتماعات والمؤتمرات، ويكتب الخطب لبعض زملائه النواب، ويحرر المقالات لصحافة الحزب، ويكلف في الوقت نفسه بنقل المناشير السرية، وصحافة الحزب إلى مليانة وغيرها من المدن والقرى المجاورة، اعتقادا من القيادة أنه نائب، تغطيه الحصانة البرلمانية، وفرنسا لا تعرف شيئا يقال له "الحصانة" بالنسبة للجزائري. كان يحمل ما يصدر من مناشير وتعليمات وصحافة² ويسلمها إلى أحمد بن بليدية في مليانة (إسكافي أو حرفي في الأحذية) من مناضلي المدينة الذين لا يستلفتون الأنظار، لبساطته، ووجود دكانه في مكان منعزل نوعا ما، وكان هذا يوزعها بكيفية مدهشة، وسرعة عجيبة. بمجرد تسلمه المناشير تتطاير الأنباء بين مسؤولي الأحياء فيأتي كل مسؤول ليأخذ حصته، وكأن صاحب المحل لا يعرفه. إنه سباق مع السلطة البوليسية بحيث يتم توزيع المناشير والصحافة في سرعة قياسية، تفوق رقابة الشرطة الفرنسية. فالنائب في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية إذن يعيش دائما حالة استنفار. وهو فضلا عن كل ذلك مدعو إلى إلقاء محاضرات وعقد لقاءات مع المناضلين لرفع

1 - يوسف بن خدة. جذور أول نوفمبر 1954. ص 226.

2 - أشرف على إصدار جريدة صوت الشعب في عام 1952 وكذلك جريدة الأمة الجزائرية في عام 1954. مقابلة مع ابنته زليخة فاضل المولودة فروخي بمليانة جويلية 2017.

معنوياتهم وقد كانوا يعيشون ممزقين، وفي حالات نفسية خطيرة مع أهاليهم، وقد يصلون إلى التبرؤ منهم، وقطع الاتصال بهم، حتى لا تتألم الإجراءات الإدارية البوليسية الوحشية، وفي الكثير من الحالات يقطعهم أصدقاؤهم إذا بلغتهم أنباء علاقتهم بالحزب¹.

-التحاقه بالثورة

بعد أيام قليلة من اندلاع ثورة التحرير الوطني ألقى به وخمسة من رفاقه وزج بهم في السجن، وفي عام 1955 أطلق سراحه، ولكنه بقي تحت الإقامة الجبرية، ساهم في تنظيم صفوف الثورة بمساعدة سويداني بوجمعة في منطقة عمرونة وأولاد سيدي الشيخ. ثم ألقى عليه القبض من طرف السلطات الفرنسية للمرة الثانية بسبب أعماله الثورية والنضالية المضادة للاستعمار، وتمكن من الفرار من سجن مليانة في شهر فبراير عام 1956 والتحق بالعاصمة أين كان ينشط في شبكة الاستعلامات ثم شارك في النشاط الثوري بفرنسا حيث أنشأ في فبراير عام 1957 شبكة من الفدائيين. قامت خلية جبهة التحرير الوطني لميناء الجزائر بإرسال مصطفى فروخي ضمن طاقم الباخرة المتوجهة إلى فرنسا. وفي فرنسا كان مرغما على الانتظار العديد من الأشهر من أجل أن تصبح شبكته أكثر فعالية، وكان الهدف الرئيسي المناطق الصناعية، ومراكز التسليح في العاصمة باريس، ليون وسانت إتيان، ومرسيليا، عمل على ترسيخ دعائم التنظيم المسلح بفرنسا، تم استدعائه من طرف قيادة الثورة في تونس عابرا الحدود الفرنسية الإيطالية متكررا بشخصية رجل يرفع الكنيشة وهو يرتدي جبة رجال الكنيشة، حيث تم تعيينه أمينا عاما إداريا بالنيابة في الحكومة المؤقتة².

1 - العلوي، مصطفى فروخي، المرجع السابق. ص 12.

2 - مقابلة مع السيدة زليخة فروخي ابنة الشهيد بمليانة 01 جويلية 2017.

نشاط دبلوماسي حثيث:

قبل الخوض في نشاط مصطفى فروخي الدبلوماسي، تجدر الإشارة إلى أن قيادة الثورة ممثلة في الوفد الخارجي للجهة قد عمدت بداية إلى إقامة مراكز حضور دائمة في عواصم الدول الصديقة والشقيقة؛ والتي شكلت الحليف الطبيعي والقواعد الخلفية للثورة الجزائرية، وأطلق على هذه الممثلات اسم مكاتب وبعثات جبهة التحرير الوطني من أجل كسب أصوات قد تدعم مواقف الجبهة وتفضح ممارسات الطرف الفرنسي وتكسب مساحات إضافية أمام تعنت حكومات الجمهورية الفرنسية الرابعة. وبعد الإعلان عن تشكيل أول حكومة مؤقتة جزائرية في 19/09/1958 تدعم هذا التمثيل الخارجي للثورة فقد قامت ح.م.ج.ج بتعيين ممثلين لها في كل العواصم العربية، وقد بلغ تنظيم ونشاط بعض هذه المكاتب الخارجية ما تقوم به سفارات الدول ذات السيادة الكاملة، ثم قامت الحكومة المؤقتة بتعيين ممثلين لها لدى بعض بلدان إفريقيا وآسيا، إذ تم افتتاح مكتب بنيودلهي من طرف شريف قلال، وتعيين عبد الرحمن كيوان على رأس بعثة بكين¹.

المكاتب الخارجية فهي تنتشر في الدول التي اعترفت بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أما البعثات فأنشئت في البلدان التي لم تعترف لا بجبهة التحرير الوطني ولا بالحكومة المؤقتة وكان يرأس كل مكتب أو بعثة مسؤول (رئيس) يعين من طرف مجلس الوزراء، ويُمارس مهامه في البلد المعين فيه وقد يتجاوز إلى دول مجاورة لا تملك فيها الحكومة المؤقتة مكاتب تمثلها، مثلاً تجاوز نشاط محمد يزيد وعبد القادر شندرلي الولايات المتحدة الأمريكية إلى

1 - عمر بوضرية، دور "مكاتب جبهة التحرير الوطني في حشد الدعم للقضية الجزائرية في بلدان غرب أوروبا 1955-1960"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية. ج/قسم العلوم الاجتماعية. العدد - 20 جوان 2018، ص-ص 29-33.

بلدان أمريكا اللاتينية وكندا، كذلك الحال بالنسبة للخضر إبراهيمي الذي تجاوز نشاطه أندونيسيا ليشمل ماليزيا، ويساعد المسؤول الأول عن المكتب نائب في مهامه المختلفة، وفي عهد الحكومة المؤقتة الثانية والثالثة أصبح يساعد رئيس المكتب مستشار عسكري وآخر سياسي¹.

مصطفى فروخي وفريق جبهة التحرير الوطني:

يعود تأسيس فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم إلى ربيع سنة 1958 وبالضبط في شهر أفريل حين أعلن فجأة عن مغادرة اللاعبين الجزائريين الذين يلعبون في البطولة الفرنسية سرا إلى تونس عن طريق الدول المجاورة، اختارت جبهة التحرير الوطني هذا التوقيت لإحداث وقع إعلامي وتأثير نفسي. أما اختيار تونس فيعود لقربها الجغرافي إضافة للمساندة والتعاطف الذين أبداهما رئيسها الحبيب بورقيبة وشعبها، وكانت ضربة قاضية للشرطة الفرنسية التي لم تتمكن من اكتشاف الأمر، الذي اعتبر انتصارا لجبهة التحرير في فرنسا، خاصة وأن هؤلاء اللاعبين كانوا من خيرة لاعبيها².

كانت بداية مسيرة المنتخب الجزائري لكرة القدم في ظروف سرية سنة 1958 أثناء فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، حين قام "محمد بومرزاق" وهو أحد أعضاء جبهة التحرير الوطني بفرنسا، بالاتصال مع 10 من أبرز اللاعبين المحترفين من أصول جزائرية كانوا ينشطون في الدوري الفرنسي آنذاك، هم: كرمالي . مخلوفي . زيتوني . بويكر . بخلوفي . قدور . عمار روائي . عريبي . إبراهيمي . بوشوك، وحدث ذلك خلال المهرجان العالمي للشباب في سنة

1 - نفسه، ص 29-33.

2 - الأحمر قادة، "دور فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم في الدعاية للقضية الجزائرية 1958 - 1962"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، - Volume 4, Numéro 1, Pages 143-

1958 حيث طلب منهم مغادرة فرنسا سرا والتوجه إلى تونس، حيث المنتخب الجزائري قد أنشئ في 12 من أبريل سنة 1958¹.

ورغم القيود الدولية المفروضة من المستعمر الفرنسي الذي تجرأ لا أخلاقيا إلى إغراء بعض الفرق وتثنيها عن مواجهة فريق الجبهة الفتية، قابل فريق جبهة التحرير الوطني خلال السنوات الأربع الرسمية من وجوده، عدة أندية من مدن أوروبية وآسيوية كثيرة، كما لعب الفريق أيضا ضد فرق وطنية أولى، وحتى المنتخبات العسكرية، كما سافر أعضاء الفريق كثيرا من بلد لآخر خلال فترات قصيرة للعب مباريات، وفي كل مرة يعودون إلى تونس، حيث أقاموا معسكرهم بدعم شديد من السلطات التونسية آن ذاك².

إذ سجلنا جولة للاعبين في أوروبا الشرقية بين ماي إلى وجوان 1959 شهدت أول خرجات لرفقاء رشيد مخلوفي إلى أوروبا، حيث وجدوا في شرقها الدعم الشديد للثورة سيما وأن البلدان هناك كانت اشتراكية معارضة لتوجهات القوى الاستعمارية وعلى رأسها فرنسا. لاعبو FLN لعبوا خلال جولتهم هذه حوالي العشرين مباراة في بلغاريا، رومانيا، المجر، بولونيا والاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا، وكانت البداية من العاصمة البلغارية صوفيا³.

وكانت جولة جنوب شرق آسيا: أكتوبر - ديسمبر 1959، ثاني خرجات منتخب جبهة التحرير إلى دول غير عربية كانت صوب جنوب شرق آسيا، أين يوجد أكبر معسكر اشتراكي في العالم، حيث أجروا جولة هناك من أكتوبر إلى غاية ديسمبر 1959، تخللتها 11 مباراة في الصين وفيتنام، والبداية

1 - نفسه، ص-ص 143-148.

2 - الهدف، "منتخب جبهة التحرير الوطني مهد الكرة الجزائرية ومثال للتضحية"، الهدف، الاثنين 24

نوفمبر 2014.

3 - نفسه.

من الصين أين خاضوا 5 لقاءات في مدن بكين (لقاين)، غوانزو، شنغهاي وتايجين، ثم تحولوا إلى الهند الصينية (فيتنام حاليا) ولعبوا 6 لقاءات أخرى، علما أنهم فازوا بكل اللقاءات في تلك الجولة عدى تعادل واحد وهزيمة في الصين¹.

رافق مصطفى فروخي فريق الجبهة في هذه الجولة أين ظهرت خبرته الدبلوماسية، إذ أعجبت به سلطات هذي الدول الصديقة وأعربت عن املها أن يكون سفيرا لبلده المحتل في بلدها.

وقد كلفت الحكومة المؤقتة مصطفى عند التحاقه بتونس بمرافقة فريق جبهة التحرير في رحلته إلى الفيتنام أين استقبل استقبالا حارا من طرف الجنرال جياب. والرئيس هو شي منه². وقد استغل الوفد في 20/11/1959، فرصة وجوده بالفيتنام زيارة معسكر المغاربة (جزائريين وتونسيين ومغاربة) الفارين من صفوف الجيش الفرنسي، بعد رفضهم قتال الفيات منه في الهند الصينية³.

-استشهاد-

اعجب الصينيون بمصطفى وسرعة تحكمه في لغتهم، وكان قد سافر إلى الصين سنة 1959 وترأس وفد الشبيبة الجزائرية، ولما وافقت الصين على قبول التمثيل الدبلوماسي الجزائري لديها، اقترحه كريم بلقاسم أول ممثل للجزائر في الصين في جوان 1960، إذ سافر من تونس إلى مصر حيث عين رسميا سفيرا للحكومة الجزائرية المؤقتة ببيكين، وفي طريقه توفى مع زوجته وأولاده

1 _ قادة، مرجع سابق، ص-ص 143-148.

2 - VISITE AU VIETNAM DE L'ÉQUIPE NATIONALE DE FOOTBALL ALGÉRIENNE EN 1959, Rencontre avec le Président Ho Chi Minh. Voir : <http://www.amb-algerie.vn/historical-photographs>.

- Delanoë, N. (2002). **De l'Indochine au Viêt-nam**. Dans: Poussières 3 d'empires (pp. 61-97). Paris cedex 14, France: Presses Universitaires de France.

الثلاثة¹ اثر حادث انفجار طائرة الأليوشين 18 الروسية الصنع، في سماء "كييف" عاصمة "أوكرانيا" يوم 1960/08/17 ودفن في تونس²، وقد رثى الشاعر مفدي زكريا الشهيد في الجنازة الرهيبة التي أقيمت بتونس للشهيد مصطفى فروخي الذي احترق مع جميع أفراد عائلته إذ نجده يقول أيضا في قصيدة "أسفيرا نحو أملاك السما"؟ في الطائرة التي كانت تنقلهم من القاهرة إلى بيكين³

وقد حمل الشاعر الألفاظ الدالة على النار معنى النور، التي شوشت العالم وحيرت الشاعر، فأوصى الشهيد أن يحكي عنها للسماوات والأفلاك، إذ هو نور صاعد نحو السماء، ليحكي لها عن نار الجزائر ولقد أتت النار على جسد "مصطفى" وعائلته، الزوجة وابنتيه نسبية وسعاد وولده احمد شوقي،⁴ إلا أنها لم تمنع نوره من أن يتلأأ مخلدا ذكره على مر الأزمان ضمن لائحة شهداء الجزائر، وإن كان من العادي أن تتمخض النار على رماد، إلا أن النار التي التهمت الأجساد الطائرة، تمخضت عن نور يشع على الدنيا مدى الأزمان، ويحكي بطولات أمة.

أَيَّ صَقَرٍ فِي السَّمَوَاتِ اخْتَفَى *** أَيُّ نَجْمٍ فِي النِّهَائَاتِ انْطَفَى
أَسْفِيرًا نَحْوَ أَمْلَاقِ السَّمَاءِ *** أَمْ لِبَكِينٍ يُعْشَمُ مُصْطَفَى
أَمْ رَأَى فِي الْأَفْقِ مَا قَدْ رَآهُ *** فِي بِلَادِ الصِّينِ بُلَاقَهَا

1 - عدا ابنته الرابعة زليخة (8 سنوات) التي بقيت في مليانة عند جدّها محمد فروخي.

2 - نقلت جثامين الشهداء إلى مقبرة العالية بالجزائر بعد الاستقلال..

3 - رحمانى ليلي، البنية الإيقاعية في اللهب المقدس لمفدي زكرياء، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العروض

وموسيقى الشعر، تلمسان 2015، ص 208.

4 - العلوي، مصطفى فروخي، المرجع السابق. ص 34.

أُمُّ هَمَا فِي نَاطِرِهِ اشْتَبَهَا *** ظَنَّ أَنَّ الْأَفْقَ صِينًا فَانْكَفَى
أُمُّ رَأَى الْخُلْدَ قَرِيبًا فَدَنَا *** وَرَأَى أُمَّنَالَهُ فَأَنْعَطَفَا
رَاوَدَ الْعِرَّةَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ *** وَاعَدْنَهُ فِي السَّمَاءِ فَانْصَرَفَا
أُمُّ رَأَتْ الشَّهْدَاءَ نَحْوَهُمْ *** يَسَامَى فَدَعَا لَوَفَا¹

خاتمة

رغم أن الحياة النضالية لشهيد الدبلوماسية مصطفى فروخي الملياني بقية مغمورة إلى فترة قريبة، إلا أنه وبشهادة من عملوا في هذا الميدان الصعب ومن علموا بقصة الشهيد جعلوها عبرة لهم للمضي قدما في خدمة هذا الوطن العزيز دون انتظار الجزاء والشكر من أحد، لقد كان وطنيا مخلصا مجندا في الحركة الوطنية الاستقلالية ودبلوماسية محنكا في خدمة الثورة الجزائرية.



الشهيد مصطفى وزوجته وابنتاه
قبل الاستشهاد بأيام

¹ _ رحمانى ليلي، نفسه، ص 209.

فهرس الموضوعات

الصفحة

08

كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

أ. د/ عبد الله مقلاتي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

المحور الأول: البعد الدبلوماسي في المقاومة ونضال الحركة الوطنية

بعض ملامح الدبلوماسية الجزائرية 1830. 1954

ك د/ محمد فـن

11

ك د/ علجية مقيدش - جامعة زيان عاشور - الجلفة.....

النخبة الجزائرية والعمل الدبلوماسي، همدان خوجة أموذجا

23

ك د/ بن جلول هنرشي - جامعة زيان عاشور - الجلفة.....

جهود صالح الخالدي لحل القضية الجزائرية فيما بين سنتي 1904 و1911

34

ك د/ منى صالح - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

دور النخب المثقفة في تدويل القضية الجزائرية قبل عام 1954

40

ك د. أ. د / حميدي أبوبكر الصديق - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

التدويل مفهومه وإستراتيجيته من خلال موثيق وتجارب جبهة التحرير الوطني 1954-

51

1960

ك د. أ. د/ عمر بوضربة - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

المحور الثاني: دوائر النشاط الدبلوماسي للثورة التحريرية وأبعادها المرحلية

بصمات دبلوماسية الثورة التحريرية الجزائرية في المجال الأفروآسيوي. 1957 1962

77

ك د. أ. د/ عبد الكامل جويبة - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

كـ د/ جيلالي حليمة - معهد كراسك - وهران.....

المظاهرات الشعبية وأثرها في دعم النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية: مظاهرات ديسمبر

1960م أنموذجا

كـ د/ عبد القادر خليف - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

المحور الثالث: استراتيجية وأطر عمل الدبلوماسية الجزائرية

النشاط الدبلوماسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين . 1956-1962

كـ أ. د/ محمد السعيد عقيب - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي.....

أهداف ومبادئ السياسة الخارجية للثورة الجزائرية من خلال مواثيقها

كـ د/ فتح الدين بن أزواو - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

إستراتيجية العلاقات الخارجية في أديبات الثورة الجزائرية 1956-1962

كـ أ. د / احمد مسعود سيد علي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

المحور الرابع: مكاسب دبلوماسية الثورة الجزائرية

دبلوماسية الثورة الجزائرية في المغرب العربي ومكاسبها 1958.1960

كـ أ. د / عبد الله مقلاتي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية من خلال مذكرات محمد حربي: "حياة تحدد وصمود"

كـ د/ سفيان لوصيف - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02.....

التضامن الدبلوماسي الإفريقي الجزائري في إطار حركات التحرر وانعكاساته على تدويل

القضية الجزائرية (1954-1962)

كـ أ/ الطاهر خالد - جامعة الجزائر 02.....

المحور الخامس: أعلام دبلوماسية الثورة الجزائرية

- 296 رواد الدبلوماسية الجزائرية خلال الثورة الجزائرية (أحمد توفيق المدني 1956-1962) كـ د/محمد بوطيبي - بجامعة المديّة.
- 324 دور عبد الحميد مهري في التعريف بالقضية الجزائرية في بلاد الشام كـ د/ بوكسية محمود - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
- 343 الدور الدبلوماسي لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الثورة التحريرية كـ د/ لهلاي اسعد جامعة محمد لين دباغين - سطيف 02.
- 368 أعلام دبلوماسية الثورة الجزائرية التعريف بمسارهم وإنجازاتهم، عبد الرحمن كيوان أنموذجا كـ د/ جمال قندل - جامعة الشلف.
- 391 محمد العربي دماغ العتروس مجاهدا ودبلوماسيا 1924.2017 كـ د/ محمد قويسم - جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة.
- 414 دور محمد الصديق بن يحيى في نشاط الدبلوماسية الجزائرية كـ د/ حليم سر حان - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
- 429 مصطفى فروخي ودوره الدبلوماسي والسياسي كـ د/ تونسي عبد الرحمان - جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة.

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
جوان 2019

